سلسلة وثائق الإسلام - ٢

الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر العباسي الأول

دراسة ونصوص

تأليف

محمد ماهر حمادة
دكتور في علم المكتبات
أستاذ في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مؤسسة الرسالة

سلسلة وثائق الإسلام - ٢

الوثائق السياسية والإدارية

العائدة للعصر العباسي الأول

١٣٢ - ٢٤٧ هـ
٧٥٠ - ٨٦١ م

دراسة ونصوص

تأليف
محمد ماهر حمادة
دكتور في علم المكتبات

مؤسسة الرسالة

الطبعة الرابعة

١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م



مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف: ٣١٩٠٣٩ - ٢٤١٦٩٢ ص.ب: ٧٤٦٠ برقياً: بيوشران

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتـاب

الحمد لله رب العزة والجلال ، والصلاة والسلام على سيدنا محمـــد الجامع لأفضل الصفات والخلال وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين . وبعد :

يسرنا أن نضع بين يدي قرائنا الأعزاء العدد الثاني من سلســـلة وثائق الإسلام الذي يغطي فترة العصر العباسي الأول من قيام الدعوة العباسية حتى نهاية عصــــر المتوكل على الله سنة ٢٤٧ هـ وكلنا أمل أن يوفقنا الله جل جلاله لتغطية عهود الإسلام حتى الفتح العثماني لسوريـة ومصر فيما يتعلق بالوثائق والعهود والمراسلات السياسية والإدارية حتى نتمكن أن نضع مادة التاريخ الإسلامي الحقيقية بين يدي الباحثين والمؤرخين .

ويتألف كتابنا هذا من جزئين متكافئين : الجزء الأول دراسة ومدخل للوثائق وهو عبارة عن دراسة منهجية للعصر الذي تغطيه الوثائق استنـاداً إلى الوثائق وحدها ، والجزء الثاني نصوص الوثائق نفسها حسب عهود الخلفاء وقد صنفت الوثائق في عهـد كل خليفـة حسب أنواعها فهناك الخطب وهناك الرسائل والعهود ، ثم صنف كل نوع من أنواع الوثائق في عهد خليفـة من الخلفاء حسب الموضوعات .

وبعد ، فإن المؤلف يشكر كل من ساعده وعاونه في إنجاز وإعـــداد

هذا الكتاب ويؤكد إنه هو وحده المسؤول عن الكتاب ، فإذا كان فيه مآخذ فهو المسؤول عنها ، وإذا كان فيه حسنات شاركه الآخرون بها .

وفي الاخير نسأل الله جلت قدرته أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم وأن ينفع بهذا الكتاب إنه سميع مجيب والحمد لله رب العالمين .

المؤلف
محمد ماهر حمادة

مكة المكرمة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م

القسم الأول

المدخل إلى الوثائق ، دراسة وتعريف

يعتبر العصر العباسي عصر الإبداع في الحضارة الإسلامية . ففيه تم تشكل وتبلور الحضارة الإسلامية بشكلها المعروف ومميزاتها الواضحة ، وفيه تم التمازج الحضاري والثقافي في دار الإسلام بين مختلف الأقوام والعروق والأجناس والثقافات ، مما أدى ، بالتالي ، إلى بروز الحضارة الإسلامية ذات الشخصية الواضحة والسمات المميزة التي اشترك في إنتاجها عدد كبير من العروق والأجناس ذوي الحضارات المختلفة والديانات المختلفة . وفيه بلغت هذه الحضارة درجة كمالها وبلوغها الأوج ؛ كما شاهدت نهاية هذا العصر بداية الإنحطاط والإنحدار في هذه الحضارة بالذات . وقد تطورت فيه جميع المعارف الإنسانية وانتشرت في أرجاء العالم الاسلامي من حدود الصين والهند شرقاً إلى الأندلس وحدود فرنسا وإيطاليا وسويسرا غرباً . ثم لم تلبث هذه ان انتقلت إلى أوربا وساهمت ، إلى حد كبير ، في إنهاضها وإيقاظها من سباتها ، وفي جعلها تأخذ من الحضارة بنصيب موفور .

كما وأن الدين الإسلامي أخذ شكله المعروف به في العالم إذ نمت المذاهب الإسلامية وتعددت كل التعدد وتطورت فيه مذاهب الإعتزال والتصوف وعلم الكلام ، وشاهدت نهاية العصر العباسي إقفال باب الإجتهاد في الفقه الإسلامي وغلبة

التقليد على الإجتهاد وغلبة الجمود على الإبداع . كما وإن العصر العباسي شاهد في أواخره تقلص وتراجع حدود بلاد الإسلام في عدد من الجهات ـ كما هو الحال في الأندلس وشمالي سورية . وهذا لايعني توقف انتشار الإسلام كدين على العكس نشطت الدعاية الدينية بين الأقوام الوثنية في أواسط آسيا وفي الهند وفي أوربا ـ بلاد روسيا وبلاد الخزر ـ وفي غيرها من الاماكن ، واعتنق الإسلام أقوام كثيرون بواسطة التبشير الديني والدعوة السلمية إلى الاسلام ، وكان من حسن الحظ أن تمكن الاسلام أن يكسب لنصرته أنصاراً متحمسين هم الأتراك بمختلف أجناسهم وأسمائهم كالسلاجقة والعثمانيين الذين لعبوا دوراً مهماً جداً في التاريخ العباسي وما بعده .

كذلك شاهد العصر العباسي سيطرة الروح الدينية على الخلافة العباسية والباسها ثوباً دينياً مكنها أن تحافظ على وجودها فترة طويلة من الزمن ، على الرغم من أن الخلفاء من عهد المتوكل فما بعد فقدوا تقريباً سلطاتهم الدنيوية . وهذا الرداء الديني الذي لبسته الخلافة العباسية في عصورها الأخيرة هو الذي جعل لها صفة القداسة حتى في نفوس أعدائها ، ولم يتجرأ احد على إلغائها حتى هولاكو سنة ٦٥٦ هـ فقتل آخر الخلفاء العباسيين وألغى الخلافة العباسية في بغداد ، بعد كثير من التردد وبعد أن خوف من عاقبة ذلك أشد التخويف . ولنتذكر أن هولاكو لم يكن لديه أي دافع يدفعه لإحترام الخلافة العباسية لانه وثني ، ولذلك فعل فعلته . صحيح أنه قُتِلَ كثير من الخلفاء العباسيين وسمل آخرون وخلع غيرهم وعوملوا معاملة مهينة من قبل بعض الولاة المتنفذين كأمثال القواد الأتراك وغيرهم من آل بويه ، ولكن منصب الخلافة نفسه لم يمس ولم يتجرأ أحد منهم على التفكير في إلغائه أو حتى محاولة نقله الى أسرة اخرى .

وشهدت نهاية هذا العصر حدثين هامين جداً أثرا في مجرى الأحداث

في المنطقة كل التأثير ، ونعني بذلك هجوم التتر والمغول على العالم الاسلامي من الشرق ، وهجوم الصليبيين من الغرب واحتلالهم الساحل الشامي ، ولقد أدى هذان الهجومان إلى تدمير قسم كبير من العالم الإسلامي وتدمير حضارته وإقتصادياته وجعلاه يفقد قواه الذاتية فترة طويلة من الزمن .

كما وشهد العصر العباسي زوال النفوذ العربي الذي كان للعرب في العصر الأموي باعتبارهم الطبقة الحاكمة ، ذلك أن الدعوة العباسية نشأت في بيئة أعجمية واستندت الى قوم أعاجم مقهورين مظلومين يضطهدهم الأمويون العرب الحاكمون ، فأثارت فيهم هذه الدعوة ذكريات الماضي وأثارت فيهم النعرة القومية وحببت إليهم الأخذ بالثأر الذي اقترن مع إعادة الحق المهضوم لآل الرسول .

ذلك أن الدعوة العباسية ولدت ونشأت وترعرعت وانتشرت في خراسان وهي المنطقة الوارثة لأمجاد الفرس الذين يمجدون ملوكهم وقوميتهم ، فربط العباسيون بين هذه النزعة وبين الدعوة لآل الرسول والرضا من آل محمد — وهي دعوة محببة إلى الفرس وأهل خراسان لأنهم بهذه الدعوة وبهذه الطريقة يزيلون الحكم الأموي الكريه الذي يضطهدهم وينتقمون من العرب الذين أذلوهم ويرفعون إلى منصب الخلافة أسرة تعترف بفضلهم في وصولها إلى الحكم، ومبادئها في الحكم والخلافة ونظرتها إليهما نظرة ثيوقراطية شبيهة بنظرة الفرس أنفسهم إلى العرش والحاكم . وقد تمكن الدعاة العباسيون أن يزرعوا في قلوب أنصارهم من أهل خراسان الإعتقاد بقوى غيبية للأئمة من آل الرسول كالتنبؤ بالاشياء والاحداث قبل وقوعها وغير ذلك . ويبدو ذلك كله واضحاً من خطبة ألقاها في الجيش العباسي الخراساني قائد هذا الجيش والداعية للإمام قحطبة وذلك قبل إحدى المعارك التي نشبت بين العباسيين والأمويين سنة ١٣٠ هـ . فذكر قحطبة في خطبته أهل خراسان بماضيهم ، ثم

ذكرهم بظلم الأمويين لهم ، ذكر أن الله تعالى سلطهم - أي أهل خراسان - وسخرهم لينتقموا لأنفسهم ولأهل بيت نبيهم :

يا أهل خراسان : هذه البلاد كانت لآبائكم الأولين ، وكانوا ينصرون على عدوهم لعدلهم وحسن سيرتهم حتى بدلوا وظلموا ، فسخط الله عز وجل عليهم فانتزع سلطانهم وسلط عليهم أذل أمة كانت في الأرض عندهم فغلبوهم على بلادهم . . . فكانوا بذلك يحكمون بالعدل . . . ثم بدلوا وغيروا وجاروا في الحكم وأخافوا أهل البر والتقوى من عترة رسول الله ﷺ فسلطكم عليهم لينتقم منهم بكم ليكونوا أشد عقوبة لأنكم طلبتموهم بالثأر . وقد عهد الى الإمام أنكم تلقوهم في مثل هذه المدة فينصركم الله عز وجل عليهم فتهزمونهم وتقتلونهم .[1]

وهذا لا يعني ، ولا يسوغ القول ، إن دولة بني عباس أعجمية . ذلك أن العباسيين الأوائل حاولوا التسوية بين العناصر ، على الأقل . هذا وإن عصرنا الذي ندرسه هو بالحقيقة عصر صراع مستمر ومرير بين العنصرين العربي والفارسي حول السلطة ، وكان يمثل العنصر العربي الخلفاء العباسيون ، على حين مثل العنصر الفارسي القواد والوزراء الفرس من أمثال أبي مسلم الخراساني والبرامكة والفضل بن سهل . ولقد أدى هذا الصراع وخيبة الفرس فيه إلى ضعف الطرفين وإلى ظهور عنصر ثالث انتزع السلطة منها ، لفترة ، وهو العنصر التركي .

ولكن الأمر المهم في الموضوع أن العرب لم يكونوا قادرين على استرداد قواهم ، على حين عمل الفرس على الاستقلال فنجحوا وأسسوا دولاً - ضمن

---

(١) الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير . تاريخ الأمم والملوك . القاهرة ، مطبعة الاستقامة ، ١٩٣٩ م . ج ٦ ٥٥-٥٦ .

الأمبراطورية العباسية ـ هي دول فارسية إلى حـد كبير كالدولة الطاهرية والدولة السامانية وغيرهما.

وعلى الرغم من أن العصر العباسي يعتبر امتداداً للعصر الأموي إلى حـد كبير في كثير من النواحي ، إلا أن هناك ناحيتين مهمتين خالف فيهـا العصر العباسي العصر الأموي . فلأول مرة أصبحت حدود الإسلام غـير حدود الخلافه ، إذ أن الدولة العباسية لم يدخل في نطاقها الأندلس التي استقلت عـن الدولة العباسية منذ لحظة تأسيسها ، ثم تبعها بعد فترة مناطق كثيرة استقلت عـن الدولة العباسية كدولة الأدارسة في المغرب الأقصى ودولة الأغالبة في المغرب الأوسط ، وكالدولة الطاهرية في خراسان وغيرها .

كذلك انتقل مركز الخلافة من الشام إلى العراق . وهـذا لم يكن مجـرد تغيير للعاصمة ، وإنما عنى تبدلاً جذرياً في سياسة الدولة وكان له نتائج بعيدة المدى في تشكل الحضارة الإسلامية ، ذلك أن نقـل العاصمة من دمشق إلى العراق وتأسيس بغداد أدى إلى إضعاف النفوذ العربي وبروز النفـوذ الفارسي وعني بالتالي بروز التأثيرات الفارسية ومحاولاتها السيطرة على الحياة الإسلامية في كل نواحيها آنذاك .

هذا وإن نقل العاصمة كان شيئاً طبيعياً ومتوقعاً ، إذ من المستحيل أن يبقى العباسيون في نفس المكان الذي كان مركز ثقل الأمويين ، وكذلك كان من اللازم أن يكونوا قريبين من مكان أنصارهم وهم أهل خراسان .

ولمـا كان من المستحيل ومن غير المرغوب فية نقل مركز الخلافة إلى خراسان ـ لبعدها المتناهي عن قلب البلاد الإسلامية ـ ولذلك اختير العراق لهذا الغرض .

ونحـن لا نعتقد بتقسيم العهـود والحضارات والدول إلى أدوار تحددها

تواريخ فاصلة ، فسقوط الأمويين وحلول العباسيين محلهم لا يعني شيئاً مهماً محدداً من وجهة نظرنا الحضارية التي تعتقد أن الحضارة جدول مستمر متدفق ترفده روافد تختلف باختلاف البيئات والعهود والظروف .

ذلك أن سقوط الأمويين وحلول العباسيين محلهم ، كان له نتائج مهمة ، ولكن على المدى البعيد وليس على المدى القريب . وهذا السقوط لون الحضارة الإسلامية ولكن لم يغيرها ولم يبدلها تبديلاً جذرياً بحال من الأحوال. ذلك ان بذور الحضارة الاسلامية الأولى كانت قد غرست في العهود السابقة للعهد العباسي . ولكن هذا التقسيم - تقسيم الحضارات والدول - إلى عهود ضرورة عملية لتسهيل دراستها وإبراز التيارات المهمة فيها . ولذا وجب الاحتياط والحذر في في عملية التقسيم هذه وأن ينبه الدارس إلى أن هذا التقسيم اصطناعي ، وقد أوجد فقط لمهمة تسهيل الدراسة .

هذا وقد قسمنا العصر العباسي إلى عصور وعهود ، وذلك لطوله من جهة ، وبحسب طبيعة السيطرة السياسية والوضع السياسي في العالم الإسلامي من جهة ثانية .

ولقد شاهد العصر العباسي - ككل - تطورات بالغة الأهمية سياسياً وحضارياً . فقد شاهد تمزق العالم الإسلامي وانتشار الدول المختلفة فيه ، كذلك شاهد غارات الصليبيين و المغول .

وشاهد تدهور قوة الإسلام ونمو قوة الروم والافرنج وغاراتهم المتكررة على سورية ومصر والأندلس .

وشاهد دخول أعداد غفيرة من الشعوب البدوية القاطنة في أواسط آسيا الوسطى في الدين الإسلامي وتدفقهم إلى قلب بلاد الإسلام ومساهمتهم سياسياً وحضارياً في عالم الإسلام ، كالترك والديلم وغيرهم . ولقد شاهد هذا العصر

أيضاً بلوغ الحضارة الإسلامية أوج عظمتها ونضج الفكر الإسلامي وانتشار الإسلام في أماكن لم تطأها قدم جندي مسلم واحد ، وظهرت فيه بارزة للعيان ردود الفعل الإسلامية ضد الغزوات المتكررة لدار الاسلام . وأخيراً أنهى سقوط بغداد بيد المغول سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م وما رافق هذا الغزو من دمار وخراب للقسم الشرقي من الامبراطورية الإسلامية العصر العباسي .

ولقد أدى سقوط بغداد والخراب المدمر الشامل الذي أحدثه المغول في خراسان وفارس والعراق إلى انتقال مركز الحياة الثقافيه والفكرية والسياسية في عالم الإسلام إلى مصر وسورية حيث استقطبتا العلماء لفترة ، ثم ظهر بعد ذلك الدولة العثمانية ونبعت في بلاد الأناضول وهي التي قدر لها أن تبتلع قسماً كبيراً من عالم الإسلام وأن تصبح الدولة الإسلامية الكبرى فترة طويلة من الزمن .

ومن وجهة نظرنا نحن ، وجهة نظر الوثائق ، يعتبر العصر العباسي الأول الذي هو مجال عملنا في هذا الكتاب والذي يبدأ بأبي العباس السفاح وينتهي بالمتوكل على الله ـ في أوله على الأقل ـ امتداداً للعصر الأموي وتطوراً له. ذلك أن النماذج التي كانت سائدة في العصر الأموي ظلت هي نفسها سائدة في العصر العباسي . فقد أولى العباسيون الأوائل الخطابة مكاناً مرموقاً في سياستهم العامة ، وكذلك كان للرسائل والعهود والمناظرات دور نشط في ذلك العهد . ولكن الصورة تغيرت بعد المنصور ، إذ أهمل القوم الخطابة واهتموا بالرسائل والمناشير والبيانات . وحتى أبو جعفر المنصور المعدود من أشهر خطباء العباسيين لا توازن خطبه بخطب الحجاج أو زياد ابن أبيه كماً وكيفاً . وعلى الرغم من شهرة أوائل العباسيين بالخطابة كالمنصور وداود بن علي ، إلا أنهم يقصرون عن رتبة خطباء العصر الأموي .

أما بعد المنصور ، فقد أهملت الخطابة ، وإذا وجد خطباء كالمهدي والرشيد والمأمون ، فقد أصبحت خطاباتهم دينية ذات طابع وعظي لا تختلف عن خطب أئمة المساجد التي يعظون الناس بها . وإذا وصلنا إلى عصر المعتصم ومن أتى بعده لا نجد خطيباً واحداً من الخلفاء أو الولاة . وهذا الوضع طبيعي ، ذلك أن أغلب أنصار العباسيين كانوا أعاجم لا تهزهم الكلمة الملفوظة ولا تؤثر فيهم الفصاحة والبلاغة . وكان هم العباسيين الأكبر التركيز على الدين باعتبار أنه الدعامة الكبرى لهم ولحقهم في الخلافة ، ولذلك إذا وجد خطابة فهي من النوع الديني الذي يرسخ هذه المفاهيم . ولكنهم استعاضوا عن هذا النقص في الخطابة السياسية بالمناشير والبيانات التي كانوا يذيعونها عندما يحدث مهم أمر من الأمور ، كالبيان الذي أذاعه المأمون لما قتل علي بن هشام ، وكالمنشور الذي أصدره الواثق لما قتل نصر بن شبث الخزاعي .

ولقد كثرت العهود والمواثيق التي كان الخلفاء يصدرونها من أجل تعيين ولاة عهودهم من بعدهم أو التي يمنحها الخليفة لأحد الأفراد الذين شقوا عصا الطاعة . وجميع هذه الوثائق تمتاز بغلبة الناحية الدينيه عليها ، فهي مليئة بذكر الله تعالى وذكر رسوله وأهمية العهد والوفاء به ، وكيف أن الله تعالى وفق أمير المؤمنين لذلك ، وهي طافحة بالسور القرآنيه التي تدعم هذا الوضع وكلما أوغل القوم في الاستيثاق ومحاولة جعل الأطراف المعنية تتقيد بالعهد وتلتزم به سهل على من يريد نقض العهد إيجاد المخرج للتخلص من القيود التي تربطه . ذلك أن أخلاق القوم وسلوكهم الديني كانت تسوغ لهم نقض العهد بمنتهى السهولة . فقد أخذ على المنصور أغلظ المواثيق وأشدها في سبيل تأمين عمه عبدالله بن علي الذي ثار ضده وهزم والتجأ إلى أخوته وسعى له هؤلاء بأخذ الأمان من المنصور . ولكن ذلك لم يمنع المنصور من قتل عبدالله بن علي وقتل ابن المقفع كاتب العهد ومنشئه .

وصدق محمد النفس الزكية عندما هزأ من عرض المنصور عليه في أن يعطيه الأمان فأرسل إليه يقول: أي أمان تعطيني ؟ أمان ابن هبيرة أم امان ابي مسلم أم أمان عمك عبد الله بن علي[1] ؟ ونفس الشيء يلاحظ في العهد الذي أخذه الرشيد على ولده الأمين أن يفي بالتزاماته تجاه أخويه وبخاصة تجاه المأمون ، فهي من أغلظ العهود والمواثيق ، ولكن ذلك لم يمنعه ـ عندما أصبح خليفة ـ من أن يأخذها من الكعبة المشرفة وأن يمزقها وأن يحاول الإخلال بشروطها شرطاً شرطاً .

ولقد استشرى في هذا العصر الجدل الديني النظري ـ بجانب العمل الحربي ـ بين العباسيين وأبناء عمهم العلويين.

ذلك أن الحلف العلوي العباسي الذي كان قائماً زمن بنى أمية انفرط بمجرد استلام العباسيين الخلافة . فقد أحس العلويون مرارة الخيبة وذاقوا طعم الخذلان ، ولذلك لجأوا إلى الثورة والمعارضة . وقد رافق العمل العسكري ودعمه ، جدل نظري مهمته أحقية آل علي بالخلافة دون بني العباس . ولقد رد العباسيون التحية بأحسن منها وجادلوا ونافحوا دون حقهم في الخلافة عسكرياً ونظرياً وفي أحقية العباس في الخلافة ووراثة رسول الله دون علي وآل علي . ونرى ذلك واضحاً في مراسلات المنصور ومحمد النفس الزكية وفي أشعار مروان ابن أبي حفصة وغيره من شعراء العصر . كذلك برزت الناحية الأدبية البلاغية في البيانات والعهود بروزاً هائلاً طغى على الناحية الإعلامية الإخبارية في تلك البيانات . وإذا حللنا بعض البيانات التي أذيعت آنذاك نجدها قطعة أدبية وفنية وأثر الصنعة الأدبية فيها طاغية كل الطغيان على النواحي الأخرى بحيث يمكن القول ان هذه الناحية بالذات تشكل القسم الأكبر من الوثيقة .

---

(١) المبرد ، ابو العباس محمد بن يزيد . الكامل... تحقيق زكي مبارك . القاهرة ، مصطفى البابي الحلبي ، ١٩٣٦ م . ج ٣ ص ١٢٧٥ .

ولسوء الحظ لم نستطع الحصول على وثيقة أصلية واحدة تعود الى هـذا العصر ، ذلك أن النكبات التي مرت بالعالم الإسلامي من دمار وخراب وتقتيل، والجهل الذي ران على البشر والعقول خلال حقبة طويلة من الزمن ، وطبيعة المادة المسجلة عليها الوثائق تجعل من الصعب جداً ، إن لم يكن من المستحيل ، وصول الوثائق الأصلية إلينـا سليمة ، ولذلك استخرجنا وثائقنا من بطون الكتب التاريخية والأدبية ، ولحسن الحظ حفظت لنا هذه الكتب قسماً مهماً من هذه الوثائق .

وتشمل الوثائق المواد الملفوظـة كالخطابة والحوار والمناظرات وغيرها ، والمواد المخطوطة كالرسائل والبيانات والعهود والمعاهدات وغيرهـــا . ونحن لا ندري ما إذا كانت هـذه الوثائق صحيحـة أم لا ، ذلك أن من الضروري تسليط النقد الداخلي عليها لاكتشاف هـذه النواحي فيها . وهذ مهمة الدارسين لهـذه الوثائق ، وكل ما علينا فعله هو أن نـــأتي بنص الوثيقة والمصدر الذي استقيت منه وأن نضعها تحت تصرف الباحثين .

ولم نذكـر في قسم الوثائق الملفوظـــة إلا عدداً محدوداً جـداً من الحوار والمناظرات . لأنها كثيرة جداً ، ولأن الصفة الوثقية أقل بروزاً فيها من الوثائق المخطوطـة كالرسائل والعهود وغيرها ، ولذلك أوردنا بعض الأمثلة كنماذج على هـذا النوع .

هذا وإن مصادرنا التي استمدينا منها وثائقنا عن العصر العباسي هي – في الأعم الأغلب – نفس المصادر التي استقينا منها وثائقنا عن العصر الأموي . ويأتي كتاب الطبري على رأس القائمة ، وهو كتاب جليل وميزته أنـه يورد نصوص عدد كبير من الوثائق لا توجـد في غيره . وكان المرء يتوقع أن يجـد في كتب التاريخ المحلي كتاريخ بغداد للخطيب البغدادي مثلاً ثروة من الوثائق النادرة غير الواردة في غيره ، ولكنه لسوء الحظ خيب أملنا في هذه الناحية بشكل مؤلم ولم نحصل منه إلا على شذرات هنا وهناك من رسائل وخطب وتوقيعات .

وهناك كتاب هام هو كتاب بغداد لابن طيفور ، ولكن المنشور منه هو الجزء السادس فقط الذي يقص بعض أخبار المأمون . ولقد أثبتت الوثائق الواردة في هذا الجزء الصغير انها متطابقة مع الوثائق التي يوردها الطبري لنفس الفترة إلى حد كبير ، مما يوحي بصدق الاثنين ولا سيما إذا تذكرنا أن ابن طيفور أقدم قليلاً من الطبري ، وهو يعتبر أقدم مؤرخ لبغداد من المؤرخين المسلمين .

ويرد ذكر عدد من نصوص الوثائق في كتب الأدب التي نوردها على أنها نماذج أدبية أوردت لقيمتها الأدبية وحدها ، ولكن ذلك لا يمنعنا من اقتباسها وإثباتها على أنها وثائق صدرت في عهد معين وعن خليفة أو حاكم بعينه .

وقد لجأنا إلى اتباع التسلسل الزمني للخلفاء إذ وجدناه أسهل من غيره ومعروفاً أكثر من غيره ، ثم قسمنا الوثائق الى ثلاثة أقسام كبرى : الخطب فالحوار ، فالرسائل . ثم صنفنا كل صنف من هذه الأقسام الكبرى حسب الموضوعات ـ هذا إذا وجدنا ضرورة لذلك ، وكانت غزيرة إلى الحد الذي يتطلب التقسيم حسب الموضوعات .

ولا نعتقد أننا جمعنا جميع الوثائق العائدة للعصر العباسي الأول ، فلا بد وأنه شذت عن المؤلف وثائق لم تصل إلى علمه ، أو وردت نصوص وثائق أخرى في كتب لم تكن في متناول يده ، ولكننا نعتقد أننا جمعنا هنا قسماً كبيراً من الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر العباسي الأول ، وكلنا أمل أن نتدارك ما فاتنا في طبعة قادمة إن شاء الله تعالى .

ولقد بدأنا جمعنا للوثائق بفصل تمهدي عرضنا به وثائق الدعوة العباسية ، ثم انتقلنا بعد ذلك الى ذكر وثائق كل خليفة من الخلفاء حسب التسلسل الزمني لهم .

كان هذا عرضاً موجزاً مجملاً لمنهج عملنا في حقل الوثائق السياسية والإدارية في العصر العباسي الذي يبدأ بالسفاح وينتهي بالمتوكل ، والآن سنحاول إعطاء

الملامح العامة لكل عصر من عصور الخلفاء العباسيين كما تبدو من خلال الوثائق الموجودة والعائـدة لذلك العصر ، وبدأنا عملنا بذكر الملامح العامـة للدعوة العباسية كما تظهر خلال الوثائق التي تقص سيرتها .

الدعوة العباسية

ولدت الدعوة العباسية في بلاد الشام ، في الحميمة مركز العباسيين ، والذين تسلموا الإرث من أبي هاشم ابن محمد بن الحنفية الذي لم يكن له ولد ، ولاحظ سليمان بن عبد الملك طموحه لما أتاه زائراً فدس له السم في الطريق ، فلما أحس بدنو أجله لجأ إلى الحميمـة ، وهناك ، وقبل أن يقضي نحبه ، أوصى بالدعوة لبني العباس ويسمى هذا إرث الكيسانيه . ولقد قام محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بدور نشيط في الدعوة السرية للرضا من آل محمـد واختار خراسان موطنـاً لنشر الدعوة ، وذلك لبعدها عن مركز الخلافـــة الأموية وللظلم السائد بين أهلها ولكونهم خلواً من الإتجاهات السياسية التي كانت تتقسم العالم الاسلامي آنذاك ولقد أحسن العباسيون فعلاً اختيار المكان واختيار الدعاة ، وتأتي شخصية أبي مسلم الخراساني على رأس هؤلاء الدعاة . وأبو مسلم شخصية غامضة رغم شهرته وبلائه ، فهناك خلاف حول اسمه وحول نسبه وولادته ونشأته ، ولم يعرف إلا عندما أسندت إليه قيادة الدعوة العباسية في خراسان . وهو شخصية ذكية داهية لريب ذو أعصاب من فولاذ لا تؤثر فيه الصدمات ولا تهزه الإنتصارات يستقبل اسوأ الأنباء وكأنه يستقبل أمراً عادياً ، وتصله أنباء الإنتصارات فلا تلمع على شفتيه حتى طيف ابتسامة . كذلك امتاز بقسوتـه المتناهية وشدته المفرطة واتبع اتباعـاً حرفياً وصية إبراهيم الإمام له وفتك بأناس كثيرين حتى وصل فتكه الى زعماء الدعوة العباسية كسليمان بن كثير .

وهناك عوامـل ساعدت أبا مسلم في إنجاح الدعوة العباسية في خراسان .

فهناك الحرب القبلية التي كانت مستشرية بين مضر وربيعة والتي زرعت الأحقاد بين الطرفين مما سهل مهمة أبي مسلم كل التسهيل .

ولقد حاول نصر بن سيار ، الذي أرسل الرسائل العديدة إلى الخليفة يعلمه حقيقة الوضع في خراسان ، أن يوحد شقي العرب في خراسان ليقفوا في وجه الخطر الزاحف على الجميع . ولكن الوقت كان متأخراً جداً لمثل هذا العمل ، وأمكن بسهولة لأبي مسلم أن يدمر مثل هذا الحلف . ذلك أن نصر بن سيار تمكن أن يعقد صلحاً وقبل هدنة ، بينه وبين زعيم ربيعة على ابن الكرماني ، فأرسل أبو مسلم إلى علي يقول له : أما تأنف من مصالحة نصر بن سيار وقد قتل بالأمس أباك وصلبه ! ما كنت أحسبك تجامع نصر بن سيار في مسجد تصليان فيه (١) . وقد كان في هذه الرسالة ما فيه الكفاية لتقويض ذلك الحلف المزلزل ، ومن ثم تمكن أبو مسلم من التغلب على الطرفين بسهولة .

وما زاد الطين بلة انشغال مروان بن محمد بمشاكل ومشاغل الغرب والمركز مما جعله في وضع لا يستطيع تقديم مساعدة فعالة لنصر على الرغم من شعور نصر التام بخطورة الوضع في خراسان وبخطورته بالنسبة للبيت الأموي ككل ، ورسائله إلى الخليفة وإلى العرب المقيمين في خراسان وإلى ابن هبيرة كلها شواهد ناطقة بحدة شعوره بأهمية الحركة العباسية وخطورتها . من ذلك رسالته إلى مروان يطلب منه النجدة ويقول :

يا أيها الملك الواني بنصرته	قد آن للأمر أن يأتيك من كثب
أصبحت خراسان قد باضت صقورتها	وفرخت في نواحيها بلا رهب
فإن يطرن ولم يحتل لهن بها	يلهبن نيران حرب أيما لهب (٢)

---

(١) الطبري . المصدر المذكور أنفاً ج ٦ – ٤٣ .
(٢) نفس المصدر ج ٦ – ٣٧ .

ولقد زاد الوضع خطورة حسد ابن هبيرة وعصبيته ضد نصر بن سيار ، ذلك أن نصراً ، لما يئس من الخليفة ، أرسل يطلب النجدة من ابن هبيرة الذي كان في وضع يمكنه من نجدتـه ، ولكن ابن هبيرة ، عوضاً عن أن يلبي طلب نصر ، إذا به يعتقل رسله الذين أرسلهم إليه ليشرح له الوضع عنده ، مما اضطر نصراً أن يكتب بذلك إلى الخليفة الذي أرسل إلى ابن هبيرة يطلب منه أن يطلق سراح رسل نصر وأن ينجده ويقول في رسالته: فأمدني بعشرة آلاف قبل أن تمدني بمائة ألف ثم لا تغني شيئاً[1]. ولكن ابن هبيرة لم يفعل شيئاً ولم يحرك ساكناً مما سمح لجيوش العباسيين أن تتغلب بسهولة على نصر بن سيار وقواتـه المحدودة والتقدم نحو الغرب للاصطدام بابن هبيرة نفسه وبالخليفة مروان، ولقد دفع ابن هبيرة نفسه حياته ثمناً لهذا التقاعس فيما بعد .

وإن الشخص المسؤول عن نجاح الدعوة العباسية في مرحلتهـا العلنية والأخيرة، وإن لم يقيض له أن يشاهد نجاحها ، هو إبراهيم الإمام ، ويتكشف إبراهيم لنا ـ في ضوء النصوص القليلة التي بين أيدينا عنه ، عن شخصية جبارة وصولية لا يهمها شيء في سبيل الوصول إلى الهدف ، وتكشف وصيته لأبي مسلم ، لما أسلمه قيادة الدعوة العباسية عن شخص سفاك بطاش لا يبالي بالدماء ولا بالحياة الإنسانية في سبيل انجاح الدعوة : فاقتل من شككت في أمره ومن وقع في نفسك منه تهمة . فقال أبو مسلم : أيها الإمام فإن وقع في أنفسنا من رجل هو على غير ذلك أحبسه حتى تستبينه ؟ قال إبراهيم لا السيف السيف... وأيما غلام بلغ خمسة أشبار فاتهمته فاقتله[2] .

وهنا ناحية لا بد من ذكرها في هذه الوصية الشهيرة التي كانت الأساس لأعمال أبي مسلم ومن ثم لنجاحه فيما بعد . ذلك أن إبراهيم الإمام يقول لأبي

---

(١) نفس المصدر .

(٢) ابن قتيبة عبد الله بن مسلم . الامامة والسياسة تحقيق ط محمد الزيني . القاهرة . مؤسسة الحلبي . ج٢ - ٢١٨ .

مسلم الخراساني: يا أباعبد الرحمن ، إنك رجل منا أهل البيت فاحفظ وصيتي. انظر هذا الحي من اليمن فأكرمهم فإن الله لا يتم هـذا الأمر إلا بهم ، وانظر هذا الحي من ربيعة فإنهم معهم ، وانظر هـذا الحي من مضر فإنهم العدو القريب الدار ، فاقتل من شككت في أمره . . . ثم قال له : إن استطعت أن لا تدع بخراسان أرضاً فيها عربي فافعل [1] .

يظهر في هذه الوصية تناقض غريب بين قوله أولاً انظر هذا الحي من اليمن فأكرمهم ، وبين قوله أخيراً : إن استطعت أن لا تدع بخراسان أرضاً فيها عربي فافعل . فكيف يمكن إكرام اليمنيين والحلول بين أظهرهم ، وفي نفس الوقت استئصال العرب ، من خراسان ، ويشكل اليمنيون نسبة كبرى منهم ؟ هذا التناقض لا يمكن تفسيره ، هذا مع العلم أن أغلب المصادر الموجودة بين أيدينا تذكر ذلك بصيغة أو بأخرى . نعتقد أن النص محرف أو أضيف إليه وحذف منه . وينفرد صاحب كتاب العيون والحدائق بإيراد نص يمكن قبوله أكثر من النص السابق لعدم وجود تناقض فيه . يقول إبراهيم الامام موصياً أبا مسلم : يا أبا عبد الرحمن، إنك منا أهل البيت احفظ وصيتي وانظر هذا الحي من اليمن فأكرمهم وحل بين أظهرهم فإن الله عز وجل لايتم هذا الامر إلا بهم ، وربيعة فاتهمهم وكذلك مضر فهم العدو القريب الدار ، واقتل من شككت في أمره ولا تخالف امر هذا الشيخ ـ يعني سليمان بن كثير ـ واذا أشكل عليك أمر فاكتف به مني [2] .

هذا ولابد من ذكر أن أنصار الامام أعطوه قوة معرفـة الغيب والتنبؤ بالمستقبل والحوادث قبل وقوعها . فقد ذكر قحطبة في خطبته التي خطبها في

(١) نفس المصدر .

(٢) العيون والحدائق في اخبار الحقائق ومعـه كتاب تجارب الامم لابن مسكويه تحقيق دي غويه . ليدن ، بريل ، ١٨٧١م . جـ ٣ - ١٨٤ .

جنده قبل أن يعبربهم الفرات أن الإمام أخبره بأنه ـ أي قحطبة ـ لن يعبر الفرات ، وأن الجيش يعبره ، وللتدليل على صحة ذلك ذكرهم بحادثة سابقة أخبرهم هو فيها أن الإمام محمد أعلمه أنه يلقى بنانة بن حنظلة الكلابي وعامر بن ضبارة المري فيهزمهما ويستبيح عسكرهما ويقتل مقاتلتها ، وأنبأهما بذلك قبل كونه، وقد رأوا صدق ماأخبرهم،وأنه لاكذب فيما قال الإمام [1].

نجحت الدعوة العباسية وظهرت الرايات السود في خراسان وطاردت الرايات البيض في كل مكان حتى اصطدمت الرايتان في معركة الزاب فانهزم الأمويون وهرب مروان بن محمد آخر ملوكهم حتى مصر وهناك أدركه العباسيون وقتلوه . لكن الخلافة العباسية كانت قد أعلنت قبل قتل مروان بفترة ليست قصيرة في مدينة الكوفة ،وأصبح أبو العباس ـ أخو إبراهيم الإمام ـ خليفة المسلمين واول خليفة من خلفاء بني العباس . وعلى الرغم من أن أبا سلمة الخلال حاول نقل الخلافة عنهم إلى بني علي ، إلا أنه لم يتمكن من ذلك وبويع ابو العباس بالخلافة والقى خطبة العرش وعاونه في إنهائها عمه داود بن علي .

وإن الدارس لخطبة أبي العباس الافتتاحية يلاحظ أنها كلها بمثابة تأكيد ودعم لحق آل البيت المطلق في الخلافة وفي ميراث النبي . وهو في خطبته لم يعرض لذكر عباسيين أو علويين وإنما استعمل تعبير قرابة الرسول وآل البيت ودعم دعواه هذه بالآيات القرآنية العديدة . كذلك هاجم الأمويين الذين أخذوا الحق من أهله وظلموا وبدلوا ، ولم يعرض للخلفاء الراشدين الثلاثة الأوائل إلا عرضاً موجزاً ولم يذكرهم إلا بخير . وهو يعد ان يسير على العدل ويقيم الحق بين الرعية . ويتملق أهل الكوفة ، إذ انه يعلم أن هوى أهل الكوفة مع آل علي : ياأهل الكوفة ، أنتم محل محبتنا ومنزل مودتنا ، انتم

---

(١) اليعقوبي ، ابن واضح ، تاريخ اليعقوبي . الطبعة الثانية . بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٠ م ج ٢ ـ ٣٤٤ .

لم تتغيروا عن ذلك ولم يثنكم عن ذلك تحامل أهل الجور عليكم حتى أدركتم زماننا وآتاكم الله بدولتنا ، فأنتم أسعد الناس بنا وأكرمهم علينا [١] .

وتعتبر خطبة داود بن علي تكملة لخطبة أبي العباس التي قطعه عن استكمالها مرضه واشتداد وعكه فأكملها عمه . ذلك أن داود أكد حق آل البيت المطلق في الخلافة وأكد عدم شرعية خلافة الأمويين جملة وتفصيلاً ، وتملق أهل خراسان فوصفهم بأنهم شيعة آل البيت الذين أحيا الله بهم حقهم وذكر أهل الكوفة بالأحقاد التي كانت موجودة بينهم وبين أهل الشام وأنه آن اوان الانتقام من أهل الشام ، وركز على اعتبار أن الكوفة هي مصر آل البيت ، ومدح أهلها ، وكذلك ركز على أن النصر الذي حازوه على الأمويين هو شيء إلهي أراده الله ونصر عباده ، وختم خطابه بقوله : إن هذا الأمر فينا ليس بخارج منا حتى نسلمه الى عيسى بن مريم [٢] .

حدث كل هذا ومروان الجعدي آخر خلفاء بني أمية حي يرزق يحارب العباسيين في شمالي العراق ، ولذلك يمكن القول إن كل مامضى لاقيمة له،وكان من الممكن أن يصير كل شيء إلى خراب لو لم تصل الرسالة التالية إلى ابي العباس من صالح بن علي ، بعد فترة من الوقت ، وكان فيها التثبيت النهائي للخلافة العباسية ، وبالتالي لخلافة أبي العباس والقضاء النهائي على الخلافة الأموية في المشرق . هذه الرسالة هي التي أعلنت مصرع مروان الجعدي آخر خلفاء بني أمية في بلاد الشام .

إلى أمير المؤمنين أبي العباس : إنا اتبعنا عدو الله الجعدي حتى ألجأناه الى ارض عدو الله شبيه فرعون فقتلته بأرضه [٣] .

---

(١) الطبري ، المصدر المذكور آنفاً جـ ٦ ٨٢ - ٨٤ .
(٢) نفس المصدر .
(٣) نفس المصدر جـ ٦ ٩٦ .

أبو العباس :

تبدو لنا شخصية أبي العباس - من الوثائق القليلة العائدة الى عهده - شخصية ذات طابع أقرب إلى الأخذ باسباب السلم منها باسباب الحرب ، وذلك على الرغم من لقبه المعروف به - السفاح - وهو لقب لاندري من ألصقه به وكيف اتاه . وهو في خطبه كلها يعود فيؤكد حق آل البيت في الخلافة ويؤكد أن بني أمية مغتصبون لاحق لهم البتة في هذا الأمر . وكذلك يؤكد لأهل الكوفة خاصة سيره على العدل فيهم وأنهم لن يروا منه إلا مايحبون ومما يدل على جنوحه الى السلم وروحه وادراكه لمتطلبات العهد الجديد الذي افتتح هو أوله خطبته في أهل الشام بعد أن قتل مروان بن محمد، ذلك أنه بعد أن وجه اللوم لهم وحمل على بني أمية أعلن سياسته الجديدة مع أهل الشام ، وهي سياسة قائمة على التسامح : أما أمير المؤمنين فقد أئتنف بكم التوبة ، واغتفر لكم الزلة وبسط لكم الاقامة وعاد بفضله على نقصكم وبحلمه على جهلكم فليفرخ روعكم ولتطمئن به داركم ، وليقطع مصارع أولئكم فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا [1] .

كذلك نلاحظ نفس الروح التسامحية لدى أقاربه وولاته . فها هو عمه داود بن علي يعلن منح أمان عام لجميع أهل مكة لما قدمها والياً عليها : وأنتم آمنون بأمان الله أحمركم وأسودكم وصغيركم وكبيركم وقد غفرنا التبعات ووهبنا الظلامات [2] .

ونجد نفس الروح في خطب بقية أنصاره وأقاربه وولاته . ولكن الشيء

(١) ابن عبد ربه ، احمد بن محمد ، العقد الفريد تحقيق أحمد امين واحمد الزين وابراهيم الابياري الطبعة الثانية. القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٩ م . ٤ ج - ٩٧

(٢) اليعقوبي. المصدر المذكور آنفاً ٢ ج - ٣٥١ .

الجديد في الموضوع هو بروز شخصية العباس عم الرسول وأهميته في الإسلام ومكانته العظيمة من الرسول عليه السلام. ويرد هذا مع لوم قريش على عدم اختيارها أحد أفراد آل الرسول للخلافة بعد وفاته. وقد ورد ذلك واضحاً كل الوضوح في خطبة سديف بن ميمون بين يدي داود بن علي في مكة المكرمة: أيزعم الضلال ... أن غير آل رسول الله أولى بتراثه؟ ولمَ وبمَ معاشر الناس؟ ألكم الفضل بالصحابة دون ذوى القرابة، الشركاء في النسب الورثة السلب، في ضربهم في الفيء لجاهلكم وطعامهم في اللأواء جائعكم ...؟ لم ير مثل العباس بن عبد المطلب اجتمعت له الأمة بواجب حق الحرمة أبو رسول الله بعد أبيه وجلدة ما بين عينيه يوم خيبر، لايرد له أمراً ولا يعصى له قسماً. إنكم، والله معاشر قريش، ما اخترتم لأنفسكم من حيث اختار الله لكم طرفة عين قط (١).

ونجد نفس الأفكار - وحتى في بعض الأحايين نفس التعابير والكلمات - لدى أبي مسلم الخراساني في خطابه الذي ألقاه في موسم الحج لما حج ذات مرة زمن أبي العباس، ذلك أنه بعد أن قام بعرض تاريخي للاضطهاد الذي حل بآل الرسول بعد وفاته وكيف أنهم أبعدوا عن حقهم الطبيعي وميراثهم من رسول الله قال: وزعموا أن غير آل محمد أولى بالأمر منهم، فلمَ وبمَ أيها الناس؟ ألكم الفضل بالصحابة دون ذوي القرابة الشركاء في النسب والورثة في السلب، مع ضربهم على الدين جاهلكم وإطعامهم في الجدب جاهلكم. والله ما اخترتم من حيث اختار الله لنفسه ساعة قط، وما زلتم بعد نبيه تختارون تيمياً مرة وعدوياً مرة وأموياً مرة وأسدياً مرة وسفيانياً مرة ومروانياً مرة؛ حتى جاءكم من لا تعرفون اسمه ولا بيته يضربكم بسيفه فأعطيتموها عنوة وأنتم صاغرون. إلا أن آل محمد أئمة الهدى ومنار سبيل التقى القادة الذادة بنو عم

---

(١) نفس المصدر ج ٢ - ٣٥٢ .

رسول الله ومنزل جبريل بالتنزيل ... لم يسمع بمثل العباس ، وكيف لاتخضع له الأمم بواجب حق الحرمة ؟ أبو رسول الله بعد أبيه وإحدى يديه وجلدة ما بين عينيه وأمينه يوم العقبة وناصره بمكة ورسوله إلى أهلها وحاميه يوم حنين عند ملتقى الفئتين [1] .

ولقد كشف أبو العباس عن نواحي الخير والطيب في شخصيته في رسالته التي وجهها إلى قائد جيشه في مصر عامر بن إسماعيل الذي تولى قتل مروان الجعدي . ذلك أن هذا القائد الفظ لم يكتف بقتل مروان وإنما دخل بيته - بيت مروان - وجلس على مهاده ودعا بعشائه وجعل رأسه في حجر ابنته ثم اقبل يوبخها ، مما اضطر ابنة مروان إلى أن تذكره بوجوب الاتعاظ والتنبه وعدم الاغترار بالدهر : إن دهراً أنزل مروان عن فراشه وأقعدك عليه حتى تعشيت عشاءه لقد ابلغ في موعظتك وعمل في إيقاظك وتنبيهك إن عقلت وفكرت [2] . ولقد وصلت هذه القصة مسامع أبي العباس فغضب لسلوك عامر هذا وأرسل إليه يوبخه ويقول : ويلك ! أما كان لك في أدب الله عز وجل ما يزجرك عن أن تأكل من طعام مروان وتقعد على مهاده وتتمكن من وساده ؟! أما والله لولا أن أمير المؤمنين تأول ما فعلت على غير اعتقاد منك لذلك ولا شهوة لمسك من غضبه وأليم أدبه ما يكون لك زاجراً ولغيرك واعظاً [3] .

---

(١) ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة . الطبعة الثانية . بيروت ، دار الفكر ج ٤ ٣١٥ - ٣١٦ .

(٢) ابن العماد الحنبلي، ابوالفلاح ، شذرات الذهب، بيروت ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، ج ١ - ١٨٤ .

(٣) المسعودي ، ابو الحسن ، مروج الذهب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٦٤ م ٤ ج الجزء ٣ - ٢٧١ .

ومما يدل على نواحي الخير والطيب في نفسية أبي العباس على الرغم من أنه قتل وقتل كثيراً من الأمويين وأشياعهم ، هو موافقته على أن يمنح أماناً لأحد أفراد بني أمية الذي هرب من القتل وهو عمرو بن معاوية بن عمرو بن سفيان ابن عتبة بن أبي سفيان . ذلك أن هذا الأمير الأموي ضاقت به الأرض بما رحبت فلجأ إلى سليمان بن علي عم أبي العباس وكشف له عن شخصيته فأمنه وارسل أبي العباس يعرض عليه وضعه ويطلب منه أن يؤمنه وأن يصدر بذلك كتاباً عاماً إلى البلدان بتأمينهم : ... أنه قد وفد وافد من بني أمية علينا ، وإنا إنما قتلناهم على عقوقهم لا على أرحامهم ، فإننا يجمعنا وإياهم عبد مناف ، والرحم تبل ولا تقتل وترفع ولا توضع ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يهبهم لي فليفعل ، وإن فعل فليجعل كتاباً عاماً إلى البلدان نشكر الله تعالى على نعمه عندنا وإحسانه إلينا [1] .

وقد وافق أبو العباس على ذلك وكان هذا أول أمان لبني أمية .

ولكن أبا العباس لم يغفر ، مع ذلك، لأبي سلمة الخلال محاولته نقل الخلافة الى آل علي . وكان يخاف أن يتفق أبو سلمة مع أبي مسلم عليه وعلى العباسيين ، ولكن ذلك لم يحدث . ذلك أن أبا مسلم كان يغار من كل ذي سلطان ويخاف أن يحل محله ولذلك نراه يحرض أبا العباس على الفتك بأبي سلمة : اقتل أبا سلمة فإنه العدو الفاسق الخبيث السريرة[2]. ولكن أبا العباس لم يفارقه خوفه حتى في مثل هذه الحالة وخاف أن تكون هناك مؤامرة بين الإثنين أحد عناصرها هذه الرسالة، ولذلك لم يفعل شيئاً بحق أبي سلمة وإنما اكتفى بأن أرسل إلى أبي مسلم يقول : وجه أنت من يقتله[3] . وقد تم الأمر كما أراد أبو العباس إذ أرسل أبو

(١) ابن الأثير ، عز الدين ، الكامل في التاريخ : تحقيق تورنبرغ . ليدن، بريل ١٨٧١م الجزء ٥ ص ٤٣١-٤٤٢ .
(٢) اليعقوبي ، المصدر المذكور آنفاً ج ٢ - ٣٥٢ .
(٣) نفس المصدر .

مسلم من قبله من قتل أبا سلمة الخلال .

وكذلك كان أبو العباس يخاف من أبي مسلم الخراساني ويتمنى الخلاص منه ولكنه لم يجد القوة الكافية والشجاعة الماضية لإنفاذ ذلك ، وذلك على الرغم من تحريض أخيه أبي جعفر المتواصل له في أن يفعل ذلك. وكان أبو العباس يحاول الوضع من نفوذ أبي مسلم كلما أمكنه ذلك ، ولكنه لم يتجرأ أن يصل به الأمر الى حالة التحدي السافر أو العداء الصريح. فقد طلب أبو مسلم من أبي العباس أن يسمح له بتأدية فريضة الحج ؛ وهذا يعني ، أن أبا مسلم سيكون أميراً على موسم الحج . ولما كان أبو العباس لا يريد هذا السمو لأبي مسلم لأن في ذلك رفعاً ودعماً لمكانته فقد كتب إلى أخيه أبي جعفر يطلب منه أن يستأذنه في الحج في نفس العام ، حتى يكون لأبي جعفر التقدم على أبي مسلم : أن أبا مسلم كتب إلي يستأذنني في الحج وقد أذنت له، وهو يريد أن يسألني أن أوليه الموسم فاكتب إلي تستأذنني في الحج فآذن لك ، فإنك إن كنت بمكة لم يطمع أن يتقدمك(1) .

ولكن الأمر اختلف بالنسبة لابن هبيرة ، ذلك أن ابن هبيرة تحصن بواسط بعد القضاء على الأمويين وتولى قيادة الجيش المحاصر له أبو جعفر ، وقد تمكن ابن هبيرة أن يقاوم مقاومة عنيدة حتى حصل من المنصور على أمان جيد أعتقد أنه يضمن له حياته وحريته وحياة وحرية أتباعه . والواقع أن الأمان بنصه والضمانات والعهود التي يحويها يعتبر وثيقة هامة في الحفاظ على حرية وحياة وأملاك ابن هبيرة وأتباعه ، هذا إذا صلحت نيات القوم . . . إني أمنتكم بأمان الله الذي لا إله إلا هو . . أماناً صادقاً لا يشوبه غش ولا يخالطه باطل على أنفسكم وذراريكم وأموالكم وأعطيت يزيد بن عمر بن هبيرة

---

(1) ابن الأثير ، المصدر المذكور آنفاً جـ ٥ - ٤٦٨ .

ومن أمنته في أعلى كتابي هذا بالوفاء بما جعلت لهم من عهد الله وميثاقه . . . وذمة الله وذمة محمد ومن مضى من خلفائه الصالحين.. وذمة روح الله وكلمته عيسى بن مريم . . . وأعطيتك ما جعلت لك من هذه العهود والمواثيق ولمن معك من المسلمين وأهل الذمة بعد استشاري فيما جعلت لك منه عبد الله بن محمد أمير المؤمنين أعز الله نصره وأمر بانفاذه .. . ولك الله الذي لا إله إلا هو لا ينالك من أمر تكرهه في ساعات من ساعات الليل والنهار ، ولا أدخل لك في أماني الذي ذكرت لك غشاً ولا خديعة ولا مكراً . . . وإن عبد الله ابن محمد ، إن نقض ما جعل لكم في أمانكم هذا فنكث أو غدر بكم . . . فلا قبل الله منه صرفاً ولا عدلاً وهو بريء من محمد بن علي، وهو يخلع أمير المؤمنين ويتبرأ من طاعته وعليه ثلاثون حجة يمشيها من موضعه الذي هو به من مدنية واسط إلى بيت الله الحرام الذي بمكة حافياً راجلاً ، وكل مملوك يملكه من اليوم الى ثلاثين حجة . . . أحرار لوجه الله ، وكل امرأة له طالق ثلاثاً . . . وهو يكفر بالله وبكتابه المنزل على نبيه[1] .

ولكن جميع هذه الضمانات لم يكن لها اعتبار ولا وزن عند القوم ، ولم تنفع ابن هبيرة بشيء ولم تحفظ عليه حياته . ذلك أن القوم الذين ثملوا بنشوة الانتصار على الأمويين لم يعودوا يبالون بمثل هذه الأمور ، واعتقدوا أن معهم الحق في نقضها وعدم الوفاء بها ، مما يدل على تدهور الناحية الأخلاقية عندهم، بل والناحية الدينية إذ في نقض العهد مخالفة لأوامر الله تعالى وتعاليم الإسلام.

هذا ويبدو لنا ، أن أبا مسلم الخراساني الغيور على سلطته والذي يرى في كل شخص منافساً ممكناً له ، خاف أن يتمكن ابن هبيرة أن يصبح ذا حظوة ونفوذ عند العباسيين ، وفي ذلك ما فيه من الخطر على أبي مسلم ونفوذه بزعمه ، فقرر التخلص منه فأرسل يحرض الخليفة على قتل ابن هبيرة : إن الطريق

---

(1) ابن قتيبة ، المصدر المذكور آنفاً جـ٢ ١٢٦-١٢٩ .

السهل إذا ألقيت فيه الحجارة فسد ، لا والله لايصلح طريق فيه ابن هبيرة[1] .

ويبدو أن هـذا التحريض صادف هوى ورغبة في نفس أبي العباس الذي أرسل إلى أخيه عدة رسائل يطلب منه قتل ابن هبيرة، ولكن أبا جعفر كان من رأيه الوفاء له ، حتى عيل صبر أبي العباس فأرسل الى أخيه يقول: والله لتقتلنه أو لأرسلن إليه من يخرجه من حجرتك ثم يتولى قتله[2] .

وقد تم الأمر كما رسم أبو العباس وقتل ابن هبيرة مع عدد من أنصاره ، وسجل بنو العباس على أنفسهم أنهم أنكث الحكام بالعهود والمواثيق، وأنها كلها لا قيمة لها ولا تساوي ثمن الورق المكتوبة عليه .

هذا وقد تميزت علاقـة أبي العباس بالعلويين بالمجاملة والتأدب ومحاولة الاسترضاء وعدم إيصال الأمور إلى حافة الانفجار، فقد كان عارفاً بخيبة الأمل التي أصابتهم نتيجة لانتقال الخلافـة الى بني العباس ، وأراد معالجة الأمور بالحكمة ، وإذا صح خبر المؤتمر الهاشمي – العلوي العباسي – الذي عقد زمن بني أمية وبايع فيه الجميع محمداً النفس الزكية بالخلافة – وكان أبو العباس وأخوه أبو جعفر من جملة الحاضرين – فيكون قد اجتمع أكثر من سبب لدى أبي العباس لمعالجة الأمور بالحكمة ومحاولة إرضاء العلويين . كذلك لم يلجأ العلويون الى العنف مع أبي العباس وحاولوا رد التحية بأحسن منها . ذلك أن أبا العباس أحسن اليهم وأغدق عليهم الصلات ، ولما تغيب محمد وابراهيم ابنا عبد الله ابن الحسن من وجه أبي العباس وبلغه أنهما يفكران في الثورة ضده لم يفعل أكثر من أن أرسل رسالة عتابية الى والدهما ختمها ببيت من الشعر ذي معنى :

أريد حياتـه ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

---

(1) الذهبي ، محمد بن احمد ، تاريخ الاسلام ، مكتبة القدس . ٦ جـ . الجزء ٥-٢٠٢

(2) ابن الأثير ، المصدر المذكور آنفاً . ٥ جـ - ٤١١ .

ولقد كان عبد الله لبقاً كل اللباقة مع أبي العباس فارسل إليه يقول :

وكيف يريد ذاك وأنت منه   بمنزلة النياط من الفؤاد[1]

ولذلك ظلت العلاقة بين الطرفين زمن السفاح في حدود المجاملات ولم تخرج إلى حد إراقة الدماء إلا زمن أخيه المنصور .

وختم أبو العباس حياته بتولية العهد لأخيه أبي جعفر ، ومن بعد أبي جعفر عيسى بن موسى – إن كان[2] .

وبذلك وضع بذور صراع جديد سيدور بين عيسى بن موسى من طرف وبين المنصور والمهدي من بعده من طرف آخر .

المنصور :

شخصية المنصور شخصية تختلف كل الاختلاف عن شخصية أخيه أبي العباس . فهو بحق المؤسس الحقيقي للدولة العباسية ، ويمتاز بالحزم والمركزية والاحساس الكبير بمسؤوليته ، ويقدم مصلحة الدوله على أي اعتبار آخر ، ولا يسمح للعواطف الشخصية أن تلعب دوراً ذا غناه في تسيير أمور الدولة ، وهو مستبد كل الاستبداد ويغار على سلطته ولا يسمح لأحد أن يشاركه شيئاً منها ، كما وإنه شخص مثقف ذكي خطيب داهية شجاع واقتصادي – إن صح التعبير – وقد ورث المنصور عن أخيه مشاكل كثيرة كان عليه أن يواجهها ، ولقد واجهها وتغلب على كثير منها .

وأهم المشاكل التي واجهت المنصور هي : ثورة عمه عبد الله بن علي ، أمر

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين تحقيق السيد أحمد صقر ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٤٩ م . ص ١٧٦

(٢) الخطيب البغدادي . تاريخ بغداد. تحقيق محمد سعيد العرفي، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٤ جـ ج ١٠-٥٣ ،

أبي مسلم الخراساني ، ثورات العلويين ، ومشكلة ولاية العهد . هذا عـــدا عن عدد كبير من المشاكل الادارية التي حفل بها عهده الطويل .

ولقد ثار عبد الله بن علي لمـا بلغه خلافة المنصور لأنــه كان يعتقد أنه أولى بالخلافة من المنصور لأنه هو الذي هزم مروان الجعدي في معركة الزاب ، وكان بالتالي السبب في زوال ملك بني أمية في المشرق ، وتأسيس دولة بني العباس ، لا سيما وأنه يدعي أن السفاح وعده بالخلافة من بعده إن هزم مروان بن محمد.

ولقد ثار عبد الله في الجزيرة الفراتيـــة فأرسل المنصور لحربه أبا مسلم الخراساني . ولقد خدع أبو مسلم عبد الله بن علي، ذلك إنه لما اقترب منه أرسل إليه يقول : إني لم أومر بقتالك ، ولم أوجـــه له ، ولكن أمير المؤمنين ولاني الشام وإنما أريدها[1] . وقد نجحت هذه الخدعة إذ خاف فريق من أهل الشام الموالين لعبد الله من انتقام أبي مسلم فتركوا عبد الله ورجعوا إلى شامهم مما كان له أثر فعال في هزيمـة عبد الله بن علي . ولقد لجأ عبد الله هذا ، لما هزم ، إلى أخيه في البصرة الذي توسط له عند المنصور من أجل الحصول على أمان. ولقد خاف أهل الشام أن ينتقم منهم المنصور لمساعدتهم عمه ضده فارسلوا وفداً منهم لالتماس العفو عنهم وقابلوا المنصور وتكلموا أمامه وأعلنوا ندمهم وتوبتهم وطالبوا بالعفو عنهم وحصل بعضهم عليه ، فقد قـال الحارث بن عبد الرحمن الغفاري أمام المنصور : إنا لسنا وفد مباهاة ولكنا وفد توبة استخفت حليمنا فنحن بما قدمنا معترفون وبما سلف منا معتذرون ، فإن تعاقبنا فبما أجرمنا ، وإن تعف عنا فطالما أحسنت الى من أساء[2] .

كذلك قال أحد أعضاء الوفد في نفس المقام . . . ولأن يثني عليك باتساع

---

(١) الطبري ، المصدر المذكور آنفاً ، جـ٦ - ١٢٥ .

(٢) الحصري القيرواني ، ابو اسحاق ابراهيم بن علي . زهر الاداب . تحقيق محمد علي البجاوي ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٥٢ م ٢ جـ الجزء ٢ - ٧٨٣ .

الصدر خير من أن توصف بضيقه ، على أن اقالتك عثرات عباد الله موجب لإقالة عثرتك من ربهم . . .»[1] .

ولقد حصل عبد الله بن علي على أمان من المنصور كتبه له عبد الله بن المقفع وشدد فيه على المنصور مما أثار حنقه ضد الكاتب . . . وإن أنا نلت عبد الله بن علي أو أحداً ممن أقدمه معه . . . فأنا نفي من محمد بن علي بن عبد الله ومولود لغير رشدة ، وقد حل لجميع أمة محمد خلعي وحربي . . .»[2] ولكن ذلك كله لم يكن له أية قيمة في نظر المنصور وفقد عبد الله بن علي حياته في ظروف غامضة كما لقي المصير نفسه عبد الله بن المقفع .

ولقد حشد أبو جعفر كل ما آتاه الله من ذكاء ودهاء ومكر وخديعة في سبيل إزاحة أبي مسلم الخراساني من طريقه .

ويبدو لنا أن أبا مسلم كان يعرف حقيقة نوايا المنصور نحـوه ولذلك كان حذراً كل الحذر ، ولكن هذا الحذر لم يمنعه من محاولة التقرب من أبي جعفر لما أصبح هذا خليفة . ذلك أن نبأ وفاة أبي العباس واستخلاف أبي جعفر وردا إلى أبي جعفر وهو في طريق عودته من الحج ومعه أبو مسلم ويبدو أن أبا مسلم استلم النبأ قبل أبي جعفر فأرسل إليه يخبره بما حدث ويهنئه بالخلافة ويقول له : إنه ليس من أهلك أحد أشد تعظيمـــاً لحقك وأصفى نصيحة لك وحرصاً على ما يسرك مني[3] .

ولقد تهيب أبو جعفر – كما يبدو لنا – الصراع ضد أبي مسلم لمعرفته بقوة أبي مسلم وبعواقب الخذلان ، إن كان هناك خذلان ، لا سيما وأن عمه عيسى بن على

---

(۱) نفس المصدر السابق .

(۲) الجهشياري ، أبو عبد الله كتاب الوزراء والكتاب . تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي ، القاهرة ، مصطفى البابي الحلبي ، ۱۹۳۸م ص ۱۰٤ .

(۳) الطبري ، المصدر المذكور آنفاً ، جـ٦ – ۱۲۲ .

الذي اطلع على أفكاره نصحه بالتريث على الأقل :

إذا كنت ذا رأي فكن ذا تدبر   فإن فساد الرأي أن تتعجلا[1]

وأخيراً قرر أبو جعفر السير في المعركة قدماً ، فابتدأ معركته بكتاب وجهه الى أبي مسلم يوليه فيه مصر والشام ويعزله عن خراسان موطن قوته وأنصاره وأخباره :

قد وليتك مصر والشام فهو خير لك من خراسان ، فوجه إلى مصر من أحببت وأقم بالشام فتكون بقرب أمير المؤمنين ، فإن أحب لقاءك أتيته من قريب[2] .

ولكن أبا مسلم ، الذي كان يعلم أن قوته متمركزة في خراسان ، لم يكن مستعداً للخضوع لهذا الأمر ، ولذلك رفضه واتجه ، بعد حربه مع عم المنصور عبد الله بن علي ، صوب خراسان . وهنا غير المنصور طريقته ولجأ إلى استدعاء أبي مسلم إلى حضرته : أريد مناظرتك في أمور لم يحملها الكتاب فخلف عسكرك حيث انتهى إليك كتابي فاقدم علي[3] . ولكن ذلك لم يكن رأي أبي مسلم الذي رفض إطاعة أمر الخليفة بأدب جم وهو يقول : .. فنحن نافرون من قربك حريصون على الوفاء بعهدك ما وفيت حريون بالسمع والطاعة غير أنها من بعد تقارنها السلامة . . . فإن أبيت إلا أن تعطي نفسك إرادتها أنقضت ما أبرمت من عهدك ضناً بنفسي[4] .

---

(١) قنيتو الأربيلي . خلاصة الذهب المسبوك . تحقيق مكي السيد جاسم ، الطبعة الثانية . بغداد ، مكتبة المثنى . ص ٦٥ .

(٢) الطبري ، المصدر المذكور آنفاً ج٦ - ١٣٠ .

(٣) أبو حنيفة الدنيوري . الأخبار الطوال . تحقيق عبد المنعم عامر ، القاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد ، ١٩٦٠م ص ٣٧٩ .

(٤) الطبري ، المصدر المذكور آنفاً ج٦ - ١٣٠ .

والذي يبدو لنا أن هذا الجواب فتح الباب للتراسل بين الإثنين وزيادة الهوة بينهما . ولقد حاول المنصور بكل وسيلة أن يجعل أبا مسلم يتخلى عن حذره ويقبل إليه لمقابلته ولكنه عجز عن ذلك . ولقد أخبره المنصور في أحدى رسائله أن لا يغتر بمن معه من شيعة العباسيين في خراسان لأنهم إنما هم شيعة أبي جعفر والعباسين وليسوا شيعة أبي مسلم : . . . ولا تغتر بمن معك من شيعتي وأهل دعوتي فكأنهم قد صالوا عليك بعد أن صالوا معك إن أنت خلعت الطاعة وفارقت الجماعة[1] . كذلك كان رد أبي مسلم عنيفاً على المنصور حيث تناول فيها أسس الدعوة العباسية بالهدم . . . ولكني يا عبد الله بن محمد [لم يلقبه بأمير المؤمنين !] كنت رجلاً متأولاً فيكم من القرآن آيات أوجبت لكم بها الولاية والطاعة ، فأتممت بأخوين لك من قبل ثم بك من بعدهما فكنت لهما شيعة متأولاً أحسبني هادياً مهتدياً وأخطأت في التأويل ، وقدما أخطأ المتأولون . . . وإن أخاك السفاح ظهر في صورة مهدي وكان ضالاً فأمرني أن أجرد السيف وأقتل بالظنة وأقدم بالشبهه وارفع الرحمة ولا أقيل العثرة[2] .

وقد رد المنصور رداً عنيفاً على أبي مسلم ولقبه بالمجرم العاصي واتهمه بأشياء كثيرة من سفك للدماء وتبذير للاموال ، ودافع عن أخيه ، وختم رسالته باخباره أنه قد ولى خراسان موسى بن كعب فليفعل ما يريد[3] . كذلك مهد المنصور لحملته هذه ضد أبي مسلم فأفسد أتباعه ، ذلك أنه أرسل إلى نائب أبي مسلم على خراسان يمنحه إياها مدى الحياة ، على أن يمنع أبا مسلم من العودة إليها : إن لك أمرة خراسان ما بقيت[4] .

---

(١) ابن كثير، اسماعيل .البداية والنهاية. القاهرة مطبعة السعادة ١٤ج الجزء١٠ ٦٨-٦٩

(٢) نفس المصدر ، ج ١٠ ص ٦٨-٦٩ .

(٣) نفس المصدر ج ١٠ ص ٦٩ .

(٤) الطبري ، المصدر المذكور آنفاً ج ٦-١٣٣ .

ولقد قبل أبو داود نائب أبي مسلم على خراسان هذا العرض و كتب إلى أبي مسلم يقول : إنا لم نخرج لمعصية خلفاء الله . . . فـلا تخالفن امامك ولا ترجع إلا بإذنه[1] .

كل هذا الجو ساعد على ضعضعة وإضعاف نفسية أبي مسلم وثقته من نفسه وقواده ، وجعلته في وضع ضعيف بالنسبة للمنصور . ولقد أتته الضربة القاصمة من المنصور في صورة رسالة شفوية أرسلها له المنصور مع أحد ثقاته يقول له فيها بعد أن يئس من اقناعه بالحسنى بالقدوم على الخليفة : لست للعباس وأنا بريء من محمد إن مضيت مشاقاً ولم تأتني ان وكلت أمرك إلى أحد سواي ، وإن لم آ ل طلبك وقتالك بنفسي ، ولو خضت البحر لخضته ولو اقتحمت النار لاقتحمتها حتى أقتلك أو أموت قبل ذلك[2] .

وقد أقبل أبو مسلم حتى قابل المنصور مقابلة كان فيها حتفه[3] .

وتعتبر خطبة أبي جعفر التي ألقاهـا على الناس مبرراً قتل أبي مسلم خير شاهد على سياسته وأفكاره ونظرته إلى الخلافة والسلطة وحقوق الخلفاء تجاه اتباعهم ، وهي بمثابة ردع وانذار للآخرين ألا يحاولوا ما حاول أبو مسلم فيحل بهم ما حل بـه . . . ومن نازعنا هذا القميص أوطأناه أم رأسه حتى يستقيم رجالكم ويرتدع عما لكم . إن هذا الغمر ابا مسلم بايع على انه من نكث بيعتنا واظهر غشنا فقد اباحنا دمه ، فنكث وغدر وفجر فحكمنا عليه لأنفسنا حكمه على غيره لنا . . . فحكمنا عليه حكمه على غيره ممن شق العصا ولم يمنعنا الحق له من إمضاء الحق فيه[4]

---

(١) نفس المصدر .

(٢) نفس المصدر ، ج٦ - ١٣٢ .

(٣) طبعاً تم ذلك في المقابلة الثانية لا الاولى .

(٤) ابن كثير ، المصدر المذكور آنفاً ج ١٠ - ٧١ .

كذلك استعمل المنصور دهاءه وذكاءه في القضاء على ثورات العلويين التي حدثت في كل من المدينة المنورة وفي باخمرا من العراق . والواقع أن العلاقة بين العلويين والعباسيين كانت متوترة من زمن أبي العباس ، ولكن أبا العباس تمكن أن يحافظ على شعرة معاوية في علاقاته مع العلويين ، ولكن المنصور غير ابي العباس . ويبدو لنا ـ من النصوص القليلة التي بين يدينا ـ ان نظرة زعماء العلويين الى أبي جعفر تختلف عن نظرتهم الى أبي العباس ، وأنهم غالوا في قيمتهم المعنوية وظنوا ان مركزهم وقرابتهم من الرسول تمنع ابا جعفر من ان يطالهم وانها تحميانهم منه . كذلك ظنوا ان اغلب الناس سيهبون يداً واحدة للدفاع معهم ضد المنصور . ولكنهم كانوا واهمين كل الوهم . واذا صحت أنباء المؤتمر الهاشمي الذي عقده زعماء العلويين والعباسيين في أواخر العصر الأموي انضاف عامل جديد الى عوامل الصراع بين المنصور والعلويين ، وكذلك كان من حق العلويين أن يعتقدوا ان أبناء عمهم سلبوهم حقاً كان من اللازم ان يعود لهم . هذا وان حضور زعماء العباسيين كابراهيم الامام وأبي العباس والمنصور هذا المؤتمر ، ومبايعتهم النفس الزكية يدل ـ إن صح ذلك ـ على مقدار الباطنية والثنائية التي كانت تسود العلاقات بين الطرفين .

فالعباسيون قاموا بدعوتهم منذ حوالي سنة ١٠٠هـ ، والمؤتمر عقد ، كما يبدو من نص أبي الفرج الاصفهاني في مقاتل الطالبين ـ وهو الوحيد الذي روى ذلك ـ في حدود ١٢٨ أو ١٢٩ هـ ولذلك فقد كان زعماء العباسيين على علم تام بدعوتهم وبمقدار نجاحها وتقدمها ، ولذلك ليس من المعقول أن يوافقوا على البيعة لمحمد النفس الزكية ، بل وأن يقترح هذه البيعة لمحمد النفس الزكية أبو جعفر المنصور بالذات[1] ولو أن هذا حدث فعلاً لوجدنا اصداء ذلك في خطاب محمد النفس الزكية الى المنصور لما أعلن الثورة عليه .

---

(١) أبو الفرج الاصفهاني ، المصدر المذكور ٢ نفساً ٢٥٣-٢٥٤ .

ولقد اهتم أبوجعفر كل الإهتمام بامر العلويين وحاول منعهم من الثورة وان يأخذ بخاصة بيعة محمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم اللذين تغيبا زمن أبي العباس، ذلك انه كان على علم بنواياهما فبث حولهما العيون وأزكى الارصاد، على الرغم من اختفائهما إلا أنــه تمكن من الاستيلاء على بعض رسائلهما فارسلها الى والدهما يخبره بالامر ويطالب منه ان يظهر ولديه : إني أتيت برسولك والكتب التي معه فرددتها إليك بطوابعها ... فلا تدع الى التقاطع بعد التواصل ولا الى الفرقة بعد الاجتماع، أظهر لي ابنيك فإنهما سيصيران بحيث تحب من الولاية والقرابة[1]

ولقد تكرر سقوط رسائل موجهة من عبدالله الى ولديه بيد المنصور الذي فتحها واطلع منها على كل شيء فأرسل يخبر عبدالله بذلك ويعده ويمنيه، ولكن هذا لجأ الى المراوغة وأرسل الى المنصور يقول :

وكيف اريد ذاك وأنت مني وزندك حين يقدح من زنادي[2]

وأخيراً أعلن العلويون الثورة ضد المنصور، ولكنهـم اصطدموا بارادة لاتفل وعزم لايلين واستعداد ودهاء يفوق ماعندهم جميعاً. وتدل خطب المنصور لما اعتقل أبا محمد النفس الزكية وأقرباءه . ولما ثار هو نفسه على اهتمامه البالغ أن يثبت لأهل خراسان بخاصة سلامة موقف العباسيين من العلويين وكيف ان العلويين حاولوا مدى العصور من عهد علي ابن أبي طالب حتى عهد الوليد بن يزيد ابن عبد الملك أن يحصلوا على الخلافة فعجزوا عن ذلك وقتلوا وشردوا وأهينوا، وأن الله تعالى أخذ بحقهم واكرمهم على ايـــدي ابناء عمهم، فعوضاً عن ان يشكروهم على اخذهم بثأرهم وتحقيق ماعجزوا هم عن تحقيقه ثاروا ضد العباسيين وخاصة ضد المنصور الذي دس لهم رجالاً وأموالاً فأخذ منهم بيعة لنفسه استحل دماءهم بنقضها . وهو في خطبه يعرض لأعمال زعماء العلويين بدأً بعلي بن ابي

---

(١) ابن عبد ربه، المصدر المذكور آنفاً ج ٥ – ٧٦ .

(٢) نفس المصدر .

طالب وانتهاء بيحيى بن زيـــد ، بالنقد والتجريح والتهجم ويبرز نواقصهم وسيئاتهم ...فقام فيها علي بن أبي طالب فتلطخ وحكم عليه الحكمان فافترقت عنه الامة ... ثم قام من بعده الحسن بن علي فوالله ما كان فيها برجل ... ثم قام من بعده الحسين بن علي فخدعه أهل العراق وأهل الكوفة ...[1] فإني والله يا أهل خراسان ما اتيت من هذا الأمر ما اتيت بجهالة ، بلغني عنهم بعض السقم والتعرم وقد دسست لهم رجالاً فقلت: قم يافلان ، قم يافلان فخذ معك من المال كذا وحذوت لهم مثالاً يعملون عليه فخرجوا حتى أتوهم بالمدينة فدسوا اليهم تلك الاموال فوالله ما بقي منهم شيخ ولا شاب ولا صغير ولا كبير إلا بايعهم بيعة استحللت بها دماءهم واموالهم وحلت لي عند ذلك بنقضهم بيعتي وطلبهم الفتنة والتماسهم الخروج علي[2] .

هذا وقد اتهم العلويون أبا جعفر بالطغيان ولقبه محمدالنفس الزكية الطاغية وعدو الله واتهمه وأتهم العباسيين جميعاً بأنهم قد احلوا حرام الله وحرموا حلاله: اللهم إنهم قد أحلوا حرامك وحرموا حلالك وآمنوا من أخفت وأخافوا من آمنت ... وان أحق الناس بالقيام بهذا الأمر أبناء المهاجرين الأولين والأنصار المواسين[3] . ثم يذكر انه قد اخذت له البيعة في جميع ارجاء بلاد الاسلام : والله ماجئت هذه وفي الأرض مصر يعبد الله فيه إلا وقد أُخذ لي فيه بيعة[4] .

ولقد سبقت الحرب الفعلية بين الطرفين حرب كلامية بين أبي جعفر ومحمد النفس الزكية حاول كل واحد منهما أن يثبت أنه أحق من الآخر بالخلافـــة وحاول اثبات حجته ونقض حجة خصمه .

---

(١) الطبري ، المصدر المذكور آنفاً جـ٦ ـ ٣٣٤ .
(٢) نفس المصدر جـ٦ ـ ٣٣٥ .
(٣) نفس المصدر جـ٦ ـ ١٨٩ .
(٤) نفس المصدر جـ٦ ـ ١٨٩ .

وقد افتتح سلسلة الرسائل بينهما ابو جعفر برسالة وجهها الى محمد النفس الزكية يعرض عليه الامان ويعده ويمنيه ويحذره وينذره . ولكن محمد النفس الزكية هذا هزأ بعرض ابي جعفر واخبره ان الحق حق آل علي وان آل علي احق واولى بارث الرسول من آل العباس، واستعرض التاريخ الاسلامي وعلاقة آل علي وعلي بالرسول وعلاقة العباس وآله بالرسول، وفخر بالنساء ولا سيما ان كثيراً من العلويين هم من سلالة هاشمية من طرف الام والاب، ثم يصل بعد ذلك الى ايراد حقه هو في الخلافة وتفوقه على أبي جعفر ، ثم يعرض على أبي جعفر الأمان : إلا حداً من حدود الله او حقاً لمسلم او معاهد ، فقد علمت ما يلزمك في ذلك فأنا أوفى بالعهد منك وأحرى بقبول الأمان. اما امانك الذي عرضت علي فأي الأمانات هو ؟ أمان ابن هبيرة ام امان عمك عبدالله بن علي ام امان أبي مسلم ؟![1].

ويعتبر جواب ابي جعفر المنصور وثيقة ذات اهمية خاصة لأنه فند بها جميع الأسس التي يستند إليها العلويون في ادعائهم الخلافة واحقيتهم بها . ذكر له ان رسول الله الذي هو خير الاولين والآخرين لم يلده هاشم إلا مرة واحدة ، وأن البنت لاتحوز الميراث، ثم استعرض التاريخ الإسلامي وموقف المسلمين من العلويين وموقف العلويين من الخلافة وابتدأ بعلي بن أبي طالب فذكر أنه ... كان في أصحاب الشورى فكل دفعه عنها وبايع عبدالرحمن عثمان ... وحارب اباك طلحة والزبير ودعا سعد الى بيعته فاغلق بابه دونه ثم بايع معاوية بعده [2] وأفضى أمر جدك الى ابيك الحسن فسلمه الى معاوية بخرق ودراهم وأسلم في يديه شيعته ... ثم يذكر له سلسلة المآسي التي واجهها العلويون في ثوراتهم ضد الأمويين وكيف أن الله تعالى انتقم للعلويين بأيدي العباسيين ، وأنه كان من

---

(١) المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد . المصدر المذكور آنفاً ج ٣ - ٢٧٥ .

(٢) نفس المصدر ج٣ - ١٢٧٧

واجب العلويين أن يشكروا العباسيين لأنهم أخذوا لهم بالثأر ... فأدركنا بثأركم اذ لم تدركوه ورفعنا أقداركم واورثناكم أرضهم وديارهم بعد ان كانوا يلعنون أباك في ادبار الصلاة المكتوبة كما تلعن الكفرة ، فعنفناهم وكفرناهم وبينا فضله واشدنا بذكره . فاتخذت ذلك علينا حجة ، وظننت انا لما ذكرنا من فضل علي أنا قدمناه على حمزة والعباس وجعفر . كل اولئك مضوا سالمين مسلمين وابتلي ابوك بالدماء[1] ثم ينتقل لذكر مآثر العباس في الجاهلية وأفضاله على أبي طالب واياديه البيضاء على الرسول وجهوده في نصرته ونصرة الدين ... ولقد جاء الإسلام والعباس يمون أبا طالب للازمة التي أصابتهم ، ثم فدى عقيلا يوم بدر ، فقدمناكم في الكفر وفديناكم من الأسر وورثنا دونكم خاتم الأنبياء وحزنا شرف الآباء وأدركنا من ثأركم ما عجزتم عنه،ووضعناكم بحيث لم تضعوا انفسكم والسلام[2]

ولقد حاول المنصور حصر الحرب بينه وبين محمد النفس الزكية وحرص على أن لا يصل أوارها الى اهل المدينة المنورة على الرغم من مناوأتهم اياه وضلوعهم مع محمد،فأوصى قائد جيشه الذي أرسله الى المدينة عيسى بن موسى ان يجدد دعوته الى محمد بالرجوع الى الطاعة ، وان أبى الا الحرب فناجزه ... فاذا ظفرت به فلا تخيفن أهل المدينة وعمهم بالعفو فانهم الاصل والعشيرة وذرية المهاجرين والأنصار[3] .. ثم يوازن المنصور بين وصيته هذه وبين وصية يزيد ابن معاوية للجيش الذي أرسله لحرب المدينة أن يبيحها ثلاثاً ، وذلك ليبين فضله وحلمه بالنسبة للأمويين في مناسبة مشابهة[4] ولقد نفذ عيسى هذه التعاليم

---

(١) نفس المصدر جـ ٣ – ١٢٧٨ .

(٢) نفس المصدر جـ ٣ ١٢٧٨-١٢٧٩ .

(٣) ابن عبد ربه ، احمد بن محمد ، المصدر المذكور آنفاً جـ ٥ – ٨٦ .

(٤) نفس المصدر جـ ٥ – ٨٦ .

وحاول تجنب الحرب وأرسل المنادين وعرض الأمان ولكن دون جدوى[1] اذ أصر محمد النفس الزكية على الحرب ونشبت الحرب وكان فيها حتفه . ولقد حاول محمد أن يكف عيسى بن موسى عن حربه وذلك بأن أرسل إليه رسالة يدعوه فيها الى كتاب الله وسنة نبيه . . . واحذرك نقمته وعذابه ، وإني والله ما أنا بمنصرف عن هذا الامر إلى ان القى الله عليه، فإياك ان يقتلك من يدعوك الى الله فتكون شر قتيل أو تقتله فيكون اعظم لو زرك[2]. اما اخو محمد النفس الزكية ابراهيم الذي ثار وخرج في البصرة فكان أسوأ حظاً من أخيه . هذا وان فقدان التناسق بين الحركتين كان من عوامل ضعفهما والقضاء عليهما ، ولقد فت في عضد ابراهيم مقتل اخيه ، ولما بلغ الناس نبأ مصرع أخيه وقدوم الجيش العباسي بدأوا ينفضون عنه . ولم يبد ابراهيم مقدرة ولا كفاية في حركته هذه ، فقد ضرب عرض الحائط بنصائح من نصحه أن يهاجم المنصور فوراً لأنه اعرى عسكره او ان يخندق على نفسه ، فقد أرسل اليه مسلم بن قتيبة يقول له : انك قد أصحرت ومثلك أنفس به على الموت فخندق على نفسك، فإن كنت لم تفعل فقد اعرى المنصور عسكره فخف في طائفة حتى تأتيه فتأخذ بقفاه[3] . كذلك لم يسمع نصيحة أبي حنيفة النعمان الذي كان موالياً له بالسر وأرسل اليه يقول : أئتها ـ اي الكوفة ـ سراً فان من هاهنا من شيعتكم يبيتون ابا جعفر فيقتلونه او يأخذون برقبته فيأتونك به[4] .

ولقد أدى عجزه هذا وتباطؤه الى إفساح الوقت أمام المنصور ليستدعي الجيش المرسل الى الحجاز لحرب اخيه وتوجيهه الى حرب ابراهيم ، فاصطدم الجيشان في باخمرا وقتل إبراهيم شر قتلة وكانت باخمرا ثانية كربلاء .

---

(١) الذهبي ، محمد بن أحمد ، المصدر المذكور آنفاً حـ٦ ١٧-١٨ .

(٢) الطبري ، المصدر المذكور آنفاً حـ٦ - ٢١٠ .

(٣) الذهبي ، محمد بن احمد . المصدر المذكور آنفاً حـ٦ - ٢٥ .

(٤) أبو الفرج الأصفهاني ، المصدر المذكور آنفاً ص ٣٦٦ .

ولقد كانت ولاية العهد من المسائل الشائكة الـــتي عالجها المنصور وحلها لصالحه . ذلك أن ولاية العهد بعـــد المنصور كانت لعيسى بن موسى وصية من السفاح ، فلما اطمأن الحال بأبي جعفر أراد أن يخلع عيسى من ولاية العهد وأن يقدم ابنه المهدي . وقد استعان المنصور بذكائه ودهائـــه ونفوذه في سبيل تحقيق ذلك .

ولا تلقي الوثائق كثير ضوء على هـذا الموضوع الشائك ، وإنما لدينا رسالة من المنصور إلى عيسى بن موسى يطلب منه - حرصاً على المصلحة العامة _ أن يخلع نفسه من ولاية العهد وأن يقدم المهدي . . . لأن الله قذف في قلوب العامة حبه ، فلما رأى أمير المؤمنين ما قذف الله في قلوبهم من مودته وأجرى على ألسنتهم من ذكره ... أيقنت نفس أمير المؤمنين أن ذلك أمر تولاه الله وصنعه ولم يكن فيــه للعباد أمر ولا قــدرة . . . للذي رأى أمير المؤمنين من اجتماع الكلمة وتتابع العامة . . . فأحب أمير المؤمنين أن يملك الذي اجتمع عليه رأي رعيته وكنت في نفسه بمنزلة ولده يحب من سترك ورشدك . . . ما يحب لنفسه وولده، ويرى لك إذ ابلغك من حال ابن عمك ما ترى من اجتماع الناس عليه أن يكون ابتداء ذلك من قبلك ليعلم انصارنا من أهل خراسان وغيرهم إنك أسرع إلى ما احبوا مما عليه رأيهم في صلاحهم منهم إلى ذلك من انفسهم[1].

ولكن عيسى لم يقتنع بهذه الحجـــة وأرسل إلى المنصور يذكره العهود والمواثيق التي أخذت عليها من أجـل الوفاء بالعهود ويحتج بالآيات القرآنيـة ويذكره بما في الوفاء من خير للعامة والخاصة وبما في الغدر من شر على الجميع . ولكن ذلك لم يقنـع المنصور واضطر عيسى أخيراً للرضوخ وتنازل للمهدي وأصبح بعد غد بعد أن كان غداً .

وتعتبر وصية المنصور للمهدي مفتاحاً لشخصيته بعد أن نضج وشعر أنـه

---

(١) الطبري ، المصدر المذكور آنفاً حـ٦ ٢٧٦-٢٧٧ ،

مقبل على الله . فقد أوصاه ، وأبلغ في الوصية بتقوى الله تعالى والعدل بين الرعية وتقريب أهل الدين ثم عمارة البلاد والجهاد في سبيل الله . . . وعليك بعمارة البلاد بتخفيف الخراج واستصلح الناس بالسيرة الحسنة والسياسة الجميلة ، وليكن أهم أمورك اليك تحفظ أطرافك وسد ثغورك واكماش بعوثك ، وارغب إلى الله عز وجل في الجهاد والمحاماة عن دينه واهلاك عدوه بما يفتح الله على المسلمين ويمكن لهم في الدين . وابذل في ذلك مهجتك ونجدتك ومالك وتفقد جيوشك ليلك ونهارك واصرف مراكز خيلك ومواطن رحلك ، وبالله فلتكن همتك وحولك وقوتك . . .[1] .

المهـــدي

شخصية المهدي هي الوجه المقابل والطرف المعاكس لشخصية والده ، وهو شخصية محببة . فقد كان والده بخيلاً مقتصداً وكان هو جواداً كريماً افنى بيوت الأموال وكان أبوه مركزياً كل المركزية ومستبداً كل الاستبداد لا يسمح لأحد أن يباشر أمراً أو يمارس سلطة مع وجوده ، على حين اسلس المهدي كثيراً من سلطته ومركزيته . وكان والده لا يصفح عن سيئة ولا يعفو عن هفوة ويراقب الناس وأعمالهم ، على حين كان المهدي متسامحاً كريماً يغض عن الكثير ويترك الناس وأعمالهم . والواقع لقد استفاد المهدي من السلم الذي حققه والده في البلاد الاسلامية ذلك إنه استلم بلاداً هادئـــة فقد قمعت ثورات العلويين وازيلت مطامع الطامعين والقواد العسكريين ، وبيوت الأموال تفيض بالأموال المخزونـــة من زمن المنصور والحدود مضبوطـة والثغور محروسة ولذلك لم تحدث أمور مهمة زمن المهدي ، ولعل أبرز الأحداث في زمانه ـ إن سميت أحداثاً ـ هو تنازل عيسى بن

---

(١) اليعقوبي ، المصدر المذكور آنفاً ج٢ ٣٩٣-٣٩٤ .

موسى نهائياً عن حقه في ولاية العهد،والرسائل المتبادلة بينه وبين أحدالخوارج.

وإن الدارس لخطب المهدي تظهر له روحه الدينية واضحة تماماً وهي أشبه بخطب أئمة المساجد في أيامنا هذه منها بخطب الخلفاء. ولقد افتتح ملكه بخطبة أعلن فيها نعي والده واستلامه الخلافة وطالب الناس بالطاعة ووعد بالعدل والسلامة... أيها الناس! اسروا مثل ما تعلنون من طاعتنا نهبكم العافية وتحمدوا العاقبة، واخفضوا جناح الطاعة لمن نشر معدلته فيكم، وطوى الأصر عنكم وأهال عليكم السلامة من حيث رآه الله مقدماً ذلك. والله لأفنين عمري بين عقوبتكم والإحسان إليكم[1].

أما خطبته الثانية التي يرويها له صاحب العقد الفريد فليس فيها حق ذكر الطاعة أو السياسة أو وعد أو وعيد، وإنما هي وعظ وتذكير بعقوبة الله لمن خالفه ونعيمه لمن اطاعه، وهي ذم للدنيا وتحريض للابتعاد عنها[2].

كذلك ابتلى عيسى بن موسى بالمهدي الابن كما ابتلي بالمنصور الأب سابقاً، فقد طلب منه التنازل نهائياً عن ولاية العهد وحقه في الخلافة ففعل وسجل على نفسه ذلك بعهد قرىء على الملأ من الناس يعلن فيه تخليه عن كل حق له في ولاية العهد ويبايع المهدي ومن بعده ابنه موسى ويحل المسلمين من بيعته وعهوده وإذا خالف أو غير فكل زوجة له طالق ثلاثاً طلاق الحرج... وكل مملوك عندي اليوم أو املكه إلى ثلاثين سنة أحرار لوجه الله... وعليّ من مدينة السلام المشي حافياً إلى بيت الله العتيق الذي بمكة نذراً واجباً ثلاثين سنة لا كفارة لي...[3].

---

(١) السيوطي، جلال الدين، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة المطبعة التجارية الكبرى، ١٩٥٢م ص ٢٧٢.

(٢) ابن عبد ربه، المصدر المذكور آنفاً حـ٤ ١٠١-١٠٢.

(٣) الطبري. المصدر المذكور آنفاً حـ ٤- ٣٦٢.

ولكن الموضوع الطريف في اخبار المهدي مراسلاته مع عبد السلام بن هاشم العسكري الذي خرج في الجزيرة وحكم وهزم جيشاً للخليفة، فأراد الخليفة، على مايبدو أن يحل الاشكال ويفرض هيبته بالتراسل، فأرسل إليه رسالة يسأله عن سبب ثورته ويحذره وينذره فأجابه هذا برسالة تمثل رأي الخوارج في العباسيين وفي المهدي بخاصة . والواقع أن العصر العباسي لم يشاهد إلا النذر اليسير جداً من حركات الخوارج إذا قيس بحركاتهم وحروبهم زمن الأمويين – كذلك مات إلى الأبد أدب الخوارج ولم يصلنا شيء من أدبهم حتى لأشياء عائدة إليهم سوى هذين النصين لرسالة الخليفة وجواب الخارجي عليها . فقد انحط أدب الخوارج وزال نهائياً في العصر العباسي على الرغم من اننا نسمع بثوراتهم حتى زمن الرشيد والمأمون ومن بعدهما .

مزج المهدي في رسالته التساؤل مع التهديد : . . . اني قد عجبت من احداثك وبغيك حيث اسألك ما نقمت إذ حكمت بكلمة حق تريد بها ما الله مخزيك به ... فاقسم لأغزينك اجناداً مطيعة وقواداً منيعة هم الذين يفضون جمعك ويهتكون بناك ...

ولكن الأمر الغريب في رسالة المهدي هو دفاعه عن علي بن أبي طالب تجاه الخوارج ... وشتمك أبا الحسن علي بن أبي طالب ووقوعك فيه ... وقد دعم دفاعه عنه بحديث غدير خم المشهور : من كنت مولاه فعلي مولاه[1] . وأما جواب عبد السلام بن هاشم الشيكري الخارجي للخليفة فهو جواب الخوارج المشهورين بشجاعتهم ورفضهم خلافة من ليس منهم . فقد افتتح رسالته بانكار خلافة المهدي وبالطريقة العربية التي كانت سائدة في صدر الإسلام : من عبد السلام بن هاشم إلى محمد بن عبدالله : سلام على من اتبع الهدى ... ثم

---

(١) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط تحقيق اكرم ضياء العمري ، النجف ، مطبعة الآداب ، ١٩٦٧ م . ج٢ – ٤٧٦ .

يشرح له أسباب ثورته هذه وما أخذه على الخليفة ... وقد علمت إني إنما اسفت وحكمت حين تركت الأمة تائهة مائجة لا حدودها أقمت ولا حقوقها أديت واشتغلت بامائك وتنوقت في بنائك ، مع ادمانك الصيد ... ثم أنت إذا خطبت كذبت واذا عاهدت نكثت [1] ... وقد زعمت في كتابك إنك ستغزيني اجناداً مطيعة وقواداً منيمة فالله يفض جمعك ويهزم جندك [2] . . وقد زادني غيظاً إنك تسميت المهدي وأبعد من سماك [3] ... أيها الطاغية ! أمن بعد هذا حياة؟![4] ...

ولقد حدثت في عهد المهدي مشكلة ذات جذور تاريخية . ذلك أن معاوية ابن أبي سفيان الحق زياد بن عبيد بنسبه وظل يعرف هو وأولاده وأحفاده من بعده بنسبهم إلى أبي سفيان . فلما أتى المهدي قرر إعادة نسبة آل زياد إلى نسبهم من عبيد وأبطال نسبتهم الى أبي سفيان وأرسل بذلك كتاباً بشكل منشور موجه إلى عامله على البصرة في أن يفعل ذلك . والكتاب مليء بالتهجم على معاوية وعلى زياد وبالأحاديث الشريفة التي تحرم هذا الالحاق ويختم منشوره بوجوب أبطال نسبة آل زياد إلى بني أمية والحاقهم بعبيد والد زياد الحقيقي .

الهادي

عهد الهادي قصير كل القصر ولذلك لا يمكن قول شيء ذي غناء عنه من

---

(١) نفس المصدر جـ٢ – ٤٧٦ .

(٢) نفس المصدر جـ٢ – ٤٧٧ .

(٣) نفس المصدر .

(٤) نفس المصدر .

وجهة نظرنا نحن اذ ان الوثائق العائدة إلى عهده قليلة جداً . ولدينا وثيقتان الأولى خطبة الحسين بن الحسن العلوي الذي ثار ضد الهادي وقتل في معركة فخ وهو يخطب في الناس لما أعلن الثورة في مسجد رسول الله في المدينه يطالب من الناس أن يبايعوه على كتاب الله وسنة نبيه [1] . والثانية نص البيعة التي بايعه الناس بموجبها وهي لا تخرج في مضمونها عن خطبته حيث بايعه الناس وبايعهم على العمل بكتاب الله وسنة رسوله والعدل في الرعية . . . فإن نحن وفينا لكم وفيتم لنا ، وإن نحن لم نف لكم فلا بيعة لنا عندكم [2] .

الرشيد

يعتبر عهد الرشيد ، مع عهد المأمون ، العصر الذهبي في التاريخ العباسي . والواقع اجتمعت في عصر الرشيد أشياء كثيرة جعلت عصره يبدو بهذه الصورة . فقد اثمرت البذور والغراس التي غرسها من أتى قبله وآتت أكلها آنذاك ، كما حفل عصره بعدد من الشخصيات اللامعة العظيمة - سواء في عالم السياسة أو عالم الأدب - وخيم السلم على البلاد - باستثناء بعض الحركات البسيطة التي لم تعق التطور العام . وبدت الدولة العباسية أقوى دول الأرض وحاربت الدولة البيزنطية والزمت امبراطورها أن يدفع الجزية عن نفسه وولده . ولقد كان لشخصية الرشيد وولده المأمون أثر في هذا التطور والازدهار . وتبدو لنا شخصية الرشيد ، على بعد الزمن - شخصية حساسة تحب بعنف وتكره بعنف ، وهو عاطفي النزعة أيضاً . أحب جعفر البرمكي حتى أنه أوجد كساء متسعاً كان يلبسه مع جعفر ، وكان لا يصبر عنه ساعة ،

---

(١) الطبري ، المصدر المذكور آنفاً ج٦ - ٤١٨ .

(٢) أبو الفرج الأصفهاني ، المصدر المذكور آنفاً ص ٤٥ .

فلما غضب عليه لم يتردد في قتـــله واعتقال افراد اسرته ونكبتهم ومصادرتهم كذلك كانت عواطفه تهيب به أن يقدم ابنه الأمين على ولده الآخر المأمون ، على الرغم من ان المأمون أسن من الأمين وعلى الرغم من تفـــوق المأمون على الأمين في أخلاقـه وصفاته ، وعلى الرغم من معرفته أن العهد للاثنين مضر بالدولة وأنـه سيكون سبباً في الحرب بين الأخوين ، ولكنه خضع لعواطفه وآثر ابنه الأمين بولاية العهد وجعل الخلافة من بعده للمأمون . ولكن هـــذا لا يعني أنه ضعيف الشخصية أو متردد ، بل العكس هو الصحيح فـإنه لمـا نكب البرامكة وسط يحيى البرمكي زبيدة زوجة الرشيد وابنها الأمين لديه للعفو عنه فرفض طلبهما وهما أحب الناس إليه . وكذلك تبدو شخصيته القوية العاطفية الحسَّاسة في مواقف كثيرة ولا سيما في علاقاته مـع أقربائه الهاشميين ومع البيزنطيين .

وإن الدارس لخطبة الرشيد التي حفظها لنا ابن عبد ربه لا يخرج بشيء منها لأنها كخطب ائمة المساجد كلها وعـــظ وترغيب وتحذير وترهيب وآيات قرآنية . ولكن هناك في حياة الرشيد ثلاثة احداث تعتبر مفتاحاً لشخصيته وهي قضية ولاية العهد وقضية البرامكة وعلاقته بهم ، وعلاقته ببيزنطة

أما قضية ولاية العهد ، فهذه كانت شغل الرشيد ورجال البلاط الشاغل . لم يضطر الرشيد ـ كما فعل أبوه المهدي وجده المنصور من قبل ـ إلى الضغط على شريك له في ولاية العهد ليزيحـــه من أمام أولاده ، وإن كان هو نفسه تعرض لمثل هذا الموقف زمن أخيه الهادي ، فقد كان الطريق أمامه ممهداً وكانت الدولة احزاباً ثلاثة : الهاشميين وضلعهم مع الأمين ليصبح الخليفة بعـد أبيه ، على الرغم من وجود أخيه المـأمون الذي هو اسن منه . وهنالك المأمون الذي هو الولد الأكبر للخليفة ويؤيـده بعض الوزراء وبعض القواد من الفرس ، وهناك القاسم الذي التف حوله بعض رجالات بني هاشم مثل عبـــد الملك بن صالح الذي

حرض الرشيد أن يبايع للقاسم بعد أخويه وكتب إلى الرشيد يقول :

يا أيها الملك الذي	لو كان نجماً كان سعداً
للقاسم اعقد بيعة	واقدح له في الملك زنداً
الله فرد واحد	فاجعل ولاة العهد فرداً[1]

وقد أراد الرشيد أن يسبغ على عمله - تولية العهد - هذا صبغة دينية مقدسة فحج واصطحب معه أولاده الثلاثة ، وهنالك أعلن قراره في قضية ولاية العهد وأن تكون للأمين ومن بعده للمأمون ومن بعده للقاسم وعلق العهود الناصعة على ذلك في بطن الكعبة. ولكنا نعتقد أنه فعل ذلك ليس فقط لاعطائها صبغة دينية في أعين رعاياه ، وإنما أيضاً ليسبغ عليها صفة القداسة لعل إصدارها في مكة وتعليقها في الكعبة المشرفة يكونان عاملين مساعدين على احترامها . ولكن الرشيد ـ واعياً أو غير واعٍ لذلك ـ زرع بذور الحرب الاخوية بين الأمين والمأمون ، وذلك عندما قسم البلاد الاسلامية إلى قسمين وجعل المأمون حاكماً مطلق التصرف على خراسان وليس للأمين أي سلطان عليه... وولاه [أي ولى الرشيد المأمون] خراسان وثغورها وكورها وحربها وجندها وخراجها وطرازها وبريدها وبيوت أموالها وصدقاتها وعشورها وجميع أعمالها في حياته وبعده[2] ... فإن حدث بامير المؤمنين حدث الموت وافضت الخلافة إلى محمد ابن أمير المؤمنين فعلى محمد انفاذ ما أمره به هارون الرشيد . . . ليس لمحمد أن يحول عنه قائداً ولا مفقوداً ولا رجلا واحداً ممن ضم إليه من أصحابه الذين ضمهم إليه أمير المؤمنين ، ولا يحول عبد الله ابن أمير المؤمنين عن ولايته التي ولاه إياها هارون أمير المؤمنين من ثغور خراسان

---

(١) العيون والحدائق . المصدر المذكور آنفاً حـ٣ ـ ٣٠٤ .

(٢) الطبري ، المصدر المذكور آنفاً حـ٦ ـ ٤٧٦ .

وأعمالها كلها ... ولا يشخصه إليه ولا يفرق أحداً من أصحابه وقواده عنه ولا يولي عليه أحداً ولا يبعث عليه ولا على أحد من عماله .. ولا يحول بينه وبين العمل في ذلك كله برأيه وتدبيره[1]... فإن أراد محمد بن أمير المؤمنين خلع عبد الله ابن أمير المؤمنين عن ولاية العهد من بعده ، أو عزل عبد الله ابن أمير المؤمنين عن ولاية خراسان وثغورها وأعمالها .. . فلعبد الله بن هارون أمير المؤمنين الخلافة بعد أمير المؤمنين وهو المقدم على محمد ابن أمير المؤمنين.. . والطاعة من جميع قواد أمير المؤمنين هارون من أهل خراسان وأهل العطاء وجميع المسلمين في جميع الاجناد والامصار لعبد الله ابن أمير المؤمنين والقيام معه والمجاهدة لمن خالفه...وليس لأحد منهم جميعاً..أن يخالفه ولا يعصيه... ولا يطيع محمد ابن أمير المؤمنين في خلع عبد الله بن هارون امير المؤمنين وصرف العهد عنه من بعده إلى غيره...[2] أرأيت: لقد وضع الرشيد بيده بذور الحرب بين الأخوين ، ذلك إنه ـ عملياً ـ قسم الامبراطورية إلى قسمين : شرقي وعليه المأمون مستقل كل الاستقلال ليس للأمين أية سلطة عليه سوى الاسم، حتى إنه لا يستطيع تحريك جندي واحد في تلك المنطقة. وإذا تذكرنا أن وراء المأمون اناساً يحرضونه ويستغلون موقفه ويثبتونه في وجه أخيه ، وإذا تذكرنا أن خراسان مهد الدعوة العباسية وفيها الرجال والأموال ، وإذا تذكرنا محاولات الفرس المتكررة للوثوب على السلطة في الخلافة العباسية وموقف الخلفاء منهم، من لدن أبي العباس حتى الرشيد ، وإذا تذكرنا الفرس الطموحين الملتفين حول المأمون يسيرون أموره ، أمكننا أن ندرك أن الحرب الأخوية أصبحت أمراً محتوماً ولا سيما وإن الأمين قد ساعد بغروره ومحاولته خلع أخيه على إذكاء أوارها . وطبعاً لم تكن الحرب بين الأخوين إلا صورة أخيرة من صور

---

(1) نفس المصدر ج٦ ٤٧٦-٤٧٧ .

(2) نفس المصدر ج٦ ٤٧٧-٤٧٨ .

الصراع المرير بين العرب والفرس على السلطة في العصر العباسي .

ولقد أخذ الرشيد على جميع الفرقاء من العهود والمواثيق أقساها وأغلظها. ولكن متى كانت العهود والمواثيق محترمة في الدولة العباسية حتى يحترمها الأمين؟ لذلك لم يكد الأمين يصبح خليفة حتى بدأ محاولاته لنقض العهد مما أدى بـه إلى الاصطدام بأخيه ، ومن ثم فقد عرشه وحياته .

كذلك تعتبر قضية البرامكة من القضايا الغامضة والحساسة في التاريخ العباسي ويبدو لنا أن جهود يحيى البرمكي في إيصال الرشيد للخلافة جعلت له شيئاً من الدالة عليه. وقد أسند اليه الرشيد إدارة البلاد كلها فأدارها مع أولاده وأقربائه أجمل إدارة واكفأها . ولكن هذا الوضع خلق له أعداء أقوياء ووقع في أخطاء كثيرة على مدى الزمان مما فتح الباب لاعدائه في النفوذ إلى عقل الرشيد وقلبه وجعلوه يغير موقفه منهم حتى وصل به الحد إلى أن قتل جعفراً واعتقل الباقين وأزال نعمتهم . ولا تلقى الوثائق التي بين أيدينا أي ضوء على أسباب نكبتهم . والشيء الجدير بالاعجاب هو الفصاحة والبلاغة والايجاز التي اختص بها جعفر البرمكي ـ وهو الفارسي الأصل ـ مما يعجز عنه كثير من العرب الخلص. كذلك لا بد لنا من أن نعجب بكفايته الادارية وحسن سياسته . فقد هدأ الأمور في سورية وتغلب على العصبية فيها؛ وتدل خطبتاه فيها على مدى كفايته الادارية وفصاحته العربية ، كذلك تعتبر خطبته التي ألقاها بين يدي الرشيد بعد عودته من سورية ونجاح مهمته فيها بمثابة تقرير عن بعثته . وهي كذلك شاهد حي على فصاحته . ولكن الشيء المهم فيها هو إنه نسب كل ما حققه وكل ما أحرزه إلى الرشيد الذي استطاع بتوجيهاته أن يصل إلى ذلك بحيث نصل إلى الاستنتاج أن مهمة جعفر كانت تنفيذ خطة رسمها له الرشيد .

والذي يبدو لنا من الوثائق المتوفرة لدينا أن يحي البرمكي كان متوقعاً أن يحل بابنه جعفر شيء مما حل به نتيجة لخلطته الزائدة مع الرشيد؛ فقد كان ينهاه

عن ألا يغال في منادمة الرشيد وهو لا يرعوي فلما أعياه أمره كتب إليه يقول: إني إنما أهملتك ليعثر بك الزمان عثرة تعرف بها أمرك ، وإن كنت لأخشى أن تكون التي لا شوى لها[1] .

وكذلك يظهر أن نكبة البرامكة وما حل بهم لم يكن أمراً عارضاً أو تدبيراً عاجلاً اتخذه الرشيد ضدهم ثم ندم أو أحس أنه تعجل . فقد ظلت السحابة فترة طويلة وهي تتجمع في الأفق ، ونصح أناس كثيرون الرشيد وحرضوه ضدهم ، كما فعل محمد بن الليث الذي أرسل إلى الرشيد يقول له : أن يحي بن خالد لا يغني عنك من الله شيئاً وقد جعلته فيما بينك وبين عبادك...[2] كذلك وزعت مناشير غفل من التوقيع تحرض الخليفة ضدهم . ومن ذلك إن أحد الأشخاص المجهولين أرسل إلى الرشيد رسالة يحرضه ضدهم ويقول :

هذا ابن يحي قد غدا مالكاً مثلك ما بينكما حد
أمرك مردود إلى أمره وأمره ليس له رد
ونحن نخشى إنه وارث ملكك إن غيبك اللحد[3]

ولذلك بطش بهم الرشيد بطشته الكبرى فقتل جعفراً واعتقل الباقين وصادر أموالهم وهدم منازلهم وعفى آثارهم . ويبدو لنا أنه فعل ذلك بعد كثير من التدبر وأنه لم يندم قط على ذلك ولم يلن ولم يتراجع أمام رسائل الاستعطاف الكثيرة التي وجهها له من السجن يحيى البرمكي ويمت له بابوته إياه وبأياديه السابقة عنده[4] . كذلك لم تنفعه وساطة الأمين وأمه زبيدة في

(١) نفس المصدر حـ٦ - ٤٨٩ .

(٢) الرفاعي ، احمد فريد ، عصر المأمون ، الطبعة الثالثة ، القاهرة . دار الكتب المصرية ، ١٦٤٨ م . ٣ جـ . حـ١ - ١٥٥ .

(٣) ابن العماد الحنبلي ، ابو الفلاح ، المصدر المذكور آنفاً حـ١ - ٣١٢ .

(٤) ابن عبد ربه ، المصدر المذكور آنفاً حـ٥ ٦٨-٦٩ .

الموضوع [1] . ويدل على ذلك أيضاً ابلغ الدلالة جواب الرشيد على رسالة يحيى الأخيرة التي أرسلها إلى الرشيد وهو يعالج سكرات الموت وأوصى السجان أن يوصلها إلى الرشيد بعد موته وفيها : بسم الله الرحمن الرحيم . قد تقدم الخصم إلى موقف الفصل وأنت على الأثر . والله حكم عدل وستتقدم فتعلم . ولقد وقع الرشيد على هذه الرسالة بما يلي : الحكم الذي رضيت به في الآخرة هو اعدى الخصوم عليك وهو من لا ينقض حكمه ولا يرد قضاؤه [2] .

ولقد امتازت علاقة الرشيد بالروم بالعنف والحرب التي اجبرت ملك الروم على دفع الجزية حتى عن نفسه وولده ، ولكن شخصية الرشيد الخصبة المتعددة الجوانب ابت إلا أن تظهر في تعامله مع الروم . ذلك ان نقفور ملك الروم لما أرسل رسالته الشهيرة يهدد ويتوعد بها ، لم يكن له من جواب من الرشيد سوى أن وصف بالكلب ثم الحروب التي حطمت غروره والزمته بالخضوع . وتجمع المصادر التي بين ايدينا على أن هارون الرشيد أرسل جواب رسالة نقفور التهديدية ما يلي : بسم الله الرحمن الرحيم . من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم ... ولكن هناك مصدراً واحداً ذكر خلاف ذلك وهو ابن العبري أبو الفرج الذي ذكر ان الرشيد أرسل إلى نقفور يقول: من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور زعيم الروم [3] . وهذا ليس بمستغرب من ابن العبري الذي كان حبراً من أحبار الكنيسة الملكانية وألف كتابه وهو تحت تأثير أفكاره وعقائده الدينية فحذف منه كل ما يشم منه رائحة الإهانة للكنيسة أو ممثليها ، ولو كان ذلك على حساب الحقيقة التاريخية . ولكن

---

(١) نفس المصدر حـ ٥ - ٦٥ .

(٢) نفس المصدر حـ ٥ - ٦٩ .

(٣) ابن العبري ، أبو الفرج ، مختصر تاريخ الدول ، تحقيق أنطون صالحاني اليسوعي الطبعة الثانية ، بيروت ، الطبعة الكاثوليكية ، ١٩٥٨ م ص ١٢٩ .

عندما خضدت شوكة الروم بعد حروب هرقلية وجنح ملك الروم إلى السلم وأرسل إلى الرشيد يطلب منه أن يرسل اليه كهدية ، جارية من سبى هرقلية كان ابنه قد خطبها قبل سقوط البلد بيد المسلمين ، فإن الرشيد الحصيف الشهم لبى طلبه وأرسل إليه الجارية المطلوبة هدية مع هدايا أخرى كثيرة ، وكيف لا يفعل الرشيد ذلك وقد بدأ نقفور رسالته إليه بقوله : لعبدالله هارون أمير المؤمنين من نقفور ملك الروم (١) .

كذاك حاول الرشيد مجادلة الروم بالـتي هي أحسن وهدايتهم للاسلام ودعوتهم له فأرسل إلى ملكهم قسطنطين رسالة طويلة يشرح له فيهـا حقائق الاسلام ويؤكد فيها بشكل خاص على نبوة سيدنا محمـد وأنها نبوة صحيحة يقتضيها العقل ويؤيدها النقل ، ويبرهن على ذلك مستخدماً المنطق والتاريخ والتفكير السديد والنصوص الدينية الواردة في القرآن والتوراة والإنجيل ، ثم ينتقل إلى ذكر نبوءات التوراة والإنجيل وارهاصها بقدم سيدنا محمـد وأقوالهـا حوله . وينهى رسالته بالبرهنة على بشرية السيد المسيح وفائدة الانضمام إلى الاسلام أو دفـع الجزية وسيادة السلم بـين الروم والمسلمين . والرسالة مهمة كل الأهمية لأنهـا تكشف النقاب عن العلاقات السلميه والثقافية التي كانت سائدة بين الطرفين ، كما وأنهـا سجل حي لمعارف المسلمين الدينية حول الأديان الأخرى وبخاصة النصرانية (٢) .

الامين

نصل هنا إلى شخصية اختلفت عليها الأحكام اختلافاً كبيراً ، ذلك ان أغلب المصادر مجمعـة على تصوير الأمين بصورة الخليفة المستهتر الذي لا يقـيم

(١) الطبري ، المصدر المذكور آنفاً حـ٦ ـ ٥١٠ .
(٢) الرفاعي ، محمد فريد ، المصدر المذكور آنفاً حـ٢ ١٨٨-٢٣٦ .

وزناً لأمور الدولة حتى في أدق مراحلها حرجاً ، والذي همه سروره ولذته وهو في الوقت نفسه ناقض للعهد ، ناكث للمواثيق ضعيف التفكير ... والحق أن النصوص الوثيقة التي بين أيدينا تصحح هذه الصورة إلى حد بعيد . ذلك أن الأمين ـ إذا جاز لنا أن نحكم عليه وأن نزنه بمعايير هذه الأيام ـ شخصية رومانتيكية ، على حين أن شخصية أخيه المأمون شخصية عملية وصولية مكيا فيللية ، والمنهزمون في كل زمان ومكان هم المخطئون وهم الضعيفون وهم العاجزون . وقد اثرت دعاية المأمون تأثيراً هائلاً على تشويه سمعة أخيه الأمين وابرازه بالصورة المعروفة ! والذي يبدو لنا أن الأمين شخص أصابه الغرور وكان يشعر بتفوقه على اقرانه ، وقد افسده الدلال وابطره الغنى وخانه اتباعه الذين لم يحسن اختيارهم ، والمخلصون منهم كنوا عاجزين ولا يوازنون بانصار أخيه المأمون . فمجرد ترشيحه للخلافة بعد أبيه على الرغم من وجود أخيه المأمون الأسن منه جعله يعتقد ـ مصيباً أو مخطئاً ـ أنه شخص له قيمة خاصة ومكانة خاصة ، كما وأنه الخليفة العباسي الوحيد الذي أبواه هاشميان عباسيان ، وقد أفسده دلال أمه زبيدة باعتباره وحيدها . ولا يقاس اتباعه وأنصاره ومستشاروه وقواده باتباع أخيه وأنصاره ومستشاريه وقواده . فهناك بون شاسع بين الفضل بن الربيع وبين الفضل بن سهل ، ولا يمكن أن نوازن بحال من الأحوال بين طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين وبين علي بن عيسى بن ماهان . وإذا اضفنا إلى أن الفرس اعتبروا الصراع صراعهم والتفوا باجمعهم حول المأمون ، على حين لم يفعل العرب نفس الشيء أمكننا أن نتنبأ بنتيجة الصراع الحتمية .

ولا يلام الأمين على محاولته خلع أخيه من ولاية العهد أو احلال ابنه محله، فقد فعل نفس الشيء اغلب الخلفاء العباسيين بدءاً من أبي جعفر المنصور حتى موسى الهادي الذي حاول خلع أخيه هارون الرشيد من ولاية العهد؛ ذلك ان

ما حدث كان أخلاق العصر ، وإنما يلام الرشيد لأنه بعهده وبتقسيمه الامبراطورية ونزعه كل سلطة لمحمد علي المأمون جعل الصراع أمراً حتمياً .

وتدل رسائل الأمين إلى أخويه صالح والمأمون ، أثناء مرض والده في رحلته إلى طوس وتوقعه موته ، على حذر تام ومعرفة بضبط الأمور وحسن تسييرها في أوقات الأزمات، ولكن ثقته بالفضل بن الربيع ومدحه له لم يكونا في محلهما[1]. كما وإن خطبته لما أصبح خليفة لم تكن أسوأ من غيرها من خطب الخلفاء في مثل هذه المناسبات، بل لعلها أجود من خطب غيره من الخلفاء[2] . ولقد كان الأمين ووالدته على ثقة بالنصر حتى أن السيدة زبيدة أوصت علي بن عيسى ـ قائد الجيش الموجه إلى حرب المأمون ـ أن يرفق بالمأمون ودفعت إليه قيداً من فضة ليقيده به[3] . ونلاحظ في وصية الأمين لعلي بن عيسى روحاً عالية وأخلاقاً رفيعة : امنع جندك من العبث بالرعية والغارة على أهل القرى وقطع الشجر وانتهاك النساء .. . ومن خرج إليك من جند أهل خراسان ووجوهها فأظهر إكرامه وأحسن جائزته ، ولا تعاقب أخاً بأخيه وضع عن أهل خراسان ربع الخراج[4] . . . وتدل رسائله الأولى إلى أخيه المأمون على رغبة في حسن العلاقات بينهما وعلى الوفاء بما عهد به إليهما أبوهما الرشيد ، ولكن بعد حين بدأ الأمين محاولاته لانتقاص حقوق أخيه . ومن ثم سعى ليحضره عنده في بغداد ، ولكن المأمون تنبه لذلك ورفض الحضور محتجاً أن خراسان ثغر مخوف . . . ومتى اخللت بها أو نزلت عنها لم آمن من انتقاض الأمور فيها وغلبة أعدائها عليها بما يصل ضرره إلى أمير المؤمنين حيث هو . ..[5] كذلك

---

(١) الجهشياري ، ابو عبد الله محمد بن عبدوس ، المصدر المذكور آنفاً ص ٢٧٦ .

(٢) اليعقوبي ، ابن واضح ، المصدر المذكور آنفاً ج٢ ٤٣٣-٤٣٤ .

(٣) ابن الأثير ، عز الدين ، المصدر المذكور آنفاً ج٦ ـ ٢٤٠ .

(٤) الطبري ، أبو جعفر ، المصدر المذكور آنفاً ج٧ ـ ١٢ .

(٥) أبو حنيفة الدينوري ، المصدر المذكور آنفاً ص ٣٩٥ .

رفض المأمون ـ بأدب ـ طلب الأمين أن يقدم ابنه موسى قبله في ولاية العهد . وهكذا دأب المأمون ، بتحريض من الفضل بن سهل ، يرفض كل طلب للأمين، حتى ولو كان بسيطاً حتى جرت الأمور بينهما إلى حد اعلان الحرب الفعلية . ولقد تمكن الفضل بن سهل أن يشتري أحد كبار مستشاري الأمين وحرضه على أن يحمل الأمين يعهد بقيادة الجيش المرسل إلى حرب المأمون إلى علي بن عيسى . . . إن أبى القوم إلا عزمة الخلاف فالطف لأن يجعلوا أمره لعلي بن عيسى[1] . . . وذلك لكره أهل خراسان له ولسوء أثره فيها أيام الرشيد كما يقول الطبري .

ولكن رأينا في الموضوع هو ان الفضل اختاره ـ وبالدرجة الاولى ـ لما يعرف من غروره وغطرسته وقلة احترازه وهذه كلها صفات لاتؤهل صاحبها البتة لقيادة جيش . فلما عهد اليه بقيادة الجيش كانت النتيجة كارثة للأمين وقتل قائد الجيش وانفض جمعه وزحف أعداؤه الى عاصمته يطلبون مهجته . ولقد سعى المأمون ان يفسد جند الأمين فارسل الى عدد كبير من قواده رسائل يذكرهم العهود والمواثيق ويظهر نفسه بمظهر المظلوم والمنفذ الوحيد والحقيقي لوصية والده على حين أن أخاه ظالم معتد ممزق للمواثيق[2] . ويبدو أن هذه اثرت وأن بعض القواد على الأقل اصغوا إليها وأجابوا المأمون عنها[3] .

كذلك لم تكن جبهة الأمين الداخلية موحدة وانفض أكثر انصاره عنه لما اقترب الجيش المأموني من بغداد ، بل لقد حصلت ثورة ، أو بالأحرى انقلاب ضد الأمين وخلع عن العرش ، ولكن أنصاره أعادوه مجدداً له[4]. ولما احكمت

---

(١) الطبري ، أبو جعفر ، المصدر المذكور آنفاً حـ ٧ ـ ١٠ .

(٢) نفس المصدر حـ ٦ ـ ٥٦٠ .

(٣) نفس المصدر .

(٤) نفس المصدر حـ ٧ ـ ٣٥ ـ ٣٧ .

حلقة الحصار حول الأمين حاول هـذا أن يفسد طاهر بن الحسين قائد الجيش المحاصر فأرسل إليه يقول: ما قام لنا منذ قمنا قائم بحقنا فكان جزاؤه عندنا إلا السيف فانظر لنفسك أو دع[1] . ولما لم تفلح هذه الرسالة وأدرك الأمين أنه خسر كل شيء كتب ثانية إلى طاهر يطلب منه أن يمنحه أماناً حتى يخرج إلى أخيه المأمون[2] . ولكن طلبه هذا ظل بلا جواب ، فاضطر أن يلجأ إلى هرثمة يطلب منه الأمان الذي وافق على ذلك وقرر استلامه والتوسط بينه وبين أخيه المأمون غير أن طاهراً وأنصاره كانوا بالمرصاد فحاولوا دون تنفيذ ذلك وكانت النتيجة أن حاق الخذلان بالمشروع وأسر الأمين ثم قتل .

وتعتبر رسالة طاهر بن الحسين إلى المأمون يبشره بفتح بغداد وقتل أخيه الأمين بمثابة دفاع عن نفسه وإن قتل الأمين لم يجر بعلمه وإن أتباعه [أتباع طاهر] قتلوه لما عرض عليهم الرشوة وإنــه خرج إليهم دون عهد ولا عقد . ذلك أن طاهراً يعلم أن المأمون سيتأثر لمصرع أخيه الأمين وهو يعلم أن هرثمة سيقص على المأمون الملابسات التي أدت إلى قتل الأمين، فأراد أن يقطع عليه الطريق بأن يذكر له قصة قتل الأمين كما يرويها هو لا كما يرويها هرثمة ... فبادر بعضهم [بعض اتباع طاهر] حراقة هرثمة فتكفأت بهم حتى أغرقت في الماء ورسبت، فانصرف بعضهم إلى المدينة، ورمى المخلوع عند ذلك بنفسه من الحراقة في دجلة متخلصاً إلى الشط فابتدره عدة من أوليائي ... فأخذوه عنوة وقهراً بلا عهد ولا عقد ... فعرض عليهم مائة حبة ذكر إن قيمة كل حبة مائة ألف درهم ، فأبوا إلا الوفاء لخليفتهم . . فتعلقوا به قد أسلمه الله وأفرده كل يرغبه ويريد أن يفوز بالحظوة عندي دون صاحبــه حتى اضطربوا فيما بينهم وتناولوه بأسيافهم

---

(١) السيوطي ، جلال الدين ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محي الدين عبـــد الحميد ، القاهرة ، المطبعة التجارية الكبرى ، ١٩٥٢م ص ٣٠٠ .

(٢) نفس المصدر ص ٣٠٠ .

منازعة فيه وتشاحا عليه إلى أن أتيح له ... فأتي عليه[1]. .

هذه هي الرواية الرسمية لقتل الأمين وهي تختلف عن رواية الطبري لها والتي يقول إنها الحقيقة وفي رأينا أن طاهراً زور القضية هنا ليبرر إعدامه وقتله الأمين أخي المأمون ، وهذا مثل صارخ على التزوير الرسمي للحقائق .

قتل الأمين وتهدمت بغداد وهزم الحزب العربي وانتشرت الفوضى في العراق وأصبح المأمون الحاكم الوحيد للأمبراطورية الإسلامية .

المأمون

يعتبر عصر المأمون ـ مع عصر الرشيد ـ كما سبق أن قلنا العصر الذهبي ليس في التاريخ العباسي فحسب، بل في التاريخ الإسلامي كله. ويبدو لنا المأمون ـ من خلال النصوص ، ومن خلال المنجزات التي تمت في عصره ـ شخصية واقعية عملية ـ من وجهة نظر سياسية ـ تختلف اختلافاً جذرياً عن شخصية أخيه الأمين الرومانتيكية الخيالية الحالمة . وأما من الناحية العلمية فقلائل هم الخلفاء والحكام المسلمون الذين يمكن موازنتهم بالمأمون في علمهم وحبهم للعلم والمعرفة وتشجيعهم للبحث والدرس والتأليف ...

وتدل خطب المأمون المحفوظة لدينا على نفس ديني وعظي ، كما هي الحال مع والده من قبل ، ذلك أن الخطابة السياسية التي كان الخلفاء يبسطون سياسة الدولة بواسطتها وينذرون ويوعدون ويعدون ويستميلون ماتت مع نهاية العصر الأموي ومطالع العباسي. هذا وإن الشغل الشاغل للمأمون هما قضيتان : قضية ولاية العهد وقضية خلق القرآن :

ولا ندري متى اهتم المأمون بقضية ولاية العهد ، كما وإننا لا ندري بالضبط

---

(١) الطبري ، أبو جعفر ، المصدر المذكور آنفاً جـ ٧ ٨٧-٨٨ .

متى اتجهت ميوله نحو تولية العهد شخصاً علوياً ، والذي يبدو لنا أن المأمون ، الحر التفكير المعتزلي الآراء ، كان معجباً كل الأعجاب بعلي بن أبي طالب . وهذاشيء طبيعي فيه طالما إن أفكاره معتزلية لأن أغلب المعتزلة ميالون لعلي على حساب معاوية . ولقد بلغ تعصب المأمون ضد معاوية ذروته حتى إنه هم بلعنه على المنابر وأمر منادياً ينادي في الناس بما يلي : برئت الذمة ممن ذكر معاوية بخير أو فضله على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ[1]. ويبدو أن طول مقام المأمون في خراسان ونفوذ الفضل بن سهل جعلاه يجنح إلى تولية عهده شخصاً علوياً، هذا بالإضافة إلى موقف العباسيين المعادي للمأمون بسبب صراعه مع أخيه واستقراره في خراسان وتركه بغداد مما جعلهم ينتخبون أميراً عباسياً من بينهم لتسيير الأمور ، ثم أعلن نفسه خليفة . ذلك هو إبراهيم بن المهدى . ولا نعتقد أن ثورات العلويين ، ولا سيما تلك التي قام بها أبو السرايا باسم أحد العلويين كان لها كبير وزن في قرار المأمون هذا ، لأنها لم تكن ثورات جدية وأمكن التغلب عليها بسهولة . والطريف في الأمر أن أهل الكوفة الذين اعانوا أولاً أبا السرايا وساعدوه ضد جند المأمون تخلوا عنه أخيراً فخطبهم خطبة ملتهبة هاجمهم فيها أعنف هجوم يذكرنا بخطب الحجاج ويوسف بن عمر ضدهم[2] . ويدل منشور المأمون الذي أصدره عندما اختار علياً الرضا لولاية العهد على شعور بالمسؤولية كبير وأنه إنما فعل ذلك شعوراً منه بالمسؤولية وقياماً بالواجب الملقى على عاتقه . ذلك أن ... الله عز وجل جعل العهد بالخلافة من تمام الإسلام وكماله وعزه وصلاح أهله ، وألهم خلفاءه من توسيده لمن يختارونه له من بعدهم ما عظمت به النعمة وشملت منه العافية[3] ... وأن المأمون ، بعد أن

---

(١) ابن الأثير . عز الدين ، المصدر المذكور آنفاً حـ ٦ - ٤٠٦ .
(٢) أبو الفرج الاصفهاني ، المصدر المذكور آنفاً ص ٥٤٥ .
(٣) القلقشندى ، ابو العباس احمد ، كتاب صبح الأعشى ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٩١٤-١٩١٩م ١٤ جـ الجزء التاسع ص ٣٦٤ .

استخار الله في ذلك ، وبعد أن نظر في أفراد البيتين العباسي والعلوي لم يجد أفضل من علي الرضا لهذا المنصب ... فعقد له بالعقد والخلافة إيثاراً لله والدين ونظراً للمسلمين وطالباً للسلامة وثبات الحجة والنجاة في اليوم الذي يقوم فيه الناس لرب العالمين [1] . وكالعادة يعلن علي الرضا في جوابه المأمون على رسالته السابقة شكره للمأمون : لأنه عرف من حقنا ما جهله غيره فوصل أرحاماً قطعت وأمن أنفساً فزعت [2] ... ويتعهد بالسير بكتاب الله وسنة رسوله وعدم الظلم وعدم سفك الدماء إذا آلت إليه الخلافة .

وأما القضية الثانية التي أقضت مضجع المأمون وجعلته يبذل جهوداً جبارة في سبيلها فهي قضية خلق القرآن . ولا ندري متى بدأ المأمون يهتم بخلق القرآن والقول به ، ويبدو أن اهتمامه هذا قديم ولكن هذا الاهتمام أخذ شكلاً نشطاً حاداً في السنة الآخرة من خلافته حتى أن ذهابه إلى بلاد الروم للغزو والحرب لم يمنعه من الاهتمام البالغ بهذه القضية فنراه يرسل الرسائل تلو الرسائل إلى واليه على بغداد من أجلها . وتدل رسائله على فصاحة وبلاغة ، كما تدل على مقدرة عجيبة على الجدل والبرهنة على الرأي ودعمه والاستشهاد من أجل إثباته بالآيات القرآنية المؤيدة له . وهو يعلن أن واجبه كخليفة أن يبين الحقيقة وأن يمحق الضلالة بل والشرك ، لأنه اعتبر القول بقدم القرآن شركاً بالله تعالى . ولما كان رجال الدين ، في رأيه ، هم قواد هذه البدعة ـ القول بعدم خلق القرآن ـ بل هم المروجون لها ، ولذلك أصدر أمره أن يصار إلى امتحان القضاة والشهود . فأما القضاة الذين لا يقولون بخلق القرآن فيجب صرفهم عن مناصبهم وإرسال أسمائهم إلى أمير المؤمنين ، وكذلك يجب

---

(١) نفس المصدر ، الجزء التاسع ص ٢٦٥ .

(٢) نفس المصدر ، الجزء التاسع ص ٣٩١ .

القيام بنفس العمل في جميع أنحـــاء وأطراف البلاد الإسلامية . وأما الشهود فيجب امتحانهم فمن أقر أن القرآن مخلوق قبلت شهادته ومن رفض ردت شهادته .

قد يكون للمأمون عذر في صرف القضاة المخالفـــين عن عملهم ، لأن هؤلاء القضاة يخالفون مذهب الدولة الرسمي ، ولكن قضية الشهود هذه غير مقبولة لأن عدالة الشاهد لا تتعلق بمعتقده وإنما تتعلق بسلوكه وأخلاقه ، ولكن رأى المأمون أنه . . من عمي عن رشده وحظه من الإيمان بالله وتوحيده كان عما سوى ذلك من عمله والقصد في شهادته أعمى وأضل سبيلاً [1] .

كذلك تابع نفس الخط من السياسة في رسائله الأخرى الـــتي وجهها إلى واليه على بغداد ودعمها بأدلة أخرى وحجج من القرآن الكريم ، وازداد تصلباً وشراسة في معاملة من خالفوه ، ذلك أن واليه اسحاق بن إبراهيم أرسل له محضر أقوال الفقهاء والقضاة الذين جمعهم من أجل القول بخلق القرآن . ويبدو أن بعض هذه الشهادات والأقوال لم تعجب المأمون فأرسل أوامره وتعليماته إلى اسحاق هذا من أجل معاملة هؤلاء وأمثالهم . ولقد كان موقفه عنيفاً كل العنف مع شخصين سماهما هم بشر بن الوليد وإبراهيم بن المهدي ، ويبدو أنهما رفضا القـــول بخلق القرآن فأرسل إلى اسحاق يطلب منه أن يستتيبهما من القول بعدم خلق القرآن فإن تابا واعترفا أن القرآن مخلوق كان بهـــا ... وإلا فاضرب عنقه وابعث إلى أمير المؤمنين برأسه [2] ... ونفس الشيء صحيح بالنسبة لإبراهيم بن المهدي . ولقد رد المأمون رداً عنيفاً على آراء الفقهاء الذين أورد اسحاق ردودهم وأقوالهم في رسالته ، وذكر كل فرد منهم باسمه وفنـــد

---

(١) الطبري ، أبو جعفر . المصدر المذكور آنفاً حـ ٧ - ١٩٧ .

(٢) نفس المصدر حـ٧ - ٢٠٣ والاشارة هنا لبشر بن الوليد.

آراءه وهاجمه وتهكم عليه ووصمه بإحدى الوصمات . ثم يطلب من واليه أن يعاود اسئلتهم عن القرآن ، فمن أصر على القول أنه غير مخلوق أمره بحمله موثقاً بالحديد إلى المأمون في بلاد الروم - ما عدا بشر بن الوليد وإبراهيم بن المهدي - لينصحهم أمير المؤمنين ، وإن لم يرجعوا ويتوبوا حملهم جميعاً على السيف إن شاء الله ولا قوة إلا بالله[1] .

تعتبر هذه الرسالة وثيقة ذات أهمية خاصة لأنها : حوت آراء المأمون وجدله وبراهينه حول خلق القرآن ، ورده على من خالف رأيه . ثم إنها تظهر معاملته لمن خالفه وهي تنقض رأي من يعتقد أن المأمون متسامح . فهذه الرسالة تضع المأمون في عداد أشد المتعصبين وأكثر المتحمسين غلواً وأن جزاء المخالفين الوحيد هو السيف . ولم ينج القومَ من السيف إلا قولهم بما قال الخليفة من أن القرآن مخلوق ولم يشذ عن ذلك إلا أحمد بن حنبل وابن نوح اللذان أصرا على موقفهما فحملا إلى المأمون ، فمات ابن نوح على الطريق وبقي ابن حنبل ، ولكن انقذه الله منه إذ اتاه في الطريق نبأ وفاة المأمون . ولا ندري ما يمكن أن يكون موقف المأمون من ابن حنبل ، ولكن الدلائل تشير إلى أن المأمون كان جاداً في تهديداته . والطريف في الموضوع أن المسكين بشر بن الوليد اعترف أن القرآن مخلوق ، ولكنه أذاع ان ذلك تقية منه ، ووصل القول إلى المأمون فغضب وأمر بإرساله إليه[2] . ولا ندري بعد ذلك ما حدث .

ولقد أظهر المأمون كياسة ولباقة في معاملة زبيدة أم أخيه الأمين وزوجة أبيه الرشيد ذلك لأنه كان يعلم مقدار الفاجعة التي أصابتها في وحيدها ويدرك شعورها ولذلك حاول أن يكون معها لطيفاً كل اللطافة ، فقد

---

(١) نفس المصدر ج٧ - ٢٠٥ .

(٢) نفس المصدر ج٧ - ٢٠٦ .

أرسلت له رسالة بعد دخوله بغداد تستعطفه عليها وتقول في خاتمتها ... فإن رأيت أن ترحم ضعفي واستكانتي وقلة حيلتي وأن تصل رحمي وتحتسب فيما جعلك الله له طالباً وفيه راغباً فافعل ، وتذكر من لو كان حياً كان شفيعي إليك [1] . وكان جواب المأمون آية في الشهامة : وصلت رقعتك ، يا أماه أحاطك الله وتولاك برعايته ... وساءني ، شهد الله ، جميع ما أوضحت فيها ، لكن الأقدار نافذة ... وقد أمرت برد جميع ما أخذ لك ، ولم تفقدي ممن مضى إلى رحمة الله إلا وجهه ، وأنا ، بعد ذلك ، على اكثر ما تختارين [2] .

وجميع أو أغلب رسائل المأمون قطع أدبية يمكن دراستها واستكناه فحواها وتركيبها ، على حين أن رسائله المتعلقة بخلق القرآن قطع أدبية صيغت بلغة عقدية منطقية من أجل إثبات فكرة مسيطرة بالبرهنة عليها عقلاً ونقلاً .

وتعتبر رسالة طاهر بن الحسين إلى ابنه عبد الله لما ولاه ديار ربيعه رسالة جامعة ودستوراً للسلوك الشخصي والسلوك الأخلاقي ودستوراً للحكم يحدد علاقة الحاكم بمن هو أعلى منه وبمن هم نظراؤه وبرعيته ، وما هي واجباته وكيف يؤدي هذه الواجبات تجاه ربه وتجاه خليفته وتجاه أميره وجيشه وجنده وتجاه عمال الخراج وتجاه افراد الرعية ، مع أسلوب فحل ولغة قوية وبيان مشرق مما يجعلها - بحق - قطعة أدبية فنية سياسية من الطراز الممتاز . ولعل أفضل وصف لها هو قول المأمون الذي قال بعد أن اطلع عليها وذلك بعد أن شاعت وذاعت وتناقلها الناس : ما بقي أبو الطيب [يعني طاهر بن

(١) الهاشمي ، السيد أحمد . جواهر الأدب في أدبيات وانشا لغة العرب . تحقيق لجنة من الجامعيين ، طبعة جديدة ومنقحة ، بيروت . مؤسسة المدة ، ٢ ج في مجلد واحد ج١ - ٨٤ .

(٢) نفس المصدر .

الحسين] شيئاً من أمر الدين والدنيا والتدبير والرأي والرياسة واصلاح الملك والرعية وحفظ البيضة وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة إلا وقد أحكمه [1] . وأمر أن يكتب بذلك إلى جميع العمال في جميع الأعمال .

ولقد امتازت علاقة المأمون بالروم بالسلم الذي ران عليها أول عهده بالخلافة . وهذا طبيعي بسبب الحرب الأخوية والاضطراب الذي أعقبها ، ثم امتازت بالأعمال الحربية التي شغلت القسم الأخير من خلافته حتى وفاته . ولقد دارت رسائل بينه وبين تيوفيل ملك الروم ، ولقد حاول تيوفيل الحصول على صلح من المأمون ، ولكن لم يطلبه طلب المهزوم المغلوب وإنما أرسل إلى المأمون رسالة يشرح فيها فوائد السلم والاتفاق بين الخصمين ويعرض عليه الصلح على ذلك المبدأ ، وإلا فالحرب .

ولكن ذلك لم ينطل على المأمون الذي أرسل له رسالة تبرق وترعد ولكنه ختمها بأن عرض عليه الإسلام أو دفع الجزية ، أو الحرب [2] .

ولقد حارب المأمون ملك الروم وهزمه فأرسل إليه هذا رسالة ثانية ولكن المأمون رفض استلامها وقال للأسقف الذي حملها : أما يرضى أن أسمح له بمراسلتي حتى يبدأ بنفسه ! فأرسل تيوفيل رسالة ثانية بدأ فيها بالمأمون ومطلعها : لعبد الله غاية الناس في الشرف ملك العرب من تيوفيل بن ميخائيل ملك الروم [3] ...

ولقد أوصى المأمون بالخلافة من بعده لأخيه المعتصم وأوصاه أن يشمر عن ساعد الجد وأن يتفرغ للخرمية وأن يستمر في حربه ضد الروم وأن يتابع السير في سياسة المأمون القائلة بخلق القرآن .

---

(١) الطبري ، أبو جعفر . المصدر المذكور آنفاً حـ ٧ ـ ١٦٨ .
(٢) نفس المصدر ، حـ ٧ ـ ١٩٤ .
(٣) اليعقوبي ، ابن واضح . المصدر المذكور آنفاً . حـ ٢ ـ ٤٦٥ .

المعتصم

يعتبر عهد المعتصم ـمن بعض النواحيـ امتداداً لعصر المأمون، فقد استمر النشاط الحربي ضد البيزنطيين وفاق ما كان جارياً زمن المأمون، وبلغ ذروته في سقوط عمورية بيد المعتصم، كذلك أظهر المعتصم نشاطاً عسكرياً كبيراً ضد بابك حتى تمكن من القضاء عليه. ولقد استمر المعتصم في سياسة أخيه الدينية القائلة بخلق القرآن. ولكن الفرق بين العهدين يكمن في رأينا في شخصية المعتصم. فهناك فرق بعيد وبون شاسع بين علم المأمون وذكائه وتألقه وبين جهل المعتصم وأميته وعدم فهمه في مثل هذه المسائل العقلية، ولذلك نجد عصر المأمون أكثر تألقاً بكثير من عصر المعتصم على الرغم من تفوق المعتصم وعصره على المأمون وعصره من الناحية الحربية على الأقل. ولعل أهم القضايا التي عرضت له في عهده هي مشكلة بابك الخرمي ومشكلة الأفشين.

ولقد ثار بابك هذا وكان شوكة في جنب المسلمين وهزم للمأمون عدة جيوش حتى تمكن المعتصم من القضاء عليه بعد معارك طاحنة وجهود مضنية وتدل رسالته التي وجهها إلى ملوك الآفاق من المسلمين لما أسر بابك وقضي عليه وعلى حركته على مقدار اهتمامه بهذا الموضوع ومقدار الجهد الذي بذل في سبيل القضاء على هذا العدو ... ولا يعلم أمير المؤمنين مع كثرة أعداء المسلمين عدواً كان أعم بلية ولا أجل خطباً ولا أشد كلباً ولا أبلغ مكايدة ولا أرمى بمكروه من هؤلاء الكفرة [1] ... وكذلك يبرز اهتمامه البالغ بالقضاء عليه وعلى حركته من قوله : ... ولم يزل أمير المؤمنين، قبل أن تفضي إليه الخلافة ماداً عنقه موجهاً همته إلى أن يوليه الله أمر هؤلاء الكفرة ويملكه حرمهم

(١) القلقشندي، ابو العباس احمد. المصدر المذكور آنفاً. جـ٦ ـ ٤٠١.

ويجعله القارع لهم عن دينه والمناجز لهم عن حقه [1] ... ثم يذكر جهوده وما بذله في سبيل القضاء على بابك وحركته وخضد شوكته وشوكةمن والاه حتى صنع الله له وأتى ببابك أسيراً فضربت عنقه وانتهى أمره [2].

وأما الافشين فمشكلته معقدة : ذلك إنــه من أبناء ملوك أشروسنة اعتنق الإسلام وأظهر مقدرة حربية دعت المعتصم إلى أن رفعه وتوجه وطوقـــه وقلده ، فأثار هــذا العمل غروره من جهة ، كما أثار حسد رجال الدولة الآخرين وخوفهم من ناحية ثانية ، فتألبوا ضده ، وهو من جهته لم يحسن التصرف حيال مثل هذا الوضع المتأزم فأدى الأمر إلى اعتقاله ومحاكمته . ويبدو لنا الافشين في محاكمته هادئاً رزيناً منطقياً يعرف كيف يرد التهم وكيف يتخلص من الأسئلة المحرجة كما فعل في جوابه لمحمد بن عبد الملك الزيات لمـــا سأله عن كتاب محلى بالذهب والجواهر عنده ما يفعل به ... قال له محمد : ما كتاب عندك قدزينته بالذهب والجواهر والديباج فيه الكفر بالله ؟! قال الافشين : هذا كتاب ورثته عن أبي فيه أدب من آداب العجم ، وما ذكرت من الكفر فكنت استمتع منه بالأدب وأترك ما سوى ذلك ، ووجدته محلى فلم تضطرني الحاجة إلى أخذالحلية منه فتركته على حاله ككتاب كليلة ودمنة وكتاب مزدك في منزلك ، فماظننت أن هذا يخرج من الإسلام [3] .

ولكن رسالة الافشين الشفوية التي وجهها من حبسه إلى المعتصم يرجو عطفه وإزالة ما علق بذهنه من وشاية الوشاة ويشرح قضيته لم تكن على هذا المستوى ولم يوفق فيها بضرب المثل بالعجل والأسد ، ذلك إنــه شبه نفسه بالعجل وإن أعداءه موهوا على المعتصم حتى جعلوه يعتقد أنه أسد لا عجل فذبحه [4] .

(١) نفس المصدر . حـ٦ - ٤٠٢ .
(٢) نفس المصدر ، حـ٦ - ٤٠٤ .
(٣) الطبري ، أبو جعفر . المصدر المذكور آنفا . حـ٧ - ٣٠٦ .
(٤) نفس المصدر ، حـ٧ - ٣١٠ .

الواثق

عهد الواثق قصير وشخصيته غير واضحة المعالم . وقد سار على سنن أبيه وعمه في القول بخلق القرآن ، ولم يكن له نشاط حربي يذكر ، ولذلك ركز جهوده على نشر القول بخلق القرآن . ويبدو لنا أنه أصيب بصدمة قوية لما سمع المناظرة التي درات بين أحمد بن أبي دؤاد وبين شيخ أتى به وهو متهم إنه لا يقول بخلق القرآن . ذلك أن هذا الشيخ تمكن أن يفحم أحمد بن أبي دؤاد الذي اعترف للشيخ أن القول بخلق القرآن شيء لم يعرفه رسول الله ولا الخلفاء الراشدون . فقال له الشيخ : سبحان الله ! شيء لم يعلمه النبي ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي ولا الخلفاء الراشدون وعلمته أنت ! فخجل ابن أبي دؤاد وطلب من الشيخ إقالته ، فلما أعاد الشيخ سؤاله كان جواب أحمد بن أبي دؤاد إن هذا شيء علمه النبي والخلفاء الراشدون ولكنهم لم يدعوا إليه . فقال له الشيخ : أو لا وسعك ما وسعهم[1] .

كذلك كان الواثق متحمساً لنشر مذهب الاعتزال بالقوة وحتى قتل من قال بغير مقالته . وهذا ما لم يصل إليه عمه وأبوه من قبل ، فقد قتل أحمد بن نصر وعلق في أذنه رقعة ذكر فيها أسباب قتله إياه وذلك بعد . . . أن أقام عليه الحجة في خلق القرآن ونفي التشبيه وعرض عليه التوبة ومكنه من الرجوع إلى الحق فأبى إلا المعاندة والتصريح[2] .

المتوكل :

كان المتوكل على نقيض أخيه وأبيه وعمه ، إذ أنه أهمل مذهب الاعتزال وأحيا

---

(١) الخطيب البغدادي ، المصدر المذكور آنفاً ج ٤ - ١٥٢ .

(٢) الطبري ، أبو جعفر ، المصدر المذكور آنفاً ج ٧ - ٣٢٩ .

السنة وكان متعصباً ضد العلويين فهدم قبر الحسين واضطهد العلويين وأشياعهم وشدد على أهل الذمة .

ويعتبر عهده عهد صراع مرير بينه وبين القواد الأتراك انتهى ـ لسوء الحظ ، بتغلب الأتراك عليه وقتلهم إياه . وقد افتتح المتوكل عهده برسوم أصدره إلى الآفاق يعلن توليه الخلافة وتلقبه بالمتوكل على الله ويطلب الا يخاطب إلا بذلك اللقب[1] .

ولقد حاول المتوكل أن يقلد جده الرشيد فقسم الامبراطورية بين أولاده الثلاثة : المنتصر والمعتز والمؤيد وجعل ولاية العهد من بعده للمنتصر ومن بعد المنتصر للمعتز ومن بعد المعتز المؤيد . ولكن هذا تقليد سيء لأن الرشيد أخطأ في ذلك مما أدى إلى الحرب الأخوية بين الأمين والمأمون كما رأينا ، وقد أخذ المتوكل عليهم من العهود ما أخذه الرشيد على أولاده وخصص وعين وحذر وأوعد واستشهد بآي الذكر الحكيم ، ولكن جميع ذلك كان دون جدوى إذ لم ينفذ شيء من ذلك .

أضف إلى ذلك أن المتوكل غفل عن نقطة مهمة جداً في الموضوع وهي أن عصره غير عصر جده الرشيد وأن المتوكل غير الرشيد ، وأن القوى المسيطرة في عهده هو غير القوى التي كانت مسيطرة في عهد جده الرشيد ، ولذلك كان تقسيمه هذا حبراً على ورق ولم يأخذه أحد بعين الاعتبار وسقط بعيد وفاة المتوكل[2] .

أما منشوره الذي أصدره من أجل معاملة أهل الذمة ، فلا يحوي إلا تعليمات تتعلق

(١) ابن مسكويه ، ابو علي احمد بن محمد ، تجارب الامم وتعاقب الهمم ، تحقيق دي غويه ودي يونج . ليدن ، بريل ، ١٨٦٩م ج٦ الجزء السادس ص ٢٣٦ .

(٢) الطبري ، أبو جعفر ، المصدر المذكور آنفاً ج ٨ ٣٥٨-٣٦٢ .

بلباسهم ـ لبس الطيالس العسلية أو تركيب خرقتين لونها عسلي لمن لم يستطع لبس الطيالس ، ووضع أزرة على القلانس يخالف لونهـا لون القلنسوة ، واتخاذ أكرة من خشب تنصب على قرابيس سرجهم ، وأن يؤخذ عبيدهم وإمائهم ومن يلبس المناطق من تلك الطبقة بشد الزنانير والكساتيج مكان المناطق[1]...

هذا مع العلم أن كتب التاريخ تذكر أنــه أمر ألا يظهروا احتفالاتهم وألا يظهروا صلبانهم وألا يرفعـوا أصوات نواقيسهم ، وألا يُستخدموا في الأمور التي يكون لهم فيها يد على المسلمين وغير ذلك ممـا لا وجود له البتة في منشوره هذا ، ولا ندري أيها أصدق المنشور أم الأخبار التي يوردها المؤرخون ؟ .



(١) نفس المصدر ، جـ ٧ ٣٥٦-٣٥٧ .

القسم الثاني

نصوص الوثائق

ـ الدعوة العباسية ـ

الخطب

١ ـ خطبة مزيد بن شفيق السلمي في وفود ربيعة ومضر عند أبي مسلم الخراساني في خراسان :

قوي أمر أبي مسلم حتى لجأ إليه المضرية واليمانية في خراسان كل يطلب نصره ضد الآخر . ولقد مال أبو مسلم للتحالف مع ربيعة ضد مضر، ولكنه طلب من الطرفين أن يرسلا إليه الوفود للتفاوض ، وتقدم في نفس الوقت إلى الشيعة أن ترجح التحالف مع ربيعة ضد مضر . ولقد حضرت الوفود وتكلم الخطباء وكان مزيد بن شفيق السلمي ممن تكلم فقال :

مضر قتلة آل النبي ﷺ وأعوان بني أمية وشيعة مروان الجعدي ، ودماؤنا في أعناقهم وأموالنا في أيديهم والتباعات قبلهم ، ونصر بن سيار عامل مروان على خراسان ينفذ أموره ويدعو له على منبره ويسميه أمير المؤمنين ، ونحن من ذلك إلى الله براء ، وإن يكون مروان أمير المؤمنين ، وإن يكون نصر على هدى وصواب . وقد اخترنا علي بن الكرماني وأصحابه من قحطان وربيعة

تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٦ ـ ٤٤ .

٢ ـ خطبة قحطبة في أهل خراسان الموالين للعباسيين قبل المعركة :

أرسل نصر بن سيار أحد قواده لمحاربة أنصار العباسيين فالتقى بهم بقيادة قحطبة قرب جرجان . ويبدو أن المسودة هابوا الأمويين ، وكان التقاؤهم بهم يوم جمعة من مستهل ذي الحجة سنة ١٣٠ هـ . فجمع قحطبة أنصاره وخطبهم قائـــلا :

يا أهل خرسان: هذه البلاد كانت لآبائكم الأولين وكانوا ينصرون على عدوهم لعدلهم وحسن سيرتهم حتى بدلوا وظلموا فسخط الله عز وجل عليهم فانتزع سلطانهم وسلط عليهم أذل أمة كانت في الأرض عندهم فغلبوهم على بـــلادهم واستنكحوا نساءهم واسترقوا أولادهم ، فكانوا بذلك يحكمون بالعدل ويوفون بالعهد وينصرون المظلوم ، ثم بدلوا وغيروا وجاروا في الحكم وأخافوا أهـــل البر والتقوى من عترة رسول الله ﷺ فسلطكم عليهم لينتقم منهم بكم ليكونوا أشد عقوبة لأنكم طلبتموهم بالثأر ، وقد عهد إلى الإمام أنكم تلقونهم في مثل هذه العدة فينصركم الله عزوجل عليهم فتهزمونهم وتقتلونهم .

٣ ـ خطبة قحطبة قبيل المعركة مباشرة صباح يوم الجمعة :

يا أهل خراسان : إن هذا يوم قد فضله الله تبارك وتعالى على سائر الأيام ، والعمل فيه مضاعف وهـو شهر عظيم فيه أعظم أعيادكم عند الله عز وجل . وقد أخبرنا الإمام أنكم تنصرون في هذا اليوم من هـــذا الشهر على عدوكم ، فالقوهم بجد وصبر واحتساب فإن الله مع الصابرين .

تاريخ الأمم والملوك للطبري ٦ حـ ٥٥ ـ ٥٦

٤ - خطبة أخرى لقحطبة في عسكره بعد أن هزم ابن هبيرة وتحصن الأخير في واسط وقد عزم قحطبة أن يعبر بالجيش نهر الفرات :

أيها الناس : إنا والله ما خرجنا إلا لإقامة الحق وإزالة دولة الباطل ، وقد أعلمتكم أن الإمام محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أعلمني انني القى نباتة ابن حنظلة الكلابي وعامر بن خبارة المري فاهزمهما واستبيح عسكرهما وأقتل مقاتلتهما ، وانبأتكم بذلك قبل كونه ، وقد رأيتم صدق ما خبرتكم ، وإن الإمام أعلمني أني لا أعبر الفرات وانكم تعبرونه فلا يفقد من الجيش أحد غيري وإنه والله لاكذب فيما قال . فإذا فقدتموني فأمير الناس حميد بن قحطبة ، فإن غاب فالحسن بن قحطبة ، والسلام على من اتبع الهدى ورحمة الله وبركاته .

تاريخ اليعقوبي ح٢ - ٣٤٤

٥ - خطبة السفاح لما أعلن نفسه خليفة سنه ١٣٢ هـ في الكوفة :

صعد المنبر حتى أعلاه وصعد عمه داود بن علي فجلس دونه وتكلم أبو العباس فقال :

الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه فكرمه وشرفه وعظمه واختاره لنا وأيده بنا وجعلنا أهله وكهفه وحصنه والقوام به والذابين عنه والناصرين له وألزمنا كلمة التقوى وجعلنا احق بها وأهلها وخصنا برحم رسول الله ﷺ وقرابته وانشأنا من آبائه وأنبتنا من شجرته واشتقنا من نبعته جعله من أنفسنا عزيزاً عليه ما عنتنا حريصاً علينا بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً ، ووضعنا من الإسلام وأهله بالموضع الرفيع وأنزل بذلك على أهل الإسلام كتاباً يتلى عليهم فقال عز من قائل فيما أنزل من محكم القرآن : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل

البيت ويطهركم تطهيراً[1] . وقال : قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى [2] . وقال : وأنذر عشيرتك الأقربين [3] . وقال : ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى [4] . وقال : واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى [5] .
فأعلمهم جل ثناؤه فضلنا وأوجب عليهم حقنا ومودتنا وأجزل في الفيء والغنيمة نصيبنا تكرمة لنا وفضلاً علينا والله ذو الفضل العظيم . وزعمت السبائية الضلال أن غيرنا أحق بالرئاسة والسياسة والخلافة منا ، فشاهت وجوههم ، وبِمَ ولِمَ أيها الناس ، وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم وبصرهم بعد جهالتهم وأنقذهم بعد هلكتهم وأظهر بنا الحق وأدحض الباطل وأصلح بنا منهم ما كان فاسداً ورفع بنا الخسيسة وتمم بنا النقيصة وجمع الفرقة حتى عاد الناس بعد العداوة أهل تعاطف وبر ومواساة في دينهم ودنياهم وإخواناً على سرر متقابلين في آخرتهم . فتح الله ذلك منة ومنحة لمحمد ﷺ . فلما قبضه الله إليه قام بذلك الأمر من بعده أصحابه وأمرهم شورى بينهم ، فحووا مواريث الأمم فعدلوا فيها ووضعوها مواضعها وأعطوها أهلها وخرجوا خماصاً منها . ثم وثب بنو حرب ومروان فابتزوها وتداولوها بينهم ، فجاروا فيها واستأثروا بها وظلموا أهلها فأملى الله لهم حيناً حتى أسفوه ، فلما أسفوه انتقم منهم بأيدينا ورد علينا حقنا وتدارك بنا أمتنا وولى نصرنا والقيام بأمرنا ليمن بنا على الذين استضعفوا في الأرض وختم بنا كما افتتح بنا ، وإني لأرجو

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٣٣ .
(٢) سورة الشورى ، الآية ٢٣ .
(٣) سورة الشعراء ، الآية ١١٤ .
(٤) سورة الحشر ، الآية ٧ .
(٥) سورة الأنفال ، الآية ٤١ .

أن لا يأتيكم الجور من حيث أتاكم الخير ولا الفساد من حيث جاءكم الصلاح ، وما توفيقنا – أهل البيت – إلا بالله . يا أهل الكوفة : أنتم على محبتنا ومنزل مودتنا . أنتم الذين لم تتغيروا عن ذلك ، ولم يثنكم عن ذلك تحامل أهل الجور عليكم حتى أدركتم زماننا وآتاكم الله بدولتنا فأنتم أسعد الناس بنا وأكرمهم علينا وقد زدتكم في أعطياتكم مائة درهم فاستعدوا فأنا السفاح المبيح والثائر المبير .

٦ – خطبة داود بن علي :

كان السفاح موعوكاً فاشتد به الوعك فأنهى خطبته وجلس وقام عمه داود ابن علي فأكمل خطبته فقال : الحمد لله شكراً شكراً الذي أهلك عدونا وأصار إلينا ميراثنا من نبينا محمد ﷺ . أيها الناس : الآن أقشعت حنادس الدنيا وانكشف غطاؤها وأشرقت أرضها وسماؤها وطلعت الشمس من مطلعها وبزغ القمر من مبزغه وأخذ القوس باريها وعاد السهم إلى منزعه ورجع الحق إلى نصابه في أهل بيت نبيكم أهل الرأفة والرحمة بكم والعطف عليكم . أيها الناس : إنا والله ما خرجنا في طلب هذا الأمر لنكثر لجيناً ولا عقياناً ولا نحفر نهراً ولا نبني قصراً ، وإنما أخرجنا الأنفة من ابتزازهم حقنا والغضب لبني عمنا وما كرثنا من أموركم وبهظنا من شؤونكم . ولقد كانت أموركم ترمضنا ونحن على فرشنا ويشتد علينا سوء سيرة بني أمية فيكم وخرقهم بكم واستذلالهم لكم واستئثارهم بفيئكم وصدقاتكم ومغانمكم عليكم . لكم ذمة الله تبارك وتعالى وذمة رسوله ﷺ وذمة العباس رحمه الله أن نحكم فيكم بما أنزل الله ونعمل فيكم بكتاب الله ونسير في العامة منكم والخاصة بسيرة رسول الله ﷺ . تباً تباً لبني حرب بن أمية وبني مروان آثروا في مدتهم وعصرهم العاجلة على الآجلة والدار الفانية على الدار الباقية ، فركبوا

الآثام وظلموا الأنام وانتهكوا المحارم وغشوا الجرائم وجاروا في سيرتهم في العباد وسننهم في البلاد التي بها استلذوا الشر بـــل الأوزار وتجليب الآصار ومرحوا في أعنة المعاصي وركضوا في ميادين الغي جهلاً باستدراج الله وأمناً لمكر الله ، فأتاهم بأس الله بياتاً وهم نائمون فأصبحوا أحاديث ومزقوا كل ممزق فبعداً للقوم الظالمين [١] . وادالنا الله من مروان وقد غره بالله الغرور وأرسل لعدو الله في عنانه حتى عثر في فضل خطامه ، فظن عدو الله أن لن نقـــدر عليه فنادى حزبه وجمـع مكايده ورمى بكتائبه فوجد أمامه ووراءه وعـن يمينه وشماله من مكر الله وبأسه ونقمته مـــا أمات باطله ومحق ضلاله وجعل دائرة السوء به وأحيا شرفنا وعزنا ورد إلينا حقنا وإرثنا . أيها الناس : إن أمير المؤمنين ـ نصره الله نصراً عزيزاً ـ إنما عاد إلى المنبر بعد الصلاة ، إنـه كره أن يخلط بكلام الجمعة غيره ، وإنمـا قطعه عن استتمام الكلام بعد أن استحنفر [٢] فيـه شدة الوعك ، وأدعوا الله لأمير المؤمنين بالعافية فقـــد أبدلكم الله بمروان عدو الرحمن وخليفة الشيطان المتبع للسفلة الذين أفسدوا في الأرض بعـد صلاحها بابدال الدين وانتهاك حريم المسلمين الشاب المكتهل المتمهل المقتدي بسلفه الأبرار الأخيار الذين أصلحوا الأرض بعد فسادها بمعالم الهدى ومناهج التقوى .

فضج الناس بالدعاء .. ثم تابع قوله :

يا أهل الكوفة : إنا والله ما زلنا مظلومين مقهورين على حقنا حتى أتاح الله لنا شيعتنا أهـل خراسان فأحيا بهم حقنا وأفلج بهم حجتنا وأظهر بهم دولتنا وأراكم الله ما كنتم به تنتظرون وإليه تتشوفون فأظهر فيكم الخليفة من هاشم

---

(١) سورة المؤمنون ، الآية ٤١ .

(٢) اسرع فيه .

وبيض له وجوهكم وأدالكم على أهل الشام ونقل إليكم السلطان وعز الإسلام ومن عليكم بإمام منحه العدالة وأعطاه حسن الإيالة فخذوا مـا آتاكم الله بشكر والزموا طاعتنا ولا تخدعوا عن أنفسكم فإن الأمر أمركم ، فإن لكل أهل بيت مصراً وأنتم مصرنا . ألا وإنه ما صعد منبركم هذا خليفة بعـد رسول الله ﷺ إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأمير المؤمنين عبد الله بن محمد – وأشار بيده إلى أبي العباس – فأعلموا أن هذا الأمر فينا ليس بخارج منا حتى نسلمه إلى عيسى بن مريم ﷺ ، والحمـد لله رب العالمين على ما أبلانا وأولانا [1] .

تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٦ ٨٢ – ٨٤

الوصايا

٧ – وصية إبراهيم الإمام لأبي مسلم لما ولاه أمر الحركة العباسية في خراسان .

جمع إبراهيم الدعاة وخاطب أبا مسلم أمامهم بقوله :

يا أبا عبد الرحمن : إنك رجل منا أهل البيت فاحفظ وصيتي : فانظر هذا الحي من اليمن فأكرمهم فإن الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم . وانظر هـذا الحي من ربيعة فإنهم معهم ، وانظر هـذا الحي من مضر فإنهم العدو القريب الدار فاقتل من شككت في أمره ومن وقع في نفسك تهمة .

فقال أبو مسلم : أيها الإمام فإن وقع في انفسنا من رجل هو على غير ذلك احبسه حتى نستبينه ؟

---

(١) أورد ابن الاثير نصاً مشابهاً كل المشابهة لهذه الخطبة جـ ٥ ١١ ٤١١–٤١٥ وتورد بقية المصادر نص الخطبتين بشكل مختصر بعض الاختصار . ويورد الجاحظ في البيان والتبيـين جـ ١ – ٣٣٢ نصاً مختصراً لخطبة داود بن علي على أنها خطبته في أهل مكة ، وكذلك يفعل المبرد في الكامل جـ ٣ – ١٢١٨ .

فقال ابراهيم : لا السيفَ السيفَ . ثم قال للشيعة :

من أطاعني فليطلع هـذا - يعني أبا مسلم - ومن عصاه فقد عصاني .

ثم قـال :

إن استطعت ألا تدع بخراسان أرضاً فيها عربي فافعل ، وأيما غلام بلـغ خمسة أشبار فاتهمته فاقتله ، ولا تخالف هذا الشيخ - يعني سليمان بن كثير - ولا تعصه (١) .

الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج٢ - ٢١٨

٨ - نص بيعة أبي مسلم للهاشمية :

أبايعكم على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ والطاعة للرضا من آل بيت رسول الله ﷺ ، عليكم بذلك عهد الله وميثاقه والطلاق والعتاق والمشي إلى بيت الله وعلى أن لا تسألوا رزقاً ولا طمعاً حتى يبدأكم به ولاتكم ، وان كان عدو أحدكم تحت قدمه فلا تهيجوه إلا بأمر ولاتكم .

تاريخ الأمم والملوك ج٦ ٤٥ - ٤٦

(١) أورد الطبري نصاً مشابهاً بعض المشابهة لهذه الوصية ج٦ ١٤-١٥ على حين يورد صاحب كتاب العيون والحدائق نصاً مخالفاً لهذا النص نورده لأهميته وذلك في ج٣ - ١٨٤ :
يا أبا عبد الرحمن إنك منا أهل البيت احفظ وصيتي وانظر هذا الحي من اليمين فأكرمهم وحل بين أظهرهم فان الله عز وجل لايتم هذا الأمر إلا بهم ، وربيعة فاتهمهم وكذلك مضر فهم العدو القريب الدار واقتل من شككت في أمره ولا تخالف أمر هذا الشيخ سليمان بن كثير ، وإذا أشكل عليك أمر فاكتف به مني .

الرسائل

– بين مروان بن محمد والآخرين –

– رسائل نصر بن سيار إلى مروان يخبره بأمر المسودة ويطلب منه المدد وأجوبة بعضها –

٩ – رسالة نصر إلى مروان يخبره بأمر ابي مسلم ويطلعه على حقيقة الدعوة العباسية ويطلب منه المدد :

إن المحصي المقلل لهم يزعم أنه قد بايعه مائتا ألف رجل من أقطار خراسان، فتدارك يا أمير المؤمنين أمرك وابعث إلي بجنود من قبلك يقوَ بهم ركني وأستمد بهم على محاربة من خالفني . وكتب في أسفل كتابه :

أرى تحت الرماد وميض جمر ... ويوشك أن يكون لــه ضرام
فإن النـــار بالعودين تذكى ... وإن الشر مبــدأه كلام
وقلت من التعجب ليت شعري ... أأيقاظ أمية أم نيــام
فإن يقظت فذاك بقاء ملك ... وإن رقدت فإني لا أنــام
فأن يك اصبحوا وثووا نياماً ... فقــل قوموا فقد حان القيام[1]

١٠ – رسالة أخرى من نصر الى مروان يحثه على النجدة :

يا أيهـــا الملك الواني بنصرته ... قد آن للأمر أن يأتيك من كثب
أضحت خراسان قد باضت صقورتها ... وفرخت في نواحيها بـلا رهب
فـإن يطرن ولم يحتل لهن بها ... يلهبن نيران حرب أيمـا لهب

---

(١) ورد نص هذه الأبيات في كثير من المصادر كمروج الذهب حـ٣ - ٢٥٥ والطبري حـ٦ ٣٦-٣٧ والفخري ص ١١٤ وابن خلكان حـ٢ - ٣٢٧ .. وهناك اختلافات يسيرة في نصوصها . وقد وردت هذه الابيات في الاغاني حـ٦ - ١٢٨ على أنها رسالة نصر بن سيار الى الوليد بن يزيد بن عبد الملك .

١١ - رسالة ثالثة من نصر إلى مروان لما أبطأ عليه الغوث :

من مبلغ عـــني الإمام الذي قـــام بأمر بين ساطـــع
إني نـــذير لك من دولة قام بها ذو رحم قاطع
والثوب إن أنهج فيـه البلى أعيا على ذي الحيلة الصانع
كنا نداريها فقـد مزقت واتسع الخرق على الراقع

الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدنيوري ٣٠٤ - ٣٠٦

١٢ - رسالة نصر إلى زعماء ربيعـــة ومضر يحذرهم امر أبي مسلم ويدعوهم إلى التحالف ونبذ الأحقاد :

أبلغ ربيعة في مرو وأخوتهـــا أن يغضبوا قبـل ألا ينفع الغضب
ما بالـــكم تلقحون الحرب بينكم كأن أهـل الحجا عن فعلكم غيب
وتتركون عدواً قـــد أظلكم ممن تـــأشب لا دين ولا حسب
ليسوا الى عرب منـــا فنعرفهم ولا صميم الموالي إن هم نسبوا
قوما يدينون ديناً ما سمعت بـــه عن الرسول ولا جاءت به الكتب
فمن يكن سائـلا عن أصل دينهم فإن دينهم أن تقتل العرب

الأخبار الطول لأبي حنيفة الدنيوي ص ٣٠٧

١٣ - رسالة جوابية من مروان بن محمـــد إلى نصر بن سيار على رسائلـــه السابقة :

إن الشاهد يرى ما لا يراه الغائب فاحسم الثؤلول قبلك .

مروج الذهب للمسعودي ج ٣ - ٢٥٦ .

١٤ ـ رسالة نصر بن سيار إلى يزيد بن عمر بن هبيرة يطلب منه المدد بعد أن يأس من الخليفة :

أبلغ يزيد ، وخير القول أصدقه — وقد تبينت ألا خير في الكذب
إن خراسان أرض قد رأيت بها — بيضاً لو أفرخ قد حدثت بالعجب
فراخ عامين إلا أنها كبرت — لما يطرن وقد سربلن بالزغب
فإن يطرن ولم يحتل لهن بها — يلهبن نيران حرب أيما لهب[١]

تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٦ ـ ٣٧

١٥ ـ رسالة من نصر بن سيار إلى مروان يخبره أن ابن هبيرة اعتقل رسله الذين أرسلهم إليه يطلب منه المدد :

إني وجهت إلى ابن هبيرة قوماً من وجوه أهل خراسان ليعلموه أمر الناس من قبلنا وسألته المدد فاحتبس رسلي ولم يمدني بأحد ، وإنما أنا بمنزلة من أخرج من بيته إلى حجرته ، ثم أخرج من حجرته إلى داره ، ثم أخرج من داره إلى فناء داره ، فإن أدركه من يعينه فعسى أن يعود إلى داره وتبقى له ، وإن أخرج من داره إلى الطريق فلا دار له ولا فناء .

تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٦ ـ ٦٣

١٦ ـ رسالة مروان إلى ابن هبيرة لما وصلته رسالة نصر الأخيرة :

... فإن أهل خراسان قد كذبتهم حتى ما رجل منهم يصدق لي قولاً ، فأمدني بعشرة آلاف قبل أن تمدني بمائة ألف ثم لا تغني شيئاً .

تاريخ الامم والملوك للطبري ج ٦ ـ ٦٣

(١) ورد نفس النص ـ مع شيء من الخلاف ـ في مروج الذهب للمسعودي جـ٣ ـ ٢٥٧

١٧ - رسالة نصر الأخيرة إلى مروان بعد أن منع المدد وهرب أمام أبي مسلم وترك خراسان :

إنا وما نكتم من أمرنا كالثور إذ قرب للناخع[١]
أو كالتي يحسبها أهلها عذراء بكراً وهي في التاسع
كنا نرفيها فقد مزقت واتسع الخرق على الراقع
كالثوب إذا أنهج فيه البلى أعيا على ذي الحيلة الصانع

مروج الذهب للمسعودي ج ٣ - ٣٥٨

١٨ - رسالة مروان بن محمد إلى عامله على دمشق الوليد بن معاوية ابن عبد الملك يطلب منه اعتقال إبراهيم الامام وإرساله إليه في حران وذلك بعد افتضاح أمر إبراهيم :

اكتب إلى عاملك بالبلقاء ليسير إلى الحميمة فيأخذ إبراهيم بن محمد فيشده وثاقاً ثم يبعث به إليك ثم وجهه إلي[٢] .

العقد الفريد لأبن عبد ربه ج ٤ - ٤٧٩

ـ رسائل بين العباسيين أنفسهم وبينهم وبين خصومهم ـ

١٩ ـ رسالة إبراهيم الامام إلى أبي مسلم يأمره بقتل رسوله إليه

أرسل أبو مسلم رسالة إلى إبراهيم مع رسول فوجده أعرابياً فصيحاً ففمه ذلك فكتب إلى أبي مسلم :

ألم أنهك أن يكون رسولك أعرابياً يطلع على أمرك فإذا أتاك فاقتله .

وكانت هذه الرسالة سبب مقتل إبراهيم ، ذلك أن الأعرابي شك في الأمر فاطلع على الخطاب وأوصله إلى مروان فقبض على إبراهيم وقتله .

تاريخ الإسلام للذهبي ج ٥ - ٢٢٢

---

(١) الناخع : الشخص الذي يستخرج مخ الثور بعد ذبحه .
(٢) اورد ابن قتيبة في الامامة والسياسة حـ٢ - ٢٢١ نصاً مشابهاً لنصنا هذا .

٢٠ - رسالة إبراهيم الإمام إلى أبي مسلم سنة ١٢٩ هـ يطلب منـــه الجهر بالدعوة :

إني قـد بعثت إليك براية النصر فارجع من حيث ألفاك كتابي ووجـه إلى قحطبة بما معك يوافيني به في الموسم .

٢١ - رسالة إبراهيم الإمام إلى سليمان بن كثير يطلب منه أن يظهر الدعوة

أظهر دعوتك ولا تربص فقد آن ذلك(١) .

تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٦ - ٢٣ - ٢٤

٢٢ - رسالة أبي مسلم الخراساني الى نصر بن سيار لما أظهر دعوته :

كان أبو مسلم - قبل إظهار أمره - يكتب إلى نصر فيلقبه بالأمير ويبـدأ به ، فلما قرر إظهار الدعوة العباسية أرسل له رسالة غليظة بدأ فيها بنفسه ولم يلقبه بالأمير ثم قال :

أما بعد : فإن الله تباركت اسماؤه وتعالى ذكره قـد عير أقواماً في القرآن فقال : وأقسموا بالله جهد إيمانهم لـئن جاءكم نـذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم ، فلما جاءكم نذير ما زادهم إلا نفوراً ، استكباراً في الأرض ومكـر السيء ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله فهـل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجـد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً (٢) .

تاريخ الأمم والملوك للطبري حـ ٦ - ٢٦

---

(١) اورد صاحب كتاب العيون والحدائق حـ٣ - ١٨٦ نصاً مشابهاً ولكنه ذكر ان الامام وجه هذه الرسالة الى ابي مسلم .

(٢) سورة فطر ، الآية ٤٣ . أورد صاحب كتاب العيون والحدائق النص السابق مع شيء يسير جداً من الاختلاف حـ٣ - ١٨٨ .

٢٣ ـ رسالة إبراهيم الامام إلى اصحابه يخبرهم أنه ولى أبا مسلم رئاسة الدعوة في خراسان :

إني قد أمرته بأمري فاسمعوا منه واقبلوا قوله فإني قد أمرته على خراسان وما غلب عليه بعد ذلك .

تاريخ الأمم والملوك للطبري حـ ٦ ـ ١٤

٢٤ ـ رسالة أبي مسلم إلى قحطابة لما تحارب هذا الأخير مع الأمويين قبل عبور الفرات وجوابها :

أرسل له أبو مسلم يقول : إني قد أعددت لك من المنازل .

فأجابه قحطبة : أيها الوزير ، لئن لقيتك إذاً إن لبني أمية بعدُ لبقاءً .

تاريخ اليعقوبي حـ ٢ ـ ٣٤٤

٢٥ ـ رسالة أبي مسلم الى أنصار نصر بن سيار والى انصار الكرماني وأولاده يحرض بعضهم ضد بعض :

تحارب نصر بن سيار والكرماني وأراد أبو مسلم أن يزيدهم عداوة فجعل يكتب إلى نصر بن سيار وأنصاره ويجعل الكتاب يقع بيد الكرماني وأنصاره والعكس تماماً صحيح .

رسالته إلى نصر وقد وقعت بيد اليمانية : إني رأيت أهل اليمن لا وفاء لهم ولا خير فيهم فلا تثقن بهم ولا تطمئن إليهم فإني أرجو أن يريك الله ماتحب ولئن بقيت لا أدع لهم شعراً ولا ظفراً .

تاريخ الأمم والملوك للطبري حـ ٦ ـ ٣٦

٢٦ – رسالة شفوية من أبي مسلم الى علي بن الكرماني لما بلغه أن علياً قد اصطلح مع نصر بن سيار :

يقول لك أبو مسلم : أما تأنف من مصالحة نصر بن سيار وقد قتل بالأمس أباك وصلبه ؟ ما كنت أحسبك تجامع نصر بن سيار في مسجد تصليان فيه .

تاريخ الأمم والملوك للطبري حـ ٦ – ٤٣

٢٧ - رسالة آل العباس إلى أبي سلمة الخلال لما قدموا الكوفة هرباً من مروان بعد اعتقاله إبراهيم الإمام :

هرب أخوة إبراهيم وآله ولجأوا إلى شيعتهم في الكوفة ، ولكن أبا سلمة الخلال انزلهم في قصر مقاتل على بعد مرحلتين من الكوفة ، غير أن الجماعة تخوفت من الجيش الأموي فكتبوا إلى أبي سلمة :

إنا في برية ولانأمن قصد جيوش الشام إيانا لأنهم بهيث على ثلاث مراحل منا .

كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري ص ٥٦ .

٢٨ - رسالة مروان بن محمد إلى عبد الله بن علي :

انهزم مروان أمام جند العباسيين فكتب إلى عبد الله بن علي ،

إني لأظن هذا الأمر إلا صائراً إليكم ، فإذا كان ذلك فاعلم أن حرمنا حرمكم .

٢٩ ـ جواب عبد الله بن علي إلى مروان :

إن الحق لنا في دمك وإن الحق علينا في حرمك .

عيون الأخبار لابن قتيبة حـ١ ـ ٢٠٥

٣٠ – رسالة صالح بن علي الى أبي العباس السفاح يخبره بقتل مروان الجعدي في مصر :

إلى أمير المؤمنين أبي العباس : إنا اتبعنا عدو الله الجعدي حتى ألجأناه إلى أرض عدو الله شبيهه فرعون فقتلته بأرضه .

تاريخ الأمم والملوك للطبري ﺟ ٦ – ٩٦



أبو العباس السفاح

١٣٢ - ١٣٦ هـ / ٧٥٠ - ٧٥٤ م

ـ الخطب ـ

ـ خطب أبي العباس ـ

٣١ - خطبة أبي العباس الثانية في أهل الكوفة :

يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، والله لا أعدكم شيئاً ولا أتوعدكم إلا وفيت بالوعد والوعيد ، ولأعملن اللين حتى لا تنفع إلا الشدة ، ولاغمدن السيف إلا في إقامة حد أو بلوغ حق ولاعطينكم حتى أرى العطية ضياعاً . إن أهـل بيت اللعنة والشجرة الملعونة في القرآن كانوا لكم أعداء لا يرجعون معكم من حالة إلا إلى ما هو أشد منها، ولا يلي عليكم منهم وال إلا تمنيتم من كان قبله وإن كان لا خير في جميعهم ، منعوكم الصلاة في أوقاتها وطالبوكم بأدائها في غير وقتها ، وأخذوا المدبر بالمقبل والجار بالجار وسلطوا أشراركم على خياركم ، فقد محق الله جورهم وأزهق باطلهم بأهل بيت نبيكم ، فما نؤخر لكم عطاءً ولا نضيع لأحد منكم حقاً ولا نجهزكم في بعث ولا نخاطر بكم في قتال ولا نبذلكم دون أنفسنا ، والله على ما نقول وكيل بالوفاء والاجتهاد وعليكم بالسمع والطاعة .

شرح نهج البلاغة لإبن ابي الحديد جـ ٢ ـ ٣١٣

٣٢ - خطبة لأبي العباس في الشام :

خطب السفاح في الشام لما قتل مروان بن محمد فقال :

ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفـــراً وأحلوا قومهم دار البوار جهنم

يصلونها وبئس القرار (١) . نكص بكم يا أهل الشام آل حرب وآل مروان يتسكعون بكم الظلم ويتهورون بكم مداحض الزلق ، يطئون بكم حرم الله وحرم رسوله. ماذا يقول زعماؤكم غداً؟ يقولون: ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار ! إذاً يقول الله عز وجل : لكل ضعف ولكن لا تعلمون .

أما أمير المؤمنين فقد أئتنف بكم التوبة واغتفر لكم الزلة وبسط لكم الإقامة وعاد بفضله على نقصكم وبحلمه على جهلكم فلتفرخ روعكم ولتطمئن به داركم ، وليقطع مصارع أولئكم ؛ فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا .

العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٤ - ٩٧

٣٣ - خطبة السفاح لما ارتج عليه :

صعد أبو العباس السفاح المنبر فارتج عليه فقال :

أيها الناس : إنما اللسان بضعة من الإنسان يكل إذا كل وينفسح بانفساحه إذا انفسح ، ونحن أمراء الكلام منا تفرعت فروعه ، وعلينا تهدلت غصونه ألا وإنا لا نتكلم هذراً ولا نسكت إلا معتبرين .

امالي المرتضى ج ٢ - ١٠٣

- خطب أقربائه وولاته -

٣٤ - خطبة داود بن علي لما ارتج على السفاح :

أراد السفاح ذات مرة الكلام فأرتج عليه فقال داود بن علي بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

إن أمير المؤمنين الذي قلده الله سياسة رعيته عقل من لسانه عندما تعهد

(١) سورة ابراهيم ، الآية ٢٩ .

من بيانه، ولكل مرتق بهر حتى تنفسه العادات فأبشروا بنعمة الله في صلاح دينكم ورغد عيشكم .

أمالي المرتضى ح ٢ - ١٠٣

٣٥ - خطبة داود بن علي في مكة المكرمة لما قدمها والياً عليها :

قضي الأمر وقتل مروان بن محمد وانتقلت الخلافة إلى آل العباس وأرسل السفاح عمه داود بن علي والياً على الحجاز فأتى مكة المكرمة وخطب فيها خطبة مشهورة ذكر فيها الناس ما فضلهم الله به ثم قال :

إنما كانت لنا فيكم تبعات وطلبات وقد تركنا ذلك كله وأنتم آمنون بأمان الله أحمركم وأسودكم وصغيركم وكبيركم ، وقد غفرنا التبعات ووهبنا الظلامات ، فلا ورب هذه البنية لا نهيج أحداً . وضرب بيده إلى الكعبة .

٣٦ - خطبة سديف بن ميمون بين يدي داود بن علي في مكة أثناء إلقائه خطبته سالفة الذكر :

وبينا داود يخطب إذ قام سديف بن ميمون فقال : أصلح الله الأمير ادنني منك واذن لي في الكلام . فقال : هلم . فصعد المنبر حتى كان دون داود بمرقاة ثم أقبل على الناس بوجهه فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد ثم قال : أيزعم الضلال ، خطئت أعمالهم ، إن غير آل رسول الله أولى بتراثه ؟ ولمَ وبمَ معاشر الناس ، ألكم الفضل بالصحابة دون ذوي القرابة ، الشركاء في النسب والورثة للسلب ، في ضربهم في الفيء لجاهلكم ، وإطعامهم في اللأواء جائعكم ، وإيمانهم بعد الخوف سائلكم ! لم ير مثل العباس بن عبد المطلب اجتمعت له الأمة بواجب حق الحرمة . أبو رسول الله بعد أبيه ، وجلدة ما بين عينيه يوم خيبر ، لا يرد له أمراً ولا يعصي له قسماً . إنكم والله ، معشر قريش ،

ما اخترتم لأنفسكم من حيث اختار الله لكم طرفة عين قط [1] .

تاريخ اليعقوبي حـ ٢ ٣٥١ – ٣٥٢

٣٧ – خطبة داود بن علي في المدينة المنورة :

أيها الناس : حتام يهتف بكم صريخكم ؟ أمـا آن لراقدكم أن يهب من نومه ؟ كلا ، بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون [2] . أغركم الإمهال حتى حسبتموه الإهمال ! هيهات منكم وكيف بكم والسوط في كفي والسيف مشهر .

حتى يبيـــد قبيلة فقبيلة ويعض كل مثقف بالهـــام
ويقمن ربات الخدور حواسراً يمسحن عُرض ذوائب الأيتام

العقد الفريد لابن عبد ربه حـ ٤ ١٠٠ – ١٠١

٣٨ – خطبة سليمان بن علي :

ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ، إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين [3] . قضاء مبرم وقول فصل ما هـو بالهزل . الحمد لله الذي صدق عبده وأنجز وعده وبعداً للقوم الظالمين الذين اتخذوا الكعبة غرضاً والفيء إرثاً والدين هزواً وجعلوا القرآن عضين لقـد حاق بهم ما كانوا به يستهزئون فكائن ترى من بئر معطلة وقصر مشيد ، ذلك بما قدمت أيديهم وأن الله ليس بظلام للعبيد . أمهلوا والله حتى نبـــذوا الكتاب واضطهدوا العترة ونبذوا السنة وعندوا فاعتدوا واستكبروا وخاب كل جبار عنيد ، ثم أخذهم فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً .

العقد الفريد لابن عبد ربه حـ ٤ – ٩٩

---

(١) أورد صاحب العقد الفريد حـ ٤ - ١٠١ نصاً مختلفاً كل الاختلاف لخطبة داود في مكة ، على حين يرد قسم منها في الطبري على أنها خطبته في الكوفة بعد ان توقف السفاح عن خطبته التي افتتح بها خلافته .

(٢) سورة المطففين ، الآية ١٤ .

(٣) سورة الانبياء ، الآية ١٠٦ .

٣٩ ـ خطبة صالح بن علي :

يا أعضاد النفاق وعبيد الضلالة ! أغركم لين أبساس وطول أيناس حتى ظن جاهلكم أن ذلك لفلول حد وفتور جد وخور قناة ؟ ! كذبت الظنون ، إنها العترة بعضها من بعض ، فإذا قد استوليتم العافية فعندي نصال وفطام وسيف يقد الهام ، وإني أقول :

أغـــركم أني بأكرم شيمة رفيق وإني بالفواحش أخرق
ومثلي إذا لم يجز احسن سعيه تكلم نعـــماه بفيها فتنطق
لعمري لقد فاحشتني فغلبتني هنيئاً مريئاً أنت بالفحش أرفق

العقد الفريد لابن عبد ربه حـ ٤ ـ ١٠٠

٤٠ ـ خطبة عبد الملك بن صالح بن علي :

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم . أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها (١) . يا أهل الشام : إن الله وصف إخوانكم في الدين وأشباهكم في الأجسام فحذرهم نبيه ﷺ فقال : وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم ، هم العدو فاحذرهم قاتلهـــم الله أنّى يؤفكون (٢) . فقاتلكم الله أنّى تصرفون . جثث وقلوب طائرة تشبون الفتن وتولون الدبر إلا عـــن حرم الله فإنه دريئتكم وحرم رسول الله فإنـــه مفزاكم . أما وحرمة البنوة والخلافة لتنفرن خفافاً وثقالاً أو لأوسعنكم إرغاماً ونكالاً .

العقد الفريد لابن عبد ربه حـ ٤ ٩٩ ـ ١٠٠

---

(١) سورة محمد ، الآية ٢٤ .

(٢) سورة المنافقون ، الآية ٤ .

٤١ ـ خطبة ابي مسلم في الحج لما حج زمن أبي العباس :

الحمد لله الذي حمد نفسه واختار الإسلام ديناً لعباده ، ثم أوحى إلى محمد رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك ما أوحى واختاره من خلقه، نفسه من أنفسهم وبيته من بيوتهم ، ثم أنزل عليه في كتابه الناطق الذي حفظه بعلمه وأشهد ملائكته على حقه قوله : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ، ثم جعل الحق بعد محمد ﷺ في أهل بيته فصبر من صبر منهم بعد وفاة رسول الله ﷺ على اللأواء والشدة وأغضى على الاستبداد والاثرة . ثم إن قوماً من أهل بيت رسول الله ﷺ جاهدوا على ملة نبيه وسنته بعد عصر من الزمان من عمل بطانة الشيطان وعداوة الرحمن بين ظهراني قوم آثروا العاجل على الآجل والفاني على الباقي ، إن رتق جور فتقوه ، أو فتق حق رتقوه أهل خمور وماخور وطنابير ومزامير ، إن ذكروا لم يذكروا أو قوموا الى الحق أدبروا وجعلوا الصدقات في الشبهات والمغانم في المحارم والفيء في الغي ، هكذا كان زمانهم وبه كان يعمل سلطانهم . وزعموا أن غير آل محمد أولى بالأمر منهم ، فَلِمَ وَبِمَ أيها الناس ؟ ! ألكم الفضل بالصحابة دون ذوي القرابة الشركاء في النسب والورثة في السلب مع ضربهم على الدين جاهلكم وإطعامهم في الجدب جائعكم . والله ما اخترتم من حيث اختار الله لنفسه ساعة قط ، وما زلتم بعد نبيه تختارون تيمياً مرة وعدوياً مرة وأموياً مرة وأسدياً مرة وسفيانياً مرة ومروانياً مرة حتى جاءكم من لا تعرفون اسمه ولا بيته يضربكم بسيفه فأعطيتموها عنوة وأنتم صاغرون . إلا أن آل محمد أئمة الهدى ومنار سبيل التقى القادة الذادة بنو عم رسول الله ومنزل جبريل بالتنزيل ، كم قصم الله بهم من جبار طاغ وفاسق باغ ، شيد الله بهم الهدى وجلى بهم العمى ، لم يسمع بمثل العباس ، وكيف لا تخضع له الأمم لواجب حق

الحرمة ، أبو رسول الله بعد أبيه وإحدى يديه وجلدة ما بين عينيه وأمينه يوم العقبة وناصره بمكة ورسوله إلى أهلها وحاميه يوم حنين عند ملتقى الفئتين ، لا يخالف له رسماً ولا يعصى له حكماً الشافع يوم نيق العقاب [1] إلى رسول الله ﷺ في الأحزاب . ها أن في هذا ، أيها الناس ، لعبرة لأولي الأبصار .

شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ح ٤ ٣١٥ - ٣١٦

ــ الحــوار ــ

٤٢ - حوار بين ابنة مروان بن محمد الكبرى وصالح بن علي :

قتل مروان وسير نساؤه وبناتــه إلى صالح بن علي فلما دخلن عليه تكلمت ابنــة مروان الكبرى فقالت : ياعم أمير المؤمنين : حفظ الله لك من أمرك ما تحب حفظه من بناتك وبنات أخيك وابن عمك ، فليسعنا من عفوكم ماوسعكم من جـورنا .

قال : والله لا أستبقي منكم أحداً ، ألم يقتل أبوك ابن أخي إبراهيم الإمام؟ ألم يقتل هشام بن عبد الملك زيد بن علي بن الحسين وصلبه في الكوفة ؟ ألم يقتل الوليد بن يزيد يحيي بن زيد وصلب في خراسان ؟ ألم يقتل ابن زياد الدعي مسلم ابن عقيل ؟ ألم يقتل يزيد بن معاوية الحسين بن علي وأهل بيته ؟ ألم يخرج إليه بحرم رسول الله ﷺ سبايا فوقفهن موقف السبي ؟ ألم يحمل رأس الحسين وقـد فرغ دماغه فما الذي يحملني على الإبقاء عليكن ؟ .

قالت : فليسعنا عفوكم .

قال : أما هذا فنعم ، وإن أحببت زوجتك ابني الفضل ؟

قالت : وأي عز خير من هذا ؟ بل تلحقنا بحران .

فحملهن إليها فلما دخلنها ورأين منازل مروان رفعن أصواتهن بالبكاء .

الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٥ - ٤٢٧ - ٤٢٨

---

(١) نيق العقاب : يوم فتح مكة شفع العباس لدى الرسول في أبي سفيان واهل مكة.

٤٣ ـ حوار إبنة مروان الكبرى مع عامر بن إسماعيل قاتل أبيها :

قتَل عامر بن إسماعيل مروان الجعدي ودخل بيته وركب سريره ودعا بعشائه وجعل رأس مروان في حجر ابنته وأقبل يوبخها فقالت له :

يا عامر : إن دهراً أنزل مروان عن فراشه وأقعـــدك عليه حتى تعشيت عشاءه لقد أبلغ في موعظتك وعمل في إيقاظك وتنبيهك إن عقلت وفكرت(١) .

شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ج ١ – ١٨٤

ـ الرسائـــل ـ

٤٤ ـ رسالة أبي العباس السفاح إلى عامر بن اسماعيل لمـــا بلغه فعله بمروان وابنة مروان وحوارها معه :

ويلك ؟ أما كان لك في أدب الله عز وجل ما يزجرك عن أن تـــأكل من طعام مروان وتقعـد على مهاده وتتمكن من وساده ؟ أما والله لولا أن أمير المؤمنين تـــأول ما فعلت على غير اعتقاد منك لذلك ولا شهوة لمسك من غضبه وأليم أدبه ما يكون لك زاجراً ولغيرك واعظاً . فإذا أتاك كتاب أمير المؤمنين فتقرب إلى الله تعالى بصدقة تطفيء بها غضبه وصلاة تظهر بها الاستكانة ،وصم ثلاثة أيام ومر جميع أصحابك أن يصوموا مثل صيامك .

مروج الذهب للمسعودي ج ٣ – ٢٧١

ـ أمر ابن هبيرة ـ

٤٥ ـ رسالة أبي العباس إلى الحسن بن قحطبة يخبره أنه جعل أخاه أبا جعفر قائداً للجيش المحاصر لابن هبيرة .

قتل مروان والتجأ ابن هبيرة إلى مدينة واسط وتحصن بهـــا وحاصره

(١) أورد السعودي في مروج الذهب حـ٣ – ٢٧١ نصا مشابها كل المشابهة لنصنا هذا.

العباسيون بقيادة الحسن بن قحطبة ، ولكن غيلان الخزامي كان واجداً على الحسن فسعى بـــه لدى السفاح حتى جعله يعين أخاه أبا جعفر أميراً على الجيش المحاصر لابن هبيرة ويرسل إلى الحسن الخطاب التالي :

العسكر عسكرك والقواد قوادك ولكن أحببت أن يكون أخي حاضراً فأحسن طاعته ومؤازرته .

كتاب العبر ... لابن خلدون ج ٣ - ٧٤

٤٦ ـ رسالة ابن هبيرة إلى المنصور وهو أمير :

أصبح المنصور قائد الجيش المحاصر لابن هبيرة وقال عن ابن هبيرة إنـــه يخندق على نفسه مثل النساء ، فبلغ قوله ابن هبيرة فأرسل إليه يقول :

أنت القائل كذا وكذا فابرز إلي لنرى

٤٧ ـ جواب المنصور :

ما أجد لك ولي مثلاً إلا كالأسد لقي خنزيراً فقال له الخنزير: بارزني ، فقال له الأسد : ما أنت لي بكفؤ فإن بارزتك فنالني منك شر كان ذلك عاراً عليّ ، وإن قتلتك قتلت خنزيراً فلم أحصل على حمد ولا في قتلك فخر. فقال له الخنزير: لئن لم تبارزني لأعرفن السباع إنك جبنت عني . فقال له الأسد : إحتمال عــار كذبك أيسر من تلطيخ براثني بدمك .

تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٦ - ١٠٧

٤٨ ـ نص كتاب أمان ابن هبيرة :

دارت مفاوضات بين المنصور وابن هبيرة حول استسلام الأخير وبعـــد مفاوضات طويلة استسلم ابن هبيره لقاء أمان كتب له بتوقيع المنصور نيابةعن الخليفة أخيه هذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من عبد الله بن محمد بن علي أبي جعفر ولي عهد المسلمين ليزيد بن عمر بن هبيرة ومن معه من أهل الشام والعراق وغيرهم في مدينة واسط وأرضها من المسلمين والمعاهدين ومن معهم من وزرائهم : أني أمنتكم بأمان الله الذي لا إله إلا هو الذي يعلم سرائر العباد وضمائر قلوبهم ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وإليه الأمر كله أماناً صادقاً لا يشوبه غش ولا يخالطه باطل على أنفسكم وذراريكم وأموالكم ، وأعطيت يزيد بن عمر بن هبيرة ومن آمنته في أعلى كتابي هذا بالوفاء، بما جعلت لهم من عهد الله وميثاقه الذي واثق بـه الأمم الماضية من خلقه وأخذ عليهم من أمره عهداً خالصاً مؤكداً ، وذمة الله وذمة محمد ومن مضى من خلفائه الصالحين وأسلافه الطيبين التي لا يسع العباد نقضها ولا تعطيل شيء منها ولا الإحتقار بها ، وبهـا قامت السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها تعظيماً لها، وبها حقنت الدماء ، وذمة روح الله وكلمته عيسى بن مريم وذمة إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وذمة جبريل وميكائيل واسرافيل ، وأعطيتك ما جعلت لك من هذه العهود والمواثيق ولمن معك من المسلمين وأهل الذمة بعد استشاري فيما جعلت لك منه عبد الله بن محمد أمير المؤمنين أعز الله نصره وأمر بانفاذه لكم ورضي به وجعله لكم على نفسه ويستلم ذلك من قبله من وزرائـه وقواده وأنصار الحق من شيعته من أهل خراسان ، فأنت وهم آمنون بأمان الله ليس عليك حـد ولا تؤاخذ بذنب أتيته وكنت عليه في خلاف أو مناؤة أو قتل أو زلة أو جرم أو جناية أو سفك دماء خطأ أو عمداً ، أو أمر سلف منك أو منهم صغيراً أو كبيراً في سر أو علانية ، ولا ناقض عليك مـا جعلت لك من أماني هذا ولم أخنك بـه ولا ناكث عنه ، وأذنت لك في المقام في المدينة الشرقية إلى الأجـل الذي سألت ثم أسلك حيث بـدا لك من الأرض آمنـاً مطمئناً مكاوياً أنت ومن سألته أن يؤذن له في المسير معك ومن تبعك

وأهل بيتك والخمس مائة رجل على ما سألت من دوابهم وسلاحهم ولباس البياض لا يخافون غدراً ولا إخفاراً بك حيث أحببت من بر أو بحر ، وأنزل حيث شئت من الأرض إلى أن تنتهي إلى منزالك من أرض الشام فأنت آمن بأمان الله ممن مررت بهم من عمالنا ومسالحنا ومراصدنا ليس عليك شيء تكرهه في سر وعلانية ، ولك الله الذي لا إله إلا هو لا ينالك من أمر تكرهه في ساعة من ساعات الليل والنهار ، ولا أدخل لك في أماني الذي ذكرت لك غشاً ولا خديعة ولا مكراً ، ولا يكون مني في ذلك دسيس لشيء مما تخافه على نفسك ولا خديعة في مشرب ولا مطعم ولا لباس ، ولا أضمر لك عليه نفسي إلى ارتحالك من مدينة واسط إلى دخولك على عسكري ، والغدو والرواح إذا بدا لك والدخول أي ساعات من ساعات الليل والنهار احببت ، فاطمئن إلى ما جعلت لك من الأمان والعهود والمواثيق . وثق بالله وبأمير المؤمنين فيما سلم منه ورضي به وجعلته لك ولمن معك على نفسي . ولك على الوفاء بهذه العهود والمواثيق والذمم أشد ما أخذه الله وحرمه وما أنزل الله تبارك وتعالى على محمد ﷺ فإنه جعله كتاباً بيناً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ونوراً وحجة على العباد حتى ألقى الله وأنا عليه . وأنا أشهد الله وملائكته ورسله ومن قرىء عليه كتابي هذا من المسلمين والمعاهدين بقبول هذه العهود والمواثيق ، وإقراري بها على نفسي وتوكيدي فيها وعلى تسليمي لك ما سألت ولا يغادر منها شيء ولا ينكث عليك فيها . وأدخلت في أمانك هذا جميع من قبلي من شيعة أمير المؤمنين من أهل خراسان ومن لأمير المؤمنين عليه طاعة من أهل الشام والحرب وأهل الذمة . وجعلت لك أن لا ترى مني انقباضاً ولا مجانبة ولا ازوراراً ولا شيئاً تكرهه في دخولك علي إلى مفارقتك إياي ، ولا ينال أحداً معك أمر يكرهه ، وأذنت لك ولهم في السير والمقام وجعلت لهم أماناً صحيحاً وعهداً وثيقاً . وإن عبد الله بن محمد ، إن نقض

ما جعل لكم في أمانكم هذا فنكث أو غدر بكم أو خالف إلى أمر تكرهه أو تابع على خلافه أحـــداً من المخلوقين في سر أو علانية ، أو أضمر لك في نفسه غير ما أظهر لك أو أدخل عليك شيئاً في أمانه وما ذكر لك من تسليم أمير المؤمنين أو التماس الخديعة والمكر بك وإدخال المكروه عليك أو نوى غير ما جعل لك من الوفاء لك بـه فلا قبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ، وهـو بريء من محمد بن علي وهو يخلع أمير المؤمنين ويتبرأ من طاعته ، وعليه ثلاثون حجة يمشيها من موضعه الذي هو به من مدينة واسط إلى بيت الله الحرام الذي بمكة حافياً راجلاً ، وكل مملوك يملكه من اليوم إلى ثلاثين حجة بشراء أو هبة أحرار لوجـه الله ، وكل امرأة له طالق ثلاثـاً ، وكل ما يملكه من ذهب أو فضة أو متاع أو دابة أو غير ذلك فهو صدقة على المساكين ، وهو يكفر بالله وبكتابه المنزل على نبيه ، والله عليه بما وكد وجعل على نفسه في هـــذه الأيمان راع وكفيل وكفى بالله شهيداً .

الامامة والسياسة لابن قتيبة جـ ٢ ١٢٦ – ١٢٩

٤٩ – رسالة من أبي مسلم إلى أبي العباس السفاح يحرضه على قتل ابن هبيرة .

كان من رأي المنصور الوفاء لابن هبيرة ، ولكن ذلك لم يكن رأي أبي مسلم فأرسل إلى السفاح يقول :

إن الطريق السهل إذا القيت فيه الحجاره فسد ، لا والله لا يصلح طريق فيه ابن هبيرة .

تاريخ الإسلام ... للذهبي جـ ٥ – ٢٠٧

٥٠ – رسالة أبي العباس السفاح إلى أخيه أبي جعفر يأمره بقتـــل ابن هبيرة :

والله لتقتلنه أو لأرسلن إليه من يخرجه من حجرتك ثم يتولى قتله .

الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٥ – ٤٤١

ـ رسائل بين أبي العباس السفاح والعلويين ـ

٥١ - رسالته الى عبدالله بن الحسن حين تغيب ابناه محمد وإبراهيم وبلغه أنهما على وشك الثورة ضده :

كتب السفاح إلى أبيهما في ذلك الشأن وذيل كتابه ببيت من الشعر هو:

أريــد حياته ويريــد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

٥٢ ـ جواب عبد الله بن الحسن الى السفاح عن رسالته السابقة :

وكيف يريـد ذاك وأنت منه بمنزلة النياط من الفــؤاد

وكيف يريـد ذاك وأنت منه وزندك حين يقدح من زنـاد

وكيف يريـد ذاك وانت منه وأنت لهاشم رأس وهـاد (١)

مقاتل الطالبين لأبي الفرج الاصفهاني ص ١٧٦

ـ رسائل بين أبي العباس وأبي مسلم أو حول أبي مسلم ـ

٥٣ ـ رسالة أبي مسلم الى أبي العباس السفاح يحرضه على قتل أبي سلمة الخلال لما فشل في محاولته نقل الخلافة إلى العلويين :

اقتل أبا سلمة فإنه العدو الغاش الخبيث السريرة .

٥٤ ـ جواب أبي العباس على الرسالة سالفة الذكر :

خاف أبو العباس أن يكون هناك تواطؤ بين أبي سلمة وأبي مسلم وأراد أن يقوم أبو مسلم نفسه بقتل أبي سلمة فكتب إليه يقول :

(١) ورد نص هذه الرسائل في تاريخ اليعقوبي حـ٢ ـ ٣٦٠ وكتاب العيون والحدائق حـ٣ ـ ٢٣٣ مع شيء من الاختلاف عما أثبتناه اعلاه .

وجه أنت من يقتله .

وقد تم ذلك .

تاريخ اليعقوبي حـ ٢ ـ ٣٥٢

٥٥ - رسالة أبي مسلم إلى عامله على الري بشأن أبي جعفر :

أراد أبو العباس سبر نوايا أبي مسلم فأرسل أخاه أبا جعفر للقيام بذلك وبلغ أبا مسلم توجه أبي جعفر نحوه فكتب إلى عامله على الري بوجوب العناية بأبي جعفر .

بلغني أن عبد الله بن محمد توجه إليك فإذا قدم فأشخصه ساعة قدومه عليك .

٥٦ - رسالة أبي مسلم إلى عامله على نيسابور بوجوب العناية بأبي جعفر :

إذا قدم عليك عبد الله بن محمد فأشخصه ولا تدعه فإن أرضك أرض خوارج ولا آمن عليه .

تاريخ الأمم والملوك للطبري حـ ٦ ـ ١٠٢

٥٧ - رسالة أبي العباس إلى أخيه أبي جعفر يطلب منه أن يستأذن في الحج لأن أبا مسلم طلب منه ذلك :

أن أبا مسلم كتب إلي يستأذنني في الحج وقد أذنت له ، وهو يريد أن يسألني أن أوليه الموسم ، فاكتب إلي تستأذني في الحج فآذن لك ، فإنك إن كنت بمكة لم يطمع أن يتقدمك .

الكامل في التاريخ لابن الأثير حـ ٥ ـ ٤٦٨

٥٨ – رسالة أبي العباس إلى أبي مسلم يسمح له بالقدوم للحج :

أرسل أبو مسلم إلى السفاح يستأذنه في القدوم للحج سنة ١٣٦ هـ فأذن له وكتب له يقول :

أقدم في خمسمائة من الجند .

٥٩ - جواب أبي مسلم إلى السفاح وقد استقل أن يكون في خفارته خمسمائة من الجند :

إني قد وترت الناس ولست آمن على نفسي .

٦٠ – جواب أبي العباس السفاح له :

أقبل في الف ، وإنما أنت في سلطان أهلك ودولتك وطريق مكة لا يحتمل العسكر .

تاريخ الأمم والملوك للطبري حـ ٦ ـ ١٢٠

شؤون إدارية :

٦١ – رسالة سليمان بن علي إلى السفاح يطلب منه أن يمنح أ اناً لأحد أفراد بني أمية :

هرب عمرو بن معاوية بن عمرو بن سفيان بن عتبة بن أبي سفيان حتى ضاقت عليه الأرض فلجأ إلى سليمان بن علي وكشف له عن نفسه فأمنه وأرسل إلى أبي العباس يقول :

يا أمير المؤمنين : إنه قد وفد وافد من بني أمية علينا ، وأنا إنما قتلناهم على عقوقهم لا على أرحامهم ، فاننا يجمعنا وإياهم عبد مناف ، والرحم تبل ولا تقتل وترفع ولا توضع ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يهبهم لي فليفعل ، وان فعل فليجعل كتاباً عاماً إلى البلدان نشكر الله تعالى على نعمه عندنا وإحسانه الينا .

فأجابه إلى ذلك وكان هذا أول أمان لبني أمية .

الكامل في التاريخ لابن الاثير حـ ٥ ٤٣١ - ٤٣٢

٦٢ - نص كتابة تتعلق بتوسعة حرم الرسول وتزيينه وجدت في حائط الحرم أمر بها السفاح :

أمر عبد الله عبد الله أمير المؤمنين بزينة هـــذا المسجد وتزيينه وتوسعته مسجد رسول الله ﷺ سنة اثنين وثلاثين ومائة إبتغاء رضوان الله ، وإن الله عنده ثواب الدنيا والآخرة ، وكان الله سميعاً عليماً .

كتاب وفاء الوفا ... للسمهودي حـ ٢ - ٥٣٦

- شؤون خارجية -

٦٣ - رسالة ملك الروم الى أهل ملطية :

استغل ملك الروم فرصة الصراع بـــين الأمويين والعباسيين وانشغال الأخيرين بتوطيد الخلافة فهاجم سنة ١٣٣ هـ ملطية وحاصرها ثم أرسل إلى أهلها يقول :

إني لم آتكم إلا على عـــلم بأمركم وتشاغل سلطانكم عنكم ، انزلوا على الأمان واخلوا المدينة أخربها وامضي عنكم [١] .

ولقد رفض أهل ملطية ذلك فحاربهم وكسرهم فاضطروا لقبول شروطه فرحلوا عنها واخربها .

فتوح البلدان للبلاذري ص ٥١٣

---

(١) ورد نص مشابه لنصنا هذا في الكامل لابن الاثير حـ٥ - ٤٤٧ .

٦٤ - عهد السفاح بالخلافة لأخيه أبي جعفر ومن بعده لعيسى بن موسى ، وقد تلي عهده على المنبر بعد وفاته :

من عبد الله أمير المؤمنين إلى الرسول والأولياء وجماعة المسلمين ، سلام عليكم ، أما بعد : فقد قلد أمير المؤمنين الخلافة عليكم بعد وفاته أخاه فاسمعوا له وأطيعوا ، وقد قلد الخلافة من بعده عيسى بن موسى - إن كان - (١) .

تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ١٠ - ٥٣



(١) ورد نص مشابه كل المشابهة مع شيء يسير من الاختلاف لهذا النص في البداية والنهاية لابن كثير ج ١٠ - ٦٠ .

أبو جعفر المنصور

١٣٦ - ١٥٨ ﻫ / ٧٥٤ - ٧٧٥ م

ـ الخطب ـ

٦٥ ـ تهنئة طريح بن اسماعيل الثقفي للمنصور لما أفضت الخلافة إليه:

لمـــا أتى الناس أن ملكهم إليك قد صار أمره سجدوا

واستبشروا بالرضـا تباشرهم بالخـــلد لو قيل أنهم خلدوا

كنتأرىإنماوجدتمن الفر حـــة لم يلق مثله أحـــد

حتى رأيت العبـــاد كلهم قد وجدوا فيك مثل ماأجد

قد طلب الناس ما بلغت فما نالوا ولا قاربوا ولا جهدوا

يرفعك الله بالتكرم والتقـــوى فتعلو وأنت تقتصـــد

نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري ج ٥ - ١٢٨

٦٦ ـ تهنئة أعرابية للمنصور أثناء منصرفه من مكة إلى العراق وقد أتاه نعي أخيه وأصبح هو خليفة :

يا أمير المؤمنين : احتسب الصبر وقدم الشكر فقد أجزل الله لك الثواب في الحالين وأعظم عليك المنة في الحادثين . سلبك خليفة الله وأفادك خلافة الله، فسلم فيما سلبك واشكر فيما منحك وتجاوز الله عن أمير المؤمنين وخار لك فيما ملكك من أمر الدنيا والدين .

صبح الأعشى للقلقشندي ج ٩ - ٢٧٨

ـ ثورة عبد الله بن علي عم المنصور عليه ـ

٦٧ ـ خطبة الحارث بن عبد الرحمن الغفاري أمام المنصور بعد انتهاء ثورة عبد الله بن علي :

قدم على المنصور وفد من الشام بعد انهزام عبد الله بن علي وفيهم الحارث ابن عبد الرحمن فتكلم جماعة منهم ثم قام الحارث فقال : يا أمير المؤمنين ، إنا لسنا وفد مباهاة ولكنا وفد توبة استخفت حليمنا فنحن بما قدمنا معترفون وبما سلف منا معتذرون ، فإن تعاقبنا فيما أجرمنا وإن تعف عنا فطالما أحسنت إلى من أساء . فقال المنصور : أنت خطيب القوم ، ورد عليه ضياعه في الغوطة .

زهر الآداب للحصري القيرواني ج ٢ ـ ٧٨٣

٦٨ ـ خطبة رجل من أهل الشام في نفس المقام :

يا أمير المؤمنين : من انتقم فقد شفى غيظه وانتصف ، ومن عفا تفضل ، ومن أخذ حقه لم يجب شكره ولم يذكر فضله، وكظم الغيظ حلم والتشفي طرف من الجزع ، ولم يمدح أهل التقى والنهي من كان حليماً بشدة العقاب ، ولكن بحسن الصفح والاغتفار وشدة التغافل . وبعد فالمعاقب مستدع لعداوة أولياء الذنب ، والعافي مسترع لشكرهم آمن من مكافأتهم ، ولأن يثنى عليك باتساع الصدر خير من أن توصف بضيقه ، على أن إقالتك عثرات عباد الله موجب لإقالة عثرتك من ربهم موصول بعفوه ، وعقابك إياهم موصول بعقابه . قال الله عز وجل : خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين[1] .

زهر الآداب للحصري القيرواني ج ٢ ـ ٧٨٣

(١) سورة الاعراف ، الآية ١٩٩ .

أمر أبي مسلم الخراساني

٦٩ ـ خطبة عيسى بن علي في أهل خراسان لما قتل المنصور أبامسلم:

لما قتل المنصور أبا مسلم ألقى إلى أتباعه رأسه مع صرر المال وصعد عيسى ابن علي إلى سطح القصر وخاطب أتباعه بقوله :

يا أهل خراسان : إنما كان أبو مسلم عبداً من عبيد أمير المؤمنين وجد عليه فقتله فليفرخ روعكم ، فإن أمير المؤمنين بالغ آمالكم .

الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري ص ٣٨٢

٧٠ ـ خطبة المنصور لمـــا قتل أبا مسلم :

أيها الناس : لا تنفروا أطيار النعم بترك الشكر فتحل بكم النقم ولا تسروا غش الأئمة فإن أحداً لا يسر منكم شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه وطوالع نظره . وإنا لن نجهل حقوقكم ما عرفتم حقنا ، ولا ننسى الإحسان إليكم ما ذكرتم فضلنا ، ومن نازعنا هذا القميص أوطأنا أم رأسه حتى يستقيم رجالكم وترتدع عمالكم . إن هذا الغمر أبا مسلم بايع على أنـــه من نكث بيعتنا وأظهر غشنا فقد أباحنا دمه ، فنكث وغدر وفجر وكفر فحكمنا عليه لأنفسنا حكمه على غيره لنا ، وإن أبا مسلم أحسن مبتديـــاً وأساء منتهياً وأخذ من الناس بنا لنفسه أكثر مـــا أعطانا ، ورجح قبيح باطنه على حسن ظاهره ، وعلمنا من خبث سريرته وفساد نيته ما لو علم اللائم لنا فيه لما لام ، ولو اطلع على ما اطلعنا عليه منه لعذرنا في قتله وعنفنا في إمهاله ، وما زال ينقض بيعته ويخفر ذمته حتى أحل لنا عقوبته وأباحنا دمه فحكمنا عليه حكمه على غيره ممن شق العصا ولم يمنعنا الحق له من إمضاء الحق فيه وما أحسن ما قال النابغة الذبياني للنعمان ـ يعني ابن المنذر ـ

فمــن أطاعك فانفعه بطاعته ... كما أطاعك والله على الرشد
ومن عصاك فعاقبه معاقبة ... تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمد[1]

البداية والنهاية لابن كثير حـ ١٠ - ٧١

المنصور والعلويون

٧١ - خطبة صالح بن علي في المؤتمر الهاشمي الذي قيل أن بني هاشم عقدوه في أواخر الحكم الأموي :

حضر هذا المؤتمر في الأبواء أشخاص كثيرون منهم إبراهيم الإمام والسفاح والمنصور وصالح بن علي وعبد الله بن الحسن وابناه محمد وابراهيم وغيرهم . فقال لهم صالح بن علي :

إنكم القوم الذين تمتد أعين الناس إليهم فقد جمعكم الله في هــذا الموضع فاجتمعوا على بيعة أحدكم فتفرقوا في الآفاق وادعوا الله أن يفتح عليكم وينصركم[2] .

مقاتل الطالبين لأبي الفرج الاصفهاني ٢٥٦ - ٢٥٧

٧٢ - خطبة عبد الله بن الحسن في نفس المؤتمر :

قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: إنكم أهل البيت قد فضلكم الله بالرسالة واختاركم لها وأكثركم بركة يا ذرية محمد صلى الله عليه وآله بنو عمه وعترته وأولى

---

(١) ورد نص هذه الخطبة في كثير من المصادر كابن الاثير حـ ٥ ٤٧٨ - ٤٧٩ ومروج الذهب حـ٣ - ٣٠٥ والخطيب البغدادي حـ ١٠ - ٢١٠ والطــبري حـ٦ - ٣٣٥ . وهناك اختلافات بين نصوص هذه الخطب .

(٢) وبقية النص كما يلي : فقال ابو جعفر : لاي شيء تخدعون انفسكم ، والله لقد علمتم ما الناس إلى احد اميل أعناقا ولا اسرع اجابة منهم إلى هذا الفتى - يعني محمد بن عبد الله - قالوا : قد والله صدقت . فبايعوا جميعاً محمداً .

بالفزع في أمر الله من وضعه الله موضعكم من نبيه صلى الله عليه وآله، وقد ترون كتاب الله معطلاً وسنة نبيه متروكة والباطل حياً والحق ميتاً، قاتلوا لله في الطلب لرضاه بما هو أهله قبل أن ينزع منكم إسمكم وتهونوا عليه كما هانت عليه بنو إسرائيل وكانوا أحب خلقه إليه . وقد علمتم أنا لم نزل نسمع أن هؤلاء القوم اذا قتل بعضهم بعضاً خرج الأمر من أيديهم، فقد قتلوا صاحبهم - يعني الوليد بن يزيد - فهلم نبايع محمداً - يعني ابنه - فقد علمتم أنه المهدي .

مقاتل الطالبين لأبي الفرج الاصفهاني ٢٥٣ - ٢٥٤

خطب المنصور ضد العلويين

٧٣ - خطبة المنصور لما بلغه خروج محمد بن عبد الله ضده :

بلغ المنصور خروج محمد بن عبد الله فأمر بالاستعداد لحربه وإرسال الجيوش لمحاربته، ثم صعد المنبر فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ .

مالي أكفكف عن سعد ويشتمني ... وإن شتمت بني سعد لقد سكتوا
جهلاً علينا وجبناً عن عدوهم ... لبئست الخصلتان الجهل والجبن

أما والله لقد عجزوا عن أمر قمنا به، فما شكروا القائم ولا حمدوا الكافي، ولقد مهدوا فاستوعروا وغبطوا فغمطوا، فماذا تحاول مني؟ أسقى رنقاً على كدر؟ كلا والله . لأن أموت معززاً أحب الي من أن أحيا مستذلاً، ولئن لم يرض العفو عني ليطلبن ما لا يوجد عندي . والسعيد من وعظ بغيره .

ثم نزل فقال : يا غلام، قدم . فركب من فوره إلى معسكره وقال :

اللهم لا تكلنا الى خلقك فنضيع ولا الى أنفسنا فنعجز، فلا تكلنا إلا إليك .

مروج الذهب للمسعودي حـ ٣ - ٣٠٩

٧٤ - خطبة المنصور لما اعتقل عبد الله بن الحسن والد محمد النفس الزكية وأخوته وأقرباءه :

صعد المنبر فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ : يا أهل خراسان : أنتم شيعتنا وأنصارنا وأهل دولتنا ، ولو بايعتم غيرنا لم تبايعوا من من هو خير منا ، وإن أهل بيتي هؤلاء من ولد علي بن أبي طالب تركناهم والله الذي لا إله إلا هو والخلافة فلم نعرض لهم فيها بقليل ولا كثير فقام فيها علي بن أبي طالب فتلطخ وحكم عليه الحكمان فافترقت عنه الأمـــة واختلفت عليه الكلمة ، ثم وثبت عليه شيعته وأنصاره وأصحابه وبطانته وثقاته فقتلوه . ثم قام من بعده الحسن بن علي فوالله ما كان فيها برجل قد عرضت عليه الأموال فقبلهـا فدس إليه معاوية إني أجعلك ولي عهدي من بعدي فخدعه فانسلخ له مما كان فيه وسلمه إليه فاقبل على النساء يتزوج في كل يوم واحدة فيطلقها غدا، فلم يزل على ذلك حتى مات على فراشه . ثم قام من بعده الحسين بن علي فخدعه أهل العراق وأهل الكوفة أهل الشقاق والنفاق والإغراق في الفتن ، أهـــل هـذه المدرة السوداء ـ وأشار إلى الكوفـة ـ فوالله ما هي بحرب فأحاربها ولا سلم فأسالمها فرق الله بيني وبينها ، فخذلوه وأسلموه حتى قتل . ثم قام من بعده زيد بن علي فخدعه أهل الكوفة وغروه فلما أخرجوه وأظهروه أسلموه وقد كان أتى محمد بن علي فناشده في الخروج وسأله أن لا يقبل أقاويل أهـل الكوفة وقال له : إنا نجـد في بعض علمنا أن بعض أهل بيتنا يصلب بالكوفة وأنا أخاف أن تكون ذلك المصلوب ، وناشده عمي داود بن علي وحذره غدر أهل الكوفة فلم يقبل وأتم على خروجه فقتل وصلب بالكناسة . ثم وثب علينا بنـو أمية فأماتوا شرفنا وأذهبوا عزنا والله ما كانت لهـم عندنا تـــرة يطلبونها وما كان ذلك كلـه إلا فيهم وبسبب خروجهم عليهم فنفونا من البلاد فصرنا مـــرة بالطائف ومرة بالشام ومرة بالشراة حتى ابتعثكم الله لنا شيعة

وأنصاراً وأحيا شرفنا وعزنا بكم أهل خراسان ودفع بحقكم أهل الباطل وأحيا حقنا وأصار إلينا ميراثنا عن نبينا ﷺ ، فقر الحق مقره وأظهر مناره وأعز أنصاره وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين [1] . فلما استقرت الأمور فينا على قرارها من فضل الله فينا وحكمه العادل لنا وثبوا علينا ظلماً وحسداً منهم لنا وبغياً لما فضلنا الله به عليهم وأكرمنا بـه من خلافته وميراث نبية ﷺ .

جهلا علي وجبنا عن عدوهم ... لبئست الخلتان الجهل والجبن

فإني ، والله يا أهل خراسان ، ما أتيت من هذا الأمر ما أتيت بجهالة . بلغني عنهم بعض السقم والتعرم وقد دسست لهم رجالاً فقلت : قم يا فلان ، قم يا فلان فخذ معك من المال كذا وحذوت لهم مثالاً يعملون عليه ، فخرجوا حتى أتوهم بالمدينة فدسوا إليهم تلك الأموال ، فوالله ما بقي منهم شيخ ولا شاب ، ولا صغير ولا كبير إلا بايعهم بيعة استحللت بها دماءهم وأموالهم وحلت لي عند ذلك بنقضهم بيعتي وطلبهم الفتنة والتماسهم الخروج علي فلا يرون أني أتيت ذلك على غير يقين .

ثم نزل وهو يتلو على درج المنبر هذه الآية : وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل أنهم كانوا في شك مريب [2] .

تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٦ – ٣٣٣ – ٣٣٥

---

(١) سورة الانعام ، الآية ٤٥ .

(٢) سورة سبأ الآية ٥٤ . ورد نص يختلف بعض الاختلاف لهذه الخطبة في مروج الذهب جـ ٣ ٣١١-٣١٢ .

٧٥ – بيان أذاعة المنصور لما اعتقل سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب الذي كان مع العباسيين ثم انضم إلى العلويين وحارب مع ابراهيم فاسر واتى به المنصور فأمر بخلع سواده والوقوف به على رأس اليانية في المقصورة يوم الجمعة ، ثم أمر المنصور الربيع أن يخاطب اليانية والناس فقـال :

يقول لكم أمير المؤمنين : قد عرفتم ما كان من إحساني إليه وحسن بلائي عنده وقديم نعمتي عليه والذي حاول من الفتنة ورام من البغي وأراد من شق العصا ومعاونة الأعداء وإراقة الدماء ، وأنه قد استحق بهذا من فعله ألـيم العقاب وعظيم العذاب . وقد رأى أمير المؤمنين إتمام بلائه الجميل لديه وربّ نعمائه السابقة عنده لما يتعرفه أمير المؤمنين من حسن عائده عليه وما يؤمله من الخير العاجل والآجل ، عند العفو عمن ظلم ، والصفح عمن أساء . وقد وهب أمير المؤمنين مسيئكم لمحسنكم وغادركم لوفيكم .

البيان والتبيين للجاحظ حـ ٣ – ٣٧٣

– خطب ولاة المنصور ضد العلويين –

٧٦ – خطبة رياح بن عثمان المري والي المنصور في المدينة :

ولى المنصور رياحاً المدينة المنورة وطلب منه الجـد في البحث عن محمد وإبراهيم ابني عبد الله ففعل وخطب أهل المدينة لـما وردها فقال يتهددهم :

يا أهل المدينة : لا مقام لكم فارجعوا . أنا ابن عم مسلم بن عقبة الشديد الوطأة عليكم كان الوبيل الوقعة الخبيث السيرة فيكم . ثم أنتم اليوم عقب الذين حصدهم السيف ، وأيم الله لأحصدن منكم عقب الذين حصدهم ولألبسن الذل عقب الذين البس(١) .

كتاب العيون والحدائق ... حـ ٣ – ٢٤٧

---

(١) ورد نص هذه الخطبة بشكل مختلف كل الاختلاف وبشكل مختصر في كل من الطبري حـ٦ ١٧١–١٧٢ واليعقوبي جـ٢ ٣٧٤–٣٧٥ .

٧٧ - خطبة شبيب بن شيبة في أهل المدينة :

ظفر المنصور بأحد العلويين - ابن الأشتر - فقتله وأرسل رأسه إلى المدينة . وهناك قام الخطباء يثنون على أبي جعفر ، وكان شيب بن شيبة ممن خطب فقال :

يا أهل المدينة : ما مثلكم ومثل أمير المؤمنين إلا كما قال الفرزدق .

ما ضر تغلب وائلٍ أهجوتها أم بلت حيث تناطح البحران

مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني ص ٣١٣

٧٨ - وصية ابي جعفر المنصور إلى عيسى بن موسى لما أرسله لحرب محمد بن عبد الله لما ثار في المدينة المنورة :

يا أبا موسى : إذا صرت إلى المدينة فادع محمد بن عبد الله بن الحسن إلى الطاعة والدخول في الجماعة فإن أجابك فاقبل منه ، وإن هرب منك فلا تتبعه ، وإن أبى الحرب فناجزه واستعن بالله عليه . فإذا ظفرت به فلا تخيفن أهل المدينة وعمهم بالعفو فإنهم الأصل والعشيرة وذرية المهاجرين والأنصار وجيران قبر النبي ﷺ . فهذه وصيتي إياك لا كما اوصى بها يزيد بن معاوية مسلم ابن عقبة حين وجهه الى المدينة وأمره بقتل من ظهر إلى ثنية الوداع وأن يبيحها ثلاثة أيام ففعل ، فلما بلغ يزيد ما فعله تمثل بقول ابن الزبعري في يوم أحد حيث قال :

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

ثم اكتب الى أهل مكة بالعفو عنهم والصفح فإنهم آل الله وجيرانه وسكان حرمه وأمنه ومنبت القوم والعشيرة وعظماء البيت والحرم ، لا تلحد فيه بظلم فإنه حرم الله الذي بعث منه محمداً ﷺ وشرف به أباءنا بتشريف الله إيانا . فهذه وصيتي لا كما أوصى به الذي وجه الحجاج الى مكة فأمره أن يضع المجانيق على الكعبة وأن يلحد في الحرم بظلم .

العقد الفريد لابن عبد ربه حـ ٥ ٨٦ - ٨٧

٧٩ – مناداة عيسى بن موسى بالأمان لأهل المدينة قبل أن يبـــدأ الحرب :

اقترب جيش العباسيين من المدينة فاقترب عيسى من سورها ونادى :

يا أهل المدينة : إن الله قد حرم دماء بعضنا على بعض فهلموا إلى الأمان : فمن جاء الينا فهو آمن ، ومن دخل داره أو المسجد أو ألقى سلاحه فهو آمن . خلوا بيننا وبين صاحبنا فإمّا لنا وإمّا له .

فشتمه أهل المدينة .

٨٠ – نداؤه اثناء الحرب يعرض الأمـــان على محمد النفس الزكية وجواب محمد له :

يا محمد : إن أمير المؤمنين أمرني أن لا اقاتل حتى أعرض عليك الأمان ، فلك الأمان على نفسك ومن اتبعك وتعطى من المال كذا وكذا ..

فأجابه محمد : أَلهُ عن هذا فقد علمت أنه لا يثنيني عنكم فزع ولا يقربني منكم طمع .

تاريخ دول الاسلام للذهبي ج ٦ ١٦ – ١٧

ـ خطب العلويين ـ

٨١ – خطبة محمد بن عبد الله لمـــا أعلن الثورة ضد المنصور في المدينة المنورة :

قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : أما بعد أيها الناس ؛ فإنه كان من أمر هذا الطاغية عدو الله أبي جعفر ما لم يخف عليكم من بنائـه القبة الخضراء التي بناها معانداً لله في ملكه وتصغيراً للكعبه الحرام وإنما أخذ الله فرعون حين قال : أنا ربكم الأعلى . وإن أحق الناس بالقيام بهذا الدين أبناء المهاجرين الأولين

والأنصار المواسين . اللهم إنهم قد أحلوا حرامك وحرموا حلالك وآمنوا من أخفت وأخافوا من آمنت . اللهم فاحصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تغادر منهم أحداً . أيها الناس : والله ماخرجت بين أظهركم وأنتم عندي أهـــل قوة ولا شدة ، ولكن اخترتكم لنفسي . والله ما جئت هذه وفي الأرض مصر يعبد الله فيه إلا وقد أخذ لي فيه بيعة[1] .

تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٦ - ١٨٨ - ١٨٩

٨٢ ـ خطبة محمد في أنصاره لمـــا بلغه اقتراب عيسى من المدينة حتى نزل الأعوص :

قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : إن عدو الله وعدوكم عيسى بن موسى قد نزل الأعوص ، وإن أحق الناس بالقيام بهذا الدين أبناء المهاجرين الأولين والأنصار المواسين .

٨٣ ـ خطبة أخرى له في نفس المناسبة :

أيها الناس : إن هذا الرجل قد قرب منكم في عدد وعدة ، وقد حللتكم من بيعتي ، فمن أحب المقام فليقم ، ومن أحب الإنصراف فلينصرف[2] .

فتسللوا حتى بقي في شرذمة ليست بالكثيرة .

تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٦ - ٢٠٨

---

(١) أورد الذهبي في تاريخه حـ٦ - ١٢ وابن الاثير حـ٥ - ٥٣١ نصاً مشابهاً لهذا النص مع شيء يسير من الاختلاف .

(٢) يورد ابن الاثير حـ٥ - ٥٤٥ نصاً مشابهاً كل المشابهة لنص هاتين الخطبتين ولكنه يجعلها خطبة واحدة .

٨٤ ـ خطبة إبراهيم بن عبد الله أخي محمد :

أيها الناس : إني وجدت جميع ما تطلب العباد في حقهم الخير عند الله عز وجل في ثلاث: في المنطق والنظر والسكوت. فكل منطق ليس فيه ذكر فهو لغو، وكل سكوت ليس فيه تفكير فهو سهو ، وكل نظر ليس فيه عبرة فهو غفلة . فطوبى لمن كان منطقه ذكراً ونظره عبرة وسكوته تفكراً ، ووسعه بيته وبكى على خطيئته وسلم المسلمون منه .

ثم قال رافعاً صوتـــه : اللهم إنك ذاكر اليوم آباءً بأبنائهم وأبناءً بآبائهم فاذكرنا عندك بمحمد ﷺ . اللهم وحافظ الآباء في الأبناء والأبنـاء في الآباء واحفظ ذرية محمد ﷺ .

مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الاصفهاني ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧

٨٥ ـ خطبة ابراهيم في البصرة لما ورده نعي أخيه محمد :

خرج فصلى بالناس ونعاه على المنبر وأظهر الجزع وتمثل على المنبر :

يابا المنازل يا خير الفوارس من يفجع بمثلك في الدنيا فقد فجعا

الله يعـــلم إني لو خشيتهـــم وأوجس القلب من خوف لهم فزعا

لم يقتلوه ولم أسلم أخي أبـــداً حتى نموت جميعاً أو نعيش معاً

الكامل في التاريخ الاثير ج ٥ ـ ١٥١

ــ ولايـة العهد ــ

٨٦ ـ خطبة عيسى بن موسى يعلن فيها خلع نفسه من ولاية العهد وتعيين المهدي بن المنصور ولياً للعهد مكانه :

خلع عيسى نفسه من ولاية العهد وأصبح المهدي ولياً للعهد مكانه فطلب منه المنصور أن يخرج إلى المسجد الجامع ويعلن ذلك للناس ففعل، وفيما يلي ما قال ، وكان يرافقه أبو عبيد الله كاتب المهدي .

إني قد سلمت ولاية العهد للمهدي محمد ابن أمير المؤمنين وقدمته على نفسي.

فقال له أبو عبيد الله : ليس هكذا أيها الأمير ، ولكن قل : لحقه وصدقه واخبر بما رغبت فيه وأعطيت . فقال :

نعم قد بعت نصيبي من تقدمي في ولاية العهد من عبد الله أمير المؤمنين لابنه محمد المهدي أمير المؤمنين بعده بعشرة آلاف ألف درهم ، والف الف درهم لابني فلان وابني فلان وابني فلان وفلانة - امرأة سماها من نسائه - بطيب نفس مني ورغبت في تصييرها إليه لأنه أولى بالتقدم فيها وأحق وأقوم عليها وأقوى على القيام بها مني . وكان ذلك سنة ١٤٦ هـ .

كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري ١٢٦ - ١٢٧

- شؤون إدارية ومتفرقة -

- خطب المنصور -

٨٧ - خطبة له بمدينة السلام سنة ١٥٢ هـ :

يا عباد الله : لا تظالموا فانها مظلمة يوم القيامة . والله لولا يد خاطئة وظلم ظالم لمشيت بين أظهركم في أسواقكم ، ولو علمت مكان من هو أحق بهذا الأمر مني لأتيته حتى أدفعه إليه .

تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٦ - ٣٣٠

٨٨ - خطبة له في بغداد يوم عرفة .

أيها الناس : إنما أنا سلطان الله في أرضه أسوسكم بتوفيقه وتسديده وأنا خازنه على فيئه أعمل بمشيئته وأقسمه بارادته وأعطيه بأذنه قد جعلني الله عليه قفلا إذا شاء أن يفتحني لأعطياتكم وقسم فيئكم وأرزاقكم فتحني ، وإذا شاء أن يقفلني أقفلني ، فارغبوا إلى الله أيها الناس وسلوه في هذا اليوم الشريف

الذي وهب لكم فيه من فضله ما أعلمكم بـه في كتابه إذ يقول تبارك وتعالى : اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً أن يوفقني للصواب ويسددني للرشاد ويلهمني الرأفة بكم والإحسان إليكم ويفتحني لأعطياتكم وقسم أرزاقكم بالعدل عليكم إنه سميع قريب (١) .

تاريخ الأمم والملوك للطبري حـ ٦ - ٣٣١

٨٩ - خطبة المنصور :

الحمد لله أحمـده واستعينه واؤمن بـه وأتوكل عليه وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له .

فقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين اذكرك من أنت في ذكره .

فقال أبو جعفر : مرحباً مرحباً ، لقـــد ذكرت جليلا وخوفت عظيماً واعوذ بالله أن أكون ممن إذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم . والموعظة منا بدت ومن عندنا خرجت .

وأنت يا قائلها فاحلف بالله ما الله أردت بها وإنما أردت ان يقال قـــام فقال فعوقب فصبر ، فاهون بها من قائلها واهتبلها لله . ويلك إني غفرتها واياكم معشر الناس وأمثالها . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله (٢) ...

تاريخ بغداد للخطيب البغدادي حـ ١٠ ٥٥ - ٥٦

---

(١) ورد نص هذه الخطبة - مع شيء من الاختلاف - في كثير من المصادر كعيون الأخبار حـ ٢ ٢٥١-٢٥٢ وابن كثير جـ١ ١٢٢-١٢٣ والسيوطي ص ٢٦٣ وابن عبد ربه حـ٤ - ٩٩ ، ويذكر ابن كثير أنه ألقاها في عرفة على منبر عرفة .

(٢) وردت ، مع بعض الاختلاف ، في كل من الطبري حـ٦ ٣٣١ - ٣٣٢ والعقد الفريد حـ٤ - ٩٨ .

٩٠ — خطبة للمنصور في موسم الحج في مكة :

ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون [١] .

أمر مبرم وقول عدل وقضاء فصل والحمد لله الذي أفلـح حجته وبعداً للقوم الظالمين الذين اتخذوا الكعبة غرضاً والفيء إرثاً وجعلوا القرآن عضين ، لقـد حاق بهم ما كانوا به يستهزئون فكم ترى من بئر معطلة وقصر مشيد أمهلهم الله حتى بدلوا السنة واضطهدوا العترة وعندوا واعتدوا واستكبروا وخاب كل جبار عنيد ثم أخذهم فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً .

تاريخ الأمم والملوك للطبري حـ ٦ ٣٣٢ - ٣٣٣

٩١ — خطبة للمنصور لما قتل الأمويين :

احرز لسان رأسه ، انتبه امرؤ لحظه ، نظر امرؤ في يومـه لغده فمشى القصد وقال الفصل وجانب الهجر .

ثم أخذ بقائم سيفه فقال :

أيها الناس : ان بكم داء هـذا دواؤه وأنا زعيم لكم بشفائه فليعتبر عبد قبل أن يعتبر به فإنما بعد الوعيد الإيقاع وإنمـا يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله .

العقد الفريد لابن عبد ربه حـ ٤ ٩٧ - ٩٨

٩٢ - خطبة للمنصور لما خرج الى الشام :

شنشنة أعرفها من أخـزم من يلق أبطال الرجال يكلم

مهلاً مهلاً زوايا الأرجاف وكهوف النفاق من الخوض فيما كفيتم ، والتخطي إلى ما حذرتم قبل أن تتلف نفوس ويقل عدد ويدول عز ، وما أنتم وذلك ؟

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية ١٠٥ .

ألم تجدوا ما وعد ربكم من إيراث المستضعفين من مشارق الأرض ومغاربها حقاً ؟ والجحد الجحد ولكن خب كامن وحسد مكمد فبعداً للقوم الظالمين .

العقد الفريد لابن عبد ربه حـ ٤ ـ ٩٨

٩٣ – خطبة شبة بن عقال التميمي بين يدي المنصور :

كان المنصور قد رشح ابنه صالحاً لبعض أمره . وقد حدث أنه بينا الناس جلوس عند المنصور إذا أقبل صالح فتكلم فأجاد فمد المنصور يده إليه وقال: إليّ يا بني . واعتنقه ونظر في وجوه الناس هل فيهم من يذكر مقاله ويصف فضله فكلهم كره ذلك وهابه بسبب المهدي فقام شبة بن عقال فقال :

لله در خطيب قام عندك يا أمير المؤمنين ما أفصح لسانه وأحسن بيانه وأمضى جنانه وأبل ريقه وأسهل طريقه ، وكيف لا يكون كذلك وأمير المؤمنين أبوه والمهدي أخوه وهو كما قال الشاعر :

هو الجواد فإن يلحق بشأوهما ... على تكاليفه فمثله لحقا
أو يسبقاه على ما كان من مهل ... فمثل ما قدما من صالح سبقا[1]

وفيات الاعيان لابن خلكان حـ ٢ ـ ٥٦

---

(١) وبقية القول : ان الجمع عجب من جمعه بين المدحين وارضائه المنصور وخلاصه من المهدي حتى أمر له المنصور بثلاثين الف درهم . وقد ورد نص هذه القصة والخطبة في زهر الآداب حـ٢ـ٤٠٧ وصبح الأعشى حـ١ ٢٦٢ـ٢٦٣ . ويزيد هذان المصدران فيعطيان اسم الشاعر وهو زهير بن أبي سلمى ويجعلان الأبيات ثلاثة أولها :

يطلب شأو امرأين قدما حسناً ... بذا الملوك وبذا هذه السوقا

- الوصايا والحوار -

٩٤ - وصية المنصور لولده المهدي لما ودعه عند ذهابه إلى الحج وهي الحجة التي مات فيها المنصور :

قال المنصور للمهدي عند وداعه وهو متوجه إلى مكة سنة ١٥٨ هـ .

يا أبا عبد الله : إني ولدت في ذي الحجة ووليت في ذي الحجة وهجس في نفسي إني أموت في ذي الحجة من هذه السنة . وإنما حداني على الحج ذلك فاتق الله فيما أعهد إليك من أمور المسلمين بعدي يجعل لك فيما كربك وحزبك مخرجاً - أو قال فرجاً ومخرجاً - ويرزقك السلامة وحسن العاقبة من حيث لا تحتسب . احفظ يا بني محمداً ﷺ في أمته يحفظ الله عليك أمورك ، وإياك والدم الحرام فإنه حوب عند الله عظيم وعار في الدنيا لازم مقيم ، والزم الحلال فإن فيه ثوابك في الآجل وصلاحك في العاجل ، وأقم الحدود ولا تعتد فيها فتبور ، فإن الله لو علم أن شيئاً أصلح لدينه وأزجر عن معاصيه من الحدود لأمر به في كتابه . واعلم أن من شدة غضب الله لسلطانه أمر في كتابه بتضعيف العذاب والعقاب على من سعى في الأرض فساداً مع ما ذخر له عنده من العذاب العظيم فقال : إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً .. الآية ، فالسلطان يا بني حبل الله المتين وعروته الوثقى وأمين الله القيم فاحفظه وحطه وحصنه وذب عنه وأوقع بالملحدين فيه واقمع المارقين منه واقتل الخارجين عنه بالعقاب لهم والمثلات بهم ولا تجاوز ما أمر الله به في محكم القرآن ، واحكم بالعدل ولا تشطط فإن ذلك أقطع للشغب وأحسم للعدو وأنجع في الدواء ، وعف عن الفيء فليس بك إليه حاجة مع ما أخلفه لك ، وافتتح عملك بصلة الرحم وبر القرابة وإياك والاثر والتبذير لأموال الرعية ، واشحن الثغور واضبط الأطراف وآمن السبل وخص الواسطة ووسع المعاش وسكن العامة

وأدخل المرافق عليهم وأصرف المكاره عنهم وأعـــد الأموال واخزنها وإياك والتبذير فإن النوائب غير مأمونة والحوادث غير مضمونة وهي من شيم الزمان، وأعد الرجال والكراع والجند ما استطعت ، وإياك وتأخير عمل اليوم الى غد فتتدارك عليك الأمور وتضيع ، جد في أحكام الأمور النازلات لأوقاتها أولاً فأولاً واجتهد وشمر فيها وأعد رجالاً بالليل لمعرفـة ما يكون بالنهار ، ورجالاً بالنهار لمعرفة ما يكون بالليل وباشر الأمور بنفسك ولاتضجر ولا تكسل ولا تفشل واستعمل حسن الظن برأيك وأسيء الظن بعمالك وكتابك وخذ نفسك بالتيقظ وتفقد من يبيت على بابـك وسهل أذنك للناس وانظر في أمر النُزّاع إليك ووكل بهم عيناً غير نائمة ونفساً غير لاهية ، ولا تنم فإن أباك لم ينم مذ ولي الخلافة ولا دخل عينه غمض إلا وقلبه مستيقظ. هذه وصيتي إليك والله خليفتي عليك . ثم ودعه[1] .

تاريخ الأمم والملوك للطبري حـ ٦ ٣٤٤ - ٣٤٥

٩٥ ـ حوار المنصور مع الأوزعي :

قال الأوزاعي : دخلت عليه فقال لي : ما الذي أبطأك عني ؟

قلت : وما تريد مني يا أمير المؤمنين ؟ قال : أريد الاقتباس منك .

فقلت : يا أمير المؤمنين انظر ما تقول ، فإن مكحولاً حدثني عن عطية بن يسر أن رسول الله ﷺ قال : من بلغته عن الله نصيحة في دينه فهي رحمة من الله سبقت إليه ، فإن قبلها من الله يشكر ، وإلا فهي حجة من الله عليه ليزداد إثماً ويزداد الله عليه غضباً، وإن بلغه شيء من الحق فرضي فله الرضا وإن سخط فله السخط ، ومن كرهه فقد كره الله عز وجل لأن الله هو الحق المبين .

---

(١) يورد الطبري نفسه عدداً من الوصايا يذكر أن المنصور أوصاها للمهدي . كما أن صاحب العقد الفريد حـ١ ٤٠-٤١ يورد نصاً مختصراً كل الاختصار لوصية المنصور للمهدي .

ثم قلت :

يا أمير المؤمنين : إنك تحملت أمانة هذه الأمة وقد عرضت على السموات والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ، وقد جاء عن جدك عبد الله بن عباس في تفسير قول الله عز وجل : لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، قال : الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك . فـــا ظنك بالقول والعمل ؟ ! فأعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن ترى قرابتك من رسول الله ﷺ تنفعك مع المخالفة لأمره . فقد قال ﷺ : يا صفية عمة محمد ويا فاطمة بنت محمد : استوهبا أنفسكما من الله ، فإني لا أغني عنكما من الله شيئاً . وكذلك جدك العباس يسأل امارة من النبي ﷺ فقال : أي عم نفس تحييها خير لك من إمارة لا تحصيها . نظراً لعمه وشفقة عليه من أن يلي فيحيد عن سنته جناح بعوضة فلا يستطيع له نفعاً ولا عنه دفعاً . وقال ﷺ : ما من راع يبيت غاشاً لرعيته إلا حرم الله عليه رائحة الجنة ، وحقيق على الوالي أن يكون لرعيته ناظراً ، ولمـا استطاع من عوراتهم ساتراً ، وبالحق فيهم قائماً ، فلا يتخوف محسنهم رهقاً ولا مسيئهم عدوانـاً فقد كانت بيد رسول الله ﷺ جريدة يستاك بها ويردع عنه المشركين بها فأتاه جبريل فقال : يا محمد ما هذه الجريدة التي معك ؟ اتركها لا تملأ قلوبهم رعباً . فما ظنك بمن سفك دماءهم وقطع أستارهم ونهب أموالهم ؟ يا أمير المؤمنين ، إن المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر دعا إلى القصاص من نفسه بخدش خدشه أعرابياً لم يتعمده . فقال جبريل : يا محمد ، إن الله لم يبعثك جباراً تكسر قرون أمتك . وأعلم يا أمير المؤمنين أن كل ما في يدك لا يعدل شربة من شراب الجنة ولا ثمرة من ثمارها ، ولو أن ثوبـاً من ثياب أهل النار علق بين السماء والأرض لأهلك الناس رائحته فكيف بمن تقمصه ؟ ولو أن ذنوباً من صديد أهل النار صب على ماء الدنيا لأحمه ، فكيف بمن يتجرعه ؟ ولو أن حلقة من سلاسل جهنم وضعت على جبل لأذابته فكيف بمن يسلك فيها ويرد فضلها على عاتقه ؟ ! .

العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٣ - ١٦٢ - ١٦٣

ـ الرسائل والعهود ـ

٩٦ – رسالة أبي جعفر إلى أبي مسلم وهما في طريق العودة من الحج وقد ورده نبأ وفاة أخيه السفاح :

إنه حدث حدث ليس مثلك غائب عنه فالعجل العجل .

الإمامة والسياسة لابن قتيبة حـ ٢ ـ ١٣٣

٩٧ ـ رسالة أبي مسلم إلى المنصور في طريق العودة من مكة يخبره بوفاة السفاح وانتقال الخلافة إليه :

يروي الطبري الرسالة الأولى بشكل مختصر ثم يذكر أن أبا مسلم هو الذي استلم النبأ أولاً وأرسل إلى المنصور يقول: بسم الله الرحمن الرحيم : عافاك الله وأمتع بك . إنه أتاني أمر أفظعني وبلغ مني مبلغاً لم يبلغه شيء قط . لقيني محمد ابن الحصين بكتاب من عيسى بن موسى إليك بوفاة أبي العباس أمير المؤمنين رحمه الله فنسأل الله أن يعظم أجرك ويحسن الخلافة عليك ويبارك لك فيما أنت فيه . إنه ليس من أهلك أحد أشد تعظيماً لحقك وأصفى نصيحة لك وحرصاً على ما يسرك مني[1] .

تاريخ الأمم والملوك للطبري حـ ـ ١٢٢

ـ ثورة عبد الله بن علي عم المنصور ـ

٩٨ ـ رسالة أبي مسلم إلى عبد الله لما اقترب منه :

أرسل المنصور أبا مسلم لحرب عمه ، وأراد أبو مسلم خداع عبد الله وجعل أنصاره ينفضون عنه فكتب له :

---

(١) ورد نص هذه الرسالة ـ مع شيء من الاختلاف ـ في الكامل في التاريخ لابن الأثير هـ ٤٦١-٤٦٢ .

إني لم أومر بقتالك ولم أوجـه له ، ولكن أمير المؤمنين ولاني الشام وإنما أريدهـا[1] .

تاريخ الأمم والملوك للطبري حـ ٦ ـ ١٢٥

٩٩ ـ فصول من أمان المنصور لعمه عبد الله وهو من إنشاء عبد الله ابـن المقفع :

... وإن أنا نلت عبد الله بن علي أو أحداً ممن أقدمـه معه بصغير من المكروه أو كبير ، أو أوصلت الى أحد منهم ضرراً سراً أو علانية ، على الوجوه والأسباب كلها تصريحاً أو كناية أو بحيلة من الحيل فأنا نفي من محمد بن علي بن عبد الله ومولود لغير رشدة ، وقـد حل لجميع أمة محمـد خلعي وحربي وإعانة من ناوءني من جميع الخلق ، ولا موالاة بيني وبين أحد من المسلمين ، وهو متبرىء من الحول والقوة ومدع إن كان إنه كافر بجميع الأديان ولقي ربه على غير دين ولا شريعة محرم المأكل والمشرب والمناكح والمركب والرق والملك والملبس على الوجوه والأسباب كلها . وكتبت بخطي ولا نية لي سواه ولا يقبل الله مني إلا إياه والوفاء به[2] .

كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري ص ١٠٤

١٠٠ - رسالة المنصور إلى سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب من أجل ابن المقفع .

قتل سفيان هذا ابن المقفع بإيعـاز من المنصور ، ولكن عيسى بن موسى

---

(١) ورد نص هذه الرسالة ، مع شيء من الاختلاف ، في كل من الكامل لابن الأثير حـ ٥ ـ ٤٦٦ وابن كثير حـ ١٠ـ٦٢ .

(٢) وردت فقرات مختصرة كل الاختصار لاتتجاوز السطرين من هذا العهد الشهير في كل من شرح نهج البلاغة حـ ٤ ـ ٣٨٩ واليعقوبي حـ ٢ ـ ٣٦٨ ووفيات الاعيان حـ ١ ـ ٤١٤ وأمالي المرتضى حـ ١ ـ ١٣٦ ولعل نصنا أكمل نص وأوسعه .

طالب بدمه واتهم بقتله سفيان هـذا فأرسل المنصور رسالة مع شخص اسمه أبو الخصيب بن روقاء إلى سفيان هذا نصها :

يا ابن أبي سفيان : قد وجهت إليك بأبي الخصيب بن روقاء ، فإن كان ابن المقفع حياً فادفعه إليه وأنت على عملك ، وإن لم تدفعه إليه فقد أمرتـه بعزلك وحمـلك[1] .

كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري ص ١٠٨

ـ أمر أبي مسلم الخرساني ـ

١٠١ ـ رسالة عيسى بن علي إلى المنصور حول قتل أبي مسلم :

لما عزم المنصور على قتل أبي مسلم هاب ذلك عمه عيسى بن علي فكتب إليه:

إذا كنت ذا رأي فكن ذا تدبر فإن فساد الرأي أن تتعجلا

١٠٢ ـ جواب المنصور :

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة فـإن فساد الرأي أن تترددا
ولا تمهل الأعداء يومـاً لقدرة وبادرهم أن يملكوا مثلها غـدا

كتاب خلاصة الذهب المسبوك لقنيتو الاربيلي ص ٦٥

١٠٣ ـ رسالة المنصور إلى أبي مسلم يوليه مصر والشام :

قـد وليتك مصر والشام فهي خير لك من خراسان ، فوجه إلى مصر من أحببت وأقم بالشام فتكون بقرب أمير المؤمنين فإن أحب لقاءك أتيته من قريب.

تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٦ ١٣٠

---

(١) ولكن ذلك كان مسرحية إذ أطلق المنصور بعد حين سراح سفيان هذا وذهب دم ابن المقفع هدراً .

١٠٤ ـ رسالة ثانية من المنصور إلى أبي مسلم يطلب منه أن يقدم عليه ليذاكره وذلك بعد منصرفه من حرب عبد الله بن علي :

أريد مناظرتك في أمور لم يحملها الكتاب فخلف عسكرك حيث انتهى إليك كتابي فأقدم علي .

الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري ص ٣٧٩

١٠٥ ـ جواب أبي مسلم :

إنه لم يبق لأمير المؤمنين ـ أكرمه الله ـ عدو إلا أمكنه الله منه ، وقد كنا نروي عن ملوك آل ساسان أن أخوف ما يكون الوزراء إذا سكنت الدهماء . فنحن نافرون من قربك حريصون على الوفاء بعهدك ما وفيت ،حريون بالسمع والطاعة غير أنها من بعيد حيث تقارنها السلامة ، فإن أرضاك ذاك فانا كأحسن عبيدك ، فإن أبيت إلا أن تعطي نفسك إرادتها أنقضت ما أبرمت من عهدك ضناً بنفسي .

١٠٦ ـ جواب المنصور :

قد فهمت كلامك وليست صفتك صفة أولئك الوزراء الغششة ملوكهم الذين يتمنون اضطراب حبل الدولة لكثرة جرائمهم فإنما راحتهم في انتشار نظام الجماعة ، فلِمَ سويت نفسك بهم ؟ فأنت في طاعتك ومناصحتك واضطلاعك بما حملت من أعباء هذا الأمر على ما أنت عليه وليس مع الشريطة التي أوجبت منك سماع ولا طاعة ، وحمل إليك أمير المؤمنين عيسى بن موسى رسالة لتسكن إليها إن أصغيت إليها . وأسأل الله أن يحول بين الشيطان ونزعاته وبينك فإنه لم يجد باباً يفسد فيه نيتك أوكد عنده وأقرب من طبه من الباب الذي

فتحه عليك(١) .

تاريخ الأمم والملوك للطبري حـ ٦ - ١٣٠ - ١٣١

١٠٧ - رسالة من المنصور إلى أبي مسلم لما أعلن هذا خلافه له :

أما بعد : فإنه يرين على القلوب ويطبع عليها المعاصي، فع أيها الطائش وأفق أيها السكران وانتبه أيها النائم فإنك مغرور بأضغاث أحلام كاذبة ، في برزخ دنيا قد غرت من كان قبلك وسم بها سوالف القرون هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً . وإن الله لا يعجزه من هرب ولا يفوته من طلب ، ولا تغتر بمن معك من شيعتي وأهل دعوتي ، فكأنهم قد صالوا عليك بعد أن صالوا معك إن أنت خلعت الطاعة وفارقت الجماعة وبدالك من الله ما لم تكن تحتسب . مهلاً مهلاً احذر البغي أبامسلم، فإن من بغى واعتدى تخلى الله عنه ونصر عليه من يصرعه لليدين والفم ، واحذر أن تكون سنة في الذين قد خلوا من قبلك، ومثلة لمن يأتي بعدك ، فقد قامت الحجة وأعذرت إليك والى أهل طاعتي فيك . قال تعالى : واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين(٢) .

١٠٨ - جواب أبي مسلم :

أما بعد : فقد قرأت كتابك فرأيتك فيه للصواب مجانباً وعن الحق حائداً إذ تضرب فيه الأمثال على غير أشكال ، وكتبت إلي فيه آيات منزلة من الله

---

(١) ورد نص هاتين الرسالتين في كثير من المصادر كما في ابن كثير حـ ١٠ - ٦٤ والوزراء والكتاب وابن الاثير حـ ٥ ٤٦٩-٤٧٠ ، والبدء والتاريخ حـ ٧ ٧٨-٧٩ والعيون والحدائق جـ ٣ ٢١٦-٢١٧ والذهبي جـ ٥ - ٢١٥ والفخري في الآداب السلطانية ص ١٥١ ... الخ وهناك خلاف في نصوصها .

(٢) سورة الأعراف ، الآية ١٧٥ .

للكافرين . وما يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون. وإني والله ما انسلخت من آيات الله ، ولكني يا عبد الله بن محمــد ، كنت رجلاً متأولاً فيكم من القرآن آيات أوجبت لكم بها الولاية والطاعة ، فأتممت بأخوين لك من قبل ثم بك من بعدهما فكنت لهما شيعة متديناً أحسبني هادياًمهتدياً وأخطأت في التأويل،وقدما أخطأ المتأولون . وقــد قال تعالى : وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة إنه من عمل منكم سوءً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنــه غفور رحيم[1] . وإن أخاك السفاح ظهر في صورة مهدي وكان ضالاًفأمرني أن أجرد السيف وأقتل بالظنة وأقدم بالشبهة وأرفع الرحمة ولاأقيل العثرة ، فوترت أهل الدنيا في طاعتكم وتوطئة سلطانكم حتى عرفكم الله من جهلكم ، ثم إن الله سبحانــه تداركني بالندم واستنقذني بالتوبة ، فإن يعف عني ويصفح فإنـــه كان للأوابين غفوراً ، وإن يعاقبني فبذنوبي ، وما ربك بظلام للعبيد[2] .

١٠٩ ـ جواب المنصور :

أما بعد أيها المجرم العاصي : فـإن أخي كان إمام هدى يدعوا إلى الله على بينة من ربه فأوضح لك السبيل وحملك على المنهج السديد ، فلو بأخي اقتديت لما كنت عن الحق حائداً ، وعن الشيطان وأوامره صادراً . ولكنه لم يسنح لك أمران إلا كنت لأرشدهما تاركاً ولأغواهما راكباً تقتل قتل الفراعنة وتبطش بطش الجبابرة وتحكم بالجور حكم المفسدين وتبذر المال وتضعه في غير مواضعه فعل المسرفين . ثم من خبري ـ أيها الفاسق ـ أني قـد وليت موسى

---

(١) سورة الأنعام ، الآية ٥٤ .

(٢) ورد نص هذه الرسالة في الطبري ج٦ ـ ١٣١ وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج١٠ ٢٠٨-٢٠٩ وفي غيرهما من المصادر . وهناك اختلافات في نصوص هذه الرسائل ،

ابن كعب خراسان وأمرته أن يقيم بنيسابور ، فإن أردت خراسان لقيك بمن معه من قوادي وشيعتي . وأنا موجه للقائك أقرانك فأجمع كيدك وأمرك غير مسدد ولا موفق . وحسب أمير المؤمنين ومن اتبعه الله ونعم الوكيل .

البداية والنهاية لابن كثير جـ ١٠ – ٦٨ – ٦٩

١١٠ – رسالة شفوية من المنصور الى أبي مسلم :

لما يئس المنصور من قدوم أبي مسلم عليه وأدرك أنه قد بادره بالعدوان أرسل إليه مع رسول يقول :

يقول لك أمير المؤمنين : لست للعباس وأنا بريء من محمد إن مضيت مشاقاً ولم تأتني إن وكلت أمرك الى أحد سواي وإن لم آل طلبك وقتالك بنفسي، ولو خضت البحر لخضته ، ولو اقتحمت النار لاقتحمتها حتى أقتلك أو أموت قبل ذلك .

تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٦ – ١٣٢

١١١ – رسالة المنصور الى أبي داود خليفة أبي مسلم على خراسان بولاية خراسان لقاء منعه أبا مسلم من العودة إليها .

إن لك إمرة خراسان ما بقيت .

١١٢ – رسالة أبي داود الى أبي مسلم :

إنا لم نخرج لمعصية خلفاء الله وأهل بيت نبيه ﷺ ، فلا تخالفن إمامك ولا ترجعن إلا بأذنه[1] .

تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٦ – ١٣٣

---

(١) أورد الذهبي جـ ٥ – ٢١٦ نصوصاً مشابهة لهذه الرسائل مع شيء يسير من الاختلافات.

ـ المنصور والعلويون ـ

١١٣ ـ رسالة المنصور إلى عامله على المدينة باعطاء العطاء إلى الناس بأيديهم :

أعط الناس في أيديهم ولا تبعث الى أحد بعطائه ، وتفقد بني هاشم ومن تخلف منهم ممن حضر ، وتحفظ بمحمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن .

١١٤ جواب عامل المنصور على المدينة له :

إنه لم يتخلف أحد عن العطاء إلا محمد وإبراهيم ابنا عبد الله بن الحسن فإنهما لم يحضرا .

العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٥ ـ ٧٥

١١٥ ـ رسالة المنصور الى عبد الله بن الحسن حول ابنيه محمد وابراهيم وتغيبهما :

أرسل عبد الله الى ولديه محمد وابراهيم رسائل يخبرهم فيها بأوامره ووقعت الكتب بيد المنصور فلم يفضها وإنما أرسلها الى عبد الله مع هذه الرسالة التالية:

إني أتيت برسولك والكتب التي معه فرددتها إليك بطوابعها كراهية ان أطلع منها على ما يغير لك قلبي ، فلا تدع الى التقاطع بعد التواصل ، ولا الى الفرقة بعد الاجتماع ، وأظهر لي إبنيك فإنهما سيصيران بحيث تحب من الولاية والقرابة وتعظيم الشرف .

١٦١ ـ رسالة ثانية من المنصور إلى عبد الله حول نفس الموضوع :

أنكر عبد الله الأمر كلياً ولكن المنصور عاود المراقبة فظفر برسائل موجهة من عبد الله الى ولديه وإلى أهل خراسان فقبض أبو جعفر على الرسول وأرسل الكتب إلى مظانها وأخذ أجوبتها ثم كتب إلى عبد الله بن الحسن :

أريد حياتـه ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

أما بعد : فقـد قرأت كتبك وكتب أبنيك وأنفذتها الى خراسان وجاءتني جواباتها بتصديقها، وقد استقر عندي أنك مغيب لابنيك تعرف مكانهما فأظهرهما لي، فإن لك علي أن أعظم صلتهما وجوائزهما وأن أضمهما بحيث وضعتهما قرابتهما فتدارك الأمور قبل تفاقمها .

١١٧ - جواب عبد الله بن الحسن :

وكيف أريد ذاك وأنت مني وزندك حين تقدح من زنادي

« » » » » بمنزلة النيـاط من الفؤاد

العقد الفريد لابن عبد ربه جـ ٥ - ٧٦

١١٨ - رسالة المنصور الى محمد النفس الزكية لما أعلن هذا الثورة ضده :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين الى محمد بن عبد الله ، أما بعد : فإنما جزاء الذي يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم ، إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم[١] . ولك عهد الله وذمته وميثاقه وحق نبيه محمد ﷺ إن تبت من قبل أن أقدر عليك أن أؤمنك على نفسك وولدك وإخوتك ومن بايعك وتابعك وجميع شيعتك ، وإن أعطيك الف الف درهم وأنزلك من البلاد حيث شئت وأقضي لك ما شئت من الحاجات ، وأن اطلق من في سجني من أهل بيتك وشيعتك وأنصارك ثم لا أتتبع أحداً منكم بمكروه

(١) سورة المائدة ، الآيتان ٣٣-٣٤ .

فإن شئت أن تتوثق لنفسك فوجه إليّ من يأخذ لك من الميثاق والعهد والأمان ما أحببت والسلام .

١١٩ ـ جواب محمد النفس الزكية للمنصور :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله محمد المهدي أمير المؤمنين الى عبد الله ابن محمد . أما بعد : طسم، تلك آيات الكتاب المبين، نتلوا عليك من نبأموسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ، إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين، ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين، ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون[1]. وأنا أعرض عليك من الأمان مثل الذي أعطيتني ، وقد تعلم أن الحق حقنا وأنكم إنما طلبتموه بنا ونهضتم فيه بشيعتنا وخبطتموه بفضلنا ، وأن أبانا علياً عليه السلام كان الوصي والإمام فكيف ورثتموه دوننا ونحن أحياء ؟ وقد علمت إنه ليس أحد من بني هاشم يمت بمثل فضلنا ولا يفخر بمثل قديمنا وحديثنا ونسبنا وسببنا . وإنا بنو أم رسول الله ﷺ فاطمة بنت عمرو في الجاهلية دونكم ، وبنو ابنته فاطمة في الإسلام من بينكم . فأنا أوسط بني هاشم نسباً وخيرهم أماً وأباً ، لم تلدني العجم ولم تعرق فيّ أمهات الأولاد . وإن الله تبارك وتعالى لم يزل يختار لنا فولدني من النبيين أفضلهم محمد ﷺ ، ومن أصحابه أقدمهم إسلاماً وأوسعهم علماً وأكثرهم جهاداً علي بن أبي طالب ، ومن نسائه خديجة بنت خويلد اول من آمن بالله وصلى القبلة ، ومن بناته أفضلهن وسيدة نساء أهل الجنة ، ومن المولودين في الإسلام الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة . ثم قد علمت أن

---

(١) سورة القصص ، الآيات ١-٦ .

هاشماً ولد علياً مرتين ، وأن عبـــد المطلب ولد الحسن مرتين ، وأن رسول الله ﷺ ولدني مرتين من قبل جديَّ الحسن والحسن. فما زال الله يختار لي حتى اختار لي في النار ، فولدني أرفع الناس درجة في الجنة وأهون أهل النار عذاباً، فأنا ابن خير الأخيار وابن خير الأشرار وابن خير أهـل الجنة وابن خير أهل النار . ولك علي العهد ، إن دخلت في بيعتي أن أؤمنك على نفسك وولدك وكل ما أصبته ، إلا حداً من حدود الله ، أو حقاً لمسلم أو معاهدفقد علمت مايلزمك في ذلك ، فأنا أوفى بالعهد منك وأحرى لقبول الأمان . فـــأما أمانك الذي عرضت علي فأي الأمانات هو أمان ابن هبيرة أم أمان عمك عبد الله بن علي أم أمان أبي مسلم ؟ ! والسلام .

١٢٥ ـ جواب المنصور الى محمد النفس الزكية :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين الى محمد بن عبد الله . أما بعد : فقد أتاني كتابك وبلغني كلامك فاذا جل فخرك بالنساء ، لتضل به الجفاة والغوغاء ، ولم يجعل الله النساء كالعمومة ولا الآباء كالعصبة والأولياء، وجعل العم أباً وبدأ به على الوالد الأدنى فقال جل ثناؤه عن نبيه عليه السلام: واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب[1] . ولقد علمت أن الله تبارك وتعالى بعث محمداً ﷺ وعمومته أربعة فأجابه اثنان احدهما أبي وكفر اثنان أحدهما أبوك . فأما ما ذكرت من النساء وقراباتهن فلو أعطين على قرب الأنساب وحق الأحساب لكان الخير كله لآمنة بنت وهب ، ولكن الله يختار لدينه من يشاء من خلقه . فأما ما ذكرت من فاطمة أم أبي طالب فإن الله لم يهـد أحداً من ولدها للإسلام ، ولو فعل لكان عبد الله بن عبد المطلب أولاهم بكل خير في

---

(١) سورة يوسف ، الآية ٣٨ .

الآخرة والأولى وأسعدهم بدخول الجنة غــداً ، ولكن الله أبى فقال : إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء[1] . فأما ما ذكرت من فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب وفاطمة أم الحسن وأن هاشماً ولد علياً مرتين وأن عبد المطلب ولد الحسن مرتين فخير الأولين والآخرين محمد رسول ﷺ لم يلده هاشم إلا مرة واحدة ، ولم يلده عبــد المطلب إلا مرة واحدة . وأما ما ذكرت من أنك ابن رسول الله فإن الله عز وجل أبى ذلك فقال: ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين[2] . ولكنكم بنــو ابنته وأنها لقرابة قريبة غير أنها امرأة لاتحوز الميراث ولا يجوز أن تؤم فكيف تورث الإمامة من قبلها؟ ولقد طلب بها أبوك بكل وجه فأخرجها تخاصم ومرضها سراً ودفنها ليلاً فأبى الناس إلا تقـديم الشيخين . ولقـد حضر أبوك وفاة رسول الله ﷺ فأمر بالصلاة غيره . ثم أخذ الناس رجلاً رجلاً فلم يأخذوا أباك فيهم . ثم كان في أصحاب الشورى فكل دفعه عنها وبايع عبـد الرحمن عثمان وقبلها عثمان . وحارب أباك طلحة والزبير ودعا سعداً الى بيعته فأغلق بابه دونه ثم بايع معاوية بعده ، وأفضى أمر جدك الى أبيك الحسن فسلمــه الى معاوية بخرق ودراهم وأسلم في يديه شيعته وخرج الى المدينة فدفع الأمر الى غير أهله وأخذ مالاً من غير حله ، فإن كان لكم فيها شيء فقد بعتموه . فأما قولك أن الله اختار لك في الكفر فجعل أباك أهون أهل النار عذاباً فليس في الشر خيار ، ولا من عــذاب الله هين ، ولا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يفخر بالنار ، وستزد فتعلم . وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون . وأما قولك أنك لم تلدك العجم ولم تعرق فيك أمهات الأولاد وإنك أوسط بني هاشم نسباً وخيرهم أماً وأباً ، فقد رأيتك فخرت على بني هاشم طراً وقدمت نفسك على

---

(1) سورة القصص ، الآية ٥٦ .

(2) سورة الأحزاب ، الآية ٤ .

من هو خير منك أولاً وآخراً وأصلا وفضلا ، فخرت على ابراهيم ابن رسول الله ﷺ وعلى والد ولده ، فانظر ويحك أين تكون من الله غداً . وما ولد فيكم مولود بعد وفاة رسول الله ﷺ أفضل من علي بن الحسين وهو لأم ولد ، ولقد كان خيراً من جدك الحسن بن الحسن ، ثم ابنه محمد بن علي خير من أبيك وجدته أم ولد ، ثم ابنه جعفر وهو خير منك . ولقد علمت أن جدك علياً حكّم حكمين وأعطاهما عهده وميثاقه على الرضا بما حكما به ، فاجتمعا على خلعه . ثم خرج عمك الحسين بن علي على ابن مرجانة فكان الناس الذين معه عليه حتى قتلوه ، ثم أتوا بكم على الأقتاب بغير أوطية كالسبي المجلوب إلى الشام ثم خرج منكم غير واحد فقتلتكم بنو أميـــة وحرقوكم بالنار وصلبوكم على جذوع النخل حتى خرجنا عليهم فأدركنا بثأركم إذ لم تدركوه ، ورفعنا أقداركم وأورثناكم أرضهم وديارهم بعد أن كانوا يلعنون أباك في أدبار الصلاة المكتوبة كما يلعن الكفرة ، فعنفناهم وكفرناهم وبيّنا فضله وأشدنا بذكره فاتخذت ذلك علينـــا حجة وظننت أنا لما ذكرنا من فضل علي أنا قدمناه على حمزة والعباس وجعفر ، كل أولئك مضوا سالمين مسلّماً منهم وابتلى أبوك بالدماء . ولقد علمت أن مآثرنا في الجاهلية سقاية الحجيج الأعظم وولاية زمزم ، وكانت للعباس دون أخوته ، فنازعنا أبوك فيها الى عمر فقضى لنا عمر عليه . وتوفي رسول الله ﷺ وليس من عمومته أحد حياً إلا العباس فكان وارثه دون بـــني عبد المطلب . وطلب الخلافة غير واحد من بني هاشم فلم ينلها إلا ولده ؛ فاجتمع للعباس أنه أبو رسول الله ﷺ خاتم الأنبيـــاء ، وبنوه القادة الخلفاء ، فقد ذهب بفضل القديم والحديث ، ولولا أن العباس أخرج إلى بدر كرهاً لمـــات عماك طالب وعقيل جوعاً او يلحسا جفان عتبة وشيبة فأذهب عنهما العار والشنار . ولقد جاء الاسلام والعباس يمون أبا طالب للأزمة التي أصابتهم ، ثم فدى عقيلا يوم بدر . فقدمناكم في الكفر وفديناكم من الأسر ، وورثنا دونكم خاتم الأنبياء ،

وحزنا شرف الآباء ، وأدركنا من ثأركم ماعجزتم عنه ، ووضعناكم بحيث لم تضعوا أنفسكم ، والسلام [1] .

الكامل للمبرد ج ٢ ١٢٧٣-١٢٧٩

١٢١ – رسالة موسى بن عبد الله الى أخيه محمد النفس الزكية لما أرسله إلى الشام من أجل الدعوة له :

أرسل محمد أخاه موسى ومولاه الى بلاد الشام للدعوة له فلم يصادفا قبولاً وأرسل موسى يقول له :

إني أخبرك إني لقيت الشام وأهله فكان أحسنهم قولاً الذي قال : والله لقد مللنا البلاء وضقنا به ذرعاً حتى مافينا لهذا الأمر موضع ولا لنابه حاجة . ومنهم طائفة تحلف لئن أصبحنا من ليلتنا أو أمسينا من غدٍ ليدفعن أمرنا وليدلن علينا ، فكتبت إليك وقد غيبت وجهي وخفت على نفسي .

تاريخ الأمم والملوك للطبري ج٦ ١٩٩ – ٢٠٠

١٢٢ – رسالة عبد الله بن الحسن والد محمد الى ولده محمد

ثار محمد واختفى فاعتقل المنصور والده وأقاربه فأرسل إليه ابنه يعرض عليه اسلام نفسه لينقذهم فرفض أبوه ذلك وكتب اليه يقول :

إن ظهورك يابني يقتلك ولا يحييني فأقم بمكانك حتى يرتاح الله بفرج .

تاريخ اليعقوبي ج٢ – ٣٧٠

---

(١) ورد نص هذه الرسائل الشهيرة في كثير من المصادر كالطبري ج٦ ١٩٥-١٩٩ والعقد الفريد ج٥ ٧٩-٨٥ وصبح الأعشى ج١ ٢٣١ - ٢٣٥ وابن الأثير ج٥ ٥٣٦-٥٤٢ . وهناك اختلافات كثيرة في نصوصها ولكن المعنى واحد .

١٢٣ – رسالة عبد الله بن الحسن إلى المنصور لما اعتقل ابنه موسى عندما ثار ضده ابناه محمد وابراهيم :

إني كاتب الى محمد وابراهيم فأرسل موسى عسى أن يلقاهما .

مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني ص ٢٢٤

١٢٤ – رسالة المنصور الى أهل المدينة لما ثاروا بواليه رياح المري أثر خطبته فيهم وتهدده إياهم إثر اختفاء محمد النفس الزكية وأخيه ابراهيم .

أما بعد يا أهل المدينة : إن واليكم كتب إليّ يذكر غشكم وخلافكم وسوء رأيكم واستمالتكم على بيعـــة أمير المؤمنين . وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن لم تنزعوا ليبدلنكم بعد أمنكم خوفاً وليقطمن البر والبحر عنكم ، وليبعثن عليكم رجالاً غلاظ الأكباد بعاد الأرحام ، لو[1] قمر بيوتكم يفعلون ما يؤمرون ؛ والسلام .

تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ـ ٣٧٥

١٢٥ ـ رسالة المنصور الى مولاه أبي الأزهر بحق عبد الله بن الحسن :

أرسل المنصور إلى مولاه أبي الأزهر ، وكان موكلا ببني الحسن في السجن، رسالة يقول له فيها :

انظر يا أبا الأزهر ما أمرتك بـــه من مدله فعجله وأنفذه[2] ،

تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ـ ١٨١

١٢٦ ـ رسالة شفوية من عبد الله بن الحسن الى أبي جعفر :

قتل المنصور محمداً النفس الزكية لما ثار ضده، وأرسل رأسه، مع الربيع إلى

---

(١) هكذا في الاصل .

(٢) ورد نص هذه الرسالة في مقاتل الطالبين ص ٢٢٧ . والمقصود بمدله عبد الله بن الحسن ، ويرد اسمه في مقاتل الطالبين مذله .

ابيه عبد الله الذي كان في سجن المنصور فقال عبد الله للربيع :

قل لصاحبك قد مضى من بؤسنا مدة ومن نعيمك مثلها، والموعد لله تعالى:

زهر الآداب للحصري القيرواني ج ١ - ٨٢ - ٨٣

١٢٧ - رسالة عيسى بن موسى إلى أصحاب محمد النفس الزكية يدعوهم لنبـــذ طاعته والإنضواء تحت لوائه :

أرسل المنصور عيسى بن موسى في جيش لحرب محمد، فلما اقترب منها أرسل رسائل الى وجوه أصحاب محمد هذا نصها :

إن محمداً تعاطى ما ليس يعطيه الله وتناول ما لم يؤتـه الله . قال الله عز وجل في كتابه : قـل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتـــذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير[1] . فعجل التخلص وأقل التربص وادع من أطاعك من قومك إلى الخروج معك.

تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ - ٢٠٦

١٢٨ - رسالة محمد النفس الزكية الى عيسى بن موسى :

أرسل عيسى بن موسى إلى محمـــد يعرض عليه الأمان فأبى وأرسل إلى عيسى يقول :

يا هذا : إن لك برسول الله قرابة قريبة، وإني أدعوك الى كتاب الله وسنة نبيه والعمل بطاعته وأحذرك نقمته وعذابـه . وإني والله ما أنا بمنصرف عن هذا الأمر إلى أن القى الله عليه، فإياك أن يقتلك من يدعوك إلى الله فتكون شر قتيل أو تقتله فيكون أعظم لوزرك وأكثر لمأثمك .

تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٦ - ٢١٠

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ٢٦ .

١٢٩ - رسالة من المنصور الى عيسى بن موسى بحق آل أبي طالب :

فن لقيك من آل أبي طالب فاكتب إلي باسمه ، ومن لم يلقك فاقبض ماله .

تاريخ الأمم والملوك للطبري ج٦ - ٢٠٥

١٣٠ - رسالة المنصور الى عيسى بن موسى لمـــا بلغه ثورة إبراهيم أخي محمد ضده في البصرة وكان عيسى في المدينة :

إذا قرأت كتابي فاقبل ودع ما أنت فيه[1] .

مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني ص ٣٤٤

١٣١ - رسالة المنصور الى محمد وجعفر ابني سليمان بن علي جواباً على رسالتهما التي أرسلاها له يخبرانه بثورة ابراهيم واستيلائه على البصرة:

أرسل لهما رسالة يوبخهما ويعجزهما ويقول في آخرها :

أبلغ بني هـــاشم عني مغلغلة   فاستيقظوا إن هذا فعل نوام

تعدو الذئاب على من لا كلاب له   وتتقي مربض المستنفر الحامي

تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٦ - ٢٥٦

١٣٢ - رسالة مسلم بن قتيبة الى ابراهيم لمـــا وصل بأخمرا :

إنك قد أصحرت ومثلك أنفس به على الموت فخندق على نفسك ، فإن كنت لم تفعل فقد أعرى المنصور عسكره فخف في طائفة حتى تأتيه فتأخذ بقفاه .

تاريخ دول الإسلام للذهبي ج٦ - ٢٥

١٣٣ - رسالة أبي حنيفـة إلى ابراهيم يشير عليه أن يقصد الكوفـة وكان يرى الخروج معـه :

إئتها سراً ، فإن من ها هنا من شيعتكم يبيتون أبا جعفر فيقتلونـــه أو يأخذون برقبته فيأتونك به .

---

(١) ورد نص هذه الرسالة في الطبري ج٦ - ٢٥٥ .

١٣٤ ـ رسالة ثانية من أبي حنيفة إلى ابراهيم لما توجه هذا للقاء عيسى بن موسى :

إذا أظفرك الله بعيسى وأصحابه فلا تسر فيهم بسيرة أبيك في أهل الجمل فإنه لم يقتل المنهزم ولم يأخذ الأموال ولم يتبع مدبراً ولم يذفف على جريح لأن القوم لم يكن لهم فئة ؛ ولكن سر فيهم بسيرة يوم صفين فإنه سبى الذرية وذفف على الجريح وقسم الغنيمة لأن أهل الشام كانت لهم فئة وكانوا في بلادهم[١] .

مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني ص ٣٦٦

١٣٥ ـ رسالة المنصور الى عامله على البصرة مسلم بن قتيبة يأمره بهدم دور من ساعد إبراهيم وثار معه :

أما بعد : فاهدم دور من خرج مع ابراهيم واعقر نخلهم .

١٣٦ ـ جواب مسلم :

بأي ذلك أبدأ ؟ بالدور أم بالنخل ؟

تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٦ ـ ٢٦٨

١٣٧ ـ جواب المنصور :

أما بعد : فإني لو كتبت إليك بإفساد تمرهم لكتبت إلي تستأذنني بأية تبدأ بالبرني أم بالشهريز ؟

---

(١) وكانت هذه الرسالة ـ كما يقول أبو الفرج الاصفهاني نفسه ـ سبباً في وفاة أبي حنيفة إذ أنها وقعت بيد المنصور فظل يعمل حتى تمكن من أن يسقي أبا حنيفة شربة كان بها حتفه ودفن في بغداد .

ثم عزله وولى مكانه محمد بن سليمان .

البيان والتبيين للجاحظ ج ٢ - ٢٨٢

١٣٨ - رسالة المنصور الى آل أبي طالب بعد ثورتهم ضده :

بعد خمود ثورات آل الحسن أرسل المنصور إلى آل أبي طالب في المدينة المنورة يقرعهم ويذكرهم أنهم لا زالوا يحاولون عبثاً الوصول الى السلطه ، وإن الله أخذ بثأرهم من بني أمية على يد العباسيين ، وختم رسالته مستشهداً بأبيات سبيع بن ربيعة بن معاوية اليربوعي :

فلولا دفاعي عنكم إذ عجزتم ... وبالله أحمي عنكم وأدافع

لضاعت أمور منكم لاأرى لها ... كفاة وما لا يحفظ الله ضائع

فسموا لنا من طحطح الناس عنكم ... ومن ذا الذي تحني عليه الأصابع

وما زال منا ، قد علمتم عليكم ... على الدهر أفضال ترى ومنافع

وما زال منكم أهل غدر وجفوة ... وبالله مغتر وللرحم قاطع

وإن نحن غبنا عنكم وشهدتم ... وقائع منكم ثم فيها مقانع

وإنا لنرعاكم وترعون شأنكم ... كذاك الأمور خافضات روافع

وهل تَعْلُوَنْ أقدام قوم صدورهم ... وهل تعلون فوق السنام الأكارع

ودب رجال للرئاسة منكم ... كما درجت تحت الغدير الضفادع

تاريخ الأمم والملوك للطبري ج - ٣٣٦

ـ قضية ولاية العهد ـ

كان السفاح قد عهد بولاية العهد لأخيه أبي جعفر ومن بعده لعيسى بن موسى . فلما ولي المنصور أراد أن يعزل عيسى عن ولاية العهد وأن يقدم ابنه

محمداً المهدي . ولجأ في هذا السبيل الى الوعد والوعيد ودارت مراسلات بين الطرفين حتى نجح في ذلك .

١٣٩ ـ رسالة المنصور إلى عيسى يطلب منه أن يخلع نفسه من ولاية العهد وأن يقدم المهدي مكانه وقبله :

بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله عبـــد الله المنصور أمير المؤمنين إلى عيسى بن موسى ، سلام عليك ، فإني أحمـــد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فالحمد لله ذي المن القديم والفضل العظيم والبلاء الحسن الجميل الذي ابتدأ الخلق بعلمه وأنفذ القضاء بأمره ، فلا يبلغ مخلوق كنه حقه ولا ينال في عظمته كنه ذكره يدبر ما أراد من الأمور بقدرته ويصدرها عن مشيئته لا قاضي فيها غيره ولا نفاذ لها إلا به يجريها على إذلالها لا يستأمر فيها وزيراً ولا يشاور فيها معيناً ولا يلتبس عليـــه شيء أراده ، يمضي قضاؤه فيما أحب العباد وكرهوا لا يستطيعون منه امتناعاً ولا عن أنفسهم دفاعاً رب الأرض ومن عليها له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين . ثم إنك قد علمت الحال التي كنا عليها في ولايـة الظلمة كيف كانت قوتنا وحيلتنـا لما اجترأ عليه أهل بيت اللعنة فيما أحببنا وكرهنا فصبرنا أنفسنا على مادعونا إليه من تسليم الأمور إلى من أسندوها إليه واجتمع رأيهم عليه نسام الخسف ونوطأ بالعسف لاندع ظلماً ولا نمنـع ضيماً ولا نعطي حقاً ولا ننكر منكراً ولا نستطيـع لها ولا لأنفسنا نفعاً ، حتى إذا بلغ الكتاب أجله وانتهى الأمر إلى مدته وأذن الله تعالى في هلاك عدوه وارتاح بالرحمة لأهل بيت نبيه ﷺ فابتعث الله لهم أنصاراً يطلبون بثأرهم ويجاهدون عدوهم ويدعون إلى حبهم وينصرون دولتهم على أرضين متفرقة وأسباب مختلفة وأهواء مختلفة فجمعهم الله على طاعتنا وألف بين قلوبهم بمودتنـا على نصرتنا وأعزهم بنصرنا ، لم نلق منهم رجـــلا ولم نشهر معهم سيفاً إلا ماقذف الله في قلوبهم حتى ابتعثهم لنا من بلادهم ببصائر نافـــذة وطاعة خالصة يلقون الظفر

ويعودون بالنصر وينصرون بالرعب لايلقون أحداً إلا هزموه ولا واتراً إلا قتلوه ، حتى بلغ الله بنا بذلك أقصى مدانا وغاية منانا ومنتهى آمالنا وإظهار حقنا وإهلاك عدونا كرامة من الله جل وعز وفضلاً منه علينا بغير حول منا ولا قوة . ثم لم نزل من ذلك في نعمة الله وفضله علينا حتى نشأ هذا الغلام فقذف الله له في قلوب أنصار الدين الذين ابتعثهم لنا مثل ابتدائه لنا أول أمرنا ، وأشرب قلوبهم مودته وقسم في صدورهم محبته فصاروا لايذكرون إلا فضله ولا ينوهون إلا باسمه ولا يعرفون إلا حقه . فلما رأى أمير المؤمنين ماقذف الله في قلوبهم من مودته وأجرى على ألسنتهم من ذكره ومعرفتهم إياه بعلاماته واسمه ودعاء العامة إلى طاعته أيقنت نفس امير المؤمنين ان ذلك أمر تولاه الله وصنعه ولم يكن للعباد فيه أمر ولا قدرة ولا مؤامرة ولا مذاكرة للذي رأى امير المؤمنين من اجتماع الكلمة وتتابع العامة حتى ظن أمير المؤمنين أنه لولا معرفة المهدي بحق الأبوة لأفضت الأمور إليه ، وكان أمير المؤمنين لايمنع مما اجتمعت عليه العامة ولا يجد مناصاً عن خلاص مادعوا إليه، وكان أشد الناس على أمير المؤمنين في ذلك الأقرب فالأقرب من خاصته وثقاته من حرسه وشرطه ، فلم يجد أمير المؤمنين بداً من استصلاحهم ومتابعتهم ؛ وكان امير المؤمنين وأهل بيته أحق من سارع إلى ذلك وحرص عليه ورغب فيه وعرف فضله ورجا بركته وصدق الرواية فيه وحمد الله إذ جعل في ذريته مثل ما سألت الأنبياء قبله إذ قال العبد الصالح : فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا[1] . فوهب الله لأمير المؤمنين ولياً ثم جعله تقياً مباركاً مهدياً وللنبي ﷺ سمياً وسلب من انتحل هذا الاسم ودعا الى تلك الشبهة التي تميز بها أهل تلك النية وافتتن بها أهل تلك الشقوة فانتزع ذلك منهم وجعل دائرة السوء عليهم وأقر الحق قراره وأعلن للمهدي مناره وللدين أنصاره . فأحب أمير المؤمنين أن يعلمك الذي اجتمع عليه رأي رعيته

(1) سورة مريم ، الآية ٦ .

وكنت في نفسه بمنزلة ولده يحب من ستـرك ورشدك وزينك مايحب لنفسه وولده ، ويرى لك ، إذ أبلغك من حال ابن عمك ماترى من اجتماع الناس عليه أن يكون ابتداء ذلك من قبلك ليعلم أنصارنا من أهل خراسان وغيرهم أنك أسرع الى ما أحبوا مما عليه رأيهم في صلاحهم منهم الى ذلك من أنفسهم ، وإن ما كان عليه من فضل عرفوه للمهدي او أملوه فيه كنت أحظى الناس بذلك وأسرهم به لمكانته وقرابته فاقبل نصح أمير المؤمنين لك تصلح وترشد ، والسلام عليك ورحمة الله .

١٤٥ ـ جواب عيسى بن موسى للمنصور على رسالته السابقة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله عبد الله أمير المؤمنين من عيسى بن موسى سلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد : فقد بلغني كتابك تذكر فيه ما أجمعت عليه من خلاف الحق وركوب الإثم في قطيعة الرحم ونقض ما أخذ الله عليه من الميثاق من العامة بالوفاء للخلافة والعهد لي من بعدك لتقطع بذلك ما وصل الله من حبله وتفرق بين ما ألف الله جمعه وتجمع بين مافرق الله أمره مكابرة لله في سمائه وحولاً على الله في قضائه ومتابعة للشيطان في هواه . ومن كابر الله صرعه ، ومن نازعه قمعه ، ومن ماكره عن شيء خلعه ، ومن توكل على الله منعه ، ومن تواضع لله رفعه . إن الذي أسس عليه البناء وخط عليه الحذاء من الخليفة الماضي عهد لي من الله ، وأمر نحن فيه سواء ليس لأحد من المسلمين فيه رخصة دون أحد ، فإن وجب وفاء فيه فما الأول بأحق به من الآخر ، وإن حل من الآخر شيء فما حرم ذلك من الأول ، بل الأول الذي قلا خبره وعرف أثره وكشف عما ظن به وأمل به أسرع ، وكان الحق أولى بالذي أراد أن يضع أولاً ، فلا يدعك إلى الأمن من البلاء اغترار من الله وترخيص للناس في ترك الوفاء ، فإن من أجابك إلى ترك شيء وجب لي واستحل ذلك مني لم يخرج إذا أمكنته الفرصة وافتتنته

بالرخصة أن يكون الى مثل ذلك منك أسرع ويكون بالذي أسست من ذلك أنجع . فاقبل العافية وارض من الله بما صنع وخذ ما أوتيت بقوة وكن من الشاكرين فإن الله عز وجل زائد من شكره وعداً منه حقاً لاخلف فيه ، فمن راقب الله حفظه ومن أضمر خلافه خذله ، والله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور . ولسنا مع ذلك نأمن من حوادث الأمور وبغتات الموت قبل ما ابتدأت به من قطيعتي ، فإن تعجل لي أمر كنت قد كفيت مؤونة مااغتنمت له وسترت قبح ما أردت إظهاره ، وإن بقيت بعدك لم تكن أوغرت صدري وقطعت رحمي ولا أظهرت عدائي في اتباع أثرك وقبول ادبك وعمل بمثالك . وذكرت أن الأمور كلها بيد الله هو مدبرها ومقدرها ومصدرها عن مشيئته فقد صدقت ان الأمور بيد الله وقد حق على من عرف ذلك ووصفه العمل به والانتهاء اليه . واعلم أنا لسنا جررنا على أنفسنا نفعاً ولا دفعنا عنها ضراً ولانلنا الذي عرفته بحولنا ولا قوتنا ولو وكلنا ذلك الى أنفسنا واهوائنا لضعفت قوتنا وعجزت قدرتنا في طلب مابلغ الله بنا . ولكن الله إذا أراد عزماً لإنفاذ أمره وانجاز وعده واتمام عهده وتأكيد عقده أحكم إبرامه وأبرم احكامه ونور اعلائه وثبت أركانه حين أسس بنيانه فلا يستطيع العباد تأخير ماعجل ولا تعجيل ما أخر ؛ غير ان الشيطان عدو مضل مبين ، قد حذر الله طاعته وبين عدوانه ، ينزع بين ولاة الحق وأهل طاعته ليفرق جمعهم ويشتت شملهم ويوقع العداوة والبغضاء بينهم ويتبرأ منهم عند حقائق الأمور ومضايق البلايا . وقد قال الله عز وجل في كتابه : وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله مايلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم(١) . ووصف الذين اتقوا فقال : إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون(٢) . فأعيذ أمير المؤمنين بالله من أن يكون نيته

(١) سورة الحج ، الآية ٥٢ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية ٢٠١ .

وضمير سريرته خلاف ما زين الله به جل وعز من كان قبله ، فإنه قد سألتهم ابناؤهم ونازعتهم أهواؤهم إلى مثل الذي هم به أمير المؤمنين فآثروا الحق على ما سواه وعرفوا أن الله لا غالب لقضائه ولا مانع لعطائه ولم يأمنوا مع ذلك تغيير النعم وتعجيل النقم فآثروا الآجلة وقبلوا العافية وكرهوا التغيير وخافوا التبديل فأظهروا الجميل فتمم الله لهم أمورهم وكفاهم ما أهمهم ومنع سلطانهم وأعز أنصارهم وكرم أعوانهم وشرف بنيانهم فتمت النعم وتظاهرت المنن فاستوجبوا الشكر . فتم أمر الله وهم كارهون . وسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله .

تاريخ الأمم والملوك للطبرى جـ ٦ — ٢٧٥ - ٢٧٩

١٤١ - نص تنازل عيسى بن موسى عن ولاية العهد وتقديم المهدي :

نعم قد بعت نصيبي من تقدمة ولاية العهد من عبد الله أمير المؤمنين لابنه محمد المهدي بعشرة آلاف ألف درهم وثلاثمائة ألف بين ولدي فلان وفلان - وسماهم - وسبعمائة ألف لفلانة - امرأة من نسائه سماها - بطيب نفس مني وحب لتصييرها إليه لأنه أولى بها وأحق وأقوى عليها وعلى القيام بها وليس لي فيها حق لتقدمته في قليل ولا كثير فما ادعيته بعد يومي هذا فأنا فيه مبطل لا حق لي فيه ولا دعوى ولا طلبة .

وختم الكتاب ووضع عيسى عليه خطه وخاتمه وشهد عليه الشهود

تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٦ - ٢٨٣

- شؤون ادارية ومتفرقة -

١٤٢ - رسالة من المنصور الى عيسى بن موسى بشأن ابن لنصر ابن سيار قتله موسى :

قتل عيسى أحد أولاد نصر بن سيار ، وكان مستخفياً في الكوفة ،

فاستفظع المنصور ذلك وهمّ بقتل عيسى ثم قطعه عن ذلك جهل عيسى بما فعل فكتب إليه :

أما بعد : فإنه لولا نظر أمير المؤمنين واستبقاؤه لم يؤخرك عقوبة قتل ابن نصر بن سيار واستبدادك به بما يقطع اطماع العمال في مثله ، فأمسك عمن ولاك أمير المؤمنين أمره من عربي وأعجمي وأحمر وأسود ولا تستبدن على أمير المؤمنين بإمضاء عقوبة في أحد قبله تباعة فأنه لا يرى أن يأخذ أحداً بظنة قد وضعها الله عنه بالتوبة ، ولا بحدث كان منه في حرب أعقبه الله منها سلماً ستر به عن ذي علة وحجز به عن محنة ما في الصدور ، وليس ييأس أمير المؤمنين لأحد ولا لنفسه من الله من إقبال مدبر كما أنه لا يأمن إدبار مقبل إن شاء الله ، والسلام .

تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٦ ـ ٣٠٩

ـ آراء الفقهاء حول قبرس ـ

أحدث أهل قبرس حدثاً في ولاية عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله ابن عباس الثغور فأراد نقض صلحهم والفقهاء متوافرون ، فكتب إلى الليث ابن سعد ومالك بن أنس وسفيان بن عيينة وموسى بن أعين واسماعيل بن عياش ويحي بن حمزة وأبي اسحاق الفزاري ومخلد بن الحسن في أمرهم فأجابوه وفيما يلي نص إجاباتهم :

١٤٣ ـ جواب الليث بن سعد :

إن أهل قبرس قوم لم نزل نتهمهم بغش أهل الاسلام ومناصحة أعداء الله الروم ، وقد قال الله تعالى: (وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء[1]).

(١) سورة الأنفال ، الآية ٥٩ .

ولم يقل ولا تنبذ إليهم حتى تستيقن خيـــانتهم ، وإني أرى أن تنبذ إليهم وينظروا سنة يأتمرون فمن أحب منهم اللحـــاق ببلاد المسلمين على أن يكون ذمة يؤدي الخراج قبلت ذلك منه ، ومن أراد أن ينتحي إلى بلاد الروم فعل ، ومن أراد المقام بقبرس على الحرب أقام ، فكانوا عدواً يقـاتلون ويغزون ، فإن في إنظار سنة قطعاً لحجتهم ووفاء بعهدهم .

١٤٤ – جواب مالك بن أنس :

إن أمان أهل قبرس كان قديماً متظـــاهراً من الولاة لهم وذلك لأنهم رأوا ان اقرارهم على حالهم ذل وصغار لهم وقوة للمسلمين عليهم بما يأخذون من جزيتهم ويصيبون به من الفرصة في عدوهم ، ولم أجد احداً من الولاة نقض صلحهم ولا أخرجهم عن بلدهم . وانا ارى ان لاتعجل بنقض عهدهم ومنـــابذتهم حتى تتجه الحجة عليهم ، فإن الله يقول : (فأتموا عهدهم الى مدتهـم[1]) . فإن هم لم يستقيموا بعد ذلك ويدعوا غشهم ورأيت ان الغدر ثابت بهم أوقعت بهم فكان ذلك بعد الإعذار فرزقت النصر ، وكان بهم الذل والخزي ان شاء الله تعالى .

١٤٥ – جواب سفيان بن عيينة :

إنا لا نعلم ان النبي ﷺ عاهد قوماً فنقضوا العهد إلا استحل قتلهم غير اهل مكة فإنه منّ عليهم ، وكان نقضهم أنهم نصروا حلفاءهم على حلفاء رسول الله ﷺ من خزاعة . وكان فيما اخذ على أهل نجران أن لا يأكلوا الربا فحكم فيهم عمر رحمه الله حين أكلوه بإجلائهم . فإجماع القوم أنه من نقض عهده فلا ذمة له .

١٤٦ – جواب موسى بن أعين :

قد كان يكون مثل هذا فيما خلا فيعمل فيه الولاة النظرة ، ولم أر احداً من مضى نقض أهل قبرس ولا غيرها ، ولعل عامتهم وجماعتهم لم يمالئوا على ما كان

---

(١) سورة التوبة ، الآية ٥ .

من خاصتهم ، وانا أرى الوفاء لهم والتمام على شرطهم وان كان منهم الذي كان . وقد سمعت الأوزاعي يقول في قوم صالحوا المسلمين ثم أخبروا المسلمين بعورتهم ودلوهم عليها انهم ان كانوا أهل ذمة فقد نقضوا عهدهم وخرجوا من ذمتهم فإن شاء الوالي قتل وصلب ، وإن كان صلحاً لم يدخلوا في ذمة المؤمنين نبذ إليهم الوالي على سواء . إن الله لا يهدي كيد الخائنين .

١٤٧ - جواب اسماعيل بن عياش :

أهل قبرس أذلاء مقهورون يغلبهم الروم على أنفسهم ونسائهم فقد يحق لنا أن نمنعهم ونحميهم ، وقد كتب حبيب بن مسلمة لأهل تفليس في عهده انه ان عرض المسلمين شغل عنكم وقهركم عدوكم فإن ذلك غير ناقض عهدكم بعد ان تفوا للمسلمين ، وأنا أرى ان يقروا على عهدهم وذمتهم ، فإن الوليد بن يزيد قد كان أجلاهم الى الشام فاستفظع ذلك المسلمون واستعظمه الفقهاء ، فلما ولي يزيد بن الوليد بن عبد الملك ردهم الى قبرس ، فاستحسن المسلمون ذلك من فعله ورأوه عدلاً .

١٤٨ - جواب يحيى بن حمزة :

ان امر قبرس كأمر عَربَسّوس فإن فيهم قدوة حسنة وسنة متبعة وكان من أمرها أن عمير بن سعد قال لعمر بن الخطاب وقدم عليه : إن بيننا وبين الروم مدينة يقال لها عربسوس وانهم يخبرون عدونا بعوراتنا ولا يظهرونا على عورات عدونا . فقال عمر : فاذا قدمت فخيرهم ان تعطيهم مكان كل شاة شاتين ومكان كل بقرة بقرتين ومكان كل شيء شيئين ، فإذا رضوا بذلك فاعطهم إياه وأجلهم وأخربها ، فان أبوا فانبذ اليهم وأجلهم سنة ثم أخربها . فانتهى عمير الى ذلك فأبوا فأجلهم سنة ثم أخربها ، وكان لهم عهد كعهد أهل قبرس . وترك اهل

قبرس على صلحهم والاستعانة بما يؤدون على أمور المسلمين افضل ، وكل اهل عهد لا يقاتل المسلمون من ورائهم ويجري عليهم احكامهم في دارهم فليسوا بذمة ولكنهم اهل فدية يكف عنهم ما كفوا ويوفى لهم بعهدهم ما وفوا ورضوا ، ويقبل عفوهم ما أدوا . وقد روي عن معاذ بن جبل انه كره ان يصالح أحداً من العدو على شيء معلوم إلا ان يكون المسلمون مضطرين الى صلحهم لأنه لا يدري لعل صلحهم نفع وعز المسلمين .

١٤٩ ـ جواب أبي اسحاق الفزاري ومخلد بن الحسين :

إنا لم نر شيئاً أشبه بأمر قبرس من امر عربسوس وما حكم به فيها عمر بن الخطاب فإنه عرض عليهم ضعف مالهم على ان يخرجوا منها او نظرة سنة بعد نبذ عهدهم اليهم . فأبوا الأولى فانظروا ثم اخربت . وقد كان الأوزاعي يحدث ان قبرس فتحت فتركوا على حالهم وصولحوا على اربعة عشر الف دينار : سبعة آلاف للمسلمين وسبعة آلاف للروم على ان لا يكتموا الروم امر المسلمين. وكان يقول : ما وفى لنا أهل قبرس قط . وإنا نرى انهم اهل عهد وان صلحهم وقع على شيء فيه شرط لهم وشرط عليهم ولا يستقيم نقضه إلا بأمر يعرف فيه غدرهم ونكثهم .

فتوح البلدان للبلاذري ص ٢١١ ـ ٢١٥

١٥٠ – رسالة الحسن بن زيد للمنصور يشير عليه بتوسعة حرم الرسول من ناحية دار عثمان بن عفان :

هم المنصور بتوسعة الحرم المدني وشاور في الأمر الحسن بن زيد فكتب إليه يقول :

إن زيد في المسجد من ناحيته الشرقية توسط قبر النبي ﷺ المسجد .

١٥١ ـ جواب المنصور للحسن بن زيد على رسالته وقد أدرك أن قصده هـــدم دار عثمان بن عفان وضمها للحرم :

إني قد عرفت الذي أردت فاكفف عن ذكر دار الشيخ عثمان بن عفان رضي الله عنــه .

كتاب وفاء الوفاء ... للسمهودي ج ٢ ـ ٥٣٦

١٥٢ ـ نص الكتابة الموجودة على اللوح الموجود في المسجد الحرام والذي يحوي أخبار توسعة المنصور للحرم سنة ١٤٠ هـ :

بسم الله الرحمن الرحيم . محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلــه ولو كره المشركون . إن أول بيت وضع للنـــاس للذي ببكة مباركاً ... إلى قوله : غني عن العالمين . أمر عبد الله أمير المؤمنين أكرمه الله بتوسعه المسجد الحرام وعمارته والزيادة فيه نظراً منه للمسلمين واهتماماً بأمورهم، وكان الذي زاد فيه الضعف ممـــا كان عليه من قبل ، وأمر ببنيانه وتوسعته في المحرم سنة سبع وثلاثين ومائة وفرغ منه ورفعت الأيدي عنه في ذي الحجة سنة أربعين ومائة بتيسير امر الله بأمر أمير المؤمنين ومعونته ، منة له عليه وكفاية منه له وكرامة أكرمه الله بها فاعظم الله أجر امير المؤمنين فيما نوى من توسعة المسجد الحرام وأحسن ثوابه عليه فجمع الله تعالى له بــــه خير الدنيا والآخرة وأعز نصره وأيــده .

أخبار مكة للازرقي ج ٢ ـ ٧٣ ـ ٧٤

١٥٣ ـ رسالة من والي خراسان عبد الجبار بن عبد الرحمن إلى المنصور :

شك المنصور في سلوك عبد الجبار فأرسل إليه يطلب منه إرسال جنود من قبله إلى الخليفة فأجابــه بقوله : إن الترك قد جاشت وإن فرقت الجنود ذهبت خراسان .

١٥٤ ـ رسالة أخرى من عبد الجبـــار إلى المنصور جواب رسالة أرسلها له المنصور يطلب منه الموافقـة على دخول جند الخليفة خراسان انصرتــــه وحمايتها :

إن خراسان لم تكن قط أسوأ حالاً منها في هذا العام ، وإن دخلها الجنود هلكوا لضيق ما هم فيه من الغلاء .

وقد اعتبر المنصور هذه الرسالة بمثابة خلع له ولطاعته وعامل الوالي على هذا الأساس .

الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٥ ــ ٥٠٥

١٥٥ ــ رسالة المنصور الى عبد الملك بن أيوب عامله على البصرة يامره برد ضياع قطن بن معاوية التي صادرها المنصور لما ثار قطن ضده ثم عفاعنه المنصور لما استسلم له قطن هذا :

إن أمير المؤمنين قـــد رضي عن قطن بن معاوية ورد عليه ضياعه ودوره وجميع ما قبض له فاعلم ذلك وأنفذه له إن شاء الله .

تاريخ بغداد للخطيب البغدادي جـ ١٠ ــ ٥٩

١٥٦ ــ رسالة عبيد الله بن عمر بن حفص بن عبد الله بن عمر بن الخطاب إلى المنصور في الموعظة :

حج المنصور ولم يقابله عبيد الله بن عمر ثم بعد منصرفه من الحج أرسل له عبيد الله هذه الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله أبي جعفر أمير المؤمنين من عبيد الله بن عمر . سلام عليك ورحمـة الله التي اتسعت فوسعت من شاء . أما بعد : فأني عهدتك وأمر نفسك لك مهم ، وقد أصبحت وقد وليت أمر هذه الأمة أحمرها واسودها

وأبيضها وشريفها ووضيعها يجلس بين يديك العدو والصديق والشريف والوضيع ولكل حصته من العدل ونصيبه من الحق . فانظر كيف أنت عند الله يا أبا جعفر . وإني احذرك يوماً تفنى فيه الوجوه والقلوب وتنقطع فيه الحجة لملك قد قهرهم بجبروته وأذلهم بسلطانه والخلق داخرون له يرجون رحمته ويخافون عذابه وعقابه . وإنا كنا نتحدث إن أمر هذه الأمة سيرجع في آخر زمانها أن يكون اخوان العلانية أعداء السريرة . وإني أعوذ بالله ان تنزل كتابي سوء المنزل فإني إنما كتبت بها نصيحة والسلام .

١٥٧ – جواب المنصور :

من عبد الله بن محمد أمير المؤمنين إلى عبيد الله بن عمر بن حفص . سلام عليك . أما بعد فإنك كتبت تذكر انك عهدتني وأمر نفسي لي مهم فأصبحت وقد وليت أمر هذه الأمة بأمرها ، وكتبت تذكر أنه بلغك إن أمر هذه الأمة سيرجع في آخر زمانها أن يكون إخوان العلانية اعداء السريرة . ولست إن شاء الله من أولئك وليس هذا زمان ذلك ، إنما ذلك زمان تظهر فيه الرغبة ، والرغبة تكون رغبة بعض الناس إلى بعض ، صلاح دنياهم أحب اليهم من صلاح دينهم . وكتبت تحذرني ما حذرت به الأمم قبلي . وقدماً كان يقال : اختلاف الليل والنهار يقربان كل بعيد ويبليان كل جديد ويأتيان بكل موعود حتى يصير الناس إلى منازلهم من الجنة أو النار . وكتبت تتعوذ بالله أن ننزل كتابك سوء المنزل وإنك إنما كتبت به نصيحة فصدقت وبررت فلا تدع الكتب إلي فإنه لا غني بي عن ذلك ، والسلام .

كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة جـ ٢ – ١٤٦ – ١٤٧

١٥٨ - رسالة المنصور إلى عامله على المدينة من أجل ابن هرمة :

كان ابن هرمة شاعراً فأتى ومدح المنصور فاجازه وقال له: سل حاجتك فطلب منه أن يكتب الى عامله على المدينة بعدم حده في الخمر. فقال أبو جعفر: هذا حد لا يجوز تعطيله . فقال ابن هرمـــة : احتل لي . فكتب المنصور إلى عامله على المدينة :

من أتاك بابن هرمة سكران فاجلده مائة جلدة واجلد ابن هرمة ثمانين .

زهر الآداب للحصري القيرواني ج ١ - ٨٨

١٥٩ - رسالة أبي دلامة إلى المنصور لمـــا اخذ سكران ووضع في السجن مع الدجاج :

أمير المؤمنين فـــدتك نفسي	علام حبستني وخرقت ساجي
أمن صفراء صافيـــة المزاج	كأن شعاعها لهب السراج
وقد طبخت بنار الله حتى	لقد صارت من النطف النضاج
تهش لهـــا القلوب وتشتهيهـــا	إذا برزت ترقرق في الزجاج
اقـــاد إلى السجن بغير جرم	كأني بعض عمـــال الخراج
ولو معهم حبست لكان سهلا	ولكني حبست مع الدجاج
وقـــد كانت تخبرني ذنوبي	بـــأني من عقـــابك غير ناج
على اني وإن لاقيت شراً	لخيرك بعـــد ذاك الشرراجي

الأغاني لابي الفرج الاصفهاني ج ١٠ - ٢٦٣ - ٢٦٤

١٦٠ - رسالة المنصور في العفو عن شريك بن عون وأنصاره الذين ثاروا ضده فظفر بهم وعفا عنهم :

وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً[1] . وقـــد عفونا عنكم

(١) سورة الاسراء الآية ٨ .

مرتكم هذه ، فالله الله على دمائكم احقنوها .

الامامة والسياسة لابن قتيبة جـ ٢ -١٣٩

١٦١ – رسالة المنصور إلى سوار القاضي يطلب منه أن يدفع إلى القائد أرضاً تخاصم بها ذلك القائد مع تاجر :

انظر الأرض التي تخاصم فيها فلان القائد وفلان التاجر فادفعها الى القائد.

١٦٢ - جواب سوار :

إن البينة قد قامت عندي إنها للتاجر فلست أخرجها من يده إلا ببينة .

١٦٣ – جواب المنصور :

والله الذي لا إله إلا هو لتدفعنها الى القائد :

١٦٤ - جواب سوار :

والله الذي لا إله الا هو لا اخرجنها من يد التاجر الا بحق[1] .

تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٦٥

١٦٥ - رسالة المنصور إلى عامله على حضر موت وقد بلغه أنه يكثر من الخروج إلى الصيد :

ثكلتك أمك وعدمتك عشيرتك ، ما هذه العدة التي أعددتها للنكاية في الوحش ؟ ! انا انما استكفيناك أمور المسلمين ولم نستكفك أمور الوحش . سلم ما كنت تلي من عملنا إلى فلان بن فلان والحق باهلك ملوماً مدحوراً .

تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٦ - ٣١٣ - ٣١٤

---

(١) وبقيه القصة تقول ان المنصور قال لما استلم رسالة القاضي : ملأتها عدلاً والله وصار قضاتي تردني إلى الحق .

١٦٦ ـ رسالته إلى عامله على المدينة من أجل بيع الثمار :

بع ثمار الضياع ولا تبعها إلا ممن نغلبه ولا يغلبنا ، فإنما يغلبنا المفلس الذي لا مال له ولا رأي لنا في عذابه فيذهب بما لنا قبله ولو أعطاك جزيلاً ، وبعها من المكن بدون ذلك ممن ينصفك ويوفيك .

تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٦ – ٣٢٩

١٦٧ – رسالة جوابية من المنصور إلى زياد الحارثي الذي كتب له رسالة بليغة يشكو حاله ويسأله زيادة رزقه :

إن الغنى والبلاغة إذا اجتمعا في رجل أبطرتاه وأمير المؤمنين يشفق عليك من ذلك فاكتف بالبلاغة .

تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ١٠ – ٥٦

١٦٨ – رسالة المنصور إلى عبد الوهاب بن ابراهيم الامام الذي أرسله مع الحسن بن قحطبة لاعادة بناء ملطية :

فأحسن الحسن إلى الناس وأطعمهم وأوجد منادياً لذلك فغاظ ذلك عبد الوهاب فكتب بذلك إلى المنصور الذي أجابه يا صبي : يطعم الحسن من ماله وتطعم من مالي . ما أتيتَ إلا من صغر خطرك وقلة همتك وسفه رأيك .

١٦٩ – رسالة المنصور إلى الحسن بن قحطبة حول نفس الموضوع :

اطعم ولا تتخذ منادياً .

فتوح البلدان للبلاذري ص ٢٦٤

١٧٠ – رسالة المنصور إلى عامله على فلسطين وقد ظهر فيها بعض أهـــل العبث :

دمه في دمك ألا توجهه إلي .

١٧١ ـ رسالته إلى أحد عماله وقد شكا منه أحد الناس إنه أخذ حدأ من ضيعته فأضافـــه إلى ماله :

إن آثرت العدل صحبتك السلامة فانصف هذا المتظلم من هذه الظلامة .

١٧٢ ـ رسالة جوابية من المنصور إلى أحد الأشخاص وقد طلب منه المساعدة لبناء مسجد في محلته :

من أشراط الساعة كثرة المساجد ، فزد في خطاك تزدد من الثواب :

١٧٣ - رسالة من المنصور إلى أحد الأشخاص وقد تظلم من عامله في المواد :

إن كنت صادقاً فجيء به ملبياً فقد أذنا لك في ذلك

تاريخ الأمم والملوك للطبري حـ ٦ - ٢٣٧ - ٢٣٨

١٧٤ ـ رسالة المنصور إلى صاحب أرمينية الذى أخبره إن الجند شغبوا ضده وكسروا أقفال بيت المال وأخذوا ما فيه :

اعتزل عملنا مذموماً ، فلو عقلت لم يشغبوا ولو قويت لم ينتهبوا .

تاريخ الأمم والملوك للطبري حـ ٦ ـ ٢٣٧

١٧٥ ـ توقيع المنصور إلى أحد العمال وقد كثر شاكوه :

قد كثر شاكوك وقل شاكروك فإما اعتدلت وإما اعتزلت .

خلاصة الذهب المسبوك لقينتو الاربيلي ص ٦٢

١٧٦ ـ رسالة المنصور وتعهده إلى نوبخت المنجم :

كان نوبخت قد تنبأ ـ زمن الأمويين ـ للمنصور أنـه سيصبح خليفة فوعده وكتب بذلك كتاباً هذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم : يا نوبخت إذا فتح الله على المسلمين وكفاهم مؤنة الظالمين ورد الحق إلى أهـــله لم نغفل ما يجب من حق خدمتك إيانا . وكتب أبو جعفر .

تاريخ بغداد للخطيب البغدادي حـ ١٠ ـ ٥٥

١٧٧ – رسالة عيسى بن شهلاثا إلى مطران نصيبين :

اتخذ المنصور ابن بختيشوع طبيباً ثم رحل ابن بختيشوع ووضع مكانـــه في خدمة الخليفة تلميذه عيسى فاستغل نفوذه وطالب مطران نصيبين بأموال جليلة وكتب إليه يتهدده ويقول :

الست تعلم إن أمر الخليفة في يدي إن أردت امرضته وإن أردت اشفيته . فاحتال المطران حتى أوصل الكتاب الى المنصور فصادر المنصور الطبيب.

مختصر تاريخ الدول لابن العبري ص ١٢٤

١٧٨ – رسالة المنصور الأخيرة للمسلمين :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله المنصور أمير المؤمنين إلى من خلف من بني هاشم وشيعته من أهل خراسان وعامة المسلمين ... أما بعد : فإني كتبت كتابي هذا وأنا حي في آخر يوم من أيام الدنيا أقرأ عليكم السلام فأسأل الله أن لا يفتنكم بعدي ولا يلبسكم شيعاً ولا يذيق بعضكم بأس بعض .

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ... لابن خلدون حـ ٣ ـ ٤٣٧

١٧٩ ـ عهد المنصور الأخير ووصيته إلى المهدي وقد قرنت بعدوفاته لما أصبح المهدي خليفة ونسختها :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عهد عبد الله أمير المؤمنين الى المهدي محمد

ان أمير المؤمنين ولي عهد المسلمين حين أسند وصيته اليه بعده واستخلفه على الرعية من المسلمين وأهل الذمة وحرم الله وخزائنه وأرضه التي يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . إن أمير المؤمنين يوصيك بتقوى الله في البلاد والعمل بطاعته في العباد، ويحذرك الحسرة والندامة والفضيحة في القيامة قبل حلول الموت وعاقبة الفوت حين تقول : رب لولا اخرتني الى أجل قريب . هيهات : أين منك المهل وقد انقضى عنك الأجل . وتقول : رب ارجعني لعلي أعمل صالحاً . فحينئذ ينقطع عنك أهلك ويحل بك عملك فترى ما قدمته يداك وسعت فيه قدماك ونطق به لسانك واستركبت عليه جوارحك ولحظت له عينك وانطوى عليه غيبك فتجزى عليه الجزاء الأوفى إن شراً فشراً وإن خيراً فخيراً . فلتكن تقوى الله من شأنك وطاعته من بالك واستعن بالله على دينك وتقرب به إلى ربك، ونفسك فخذ منها ولا تجعلها للهوى ولن تعمل الشر قامعاً ، فليس أحد أكثر وزراً ولا أعز اثماً ولا أعظم مصيبة ولا أجل رزيئة منك لتكاثف ذنوبك وتضاعف أعمالك ، إذ قلدك الله الرعية تحكم فيهم بمثل الذرة فيقتصون منك أجمعون ، وتكافي على أفعال ولاتك الظالمين فإن الله يقول : انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون[1] . فكأني بك وقد أوقفت بين يدي الجبار وخذلك الأنصار وأسلمك الأعوان وطوقت الخطايا وقرنت بك الذنوب وحل بك الوجل وقعد بك الفشل وكلت حجتك وقلت حيلتك وأخذت منك الحقوق واقتاد منك المخلوق في يوم شديد هوله عظيم كربه تشخص فيه الأبصار لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع . فما عسيت أن يكون حالك يومئذ إذا خاصمك الخلق واستقصي عليك الحق ، إذ لا خاصة تنجيك ولا قرابه تحميك ، تطلب منه التباعة ولا تقبل فيه الشفاعة ويقضي فيه بالفصل : قال الله : لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب[2] . فعليك بالتشمير

(1) سورة الزمر الآيتان ٣٠-٣١ .

(2) سورة غافر ، الآية ٧ .

لدينك والاجتهاد لنفسك فافكك عنقك وبادر يومك واحذر غدك واتق دنياك فإنها دنيا غادرة موبقة ، ولتصدق لله نيتك وتعظم اليه فاقتك وليتسع انصافك وينبسط عدلك ويؤمن ظلمك . وواسي بين الرعية في الاحتكام واطلب بجهدك رضى الرحمن ، وأهل الدين فليكونوا اعضادك وأعط حظ المسلمين من أموالهم ووفر لهم فيأهم وتابع أعطياتهم عليهم وعجل بنفقاتهم اليهم سنة سنة وشهراً شهراً . وعليك بعمارة البلاد بتخفيف الخراج واستصلح الناس بالسيرة الحسنة والسياسة الجميلة ، وليكن أهم أمورك اليك تحفظ أطرافك وسد ثغورك واكاش بعوثك . وارغب الى الله عز وجل في الجهاد والمحاماة عن دينه وإهلاك عدوه بما يفتح الله على المسلمين ويمكن لهم في الدين ، وابذل في ذلك مهجتك ونجدتك ومالك ، وتفقد جيوشك ليلك ونهارك واصرف مراكز خيلك ومواطن رحلك . وبالله فليكن عصمتك وحولك وقوتك ، وعليه فليكن ثقتك واقتدارك وتوكلك فإنه يكفيك ويغنيك وينصرك وكفى به مؤيداً ونصيراً [1] .

تاريخ اليعقوبي ج ٢ - ٣٩٢ - ٣٩٤



(١) وبقية النص كما يلي : وامره بأمور يطول الكتاب بها فاقتصرنا على صدر الوصية .

محمد المهـــدي

١٥٨ - ١٦٩ هـ / ٧٧٥ - ٧٨٥ م

- الخطب -

١٨٠ - خطبة المهدي لما مات ابوه واصبح خليفة :

إن أمير المؤمنين عبد دعي فأجاب وأمر فأطاع - واغرورقت عيناه - قد بكى رسول الله ﷺ عند فراق الأحبة، ولقد فارقت عظيماً وقلدت جسيماً فعند الله احتسب أمير المؤمنين وبه استعين على خلافة المسلمين . أيها الناس : اسروا مثل ما تعلنون من طاعتنا نهبكم العافية وتحمدوا العاقبة، واخفضوا جناح الطاعة لمن نشر معدلته فيكم وطوى الإصر عنكم وأهـــال عليكم السلامة من حيث رآه الله مقدمـــا ذلك . والله لأفنين عمري بين عقوبتكم والاحسان إليكم(١) .

تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٧٢

١٨١ - خطبة أخرى للمهدي :

الحمد لله الذي ارتضى الحمد لنفسه ورضي به من خلقه أحمده على آلائــه وأجده لبلائه وأستعينه وأؤمن به وأتوكل عليه توكل راضٍ بقضائه وصابر

---

(١) ورد نص مختصر لهذه الخطبة في تاريخ بغداد للخطيب البغـــدادي حـ٥ - ٣٩٢ وخلاصة الذهب المسبوك لقنبتو الأربيلي ص ٩٠ .

لبلائه . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمـــداً عبده المصطفى ونبيه المجتبى ورسوله إلى خلقه وأمينه على وحيـه أرسله بعد انقطاع الرجاء وطموس العلم واقتراب من الساعة الى أمة جاهلية مختلفة أمية ، أهل عداوة وتضاغن وفرقة وتباين ، قد استهوتهم شياطينهم وغلب عليهم قرناؤهم فاستشعروا الردى وسلكوا العمى يبشر من أطاعه بالجنة وكريم ثوابها وينذر من عصاه بالنار واليم عقابها : ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حي عن بينة وان الله لسميع عليم .

أوصيكم عباد الله بتقوى الله فإن الاقتصار عليها سلامة والترك لها ندامة وأحثكم على اجلال عظمته وتوقير كبريائه وقدرته ، والانتهاء إلى ما يقرب من رحمته وينجي من سخطه وينال به ما لديه من كريم الثواب وجزيل المآب فاجتنبوا ما خوفكم الله من شديد العقاب وألـيم العذاب ووعيد الحساب : يوم توقفون بـــين يدي الجبار وتعرضون فيه على النار : يوم لاتكلم نفس إلا بأذنه فمنهم شقي وسعيد ، يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امريءمنهم يومئذ شأن يغنيه .يوم لاتجزى نفس عن نفس شيئاً ولايقبل منها عدل ولاتنفعها شفاعة ولا هم ينصرون . يوم لايجزي والد عن ولده ولامولود هو جاز عن والده شيئاً. ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولايغرنكم بالله الغرور . فإن الدنيا دار غرور وبلاء وشرور واضمحلال وزوال وتقلب وانتقال ، قد افنت من كان قبلكم وهي عائده إليكم وعلى من بعدكم ، من ركن اليها صرعته ومن وثق بهـــا خانته ، ومن املها كذبته ومن رجاها خذلته ، عزها ذل وغناها فقر والسعيد من تركها والشقي فيها من آثرهـــا والمغبون فيها من باع حظه من دار آخرته بهـا . فالله الله عباد الله والتوبة مقبولة والرحمة مبسوطة وبادروا بالاعمال الزكية في هذه الأيام الخالية قبل أن يؤخذ بالكظم وتندموا فـلا تقالون بالندم ، في يوم حسرة وتأسف وكآبة

وتلهف ، يوم ليس كالأيام وموقف ضنك ألمقـــام . ان أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله . يقول الله تبارك وتعالى : وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون (١) . أعــوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم . بسم الله الرحمن الرحيم . ألهكم التكاثر حتى زرتم المقابر ، كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عـــين اليقين ، ثم لتسألن يومئذٍ عن النعيم . أوصيكم عباد الله بما أوصاكم الله بـه ، وأنهاكم عمـــا نهاكم الله عنه ، وأرضى لكم طاعة الله ، وأستغفر الله لي ولكم .

العقد الفريد لابن عبد ربه جـ ٤ ١٠١ - ١٠٢

- خطب الآخرين -

١٨٢ - خطبة ابن عتبة امام المهدي يـــوم مات المنصور واصبح المهدي خليفة معزياً ومهنئاً :

آجر الله أمير المؤمنين على أمير المؤمنين قبله ، وبارك لأمير المؤمنين فـيما خلفه له أمير المؤمنين بعده ، فلا مصيبة اعظم من فقد أمير المؤمنين ولا عقبى اعظم من وراثة مقام أمير المؤمنين ، فاقبل - يا أمير المؤمنين - من الله افضل العطية واحتسب عنده أُعظم الرزية (٢) .

البيان والتبيين للجاحظ جـ ٢ - ١٩٢

(١) سورة الأعراف ، الآية ٢٠٤ .

(٢) ورد نص مشابه لنصنا هذا بعض المشابهة فى العقد الفريد جـ٣ - ٣٠٨ .

١٨٣ – خطبة صالح بن عبد الجليل امام المهدي :

انـه لمـا سهل علينا ما توعر على غيرنا من الوصول إليك فمنا مقام الإداء عنهم وعـن رسول الله ﷺ وسلم باظهار ما في اعناقنا من فريضة الأمر والنهي عند انقطاع عـــذر الكتمان ولا سيما حين اتسمت بيسم التواضع ووعدت الله وحملة كتابه ايثار الحق على ما سواه فجمعنا وإياك مشهد من مشاهد التمحيص وقد جاء في الأثر : من حجب الله عنه العلم عذبه على الجهل ، واشد منه عذاباً من اقبل إليه العلم فأدبر عنه فاقبل يا أمير المؤمنين ما اهدى إليك من السنتنا قبول تحقيق وعمل لا قبول سمعة ورياء ، فانما هو تنبيه من غفلة وتذكير من سهو ، وقد وطن الله عز وجل نبيه على نزولها فقال تعالى وأما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم [1] .

العقد الفريد لابن عبد ربه جـ ٣ ١٥٨ – ١٥٩

ـ الوصايا ـ

١٨٤ – وصية المهدي لربيع بن ابي الجهم لما ولاه فارس :

يا ربيع : آثر الحق والزم القصد وابسط العدل وارفق بالرعية ، واعلم أن أعدل الناس من انصف من نفسه ، واظلمهم من ظلم الناس لغيره .

العقد الفريد لابن عبد ربه جـ ١ – ٣١

ـ الرسائل والعهود ـ

١٨٥ – العهد الذي خلع بموجبه عيسى بن موسى نفسه من ولاية العهد بشكل كتاب موجه منه إلي المهدي وابنه موسى :

بسم الله الرحمن الرحيم . هـذا كتاب لعبد الله المهدي محمد أمير المؤمنين

(١) سورة الاعراف ، الآية ٢٠٠ .

ولولي عهد المسلمين موسى بن المهدي ولاهل بيته وجميع قواده وجنوده من أهل خراسان وعامـــة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وحيث كان كائن منهم كتبته للمهدي محمد أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين موسى بن محمد بن عبد الله بن علي فيما جعل اليه من العهد إذ كان إلي حق اجتمعت كلمة المسلمين واتسق أمرهم وائتلفت أهواؤهم على الرضا بولاية موسى بن المهدي محمد أمير المؤمنين وعرفت الحظ في ذلك علي والحظ فيه لي ودخلت فيما دخل فيه المسلمون من الرضا بموسى ابن أمير المؤمنين والبيعة له والخروج مما كان لي في رقابهم من البيعة وجعلتهم في حل من ذلك وسعة من غير حرج يـدخل عليكم أو على أحد من جماعتكم وعامة المسلمين ، وليس في شيء من ذلك قديم ولا حديث لي دعوى ولا طلبة ولا حجة ولا مقالة ولا طاعة على أحدمنكم ولا على عامة المسلمين ولا بيعة في حياةالمهدي محمد أمير المؤمنين ولا بعده ولا بعد وليعهد المسلمين موسى ولا ما كنت حيا حتى أموت ، وقد بايعت لمحمد المهدي أمير المؤمنين ولموسى ابن أمير المؤمنين من بعده وجعلت لهما ولعامة المسلمين من أهل خراسان وغيرهم الوفاء بما شرطت على نفسي في هذا الأمر الذي خرجت منه والتمام عليه ، علي بذلك عهد الله وما اعتقد أحد من خلقه من عهد أو ميثاق أو تغليظ أو تأكيد على السمع والطاعة والنصيحة للمهدي محمد أمير المؤمنين وولي عهده موسى ابن أمير المؤمنين في السر والعلانية والقول والفعل والنية والشدة والرخاء والسراء والضراء والموالاة لهما ولمن والاهما والمعاداة لمن عاداهما كائناً من كان في هذا الأمر الذي خرجت منه ، فإن أنا نكثت أو غيرت أو بدلت أو دغلت أو نويت غير ما اعطيت عليه هـذه الايمان أو دعوت إلى خلاف شيء ممـــا حملت على نفسي في هذا الكتاب للمهدي محمد أمير المؤمنين ولولي عهده موسى ابن امير المؤمنين ولعامـــة المسلمين ، أو لم أف بذلك فكل زوجة عندي يوم كتبت هذا الكتاب أو اتزوجها إلى ثلاثين سنة طالق ثلاثـاً البتة طلاق الحرج ، وكل مملوك عنـــدي اليوم أو املكه إلى ثلاثين سنة أحرار

لوجه الله ، وكل مال لي نقد أو عرض أو قرض أو أرض أو قليل أو كثير تالد أو طارف أو أستفيده فيما بعد اليوم إلى ثلاثين سنة صدقـــة على المساكين يضع ذلك الوالي حيث يرى. وعليّ من مدينة السلام المشي حافياً إلى بيت الله العتيق الذي بمكة نذراً واجباً ثلاثين سنة لا كفارة لي ولا مخرج منه إلا الوفاء بـه . والله على الوفاء بذلك راع كفيل شهيد وكفى بالله شهيداً . وشهد على عيسى بن موسى باقراره بما في هذا الشرط اربعمائـة وثلاثون من بني هاشم ، ومن الموالي والصحابة من قريش والوزراء والكتاب والقضاة. وكتب في صفر سنة ١٦٠ هـ. وختم عيسى بن موسى[١] .

تاريخ الأمم والملوك للطبري حـ ٦ - ٣٦١ - ٣٦٢

- الخوارج -

١٨٦ - رسالة من المهدي إلى عبد السلام بن هاشم اليشكري الذي ثار في الجزيرة وهزم جنداً للخليفة :

إن الله اختص بالسعادة جنده وأيد بالهدى حزبـه ، وأسكن من أجاب جنته واسبغ على من خشي نعمته واهدف من عصاه نقمته . إني قد عجبت من أحداثك وبغيك حيث اسألك ما نقمت إذ حكمت بكلمة حق تريـد بها ما الله مخزيك به وسائلك عنه مع مناوأتك خليفته ونزعك يدك من طاعته وشتمك أبا الحسن علي بن أبي طالب ووقوعك فيه أو تنقصك اياه وولايتك من عاداه، فالله عصيت ونبيه عاديت ، فقد أتاك يقين راض وحديث صادق عن النبي ﷺ في قوله : من كنت مولاه فعلي مولاه . فكنت المكذب بذلك والحائد عنه حيث انقطعت مدتك واستغنت بشيعتك وتماديت في غيك . فاقسم لاغزينك اجناداً

(١) ورد نص هذا العهد بشكل مختصر كل الاختصار في الذهبي حـ ٦ ١٦٦-١٦٧ .

مطيعة وقواداً منيعــة هم الذين يفضون جمعك ويهتكون بناك ، فاعمل لنفسك أو دع .

١٨٧ - جواب عبد السلام اليشكري إلى المهدي :

من عبد السلام بن هاشم إلى محمد بن عبد الله . سلام على من اتبع الهدى واجتنب الغي وقام بالحق ، فــلا الهدى اتبعت ، ولا الغي اجتنبت ولا بالحـق قمت .

أما بعد : فإن الله بحوله وقوته ورحمته وعونه سيد السادات شديد النقمات الذي توحد في ملكه لم يـدع أمة محمد في أهداف من الألتباس حتى يصلحهم ويبعث فيهم من يتعاهد منهم ما ينبغي لهم تعاهده. أتاني كتابك تعجب مما نقمت إذ حكمت ، فلستُ بتاركك في عمياء ممـا انت فيه مع انك إنما خدعت عن هذا نفسك ، وقــد علمت إني انمـــا اسفت وحكمت حين تركت الامة تائهة مائجـة لا حدودها أقمت ولا حقوقها أديت واشتغلت بامائـــك وتنوقت في بنائك مع ادمانك الصيد، إذ تغدو معك البزاة والفهود والجنائب والكتائب ، فإذا انثنيت من صيدك ودخلت بهوك واتبعك اخوانك فتغديت وغنيت فيمين الله ما أفحش هذا ممن يدعي خلافة الله ، فقد كانت الاعاجم تنقم ما دون هذا. ثم انت إذا خطبت كذبت وإذا عاهدت نكثت . وقـــد زعمت في كتابك انك ستغزيني أجناداً مطيعة وقواداً منيعـة فالله يفض جمعك ويهزم جندك ويقتل قوادك . فإذا شئت فنحن متوقعو هذا منك ومتمنوه . وقد زادني غيظاً إنك تسميت المهدي وأبعد من سماك فنعم المهدي أنت إذا بعت الناس بيعاً وأوسعت الناس غياً خدعاك يعقوب بن دؤاد أخاً آخيت وخدناً صافيت دعاك فاجبت وخدعك فطاوعت ففي أي دين يسعك؟ وفي أي كتاب أصبت إذ تعدو وظيفة أو تنقص مساحة أو تصطفي بستاناً أو تبذخ في مركب أو ترمي به في النزهة، أو تعاوض عن جند أو

تحبس عطاءً أو تنسى من غزا أو تعاقب بالسوط ، سافكاً للدم ، وإنما السافك يقاد ، والزاني يقام حده واللص تقطع يــده ، ولا تعاهد السجون بنفسك ولا تزعجها بعينيك فهذا نسيت وعن هذا سهوت ؟ ! أيها الطاغية ! أفمن بعد هذا حياة ؟ فانظر لنفسك فما عيني عنك بنائمــة تصادف من يصدقك وتلقى من يقتلك ، وما أنا بالعازم . الفتح بيــد الله يحكم ما أحب ، وإنما أنا عبد من عباده لا استطيع منه امتناعاً ولا عن نفسي دفاعاً . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

تاريخ خليفة بن خياط ج ٢ – ٤٧٥ – ٤٧٧

ـ شؤون إداريـة ـ

١٨٨ – رسالة من المهدي إلى عامله على البصرة برد آل زياد إلى نسبهم وابطال نسبتهم الى أبي سفيان :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فـــإن أحق ما حمل عليه ولاة المسلمين أنفسهم وخواصهم وعوامهم في أمورهم وأحكامهم العمل بينهم بما في كتاب الله واتباع لسنة رسول الله ﷺ ، والصبر على ذلك والمواظبة عليه والرضا به فيما وافقهم وخالفهم للذي فيه من إقامة حدود الله ومعرفة حقوقه واتباع مرضاته واحراز جزائه وحسن ثوابه ، ولما في مخالفة ذلك والصدود عنه وغلبة الهوى لغيره من الضلال والخسار في الدنيا والإخرة . وقد كان من رأي معاوية بن أبي سفيان في استلحاقه زياد بن عبيد عبد آل علاج من ثقيف وادعائــه ما أباه بعد معاوية عامة المسلمين وكثير منهم في زمانه لعلمهم بزياد وأبي زياد وأمه من أهل الرضا والفضل والفقه والورع والعلم . ولم يدع معاوية إلى ذلك ورع ولا هدى ولا اتباع سنة هادية ولا قدوة من أئمة الحق ماضية إلا الرغبة في هلاك دينــه وآخرته والتصميم على مخالفة الكتاب والسنة ، والعجب بزياد في جلده ونفاذه وما رجا من معونته ومؤازرتـــه إياه على باطل ما كان يركن إليه في سيرتــه

وآثاره وأعماله الخبيثة . وقــد قال رسول الله ﷺ : الولد للفراش وللعاهر الحجر . وقال : من أدعي إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه لا صرفاً ولا عدلاً . ولعمري ما ولد زياد في حجر أبي سفيان ولا على فراشه، ولا كان عبيد عبداً لأبي سفيان ولاسمية أمة له ولا كانا في ملكه ولا صارا إليه لسبب من الأسباب . ولقد قال معاوية فيما يعلمه أهل الحفظ للأحاديث عند كلام نصر بن الحجاج بن علاط السلمي ومن كان معه من موالي بني المغيرة المخزوميين وإرادتهم استلحاقه واثبات دعوتــه ، وقد أعد لهم معاوية حجراً تحت بعض فرشه فألقاه إليهم فقالوا له : نسوغ لك ما فعلت في زياد ولا تسوغ لنا ما فعلنـــاه في صاحبنا . فقال : قضاء رسول الله ﷺ خير لكم من قضاء معاوية. فخالف معاوية بقضائه في زياد واستلحاقه إياه وما صنع فيه وأقدم عليه أمر الله جل وعز وقضاء رسول الله ﷺ واتبع في ذلك هواه رغبة عن الحق ومجانبة له . وقــد قال الله عز وجل : ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ، إنه لا يهدي القوم الظالمين[1] . وقد قال لداود ﷺ وقد آتاه الحكم والنبوة والمال والخلافة : يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض ... الآية الى آخرها[2] . فأمير المؤمنين يسأل الله أن يعصم له نفسه ودينه وأن يعيذه من غلبة الهوى ويوفقه في جميع الأمور لما يحب ويرضى إنـــه سميع قريب . وقد رأى أمير المؤمنين أن يرد زياداً ومن كان من ولده إلى أمهم ونسبهم المعروف ويلحقهم بأبيهم عبيد وأمهم سمية، ويتبع في ذلك قول رسول الله ﷺ وما أجمع عليه الصالحون وأئمة الهدى ، ولا يجيز لمعاوية ما أقدم عليه مما يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . وكان أمير المؤمنين أحق من أخـــذ بذلك وعمل بــــه لقرابته من رسول الله ﷺ واتباعه آثاره واحيائه سنته

---

(١) سورة القصص الآية ٥٠ .

(٢) سورة ص الآية ٢٦ .

وإبطاله سنن غيره الزائغة الجائرة عن الحق والهدى . وقد قال الله عز وجل : فماذا بعـد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون[1] . فاعلم إن ذلك من رأي أمير المؤمنين في زياد وما كان من ولد زياد فألحقهم بأبيهم زياد بن عبيـد وأمهم سمية سمية وأحملهم عليه وأظهره لمـن قبلك من المسلمين حتى يعرفوه ويستقيم فيهم ، فان أمير المؤمنين قد كتب إلى قاضي البصرة وصاحب ديوانهم بذلك ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . وكتب معاوية بن عبيد الله سنة ١٥٩ هـ .

تاريخ الأمم والملوك للطبري ـ ج ٦ ٣٦٤ – ٣٦٦

١٨٩ ـ رسالة المهدي إلى واليه على البصرة روح بن حاتم لمـــا بلغه امتناعه عن الصلاة على عيسى بن موسى لما مات :

قد بلغني ما كان من نكوصك عن الصلاة على عيسى ؟ أبنفسك أم بأبيك أم بجـدك كنت تصلي عليه ؟ ! أو ليس إنمـا ذلك مقامي لو حضرت ؛ فإذا غبت كنت أنت أولى بي لموضعك من السلطان .

تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٥ ـ ٣٨٩

١٩٠ ـ رسالة أبي عبيد الله إلى المهدي لما عزله عن الدواوين :

لم ينكر أمير المؤمنين حالي في قرب المؤانسة وخصوص الخلطة وحالي عنده قبل ذلك في قيامي بواجب خدمته التي ادنتني من نعمته ، فلم ابدل ـ أعز الله أمير المؤمنين ـ حال التبعيد وبقرب في محل الاقصاء ، ومـــا يعلم الله مني فيما قلت إلا ما عليه أمير المؤمنين ، فإن رأى ـ أكرمه الله ـ أن يعارض قولي بعلمه بدءاً وعاقبة فعل إن شاء الله .

زهر الآداب للحصري القيرواني ـ ١ ـ ٣٨٧

---

(١) سورة يونس الاية ٣٢ .

١٩١ – رسالة تعزية للمهدي بوفـــاة ابنة له من ابراهيم بن أبي يحيى الاسلمي :

أما بعد ، فإن أحق من عرف حق الله عليه فيما أخذ منه من عظم حق الله عليه فيما ابقى له ، واعلم أن الماضي قبلك هو الباقي لك ، وإن الباقي بعـــدك هو المأجور فيك . وإن أجر الصابرين فيما يصابون بـــه أعظم من النعمة عليهم فيما يعافون عليه .

البيان والتبيين للجاحظ جـ ٢ - ٧٤



موسى الهـادي

١٦٩ - ١٧٠ هـ / ٧٨٥ - ٧٨٦ م

ـ الهادي والعلويون ـ

١٩٢ ـ خطبة الحسين بن علي بن الحسن قبل معركة فخ :

لما ثار الحسين بن علي ضد الهادي في المدينة المنورة صعد منبر رسول الله ﷺ فحمد الله واثنى عليه وخطب الناس فقال في آخر كلامه .

يا أيها الناس : أنا ابن رسول الله في حرم رسول الله وفي مسجد رسول الله وعلى منبر نبي الله ادعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ؛ فإن لم أف لكم بذلك فلا بيعة لي في أعناقكم .

تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٦ - ٤١٨

١٩٣ ـ نص بيعة الحسين بن علي صاحب معركة فخ :

أبايعـكم على كتاب الله وسنة رسول الله ، وعلى أن يطاع الله ولا يعصى ، وأدعوكم إلى الرضا من آل محمد وعلى أن نعمل فيكم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، والعدل في الرعية والقسم بالسوية وعلى أن تقيموا معنا وتجاهدوا عدونا ، فإن نحن وفينا لكم وفيتم لنا وإن نحن لم نف لكم فلا بيعة لنا عندكم .

مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني ص ٤٥٠

ـ هارون الرشيد ـ

١٧٠ ـ ١٩٣ هـ / ٧٨٦ ـ ٨٠٨ م

ـ الخطب ـ

١٩٤ ـ خطبة للرشيد ـ

الحمد لله نحمده على نعمه ونستعينه على طاعته، ونستنصره على أعدائه ونؤمن به حقاً ونتوكل عليه مفوضين اليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له واشهد أن محمداً عبده ورسوله بعثه الله على فترة من الرسل ودروس من العلم وإدبار من الدنيا وإقبال من الآخرة بشيراً بالنعيم المقيم ونذيراً بين يدي عذاب أليم ، فبلغ الرسالة ونصح الأمة وجاهد في الله فأدى عن الله وعده ووعيده حتى أتاه اليقين ، فعلى النبي من الله صلاة ورحمة وسلام .

أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، فإن في التقوى تكفير السيئات وتضعيف الحسنات وفوزاً بالجنة ونجاة من النار، وأحذركم يوماً تشخص فيه الأبصار وتبلى فيه الأسرار يوم البعث ويوم التغابن ويوم التلاقي ويوم التنادي ، يوم لا يستعتب من سيئة ولا يزداد من حسنه، يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون .

عباد الله : إنكم لم تخلقوا عبثاً ولن تتركوا سدى ، حصنوا إيمانكم بالأمانة ودينكم بالورع وصلاتكم بالزكاة، فقد جاء في الخبر أن النبي ﷺ قال : ألا لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له ، ولا صلاة لمن لا زكاة له . إنكم سفر

مجتازون وأنتم عن قريب تنتقلون من دار فناء إلى دار بقــــاء ، فسارعوا إلى المغفرة بالتوبة وإلى الرحمة بالتقوى والى الهدى بالأمانة ، فإن الله تعالى ذكره أوجب رحمته للمتقين ومغفرته للتائبين وهداه للمنيبين . قال الله عز وجل وقوله الحق : ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة[1]. وقال: وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحــاً ثم اهتدي[2] وإياكم والأماني فقد غرت وأوردت وأوبقت كثيراً حتى أكذبتهم مناياهم ، فتناوشوا التوبة من مكان بعيد وحيل بينهم وبين ما يشتهون ، فاخبركم ربـــكم عن المثلات فيهم وصرف الآيات وضرب الأمثال فرغب بالوعد وقدم اليكم بالوعيد ، وقـد رأيتم وقائعه بالقرون الخوالي جيلاً فجيلاً ،وعهدتم الآباء والأبناء والأحبة والعشائر باختطاف الموت إياهم من بيوتكم ومن بين أظهركم لا تدفعـون عنهم ولا تحولون دونهم فزالت عنهم الدنيا وانقطعت بهم الأسباب فاسلمتهم إلى أعمالهم عنـــد الموقف والحساب والعقاب ليجزي الذين اساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى.

إن أحسن الحديث وابلغ الموعظة كتاب الله . يقول الله عز وجل : وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون[3] . أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم إنـه هو السميع العليم . بسم الله الرحمن الرحيم . قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . آمركم بما أمركم الله به ، وانهاكم عما نهاكم عنه . واستغفر الله لي ولكم .

العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٤ – ١٠٣ – ١٠٤

---

(١) سورة الاعراف الآية ١٥٦ .

(٢) سورة طه ، الآية ٨٢ ،

(٣) سورة الاعراف : الآية ٢٠٤ .

١٩٥ ـ خطبة للرشيد وقد ارتج عليه :

صعد ليخطب فسقطت ذبابـــة على وجهـه فطردها فعادت فحصر وارتج عليه فقـال :

أعوذ بالله السميع العليم : يا أيها الناس ضرب مثـل فاستمعوا له ، إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب [١] .

أمالي المرتضى جـ ٢ ـ ١٠٥

ـ خطب الولاة والآخرين ـ

١٩٦ ـ خطبة يوسف بن القاسم بين يدي الرشيد لما أصبح خليفة :

لما ولي الرشيد الخلافـة قام يوسف بن القاسم في الديوان فقال بعد حمد الله عز وجل والصلاة على النبي ﷺ :

إن لله بمنه ولطفه منّ عليكم معاشر أهل بيت نبيه ببيت الخلافة ومعدن الرسالة ، وإياكم أهل الطاعـــة من انصار الدولة وأعوان الدعوة من نعمه التي لا تحصى بالعدد ولا تنقضي مدى الأبد واياديه التامة ان جمع الفتكم وأعلى أمركم وشد عضدكم وأوهن عدوكم وأظهر كلمـة الحق وكنتم أولى بها وأهلها ، فاعزكم الله وكان الله قوياً عزيزاً ، فكنـــتم أنصار دين الله المرتضى والذابين بسيفه المنتضى عن أهل بيت نبيه ﷺ ، وبكم استنقذهم من أيدي الظلمة أئمة الجور والناقضين عهد الله ، والسافكين الدم الحرام ، والآكلين الفيء والمستأثرين به ،

---

(١) سورة الحج ، الآية ٧٣ ، وبقية القصة تقول : انه نزل بعد قوله هذا فاستحسن ذلك منه .

فاذكروا ما أعطاكم الله من هذه النعمة واحذروا أن تغيروا فيغير بكم . وإن الله جل وعز استأثر بخليفته موسى الهادي الإمام فقبضه إليه وولى بعده رشيداً مرضياً أمير المؤمنين بكم رؤوفاً رحيماً من محسنكم قبولاً ، وعلى مسيئكم بالعفو عطوفاً . وهو ، أمتعه الله بالنعمة وحفظ له ما استرعاه إياه من أمر الأمة وتولاه بما تولى به أولياءه وأهل طاعته ، يعدكم من نفسه الرأفة بكم والرحمة لكم وقسم اعطياتكم فيكم عند استحقاقكم ، ويبذل لكم من الجائزة مما أفاء الله على الخلفاء مما في بيوت الأموال ماينوب عن رزق كذا وكذا شهراً ، غير مقاص لكم بذلك فيما تستقبلون من أعطياتكم ، وحاملاً باقي ذلك للدفع عن حريمكم وما لعله أن يحدث في النواحي والأقطار من العصاة المارقين إلى بيوت الأموال حتى تعود الأموال إلى جمالها وكثرتها والحال التي كانت عليها . فاحمدوا الله وجددوا شكراً يوجب لكم المزيد من احسانه إليكم بما جدد لكم من رأي أمير المؤمنين وتفضل به عليكم ـ أيده الله بطاعته ـ فارغبوا إلى الله له في البقاء ، ولكم به في إدامة النعماء لعلكم ترحمون ، واعطوا صفقة ايمانكم وقوموا إلى بيعتكم حاطكم الله وحاط عليكم وأصلح بكم وعلى أيديكم وتولاكم ولاية عباده الصالحين .

تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ٦ ٤٤٢ ـ ٤٤٣

١٩٧ - خطبة جعفر البرمكي في الشام :

هاجت العصبية في الشام فأرسل الرشيد جعفراً البرمكي إليها لاصلاح أحوالها ففعل وهدأت الأحوال فيها وخطب في أهلها خطبة مشهورة هذا نصها :

الحمد لله الذي لم يمنعه غناه عن الخلق من العائدة عليهم ، ولم تمنعه اساءتهم من الرحمة لهم . دعاهم من طاعته لما ينجيهم ، وذادهم من معصيته عما يرديهم ، كلفهم من العمل دون طاقتهم ، وأعطاهم من النعم فوق كفايتهم ، فهم فيما حملوا

مخفف عنهم ، وفيما خولوا موسع عليهم . وصلى الله على محمد نبي الرحمة والمبعوث إلى كافة الأمة ، وعلى أهل بيته الطاهرين وسلم تسليماً .

أما بعد : فإني أوصيكم بالألفة واحذركم الفرقة وآمركم بالاجتماع وانهاكم عن الاختلاف . قال الله عز وجل : واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا . فأمر بالجماعة في أول الآية ثم لم ينقض حتى نهى فيها عن الفرقة توكيداً للحجة وقطعاً للمعذرة . أن الفرقة تنشيء بينكم إحناً يطلب بها بعضكم بعضاً ، وإن الجماعة تعقد بينكم ذمماً يحمي بها بعضكم بعضاً حتى يكون المكاثر لواحدكم كالمكاثر لجماعتكم . فمتى يطمع عدو فيكم إذا كانت النائبة تعمكم ؟ ان غفل بعضكم حرسه بقيتكم ، وان غربت طائفة منكم منعها تألفكم . إنه لم يجتمع ضعفاء قط إلا قووا حتى يمتنعوا ، ولم يفترق أقوياء قط إلا ضعفوا حتى يخضعوا . واجتماع الضعيفين قوة ، وافتراق القويين مهانة تمكن منهما . غافل الجماعة لا تضره غفلته لكثرة من يحفظه ، ومتيقظ الفرقة لا ينفعه تيقظه لكثرة من يطلبه . وصاحب الجماعة يطلب أرشه في الخدش والشجة ، وصاحب الفرقة يذهب حقه في النفس والحرمة .

كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري ص ٢٠٨ – ٢٠٩

١٩٨ – خطبة اخرى لجعفر البرمكي في أهل حمص :

استعمل الرشيد جعفر البرمكي على الشامات والجزيرة فظهرت العصبية في حمص فصعد منبرها فخطب وحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد ثم قال :

يا أهل الشام : احذركم عواقب البطر ووبال مالا يشكر من النعم ، ومغبة كل خطب يدفع إلى ندم . فإن السعيد من سعد بغيره ، والشقي من شقى بنفسه واتعظ به غيره . والمغبون من غبن عقله ، والمفتون من فتن ، والمحروم

من حرم حظه من ربه ، والخاسر من باع آخرته بدنياه وآجله بعاجله . وإنما يخشى الله من عباده العلماء ، ولم يعط الله من عباده إلا أولى النهاء .

تاريخ اليعقوبي ج ٢ – ٤١

١٩٩ – خطبة جعفر البرمكي بين يدي الرشيد لما رجع من الشام بعد ان اصلح احوالها وتغلب على العصبية فيها :

الحمد لله يا أمير المؤمنين الذي آنس وحشتي وأجاب دعوتي ورحم تضرعي وأنسأ في أجلي حتى أراني وجه سيدي واكرمني بقربه وامتن علي بتقبيل يده وردني إلى خدمته . فوالله ان كنت لاذكر غيبتي عنه ومخرجي والمقادير التي ازعجتني فاعلم انها كانت بمعاص لحقتني وخطايا أحاطت بي ولو طال مقامي عنك يا أمير المؤمنين – جعلني الله فداك – لخفت أن يذهب عقلي اشفاقاً على قربك واسفاً على فراقك ، وان يعجل بي عن اذنك الاشتياق إلى رؤيتك ، والحمد لله الذي عصمني في حال الغيبة ومتعني بالعافية وعرفني الاجابة ومسكني بالطاعة وحال بيني وبين استعمال المعصية فلم اشخص إلا عن رأيك ولم أقدم إلا عن اذنك وأمرك ، ولم يخترمني أجل دونك . والله يا أمير المؤمنين ، فلا أعظم من اليمين بالله ، لقد عاينت ما لو تعرض لي الدنيا كلها لاخترت عليها قربك ولما رأيتها عوضاً عن المقام معك .

ثم قال له بعقب هذا الكلام في نفس المقام :

إن الله – يا أمير المؤمنين – لم يزل يبليك في خلافتك بقدر ما يعلم من نيتك ويريك في رعيتك غاية أمنيتك فيصلح لك جماعتهم ويجمع ألفتهم ويلم شملهم حفظاً لك فيهم ورحمة لهم ، وإنما هذا للتمسك بطاعتك والاعتصام بحبل مرضاتك ، والله المحمود على ذلك وهو مستحقه . وفارقت – يا أمير المؤمنين – أهل كور الشام وهم منقادون لأمرك نادمون على ما فرط من معصيتهم لك

متمسكون بحبلك نازلون على حكمك، طالبون لعفوك واثقون بحلمك مؤملون فضلك آمنون بإدرتك حالهم في ائتلافهم كحالهم كانت في اختلافهم، وحالهم في إلفتهم كحالهم كانت في امتناعهم ، وعفو أمير المؤمنين عنهم وتغمده لهم سابق لمعذرتهم ، وصلة أمير المؤمنين لهم وعطفه عليهم متقدم عنده لمسألتهم . وأيم الله - يا أمير المؤمنين - لئن كنت شخصت وقد أخمد الله شرارهم واطفأ نارهم ونفي مراقهم واصاح دهماءهم وأولاني الجميل فيهم ورزقني الانتصار فيهم فما ذلك كله إلا ببركتك ويمنك وريحك ودوام دولتك السعيدة الميمونة الدائمة وتخوفهم منك ورجائهم لك. والله يا أمير المؤمنين ، ماتقدمت إليهم الا بوصيتك وما عاملتهم إلا بأمرك ولا سرت فيهم إلا على حد ما مثلته لي ورسمته ووقفتني عليه . ووالله ما انقادوا إلا لدعوتك وتوحد الله بالصنع لك وتخوفهم من سطوتك، وما كان الذي كان مني ، وإن كنت بذلت جهدي وبلغت مجهودي قاضياً ببعض حقك علي ، بل ما ازدادت نعمتك علي عظماً إلا ازددت عن شكرك عجزاً وضعفاً . وما خلق الله أحداً من رعيتك أبعد من أن يطمع نفسه في قضاء حقك مني ، وما ذلك إلا أن أكون باذلاً مهجتي في طاعتك وكل مـا يقرب إلى موافقتك ، ولكني أعرف من أياديك عندي ما لا أعرف مثلها عند غيري ، فكيف بشكري وقد أصبحت واحد أهل دهري فيما صنعته فيّ وبي ، أم كيف بشكري وإنما أقوى على شكرك باكرامك إياي ، وكيف بشكري ولو جعل الله شكري في أحصاء ما أوليتني لم يأت على ذلك عدي ؟ وكيف بشكري وأنت كهفي دون كل كهف لي ؟ وكيف بشكري وأنت لا ترضى لي ما أرضاه لي ؟ وكيف بشكري وأنت تجدد من نعمتك عندي ما يستغرق كل ما سلف عندك لي ، أم كيف بشكري وأنت تنسيني ما تقدم من إحسانك إلي بما تجدده لي ؟ أم كيف بشكري وأنت تقدمني بطولك على جميع اكفائي ، أم كيف بشكري وأنت وايي؟ أم كيف بشكري وأنت المكرم لي، وأنا أسأل الله الذي

رزقني ذلك منك من غير استحقاق له إذا كان الشكر مقصراً عن بلوغ تأدية بعضه بل دون شقص من عشر عشيره أن يتولى مكافأتك عني بما هو أوسع له وأقدر عليه، وأن يقضي عني حقك وجليل منتك ، فإن ذلك بيده وهو القادر عليه .

تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٦ - ٤٦٧ - ٤٦٩

٢٠٠ - خطبة عبد الملك بن صالح لما أرتج عليه :

صعد المنبر فأرتج فقال : أيها الناس ، إن اللسان بضعة من الانسان تكل بكلاله إذا كل وتنفسح بانفساحه إذا ارتجل . إن الكلام بعد الإفحام كالإشراق بعد الإظلام ، وإنا لانسكت حصراً . ولا ننطق هذراً ، بل نسكت مفيدين وننطق مرشدين ، وبعد مقامنا مقام ، ووراء أيامنا أيام . بها فصل الخطاب ومواقع الصواب . وسأعود فأقول إن شاء الله تعالى .

زهر الآداب للحصري القيرواني جـ ٢ - ٦٦٣

٢٠١ - خطبة شبيب بن شبة :

قيل لبعض الخلفاء[1] : إن شبيب بن شبة يستعمل الكلام ويستعد له فلو أمرته أن يصعد المنبر لرجوت أن يفتضح . فأمر رسولاً فأخذ بيده إلى المسجد فلم يفارقه حتى صعد المنبر فقال بعد حمد الله والثناء عليه :

إلا أن لأمير المؤمنين أشباهاً أربعة : الاسد الخادر والبحر الزاخر والقمر الباهر والربيع الناضر . فأما الأسد الخادر فأشبه منه صولته ومضاءه ، وأما البحر الزاخر فأشبه منه جوده وعطاءه ، وأما القمر الباهر فأشبه منه نوره وضياءه ، وأما الربيع الناضر فأشبه منه حسنه وبهاءه . ثم نزل عن المنبر وأنشأ يقول :

وموقف مثل حد السيف قمت به أحمي الذمار وترميني به الحدق

---

(١) هذا الخليفة هو هارون الرشيد .

فما زلقت ولا الفيت كاذبـــة إذا الرجال على أمثاله زلقـــوا

العقد الفريد لابن عبد ربه جـ ٤ – ١٣٦ – ١٣٧

ـ الحوار والمناظرات ـ

٢٠٢ ـ حوار الرشيد مع ابن السماك :

دخل ابن السماك على الرشيد ذات مرة فقـــال له : عظني يا ابن السماك وأوجز . فقال :

كفى بالقرآن واعظاً يا أمير المؤمنين . قـــال الله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم . ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، ألا يظن أولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم ، يوم يقـوم الناس لرب العالمين(١) . هذا يا أمير المؤمنين وعيد لمن طفف في الكيل ، فما ظنك بمن أخذه كله .

٢٠٣ ـ حوار الرشيد مع ابن السماك ثانية :

قال الرشيد لابن السماك : عظني . وأتى بشربة ماء . فقال ابن السماك .

لو حبست عنك هذه الشربة أكنت تفديها بملكك ؟ قال : نعم :

قال : لو حبس عنك خروجها اكنت تفديها بملكك ؟ قال : نعم .

قال : فما خير في ملك لا يساوي شربة ولا بولة ؟ ! .

قال : ياابن السماك ما أحسن مابلغني عنك ؟ ! .

قال : يا أمير المؤمنين إن لي عيوبـــاً لو أطلع الناس منها على عيب واحد

---

(١) سورة المطففين ، الآيات ١ – ٥ .

ما ثبتت لي في قلب أحد مودة ، وإني لخائف في الكلام الفتنة في السر الغرة ، وإني لخائف على نفسي من قلة خوفي عليها .

العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٣ - ١٦٤

٢٠٤ - حوار بين الرشيد وعبد الملك بن صالح :

غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح فأمر به إلى السجن فسجن . ثم دعا به ذات مرة فأتى به ، فلما مثل بين يديه التفت الرشيد اليه كأنه يحدث يحي ابن خالد بن برمك وزيره وقال متمثلاً :

أريد حياتـــه ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

ثم قال: يا عبد الملك كأني انظر الى شؤبوبها قد همع والى عارضها قد لمع ، وكأني بالوعيد قد أوري بل ادمي فابرز عن براجم بلا معاصم ورؤوس بلا غلاصم ، فمهلاً بني هاشم ! في والله سهل لكم الوعر وصفا لكم الكدر وألقت اليكم الأمور أثناء ازمتها ، فنذار لكم نذراً قبل حلول داهية خبوط باليد والرجل .

فقال عبد الملك : أفذاً اتكلم أم توأماً(١) .

قال : بل فذاً .

قال: اتق الله يا أمير المؤمنين فيما ولاك واحفظه في رعاياك الذين استرعاك ، ولا تجعل الكفر بموضع الشكر والعقاب بموضع الثواب ؛ فقد والله سهلت لك الوعور وجمعت على خوفك ورجائك الصدور وشددت أواخي ملكك بأوثق من ركن يلملم ، وكنت لك كما قال أخو بني جعفر بن كلاب - يعني لبيداً -

ومقـــام ضيق فرجتـــه بلسان وبيان وجـــدل
لو يقوم الفيـــل أو فياله زل عن مثل مقامي وزحل(٢)

زهر الآداب للحصري القيرواني ج ٢ - ٦٥٩ - ٦٦٠

---

(١) الفذ = الواحد . التوأم = اثنان .

(٢) أورده كل من اليعقوبي ج ٢ ٤٢٤-٤٢٥ ؛ والمسعودي في مروج الذهب ج ٣ ٣٥٤ - ٣٥٥ نصاً مشابهاً لنصنا هذا .

— العهود والرسائل —

٢٠٥ – كتاب الرشيد إلى الآفاق بتوليه الخلافة :

لما توفى الهادي وتولى هارون الرشيد الخلافة أنشأ كاتبه يوسف بن القاسم كتاباً أرسله الى جميع الولايات يخبر الولاة والناس بهذا الحدث العظيم ، وهذا نصه :

قال يوسف بن القاسم بعد حمد الله عز وجل والصلاة على النبي ﷺ :

إن الله بمنه ولطفه منّ عليكم معاشر أهل بيت نبيه بيت الخلافة ومعدن الرسالة وآتاكم أهل الطاعة من أنصار الدولة وأعوان الدعوة من نعمه التي لا تحصى بالعدد ولا تنقضي مدى الأبد، وأياديه التامة أن جمع ألفتكم وأعلى أمركم وشد عضدكم وأوهن عدوكم وأظهر كلمة الحق وكنتم أولى بها وأهلها فاعزكم الله وكان الله قوياً عزيزاً، فكنتم أنصار دين الله المرتضى والذابين بسيفه المنتضى عن أهل بيت نبيه ﷺ وبكم استنقذهم من أيدي الظلمة أئمة الجور والناقضين عهد الله والسافكين الدم الحرام والآكلين الفيء والمستأثرين به . فاذكروا ما أعطاكم الله من هذه النعمة ، واحذروا أن تغيروا فيغير بكم . وإن الله عز وجل استأثر بخليفته موسى الهادي الامام فقبضه اليه وولي بعده رشيداً مرضياً أمير المؤمنين بكم رؤوفاً رحيماً ، من محسنكم قبولاً، وعلى مسيئكم بالعفو عطوفاً.وهو ـ امتعه الله بالنعمة وحفظ له ما استرعاه إياه من امر الأمة وتولاه بما تولى به أولياءه وأهل طاعته ـ يعدكم من نفسه الرأفة بكم والرحمة لكم وقسم اعطياتكم فيكم عن استحقاقكم ، ويبذل لكم من الجائزة مما أفاء الله على الخلفاء مما في بيوت الأموال ماينوب عن رزق كذا وكذا شهراً غير مقاص لكم بذلك فيما تستقبلون من اعطياتكم وحاملاً باقي ذلك للدفع عن حريمكم ومـا لعله أن يحدث في النواحي والأقطار من العصاة المارقين إلى بيوت الأموال ، حتى تعود الأموال

إلى جامها وكثرتها والحال التي كانت عليها. فاحمدوا الله وجددوا شكراً يوجب لكم المزيد من إحسانه إليكم بما جدد لكم من رأي أمير المؤمنين وتفضل بـه عليكم ـ أيده الله بطاعته ـ وارغبوا إلى الله له في البقاء، ولكم به في إدامة النعماء لعلكم ترحمون واعطوا صفقة أيمانكم وقوموا الى بيعتكم، حاطكم الله وحاط عليكم واصلح بكم وعلى أيديكم وتولاكم ولاية عباده الصالحين[1] .

عصر المأمون لفريد الرفاعي ج ١ - ١١٤ - ١١٥

ولاية العهد

٢٠٦ ـ عهد الرشيد بالخلافة إلى الأمين ومن بعد الأمين المأمون، ولكن عدداً من بني هاشم، وعلى رأسهم عبد الملك بن صالح أرادوا أن يولي الرشيد القاسم بعد أخويه الأمين والمأمون فكتب عبد الملك إلى الرشيد يحرضه على ذلك :

يا أيهـــا الملك الذي	لو كان نجماً كان سعداً
للقاسم اعقـــد بيعة	واقدح له في الملك زنداً
الله فـــرد واحـــد	فاجعل ولاة العهد فرداً

فبايع الرشيد للقاسم :

العيون والحدائق ج ٣ - ٢٠٤

(١) ورد نص هذه الرسالة على انها خطبة القاها يوسف بن القاسم بين يدي الرشيد لما أصبح خليفة في الطبري ج٦ ٤٤٢-٤٤٣ . ولم يذكر الاستاذ فريد الرفاعي مصدر هذه الرسالة. واغلب الظن انها خطبـة يوسف ثم نسخت بعد ذلك على شكل رسالة ووجهت إلى الآفاق .

٢٠٧ ـ كتاب تعهد الأمين باحترام ما عقده ابوه من ولاية العهد له ولاخويه من بعده :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب لعبد الله هارون أمير المؤمنين كتبه محمد بن هارون أمير المؤمنين في صحة من عقله وجواز من أمره طائعاً غير مكره . ان أمير المؤمنين ولاني العهد من بعده وصير البيعة لي في رقاب المسلمين جميعاً ، وولي عبد الله بن هارون أمير المؤمنين العهد والخلافة وجميع أمر المسلمين بعدي برضا مني وتسليم طائعاً غير مكره ، وولاه خراسان وثغورها وكورها وحربها وجندها وخراجها وطرازها وبريدها وبيوت اموالها وصدقاتها وعشرها وعشورها وجميع أعمالها في حياته وبعده ، وشرطت لعبد الله بن هارون أمير المؤمنين برضا مني وطيب نفسي أن لأخي عبد الله بن هارون على الوفاء بما عقد له هارون أمير المؤمنين من العهد والولاية والخلافة وأمور المسلمين جميعاً بعدي وتسليم ذلك له وما جعل له من ولاية خراسان وأعمالها كلها وما أقطعه أمير المؤمنين من قطيعة أو جعل له من عقدة أو ضيعة من ضياعه أو ابتاع من الضياع والعقد ، وما أعطاه في حياته وصحته من مال أو حلي أو جوهر أو متاع أو كسوة أو منزل أو دواب أو قليل أو كثير فهو لعبد الله بن هارون أمير المؤمنين موفراً مسلماً اليه . وقد عرفت ذلك كله شيئاً شيئاً ، فإن حدث بأمير المؤمنين حدث الموت وأفضت الخلافة إلى محمد بن أمير المؤمنين فعلى محمد إنفاذ ما أمره به هارون أمير المؤمنين في تولية عبد الله ابن هارون أمير المؤمنين خراسان وثغورها ومن ضم إليه من أهل بيت أمير المؤمنين بقرماسين ، وأن يمضي عبد الله ابن أمير المؤمنين إلى خراسان والري والكور التي سماها أمير المومنين حيث كان عبد الله ابن أمير المؤمنين من معسكر أمير المؤمنين وغيره من سلطان أمير المؤمنين وجميع من ضم إليه أمير

المؤمنين حيث أحب من لدن الري إلى أقصى عمل خراسان ليس لمحمد بن أمير المؤمنين أن يحول عنه قائداً ولا مفقوداً ولا رجلا واحداً ممـــن ضم اليه من أصحابه الذين ضمهم اليه أمير المؤمنين ، ولا يحول عبد الله بن أمير المؤمنين عن ولايته التي ولاه إياها هارون الرشيد أمير المؤمنين من ثغور خراسان وأعمالها كلها ما بين عمل الري مما يلي همذان إلى أقصى خراسان وثغورها وبلادها وما هو منسوب اليها ولا يشخصه اليه ولا يفرق احداً من اصحابه وقواده عنه ولا يولي عليه احداً ولا يبعث عليه ولا على احد من عمـــاله وولاة أموره بنداراً ولا محاسباً ولا عاملاً ولا يدخل عليه في صغير من أمره ولا كبير ضرراً ولا يحول بينه وبين العمل في ذلك كله برأيه وتدبيره ، ولا يعرض لأحد ممن ضم اليه أمير المؤمنين من أهل بيته وصحابته وقضاته وعماله وكتابه وقواده وخدمه ومواليه وجنده بمــا يلتمس ادخال الضرر والمكروه عليهم في انفسهم ولا قراباتهم ولا مواليهم ولا أحد ينتسب منهم ولا في دمائهم ولا في أموالهم ولا في ضياعهم ودورهم ورباعهم وامتعتهم ورقيقهم ودوابهم شيئاً من ذلــك صغيراً ولا كبيراً ، ولا أحد من الناس بأمره ورأيـه وهـواه بترخيص له في ذلك وادهان منه فيه لأحد من ولد آدم ، ولا يحكم في أمرهم ولا أحد من قضاته ومن عماله وممن كان بسبب منـــه بغير حكم عبد الله ابن أمير المؤمنين ورأيه ورأي قضاته . وان نزع اليه أحد ممن ضم أمير المؤمنين إلى عبد الله ابن أمير المؤمنين من أهل بيت أمير المؤمنين وصحابته وقواده وعماله وكتابه وخدمه ومواليه وجنده ورفض اسمه ومكتبته ومكانه مـع عبد الله ابن أمير المؤمنين عاصياً له أو مخالفاً عليه ، فعلى محمد ابن أمير المؤمنين رده إلى عبد الله ابـــن أمير المؤمنين يصغر له وقماً حتى ينفذ فيه رأيه وأمره . فإن أراد محمد ابن أمير المؤمنين خلع عبد الله ابن أمير المؤمنين عن ولاية العهد من بعده ، أو عـــزل عبد الله ابن أمير المؤمنين عن ولاية خراسان وثغورها وأعمالها والذي من حد

عملها مما يلي همذان والكور التي سماها أمير المؤمنين في كتابه هذا ، أو صرف أحداً من قواده الذين ضمهم أمير المؤمنين اليه ممن قدم قرماسين، أو أن ينتقصه قليلاً أو كثيراً ممـــا جعله أمير المؤمنين له بوجه من الوجوه أو بحيلة من الحيل صغرت أو كبرت فلعبد الله بن هارون أمير المؤمنين الخلافة بعد أمير المؤمنين وهو المقدم على محمد بن أمير المؤمنين وهو ولي الأمر من بعـد أمير المؤمنين ، والطاعة من جميع قواد أمير المؤمنين هارون من أهل خراسان وأهل العطاء وجميع المسلمين في جميع الأجناد والأمصار لعبد الله ابن امير المؤمنين والقيام معه والمجاهدة لمن خالفه والنصر له والذب عنه ما كانت الحياة في أبدانهم ، وليس لأحد منهم جميعاً من كانوا أو حيث كانوا أن يخالفه ولا يعصيه ولا يخرج من طاعته ولا يطيع محمد ابن أمير المؤمنين في خلع عبد الله بن هارون أمـير المؤمنين وصرف العهد عنه من بعده الى غيره أو ينتقصه شيئاً ممـا جعله له أمير المؤمنين هارون في حياته وصحته واشترط في كتابه الذي كتبه عليه في البيت الحرام وفي هـذا الكتاب : وعبد الله ابن أمير المؤمنين المصدق في قوله وانتم في حل من البيعة التي في أعناقكم لمحمد ابن امير المؤمنين هارون أن نقص شيئاً مما جعله له أمير المؤمنين هارون، وعلى محمد ابن هارون أمير المؤمنين أن ينقاد لعبد الله ابن أمير المؤمنين هارون ويسلم له الخلافة، وليس لمحمد ابن أمير المؤمنين هارون ولا لعبد الله ابن أمير المؤمنين هارون أن يخلعا القاسم ابن أمير المؤمنين هارون ولا يقدما عليه أحداً من أولادهما وقراباتهما ولا غيرهم من جميع البريـة . فإذا أفضت الخلافة الى عبد الله ابن أمير المؤمنين فالأمر إليه في امضاء ما جعله أمير المؤمنين من العهد للقاسم بعده أو صرف ذلك عنه إلى من رأى من ولده وإخوته وتقديم من أراد أن يقدم قبله وتصيير القاسم ابن أمير المومنين بعـد من تقدم قبله يحكم في ذلك بما أحب ورأى . فعليكم معشر المسلمين انفاذ ما كتب به أمير المؤمنين في كتابه هذا وشرط عليهم وأمر بـه ، وعليكم السمع والطاعة

لأمير المؤمنين فيما ألزمكم وأوجب عليكم لعبد الله ابن أمير المؤمنين وعهد الله وذمته وذمة رسوله ﷺ وذمم المسلمين ، والعهود والمواثيق التي أخذ الله على الملائكة المقربين والنبيين والمرسلين ووكدها في أعناق المؤمنين والمسلمين لتَفُنّ لعبد الله أمير المؤمنين بما سمي ، ولمحمد وعبد الله والقاسم بني أمير المؤمنين بما سمي وكتب في كتابه هذا واشترط عليكم وأقررتم به على أنفسكم ، فإن أنتم بدلتم من ذلك شيئاً أو غيرتم أو نكثتم أو خالفتم ما أمركم به أمير المؤمنين واشترط عليكم في كتابه هذا فبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله محمد ﷺ وذمم المؤمنين والمسلمين ، وكل مال هو اليوم لرجل منكم أو يستفيده إلى خمسين سنة فهو صدقة على المساكين ، وعلى كل رجل منكم المشي إلى بيت الله الحرام الذي بمكة خمسين حجة نذراً واجباً لا يقبل الله منه إلا الوفاء بذلك ، وكل مملوك لأحد منكم أو يملكه فيما يستقبل إلى خمسين سنة حر ، وكل امرأة له فهي طالق ثلاثاً البتة طلاق الحرج لا مثنوية فيها ، والله عليكم بذلك كفيل وراع وكفى بالله حسيباً[1] .

تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٦ ٤٧٦ - ٤٧٩

---

(١) اورد نص هذا التعهد الشهير الازرقي ج ١ ٢٣٥-٢٣٩ وصبح الاعشى ج ١٤ ٨٥-٨٩ الذي يذكر انه نقله عن الازرقي، واليعقوبي ج٢ ٤١٦-٤١٩ ونصوصها متشابهة الى حد كبير مع وجود كثير من الاختلافات وينفرد اليعقوبي بذكر اسماء الشهود الذين وقعوا على كتاب تعهد الامين وكتاب تعهد المأمون . وهذه الاسماء هي : شهد سليمان ابن امير المؤمنين المنصور وعيسى بن جعفر وجعفر بن جعفر وعبيد الله بن المهدي وجعفر بن موسى امير المؤمنين واسحاق بن عيسى بن علي وعيسى بن موسى امير المؤمنين واسحاق ابن موسى امير المؤمنين واحمد بن اسماعيل بن علي وسليمان بن جعفر بن سليمان وعيسى بن صالح بن علي وداود بن عيسى بن موسى وداود بن سليمان بن جعفر ويحيى بن موسى بن عيسى ويحيى بن خالد وخزيمة بن خازم وهرثمة بن اعين وعبد الله بن الربيع والفضل بن الربيع والعباس بن الفضل والقاسم بن الربيع ودقاقة بن عبد العزيز وسليمان بن عبد الله بن الاصم.. ومحمد بن عبد الرحمن قاضي مكة وعبد الكريم الحجبي وابراهيم بن عبد الرحمن الحجبي وابان مولى امير المؤمنين وخالد مولى امير المؤمنين ومحمد بن منصور واسماعيل بن صبيح . وكتب في ذي الحجة سنة ١٨٦ هـ .

٢٠٨ - كتاب تعهد المأمون باحترام ما عقده أبوه من ولاية العهد للأمين وله من بعده وللقاسم من بعدهما :

هذا كتاب لعبد الله هارون أمير المؤمنين كتبه له عبد الله بن هارون امير المؤمنين في صحة من عقله وجواز من أمره وصدق نيته فيما كتب في كتابه هذا ومعرفة بما فيه من الفضل والصلاح له ولأهل بيته وجماعة المسلمين . إن أمير المؤمنين هارون ولاني العهد والخلافة وجميع أمور المسلمين في سلطانه بعد أخي محمد بن هارون وولاني في حياته ثغور خراسان وكورها وجميع أعمالها ، وشرط على محمد بن هارون الوفاء بما عقد لي من الخلافة وولاية أمور العباد والبلاد بعده ، وولاية خراسان وجميع أعمالها ، ولا يعرض لي في شيء مما أقطعني أمير المؤمنين وابتاع لي من الضياع والعقد والرباع وابتعت منه من ذلك وما أعطاني أمير المؤمنين من الأموال والجواهر والكساء والمتاع والدواب والرقيق وغير ذلك ، ولا يعرض لي ولا لأحد من عمالي وكتابي بسبب محاسبة ولا يتبع لي في ذلك ولا لأحد منهم أبداً ، ولا يدخل علي ولا عليهم ولا على من معي ممن استعنت به من جميع الناس مكروهاً في نفس ولا دم ولا شعر ولا بشر ولا مال ولا صغير من الأمور ولا كبير فأجابه إلى ذلك وأقر به وكتب له كتاباً أكد فيه على نفسه ورضي بـه أمير المؤمنين هارون وقبله وعرف صدق نيته فيه ، فشرطتُ لأمير المؤمنين وجعلت له على نفسي أن أسمع لمحمد وأطيع ولا أعصيه وانصحه ولا أغشه وأوفى ببيعته وولايته ولا اغدر ولا انكث وانفذ كتبه وأموره واحسن مؤازرته وجهاد عدوه في ناحيتي ، ما وفى لي بما شرط لأمير المؤمنين في أمري وسمى في الكتاب الذي كتبه لأمير المؤمنين ورضي بـه أمير المؤمنين ، ولم يتبعني بشيء من ذلك ولم ينقض امراً من الأمور التي شرطها أمير المؤمنين لي عليه . فإن احتاج محمد بن أمير المؤمنين إلى جند وكتب إلي يأمرني باشخاصه اليه أو إلى ناحية من النواحي أو الى عدو من اعدائـه خالفه أو أراد

نقض شيء من سلطانه أو سلطاني الذي أسنده أمير المؤمنين الينا وولانا إياه فعليّ أن أنفذ أمره ولا أخالفه ولا أقصر في شيء كتب به إلي ، وإن أراد محمد أن يولي رجلاً من ولده العهد والخلافة بعدي فذلك له ما وفى لي بما جعله أمير المؤمنين إليّ واشترطه لي عليه وشرط على نفسه في أمري ، وعليَّ إنفاذ ذلك والوفاء له بـه ولا أنقص من ذلك ولا أغيره ولا أبدله ولا أقدم قبله أحداً من ولدي ولا قريباً ولا بعيداً من الناس أجمعين إلا أن يولي أمير المؤمنين هارون أحداً من ولده العهد من بعدي فيلزمني ومحمداً الوفاء له . وجعلت لأمير المؤمنين ومحمد عليَّ الوفاء بما شرطت وسميت في كتابي هذا ما وفى لي محمـد بجميع ما اشترط لي أمير المؤمنين عليـه في نفسي وما أعطاني أمير المؤمنين من جميع الأشياء المسماة في هذا الكتاب الذي كتبه لي . وعليَّ عهد الله وميثاقه وذمة أمير المؤمنين وذمتي وذمم آبائي وذمم المؤمنين وأشد ما أخذ الله على النبيين والمرسلين من خلقه أجمعين من عهوده ومواثيقه والإيمان المؤكدة التي أمر الله بالوفاء بها ونهى عن نقضها وتبديلها، فإن أنا نقضت شيئاً مما شرطت وسميت في كتابي أو غيرت أو بدلت أو نكثت أو غدرت فبرئت من الله عز وجل ومن ولايته ودينه ومحمد رسول الله ﷺ، ولقيت الله يوم القيامة كافراً مشركاً، وكل امرأة هي لي اليوم أو أتزوجها إلى ثلاثين سنة طالق ثلاثـاً البتة طلاق الحرج ، وكل مملوك هو لي اليوم أو أملكه إلى ثلاثين سنة أحرار لوجه الله ، وعلي المشي إلى بيت الله الحرام الذي بمكة ثلاثين حجة نذراً عليَّ في عنقي حافياً راجلاً لا يقبل الله مني إلا الوفاء بذلك ، وكل مال لي أو أملكه إلى ثلاثين سنة هـدي بالغ الكعبة ، وكل ما جعلت لأمير المؤمنين وشرطت في كتابي هذا لازم لي لا أضمر غيره ولا أنوي غيره . وشهد سليمان بن أمير المؤمنين وفلان وفلان وكتب في ذي الحجة سنة ست وثمانين ومائة .

٢٠٩ - كتاب الرشيد إلى عماله من أجل ولاية العهد :

بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد . فإن الله ولي أمير المؤمنين وولي ماولاه والحافظ لما استرعاه وأكرمه به من خلافته وسلطانـــه ، والصانع له فيما تقدم وأخر من أموره ، والمنعم عليه بالنصر والتأييد في مشارق الأرض ومغاربها ، والكالىء والحافظ والكافي من جميع خلقه، وهو المحمود على جميع آلائه المسؤول تمام حسن ما أمضى من قضائه لأمير المؤمنين وعاداته الجميلة عنده والهام مايرضى به ويوجب له عليه أحسن المزيد من فضله . وقــد كان من نعمة الله عز وجل عند أمير المؤمنين وعندك وعند عوام المسلمين ما تولى الله من محمد وعبد الله ابني أمير المؤمنين من تبليغه بهما أحسن ما أملت الأمة ومدت إليه أعناقها وقذف الله لهما في قلوب العامة من المحبــة والمودة والسكون إليهما والثقة بهما لعماد دينهم وقوام أمورهم وجمع ألفتهم وصلاح دهمائهم ودفع المحذور والمكروه من الشتات والفرقة عنهم حتى ألقوا إليهما أزمتهم وأعطوهمــا بيعتهم وصفقات أيمانهم بالعهود والمواثيق ووكيد الإيمان المغلظة عليهم ؛ أراد الله فلم يكن له مرد وأمضاه فلم يقدر أحد من العباد على نقضه ولا إزالته ولا صرف له عن محبته ومشيئته وما سبق في علمه منه. وأمير المؤمنين يرجو تمام النعمة عليه وعليهما في ذلك وعلى الأمة كافة لاعاقب لأمر الله ولا راد لقضائه ولامعقب لحكمه .ولم يزل أمير المؤمنين منذ اجتمعت الأمة على عقد العهد لمحمد ابن أمير المؤمنين من بعد أمير المؤمنين ولعبد الله ابن أمير المؤمنين من بعد محمد ابن أمير المؤمنين يعمل فكره ورأيه ونظره ورؤيته فيما فيه الصلاح لهما ولجميع الرعية والجمع للكلمة واللم للشعث والدفع للشتات والفرقــة والحسم لكيد أعداء النعم من أهل الكفر والنفاق والغــل والشقاق والقطع لآمالهم من كل فرصة يرجون إدراكها وانتهازها منهما بإنقاص حقهما ، ويستخير الله أمير المؤمنين ذلك ويسأله العزيمة له على ما فيه الخيرة لهما ولجميع الأمة ، والقوة في أمر الله وحقه وائتلاف أهوائها وصلاح ذات بينها وتحصينها من كيد

أعداء النعم ورد حسدهم ومكرهم وبغيهم وسعيهم بالفساد بينهما فعزم الله لأمير المؤمنين على الشخوص بهما إلى بيت الله وأخذ البيعة منهما لأمير المؤمنين بالسمع والطاعة والانفاذ لأمره واكتتاب الشرط على كل واحد منهما لأمير المؤمنين ولهما بأشد المواثيق والعهود وأغلظ الإيمان والتوكيد والأخذ لكل واحد منهما على صاحبه بما التمس به أمير المؤمنين اجتماع ألفتهما ومودتهما وتواصلهما ومؤازرتهما ومكانفتهما على حسن النظر لأنفسهما ولرعية أمير المومنين التي استرعاهما و الجماعة لدين الله عز وجل وكتابه وسنن نبيه ﷺ والجهاد لعدو المسلمين من كانوا وحيث كانوا وقطع كل عدو مظهر للعداوة ومسر لها وكل منافق ومارق ، وأهل الأهواء الضالة المضلة من فرقة تكيد بكيد توقعه بينهما وبدحس تدحس به لهما وما يلتمس أعداء الله وأعداء النعم وأعداء دينه من الضرب بين الأمة والسعي بالفساد في الأرض والدعاء إلى البدع والضلالة نظراً من أمير المؤمنين لدينه ورعيته وأمة نبيه محمد ﷺ ومنا صحة لله ولجميع المسلمين وذباً عن سلطان الله الذي قدره وتوحد فيه للذي حمله إياه ، والاجتهاد في كل ما فيه قربة إلى الله وما ينال به رضوانه والوسيلة عنده . فلما قدم مكة أظهر لمحمد وعبد الله رأيه في ذلك وما نظر فيه لهما فقبلا كل ما دعاهما اليه من التوكيد على أنفسهما بقبوله وكتبا لأمير المؤمنين في بطن بيت الله الحرام بخطوط أيديهما بمحضر من شهد الموسم من أهل بيت أمير المؤمنين وقواده وصحابته وقضاته وحجبة الكعبة وشهاداتهم عليهما كتابين استودعهما أمير المؤمنين الحجبة وأمر بتعليقهما في داخل الكعبة . فلما فرغ أمير المؤمنين من ذلك كله في داخل بيت الله الحرام وبطن الكعبة أمر قضاته الذين شهدوا عليهما وحضروا كتابهما أن يعلموا جميع من حضر الموسم من الحاج والعمار ووفود الامصار ما شهدوا عليه من شرطهما وكتابهما وقراءة ذلك عليهم ليفهموه ويعرفوه ويحفظوه ويؤدوه إلى إخوانهم وأهل بلدانهم وأمصارهم ففعلوا ذلك وقرىء عليهم الشرطان جميعاً في المسجد الحرام ، فانصرفوا وقد اشتهر ذلك عندهم وأثبتوا الشهادة عليه وعرفوا نظر أمير المؤمنين وعنايته

بصلاحهم وحقن دمائهم ولم شعثهم وإطفاء جمرة أعداء الله أعـداء دينه وكتابه وجماعة المسلمين عنهم ، واظهروا الدعاء لأمير المؤمنين والشكر لما كان منه في ذلك . وقد نسخ لك أمير المؤمنين ذنيك الشرطين اللذين كتبهما لأمير المؤمنين ابناه محمد وعبد الله في بطن الكعبة في أسفل كتابه هذا . فاحمد الله عز وجل على ما صنع لمحمد وعبد الله وليي عهد المسلمين حمداً كثيراً وأشكره ببلائه عند أمير المؤمنين وعند وليي عهد المسلمين وعندك وعند جماعة أمة محمد ﷺ كثيراً. واقرأ كتاب أمير المؤمنين على من قبلك من المسلمين وأفهمهم إياه وقم بـه بينهم وأثبته في الديوان قبلك وقبل قواد أمير المؤمنين ورعيته قبلك ، واكتب إلى أمير المؤمنين بما يكون في ذلك إن شاء الله وحسبنا الله ونعم الوكيل وبـه الحول والقوة والطول . وكتب اسماعيل بن صبيح يوم السبت لسبع ليال بقين من المحرم سنة ست وثمانين ومائة(١) .

تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٦ – ٤٧٩ – ٤٨٣

ـ البرامكة وقضيتهم ونكبتهم ـ

٢١٠ ـ رسالة يحيى الى ابنه الفضل يطلب منه أن ينقل ديوان الخاتم منه إلى أخيه جعفر :

طلب الرشيد من يحي أن يخبر ابنه الفضل برغبته في نقل ديوان الخاتم منه إلى أخيه جعفر فكتب له يقول :

قد أمر أمير المؤمنين ـ أعلى الله أمره ـ أن تحول الخاتم من يمينك إلى شمالك.

---

(١) ورد نص كتاب تعهد المأمون في اليعقوبي حـ٢ ٢١٩ - ٢٢١ وفي اخبار مكة للازرقي حـ ١ ٢٣٩–٢٤٠ ، وفي صبح الأعشى للقلقشندي حـ١٤ ٨٩–٩٢ الذي يذكر أنه نقله عن الازرقي .

٢١١ ـ رسالة جوابيةمن الفضل إلى أبيه يحيى حول نفس الموضوع:

قد سمعت لما أمر به امير المؤمنين في أخي ، وما انتقلت عني نعمة صارت اليه ، ولا غربت عني رتبة طلمت عليه[1] .

الفخري في الآداب السلطانية لابن الطقطقي ص ١٨٦

٢١٢ ـ رسالة ثانية من يحيى إلى ابنه الفضل :

ولى الرشيد الفضل ولاية خراسان فبلغه أن الفضل يتشاغل باللهو والصيد والقنص فطلب الرشيد من والده يحي أن يكفيه أمر ابنه فكتب اليه يقول :

حفظك الله يا بني وأمتع بك . قد انتهى إلى أمير المؤمنين ما أنت عليه من التشاغل بالصيد ومداومة اللذات عن النظر في أمور الرعية ما أنكره ، فعاود ما هو أزين بك فإنه من عاد إلى ما يزينه أو يشينه لم يعرفه أهل دهره إلا به ، والسلام .

وكتب في أسفل كتابه هذه الأبيات :

انصب نهاراً في طلب العلا ... واصبر على فقد لقاء الحبيب
حتى إذا الليل أتى مقبلا ... واستترت فيه وجوه العيوب
فكابد الليل بما تشتهي ... فإنما الليل نهار الأريب
كم من فتى تحسبه ناسكاً ... يستقبل الليل بأمر عجيب
أرخى عليه الليل أستاره ... فبات في لهو وعيش خصيب
ولذة الأحمق مكشوفة ... يسعى بها كل عدو رقيب[2]

وفيات الأعيان لابن خلكان ج٣ـ١٩٨

---

(١) ذكر صاحب زهر الآداب ج٤ ـ ٣٦٤ وابن خلكان ج٣ ـ ١٩٧ نصاً مشابهاً لنصنا هذا مع شيء من الاختلاف .

(٢) اعطى المسعودي في مروج الذهب ج٣ ٣٧٧-٣٧٨ وياقوت الحموي في معجمه الأدباء ج٢٠ ـ ٨٠ نصاً مشابهاً لنصنا هذا .

٢١٣ ـ رسالة يحيى إلى ابنه جعفر ينهاه عن الإيغال في منادمة الرشيد وهو لا يرعوي ، فلما أعياه كتب إليه يقول :

إني إنما أهملتك ليعثر بك الزمان عثرة تعرف بها أمرك ، وإن كنت لأخشى أن تكون التي لا شوى لها .

تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٦ - ٤٨٩

٢١٤ - رسالة ابراهيم بن سيابة إلى يحيى بن خالد البرمكي :

للأصيد الجواد ، الورى الزناد ، الماجد الأمجاد ، الوزير الفاضل الأشم الباذل اللباب الحلاحل ، من المستكين المستجير البائس الضرير ، فإني أحمد الله ذا العزة القدير اليك وإلى الصغير والكبير بالرحمة العامة والبركة التامة .

أما بعد : فاغنم واسلم واعلم إن كنت تعلم إنه من يرحم يرحم ومن يحرم يحرم ، ومن يحسن يغنم ، ومن يصنع المعروف لا يعدم ، وقد سبق إليّ تفضلك عليّ واطراحك لي وغفلتك عني بما لا أقوم به ولا أقعد ولا أنتبه ، ولا ارقد ، فلست بذي حياة صحيح ولا بيت مستريح . فررت بعد الله منك إليك ، وتحملت بك عليك ، ولذلك قلتُ :

أسرعت بي حثاً إليك خطائي   فأناخت بذنب ذي رجاء
راغب راهب إليك يرجى   منك عفواً عنه وفضل عطاء
ولعمري ما من اصَرَّ ومن با   ت مقراً بذنبه بسواء

فإن رأيت ـ أراك الله ما تحب وأبقاك في خير - ألا تزهد فيما ترى من تضرعي وتخشعي وتذللي وتضعفي فإن ذلك ليس مني بنحيزة ولا طبيعة ولا على وجه تصيد وتصنع وتخدع ، ولكنه تذلل وتخشع وتضرع من غير ضارع ولا مهين ولا خاشع لمن لا يستحق ذلك إلا لمن التضرع له عز ورفعة وشرف ، والسلام :

البيان والتبيين للجاحظ ج ٣ ٢١٥ - ٢١٦

٢١٥ – توقيع جعفر بن يحيى البرمكي في كتاب صديق له :

ما جاوزتني نعمة خصصت بها ولا قصرت دوني ما كان بك محلها .

٢١٦ – توقيع جعفر بن يحيى الى عمر بن مسعدة :

إذا كان الاكثار أبلغ كان الايجاز تقصيراً ، وإذا كان الايجاز كافياً كان الاكثار عياً .

الأمالي لأبي علي القالي جـ١ – ٢١٩

٢١٧ – رسالة أحد العمال إلى جعفر بن يحيى .

إن صاحب الطريق قد اشتط فيما يطلب من الأموال .

٢١٨ . جواب جعفر على الرسالة السابقة :

هذا رجل منقطع عن السلطان وبين ذؤبان العرب بحيث العدد والعدة والقلوب القاسية والأنوف الحمية ، فليمدد من المال بما يستصلح به من معه ليدفع به عدوه فإن نفقات الحروب يستظهر لها ولا يستظهر عليها .

الكامل للمبرد جـ١ ٢٥٨–٢٥٩

٢١٩ – رسالة جوابية من جعفر بن يحيى البرمكي إلى والي مصر حول أحد الأشخاص :

كان هناك عداء بين جعفر البرمكي ووالي مصر ، وقد حدث أن أحد الأشخاص زوّر كتاباً عن لسان جعفر الى والي مصر يسأله الإحسان إليه – وهو لايعلم بالعداوة بينهما – فلما وصل الخطاب إلى يد والي مصر شك في الموضوع فأمسك الرجل عنده وأرسل الى وكيله في بغداد يطلب منه الاستفسار عن حقيقة الحال فكتب اليه جعفر :

سبحان الله ! كيف حصل لك الشك في خطي ؟ هذا خط يدي والرجل من أعز أصحابي ، وأريد ان تحسن إليه وتعيده إليّ سريعاً ، فإني مشتاق اليه محتاج إلى حضوره .

الفخري في الآداب السلطانية لابن الطقطقي ص ١٨٩

٢٢٠ – رسالة محمد بن علي إلى محمد بن يحيى بن خالد – وكان والياً على أرمينية للرشيد – يسعى ضد قوم :

إن قوماً صاروا الى سبيل النصح فذكروا ضياعاً بأرمينية قد عفت ودرست يرجع منها إلى السلطان مال عظيم ، وإني وقفت عن المطالبة حتى أعرف رأيك.

٢٢١ – جواب محمد بن يحيى بن خالد إلى محمد بن علي حول رسالته السابقة :

قرأت هذه الرقعة المذمومة وفهمتها ، وسوق السعاية بحمد الله في أيامنا كاسدة ، وألسنة السعاة في ايامنا كليلة خاسئة . فإذا قرأت كتابي هذا فاحمل الناس على قانونك وخذهم بما في ديوانك فإنا لم نولك الناحية لتتبع الرسوم العافية ولا لإحياء الأعلام الداثرة ، وجنبني وتجنب بيت جرير يخاطب الفرزدق :

وكنت إذا حللت بدار قوم رحلت بخزية وتركت عاراً

واجر أمورك على مايكسب الدعاء لنا لا علينا واعلم انها مدة تنتهي وايام تنقضي ، فأما ذكر جميل واما خزي طويل .

زهر الآداب للحصري القيرواني ج١ – ٣٠٣

٢٢٢ – رسالة محمد بن الليث إلى الرشيد يعظه فيها ويقول :

إن يحيى بن خالد لا يغني عنك من الله شيئاً وقد جعلته فيما بينك وبين عبادك . فكيف انت اذا وقفت بين يديه فسألك عما عملت في عباده وبلاده ، قلت : يارب استكفيت يحى أمور عبادك ، أتراك تحتج بحجة يرضى بها ؟

عصر المأمون لفريد الرفاعي ج١ – ١٨٥

٢٢٣ – رسالة من مجهول إلى الرشيد يحرضه على البرامكة :

قل لأمين الله في أرضه ومن إليه الحل والعقد
هذا ابن يحيى قد غدا مالكاً مثلك مابينكما حد

أمرك مردود إلى أمره وأمره ليس له رد
ونحن نخشى أنه وارث ملكك إن غيبك اللحد
وليس يباهي العبد أربابه إلا إذا بطر العبد

شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ج١ - ٣١٢

٢٢٤ - رسالة من الرشيد إلى السندي بن شاهك يأمره بالقدوم اليه في الرقة :

لما عزم الرشيد على البطش بالبرامكة ، وكان مقيماً بالرقة ، ارسل يستدعي السندي بن شاهك من بغداد :

بسم الله الرحمن الرحيم . ياسندي : إذا نظرت في كتابي هذا فإن كنت قاعداً فقم ، وان كنت نائماً فلا تقعد حتى تصير إلي .

تاريخ الأمم والملوك للطبري ج١ - ٤٩٣

٢٢٥ - رسالة من الرشيد إلى السندي بن شاهك يأمره بالقبض على البرامكة :

ياسندي : هذا كتابنا بخطنا ، مختوم بالخاتم الذي في يدنا وموصله سلام الأبرش ، فاذا قرأته فقبل أن تضعه من يدك فامض إلى دار يحي بن خالد - لا حاطه الله - وسلام معك حتى تقبض عليه وتوقره حديداً وتحمله الى الحبس في مدينة المنصور المعروف بحبس الزنادقة، وتقدم الى بادام بن عبد الله خليفتك بالمصير الى الفضل ابنه مع ركوبك الى دار يحيى وقبل انتشار الخبر، وأن تفعل به مثل ماتقدم به إليك في يحيى ، وأن تحمله ايضاً الى حبس الزنادقة . ثم بث بعد فراغك من أمر هذين أصحابك في القبض على أولاد يحي وأولاد اخوته وقراباته .

وفيات الأعيان لابن خلكان ج١ - ٣٠١

٢٢٦ – رسالة جوابية من يحيى بن خالد الى أيوب بن هارون الذي أرسل اليه يعزيه بقتل ولده جعفر :

أنا بقضاء الله راض وبالخيار منـه عالم ، ولا يؤاخذ الله العباد إلا بذنوبهم وما ربك بظلام للعبيد ، وما يعفو الله أ كثر ولله الحمد [١] .

تاريخ الأمم والملوك للطبري ج١ ٤٩٤ – ٤٩٥

٢٢٧ – رسالة الرشيد الى يحيى البرمكي ، وهو في السجن حول عبد الملك بن صالح :

شك الرشيد في عبد الملك بن صالح وظن أن يحيى عنده علم بخبره فأرسل له في السجن رسالة يقول له فيها :

ان عبـد الملك أراد الخروج علي ومنازعتي في الملك وعلمت ذلك ، فأعلمني ماعندك فيه ، فإنك ان صدقتني أعدتك الى حالك .

٢٢٨ – جواب يحيى للرشيد على الرسالة السابقة :

والله ما اطلعت من عبد الملك على شيء من هذا ، ولو اطلعت عليـه لكنت صاحبه دونك لأن ملكك كان ملكي وسلطانك كان سلطاني ، والخير والشر كان فيه علي ولي . وكيف يطمع عبد الملك في ذلك مني . وهل كان ، اذا فعلت به ذلك ، يفعل معي أكثر من فعلك ؟ أعيذك بالله أن تظن بي هذا الظن . ولكنه كان رجلاً محتملاً يسرني أن يكون في أهلك مثله ، فوليته لما حمدت أثره ومذهبه وملت إليه لأدبه واحتماله .

٢٢٩ – رسالة ثانية من الرشيد الى يحيى يهدده بقتل ابنه الفضل ان لم يعترف على عبد الملك :

إن أنت لم تقر عليه قتلت الفضل ابنك .

---

(١) ورد نص مشابه لهذا النص في ابن كثير حـ ١٠–١٩١ .

٢٣٠ - جواب يحيي بن خالد على رسالة الرشيد السابقة :

انت مسلط علينا فافعل ما أردت .

الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٦ ١٨٣ - ١٨٤

٢٣١ - رسالة من يحيي إلى الرشيد أرسلها لهمن السجن يستعطفه بها:

لأمير المؤمنين وخليفة المهديين وإمام المسلمين وخليفة رب العالمين ، من عبد أسلمته ذنوبه وأوبقته عيوبه وخذله شقيقه ورفضه صديقه ومال به الزمان ونزل به الحدثان ، فحل في الضيق بعد السعة وعالج البؤس بعد الدعة وافترش السخط بعد الرضا واكتحل السهاد بعد الهجود ، ساعته شهر وليلته دهر ، قد عاين الموت وشارف الفوت جزعاً لموجدتك ياأمير المؤمنين وأسفاً على ما فات من قربك لاعلى شيء من المواهب، لأن الأهل والمال إنما كانا لك وبك ، وكانا في يدي عارية والعارية مردودة . وأما ما أصبت به من ولدي فبذنبه ، ولا أخشى عليك الخطأ من أمره ولا أن تكون تجاوزت به فوق حده .

تفكر في امري - جعلني الله فداك - وليمل هواك بالعفو عن ذنب ، ان كان، فمن مثلي الزلل ومن مثلك الإقالة . وإنما أعتذر إليك بإقرار مايجب به الإقرار حتى ترضى ، فاذا رضيت رجوت، إن شاء الله. أن يتبين لك من أمري وبراءة ساحتي ما لا يتعاظمك بعده ذنب أن تغفره . مد الله في عمرك وجعل يومي قبل يومك .

وكتب اليه في اسفل الرقعة بهذه الابيات :

قل للخليفة ذى الصنيعة والعطايا الفاشية
وابن الخلائف من قريش والملوك العالية
إن البرامكة الذين رموا لديك بداهية
صفر الوجوه عليهم خلع المذلة بادية
فكأنهم مما بهم اعجاز نخل خاوية

عمتهم لك سخطة — لم تبق منهم باقيه
بعد الإمارة والوزا — رة والأمور الساميه
ومنازل كانت لهم — فوق المنازل عاليه
أضحوا وجل مناهم — منك الرضا والعافيه
يا من يود لي الردى — يكفيك مني ما بيه
يكفيك ما أبصرت من — ذلي وذل مكانيه
وبكاء فاطمة الكئيبة — والمدامع جاريه
ومقالها بتوجع — يا سوأتي وشقائيه
من لي وقد غضب الزما — ن على جميع رجاليه
يا لهف نفسي لهفها — ما للزمان وما ليه
يا عطفة الملك الرضا — عودي علينا ثانيه

فلم يكن له جواب من الرشيد

العقد الفريد لابن عبد ربه ج٥ ٦٨ ـ ٦٩

٢٣٢ ـ رسالة ثانية من يحيى للرشيد يستعطفه

إن كان الذنب ، يا أمير المؤمنين ، خاصاً ، فلا تعم بالعقوبة فإن لي سلامة البريء ومودة الولي .

٢٣٣ ـ توقيع الرشيد على الرسالة السابقة :

قضي الأمر الذي فيه تستفتيان .

كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري ص ٢٥٣

٢٣٤ ـ رسالة جوابيــة من الرشيد الى يحيى ردا على رسالة استعطافية من يحيى يطلب فيها عفوه :

إنما مثلك ، يا يحيى ما قال الله عز وجل : وضرب الله مثلاً قرية كانت

آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الخوف والجوع بما كانوا يصنعون [1] .

تاريخ اليعقوبي ج٢ - ٤٢٣

٢٣٥ - رسالة من يحيى الى الأمين - وهو ولي عهد - يستنجزه وعداً وعده إياه :

وهو أن يطلب من والدته أن تستوهب البرامكة من الرشيد ، لأن الأمين كان رضيع جعفر بن يحيى . فلما ابطأ عليه الوعد كتب يذكره به . ويقال إن هذه الأشعار لسليمان الأعمى أخي مسلم بن الوليد ، وكان منقطعاً إلى البرامكة :

يامِلاذي وعصمتي وعمادي ... ومجيري من الخطوب الشداد
بك قام الرجاء في كل قلب ... زاد فيه البلاء كل مزاد
إنما أنت نعمة أعقبتها ... نعم نفعها لكل العباد
وعدَ فوك أتممَنَّهُ فأبهى الد ... ر ما زيد حسنه بانعقاد
ما أظلت سحائب اليأس إلا ... كان في كشفها عليك اعتمادي
إن تراخت يداك عني فواقاً ... أكلتني الأيام أكل الجراد

٢٣٦ - توقيع الرشيد وجوابه على هذه الرسالة التي اوصلتها له السيدة زبيدة :

عظم ذنبك أمات خواطر العفو عنك .

العقد الفريد لابن عبد ربه ج٥ - ٦٥

٢٣٧ - رسالة يحيى الأخيرة للرشيد وعهده الذي كتبه قبل موته وطلب من السجان تسليمه للرشيد بعد وفاته ففعل :

بسم الله الرحمن الرحيم : قد تقدم الخصم إلى موقف الفصل وأنت على الأثر . والله حكم عدل وستقدم فتعلم .

---

(١) سورة النحل ، الآية ١١٢ .

٢٣٨ ـ توقيع الرشيد على الرسالة السابقة التي ساءت له بعد موت يحيى :

الحكم الذي رضيت به في الآخرة هو أعدى الخصوم عليك وهو من لا ينقض حكمه ولا يرد قضاؤه .

العقد الفريد لابن عبد ربه ج٥ ـ ٦٩

الرشيد والعلويون

٢٣٩ ـ رسالة عيسى بن جعفر بن المنصور والي الرشيد على البصرة بحق موسى بن جعفر الطالبي :

اعتقل الرشيد موسى بن جعفر لشيء بلغه عنه ووضعه في عهدة عيسى بن جعفر بن المنصور واليه على البصرة ، فلما مضت سنة على اعتقاله أرسل عيسى إلى الرشيد يطلب منه أخذ موسى عنه .

خذه عني وسلمه إلى من شئت وإلا خليت سبيله ، فقد اجتهدت أن آخذ عليه حجة فما أقدر على ذلك حتى إني لأتسمع عليه إذا دعا لعله يدعو علي أو عليك فما أسمعه يدعو إلا لنفسه يسأل الله الرحمة والمغفرة .

مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الاصفهاني ص ٥٠٢

٢٤٠ ـ رسالة الفضل بن يحيى إلى يحيى بن عبد الله العلوي الهارب من الرشيد لما علم مكانه في خراسان :

ولى الرشيد الفضل بن يحي المشرق ، وبلغ الفضل مكان يحيى بن عبد الله فأرسل اليه يقول :

إني أحب أن أحدث بك عهداً وأخشى أن تبتلي بي وأبتلي بك ، فكاتب صاحب الديلم فإني قد كاتبته لك لتدخل في بلاده فتمتنع به .

مقاتل الطالبيين لابي الفرج الأصفهاني ص ٤٦٧

٢٤١ ـ رسالة موسى بن جعفر العلوي إلى الرشيد من السجن وقد سجنه الرشيد عند السندي بن شاهك خوفاً منه :

إنه لن ينقضي عني يوم من البلاء إلا ينقضي عنك معه يوم من الرخاء حتى ينقضيا جميعاً إلى يوم ليس له انقضاء يخسر فيه المبطلون .

الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٦ – ١٦٤

علاقات خارجية

٢٤٢ ـ رسالة نقفور ملك الروم إلى الرشيد :

ثار نقفور ضد الامبراطورة إيريني وخلعها ووضعها في الدير وأصبح أمبراطوراً للروم فأرسل الرسالة التالية إلى هارون الرشيد وكانت بمثابة إنذار بالحرب .

من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب . أما بعد : فإن الملكة التي كانت قبلي أقامتك مقام الرخ وأقامت نفسها مقام البيدق فحملت إليك من أموالها ما كنت حقيقاً بحمل أضعافه لها ، ولكن ذلك ضعف النساء وحمقهن . فإذا قرأت كتابي هذا أردد ما حصل لك من أموالها ، وإلا فالسيف بيننا وبينك .

٢٤٣ – جواب الرشيد لنقفور عن الرسالة السابقة :

أثارت الرسالة السابقة غضب هارون الرشيد فكتب إلى نقفور بخط يده على نفس رسالته ما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم . من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم ،

وقد قرأت كتابك يا ابن الكافرة ، والجواب ما تراه لا ما تسمعه[1] .

تاريخ ابن الوردي جـ ١ - ٣١٢

٢٤٤ ـ رسالة ثانية من نقفور إلى الرشيد أرسلها له بعد أن هاجم الرشيد هرقلية واحتلها وسبى أهلها :

وموضوع الرسالة رجاء من نقفور إلى الرشيد أن يعيد له جارية أخذها من هرقلية هي خطيبة ابنه :

لعبد الله هارون أمير المؤمنين من نقفور ملك الروم . السلام عليكم . أما بعد أيها الملك : إن لي إليك حاجة لا تضرك في دينك ولا دنياك هينة يسيرة ، أن تهب لابني جارية من بنات أهل هرقلية كنت قد خطبتها على ابني ، فإن رأيت أن تسعفني بحاجتي فعلت ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته[2] .

وقد لبى الرشيد طلبه وأرسل له الجارية هدية مع هدايا أخرى .

تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٦ - ٥١٠

٢٤٥ - رسالة هارون الرشيد إلى قسطنطين ملك الروم يدعوه فيها إلى الاسلام ويشرح له مبادئه ويجادله بالتي هي أحسن وهي من انشاء أبي الربيع محمد بن الليث :

من عبد الله هارون أمير المؤمنين إلى قسطنطين عظيم الروم . سلام على من

---

(١) ورد نص هذه الرسالة الشهيرة في كثير من المصادر كالطبري جـ٦ - ٥٠١ والعيون والحدائق جـ٣ ٣٠٩-٣١٠ وابن كثير جـ١٠ - ١٩٤ وصبح الأعشى جـ١ - ١٩٢ وابو الفداء جـ٢ - ١٨ وابن العبري ص ١٢٩ وكلها متشابهة في نصها وينفرد ابن العبري في جعل الرشيد يخاطب نقفور ليس بكلب الروم وإنما بزعيم الروم وهو يسميه نيقيفور . وهذا مثل صارخ على التعصب وتزوير الحقائق .

(٢) ورد نص هذه الرسالة بشكل موجز في كل من العيون والحدائق جـ٣ - ٣١٢ وشذرات الذهب جـ١ - ٣٢٦ .

اتبع الهدى ، فإني أحمد الله الذي لا شريك معه ، ولا ولد له ، ولا إله غيره ، الذي تعالى عن شبه المحدودين بعظمته ، واحتجب دون المخلوقين بعزته ، فليست الأبصار بمدركة له ، ولا الأوهام بواقعة عليه ، انفراداً عن الأشياء أن يشبهها ، وتعالياً أن يشبهه شيء منها وهو الواحد القهار الذي ارتفع عن مبالغ صفات القائلين ومذاهب لغات العالمين وفكر الملائكة المقربين . فليس كمثله شيء وله كل شيء وهو على كل شيء قدير .

أما بعد : فإن الله جل ثناؤه وتباركت أسماؤه قال لنبيه ﷺ فيما أنزل من آيات الوحي اليه : ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين[1] . فرأى أمير المؤمنين من أحسن قوله وأفضل فعله أن يكون إلى سبيل ربه داعياً ، وبرسوله ﷺ متأسياً ، ولقوله : ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال انني من المسلمين[2] ، موافقاً . وكنت من كتب الله المنزلة وآياته المفسرة وخلقه الكثير بحيث رجا أمير المؤمنين اسماعك لوعظته وانتفاعك بمجادلته انتفاع بشر كثير وخلق عظيم قد بؤت بأوزارهم مع وزرك ، واحتملت من آثامهم إلى إثمك ، فأحب أن يدعوك ومن رجا أن ينتفع بدعوته معك إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن توليتم عن ذلك رغبة عنه ، أو تركتموه زهادة فيه ، فاشهدوا بأنا مسلمون . واسمعوا ما أمير المؤمنين واصف لكم ومحتج به إن شاء الله عليكم ، بقلوب شاهدة وآذان واعية ، ثم اتبعوا أحسن ما تستمعون ، ولا قوة إلا بالله .

فإن الله عز وجل يقول فيما أنزل من كتابه واقتص على عباده : فبشر

---

(١) سورة النحل ، الآية ١٢٥ وما بعدها .

(٢) سورة فصلت ، الآية ٣٣ .

عبادِ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله واولئك هم أولو الألباب[1] . إن الله تبارك اسمه وتعالى جده وصف فيما أنزل آياتــه وشرح من بيناته ، الأمم الماضية والقرون الخالية والملل المتفرقة ، الذين يجعلون مع الله آلهة أخرى لا برهان لهم بها ولا حجة لهم فيها ، فقال : قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق، إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثــة ، انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد ، له ما في الأرض وما في الأرض وكفى بالله وكيلا ، لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون[2] .

قالت العرب الذين يعبدون الملائكة وأهل الكتاب الذين يقولون ثالث ثلاثة : بأيتنا آية ، يا محمــد ، تزعم أن الله إله واحد ، فأنزل الله عز وجل في ذلك آيــة تشهد لها العقول وتؤمن بها القلوب وتعرفها الألباب فلا تستطيع لهــا رداً ، ولا تطيق لهـــا جحداً ، ذكر فيها اتصال خلقه واتفاق صنعه ليوقن الجاهلون من العرب ، والضالون من أهـل الكتاب ، إن إله السماء والأرض وما بينهما من الهواء والخلق ، واحد لا شريك له خالق لا شيء معــــه فقال : إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس[3]. فتفكر في تفسير هذه الآية من كلام الرب عز وجل وما أوضح فيها من بيان الخلق، فإنه ما من مفكر ينظر فيما ذكر الله فيها مما بين السماء والأرض إلا رأى من اتصال بعض ذلك ببعض مثل ما رأى في تـدبيره نفسه ، وعرف من اتصال خلقه ، فيما بين ذوائب شؤون رأسه إلى أطراف أنامل قدمه ، وفي

---

(١) سورة الزمر ، الآية ١٨ .

(٢) سورة النساء ، الآيتان ١٧١-١٧٢ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ١٦٤ .

ذلك أوضح آية وأبين دلالة على أن الذي خلقه وصنعه إله واحد لا إله معه ، ولا من شيء ابتدعه ولا على مثال صنعه . قد ترون بعيونكم وتعلمون بعقولكم إن الله عز وجل خلق للأنام الأرض وجعلها موصولة بالخلق ، فليس يدحوها إلا لهم ، ولا يديها إلا معهم ، وجعل ذلك الخلق متصلاً بالنبت لا يقوم إلابه ولا يصلح إلا عليه؛ وجعل ذلك النبت الذي جعله متاعاً لكم ومعاشاً لأنعامكم متصلاً بالماء الذي ينزل من السماء بقدر معلوم لمعاش مقسوم ، فليس ينجم النبت إلا به ولا يحيا إلا عنه ، وجعل السحاب الذي يبسطه كيف يشاء متصلاً بالريح المسخرة في جو السماء تثيره من حيث لا تعلمون ، وتسوقه وأنتم تنظرون . كما قال عز وجل : والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها ، كذلك النشور[1]. ووصل الرياح التي يصرفها في جو السماء بما يؤثر في خلق الهواء من الأزمنة التي لا تثبت الهواجر إلا بثباتها ، ولا يزول عنه برد إلا بزوالها، ولولا ذلك لظل راكداً بالحر المميت أو ماثلاً بالبرد القاتل ، ووصل الأزمنه التي جعلها متصرفة متلونة بمسير الشمس والقمر الدائبين لكم المختلفين بالليل والنهار عليكم ، وجعل مسيرهما الذي لا تعرفون عدد السنين إلا به ، ولا مواقع الحساب إلا من قبله ، متصلاً بدوران الفلك الذي فيه يسبحان وبه يأفلان، ووصل مسير الفلك بالسماء للناظرين سواء . فهذا خلق الله عز وجل ، ما فيه تباين ولا تزايل ولا تفاوت كما قال سبحانه وتعالى : ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت[2] ولو كان لله شريك أو معه ظهير عليه ، يمسك منه ما يرسل ، ويرسل منه ما يمسك ، أو يؤخر شيئاً من ذلك عن وقت زمانه، أو يعجله قبل مجيء أبانه ، لتفاوت الحق ولتباين الصنع ، ولفسدت السموات والأرض ولذهب كل إله بما خلق ، كما قال الله عز وجل ـ وكذّب المبطلين ـ

(١) سورة فاطر ، الآية ٩ .

(٢) سورة الملك ، الآية ٣ .

بل آتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون[1] . والعجب كيف يصف مخلوق ربه ، أو يجعل معه إلهاً غيره ، وهو يرى فيما ذكر الله من هذه الأشياء صنعة ظاهرة وحكمة بالغة وتأليفاً متفقاً وتدبيراً متصلاً من السماء والأرض ، لا يقوم بعضه إلا ببعض ، متجلياً بين يديه ، ماثلاً نصب عينيه ، يناديه إلى صانعه ويدله على خلقه ، ويشهد له على وحدانيته ، ويهديه إلى ربوبيته ، فتعالى الله عما يشركون ، أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يُخلقون . حقاً ما كرر هؤلاء الجاهلون بربهم ، الضالون عن أنفسهم ، في خلق الله النظر ، ولا رجعوا ، كما قال الله عز وجل ، الفكر ، ولا أعملوا فكرهم وأجهدوا نظرهم فيما تسمع آذانهم وترى أبصارهم من حوادث حالات الخلق ، وعجائب طبقات الصنع ، لوجدوا في أقرب ما يرون بأعينهم ، من التأليف لتركيب خلقهم ، والأثر في التدبير بصنعهم ما يدلهم على توحيد ربهم ، ويقف بهم على انفراده بخلقهم ، فإنهم يرون في أنفسهم بأعينهم ويجدون بقلوبهم إنها مخلوقة صنعة بعد صنعته ، ومحولة طبقة عن طبقة ، ومنقولة حالاً إلى حال : سلالة من طين ثم نطفة من ماء مهين ، ثم علقة ، ثم مضغة ثم عظماً ، ثم كساه الله عز وجل لحماً ونفخ فيه روحاً فإذا هو خلق آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ، الذي خلق في قرار مكين ، من ماء قليل ضعيف ذليل ، خلقاً صوره بتخطيط وقدره بتركيب ، وألفه بأجزاء متفقة ، وأعضاء متصلة ، من قدم إلى ساق إلى فخذ إلى ما فوق ذلك ومن مفاصل ما يعلن أو عجائب ما يبطن ، ليعلم الجاهلون ويوقن الجاحدون أن الذي صنع ذلك وخلقه ودبره وقدره وهيأ ظاهره وباطنه إله واحد لا شريك معه ، فلا يذهبن ذكر هذا صفحاً عنكم ، ولا تسقط حكمته جهلاً به عليكم ،

---

(١) سورة المؤمنون ، الاية ٩١ .

وفكروا في آيات الرسل وبينات النذر ، فإن في ذلك فكراً المبصرين وبصراً للمعتبرين وذكرى للعابدين ، والحمد لله رب العالمين .

وأمير المؤمنين واصف لكم ومقتص من ذلك إن شاء الله عليكم ما فيه شهادات واضحات وعلامات بينات ، ومبتديء بذكر آيات نبينا ﷺ فيما أنزل الله منها في الوحي عليه ، فإنه ما أحد يقرع بآيات النبوة قلبه ويحصن ببينات الهدى عقله ، إلا قادته حتى يؤمن بنبوة محمد ﷺ ، لا يجد إلى إنكار ما جاء به من الحق سبيلاً ، فأردتُ أن تكونوا على علم ومعرفة ويقين وثقة من أمر محمد ﷺ وحقه ، وما أنزل إليه من ربه عز وجل ، فاحضر كتاب أمير المؤمنين فهمك ، وألق إلى ما هو واصف ان شاءالله سمعك ، إن الله عز وجل اصطفى الاسلام لنفسه واختار له رسلاً من خلقه وابتعث كل رسول بلسان قومه ليبين لهم ما يتبعون ويعلمهم ما يجهلون ، من توحيد الرب وشرائع الحق : لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً .
فلم تزل رسل الله قائمة بأمره متوالية على حقه في مواضي الدهور وخوالي القرون وطبقات الزمان ، يصدق آخرهم بنبوة أولهم ويصدق أولهم قول آخرهم ، ومفاتح دعوتهم واحدة لا تختلف ، ومجامع ملتهم ملتئمة لا تفترق ، حتى تناهت الولاية والوراثة التي بني عيسى عليه السلام عليها وبشر بها ، إلى النبي الأمي الذي انتخبه الله لوحيه واختاره بعلمه ، فلم يزل ينقله بالآباء الأخاير والأمهات الطواهر ، أمة فأمة ، وقرناً فقرناً حتى استخرجه الله في خير أوان وأفضل زمان ، من أثبت محاتد أرومات البرية أصلا ، وأعلى ذوائب نبعات العرب فرعاً ، وأطيب منابت أعياص[1] قريش مغرساً ، وأرفع ذرى مجد

---

(١) أعياص قريش هم اولاد أمية بن عبد شمس الاكبر وهم الساعي وابو العاص والعيص وابو العيص والعويص .

بني هاشم سمكا ، محمد ﷺ خيرها عند الله وخلقه نفساً ، على حين أوحشت الأرض من أهل الإسلام والأيمان ، وامتلأت الآفاق من عبدة الأصنام والأوثان ، واشتعلت البدع في الدين ، وأطبقت الظلم على الناس أجمعين ، وصار الحق رسماً عافياً وخلقاً بالياً ميتاً وسط أموات ، ما أن يحسون للهدى صوتاً يسمعونه ، ولا الدين أثراً يتبعونه، فلم يزل ﷺ قائماً بأمر الله الذي أنزل إليه ، يدعوهم إلى توحيد الرب عز وجل ، ويحذرهم عقوبات الشرك ، ويجادلهم بنور البرهان وآيات القرآن وعلامات الإسلام ، صابراً على الأذى ، محتملاً للمكروه،قد ألهمه الله عز وجل أنه مظهر دينه ومعز تملكينه وعاصمه ومستخلفه في الأرض ، فليس يثنيه ريب ، ولا يلويه هيب ، ولا يعنيه أذى ، حتى إذا قهرت البينات الباءهم وبهرت الآيات أبصارهم ، وخصم نور الحق حجتهم ، فلم تمتنع القلوب من المعرفة بدون صدقه ، ولم تجد العقول سبيلاً إلى دفع حقه ، وهم على ذلك مكذبون بأفواههم ، وجاحدون باقوالهم ، كما قال الله عز وجل العليم بما يسرون ، الخابر بما يعلنون : فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون [1] . بغياً وعداوة وحسداً ولجاجة ، افترض الله عليه قتالهم ، وأمره ان يجرد السيف لهم ، وهم في عصابة يسيرة وعدة قليلة مستضعفين مستذلين يخافون أن يتخطفهم العرب ، وتداعى عليهم الأمم . وتستعملهم الحروب [2] فآواهم في كنفه وأيدهم بنصره . وأنذرهم بمقدمة من الرعب ومشغلة من الحق وجنود من الملائكة ، حتى هزم كثيراً من المشركين بقلتهم ، وغلب قوة الجنود بضعفهم ، إنجازاً لوعده وتصديقاً لقوله : وأن جندنا لهم الغالبون [3] . فأحسن النظر وقلب الفكر في حالات النبي ﷺ من الوحي قائماً لله ، لتجد

---

(١) سورة الانعام ، الآية ٣٣ .

(٢) تلقي عليهم حملها وعبأها وثقلها .

(٣) سورة الصافات ، الآية ١٧٣ .

لمذاهب فكرك وتصاريف نظرك مضطرباً واسعاً ومعتمداً واسعاً وشعوباً جمة كلها خير يدعوك إلى نفسه ، وبيان ينكشف لك عن محضه . وأخبر أمير المؤمنين ما كنت قائلاً لو لم البعثة للنبي ﷺ بافتك ، ولم تكن الأنبياء بأموره تقررت قبلك! ثم قامت الحجة بالاجتماع عندك ، وقالت الجماعة المختلفة لك : أنه نجم بين ظهراني مثل هذه الضلالات المستأصلة والجماعات المستأسدة التي ذكر أمير المؤمنين من قبائل العرب وجماهير الأمم وصناديد الملوك ناجم قد نصب لها وغَرِيَ بها ، يجهل أحلامها ويكفر أسلافها ويفرق ألافها ويلعن آباءها ، ويضلل أديانها ، وينادي بشهاب الحق بينها ، ويجهر بكلمة الإخلاص إلى من تراخى عنها ، حتى حميت العرب وأنفت العجم وغضبت الملوك ، وهو على حال ندائه بالحق ودعائه اليه ، وحيداً فريداً لا يحفل بهم غضباً ولا يرهب عنتاً . يقول الله عز وجل : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس [1] .

أكنت تقول فيما تجري الأقاويل به وتقع الآراء عليه إلا أنه أحد رجلين : إما كاذب يجهل ما يفعل ويعمى عما يقول ، وقد دعا الحتف إلى نفسه ، وأذن الله لقومه في قتله ، فليست الأيام بادة ولا الحال بثابتة له إلا ريثما تستلحمه[2] أسبابهم وينهض به حلماؤهم غضباً لربهم وأنفة لدينهم ، وحمية لأصنامهم ، وحسداً من عند أنفسهم ، وإما صادق بصير بموقع قدمه ومرمى نبله ، قد تكفل الله عز وجل بحفظه ، وصحبه بعزه ، وجعله في حرزه ، وعصمه من الخلق ، فليست الوحشة بواصلة مع صحبة الله إليه ، ولا الهيبة بداخلة مع عصمة الله عليه ، ولا سيوف الأعداء بمأذون لها فيه . ثم أن آتيكم يا أهل الكتاب لو

---

(١) سورة المائدة ، الاية ٦٧ .

(٢) تستلحمه : تعلق به وتنشب .

قيل لكم : ان الرجل الذي يدعي العصمة وينتحل المنمة ، قد نجمت الأمور به على ما قال ، وسلمت الحال له فيما ادعى ، حتى نصب لعمارات[1] العرب وجماعات الأمم يقاتل بمن طاوعه من خالفه ، وبمن تابعه من عانده ، جاداً مشمراً ، محتسباً واثقاً بموعود الله ونصره لا تأخذه لومة لائم في ربه ، ولايوجد لديه غميزة في دينه ، ولا يلفته خذلان خاذل عن حقه ، حتى أعز الله دينه ، وأظهر تمكينه ، وانقادت الأهواء له ، واجتمعت الفرق عليه . ألم يكن ذلك يزيد حقه يقيناً عندكم ، ودعوته ثبوتاً فيكم ، حتى تقول الجماعة من حلمائكم وأهل الحنكة من ذوي آرائكم : ما كان الرجل ، إذ كان وحيداً فريداً قليلاً ضعيفاً ذليلاً معروفاً بالعقل منسوباً إلى الفضل ، ليجتريء أن يقول : ان الله عز وجل أوحى اليه فيما أنزل من الكتاب عليه إنه يعصمه من العرب جميعاً ويمنعه من الأمم طراً ، حتى يبلغ رسالات ربه ويظهره على الدين كله ، ويدخل الناس أفواجاً في دينه ، إلا وهو على ثقة من أمره ويقين من حاله .

فسبحان الله يا أهل الكتاب ! ما أبين حق النبي ﷺ لمن طلبه ، وأسهله لمن قصد له ، واستعملوا في طلبه ألبابكم وارفعوا . . .[2] أبصاركم ، تنظروا بعون الله إليه ، وتقفوا إن شاء الله عليه ، فإنها علامات نبوته وآيات رسالته ظاهرة لا تخفى على من طلبها ، جمة لا يحصى عددها ، منها خواص تعرفها العرب ، وعوام لا تدفعها الأمم . فأما الخواص المعروفة لدينا ، المعلومة عندنا التي أخذتها الأبناء عن الآباء ، وقبلها الاتباع عن الاسلاف ، فأمور قد كثرت البينات فيها ، وتداولت الشهادات عليها ، وثبتت الحجج بها ، وتراخت الأيام ببعضها ، حتى رأيناه عياناً ، وقبلناه إيقاناً ، فهي أظهر فينا من الشمس ،

---

(١) عمارات العرب : أحياؤها العظيمة ،

(٢) بياض بالأصل .

وأبين لدينا من النهـــار . ولكن غيبت الأزمان عنكم أمرها ، ولم ينقل الآباء إليكم علمها . وما لا يدرك إلا بالسمع موضوع الحجة عن العقل . فليس أمير المؤمنين بحاج لكم ولا قاصد إليكم من قبلها . وأما الآيات العوام والدلالات الظاهرة في آفاق الأرضين القاطعــة لحجج المبطلين التي لا تنكر عقول الأمم وجوب حقها، ولا تدفع الباب الأعداء صحة أمرها، فسيولجها أمير المؤمنين مسالك أسماعكم، ويعيد بها حجة الله في أعناقكم، من وجوه جمة وأبواب كثيرة إن شاء الله، منها أنه لم تزل الشياطين ، فيما خلا من فترات الرسل وندرات النذر ، تصعد الى سماء الدنيا ، وتتجسس الملأ الأعلى فتسترق السمع وتحتفظ العلم وتنزل به الى كل أفاك أثيم ، يبنون أكاذيبهم على واضح صدقه ، وينفقون باطلهم بحسب حقه ، خلطاً للباطل فيه وسوبها [1] . للعباد عليه . فلما بعث الله محمـداً ﷺ وأنزل آيات القرآن إليه، حرست السماء بالنجوم، ورميت الشياطين بالشهب وانقطعت الأباطيل واضمحلت الأكاذيب وخلص الوحي فبطلت الكهان وضلت السحار وكذبت الأحلام ، وتحيرت الشياطين ، فكانت آية بينة وعلامة واضحة وحجة بالغة تبهر قرائح العقول وتخرق حجب الغيوب ، فلا يقوم مع ضيائها ظلمــة ، ولا يثبت عند محكمها شبهة ، ولا يقيم معها في محمد ﷺ شك ، لا من أصحابه خاصة ، ولا ممن جاء بعده عامة ، إنما جعلها الله عز وجل آية باقية في الغابرين، وحراسة ثابتة من الشياطين لأن الله جل وعــلا جعل نبينا ﷺ آخر النبيين ، فليس باعثاً بعده نبياً يكذب أقاويل الكهنة ويقطع أخابير الجنة. وستقول ، فيما يذهب إليه الظن ويقع عليه الرأي ، أنت ومن عقل من أمتك وأهل ملتك، هذه آية حاسمة وحجة قاطعة بينة قائمة ، مستعلية لأمرها . مستغنية بنفسهــا لاتحتاج إلى ماقبلها ، ولا تتكل على مابعدها ، إن أقرت العقول بمــا تقول أو قامت البينة على ماتدعي. بلى . ثم تقول: وأنّى لك بالبينة ولسنا نقر بكتابك

---

(١) كذا بالأصل ولعلها تمويهاً .

ولا نؤمن برسولك ولا نقبل قولك فيما قد سبقنا وإياك زمانه وحجبت الغيوب عنا وعنك علمه . فأرجع إليكم إن قلتم ذلك ، فإن وجدان القضاة قبل طلب البينات .

وليس يجعل أمير المؤمنين فيما ينازعك ويحاجك فيه حاكماً غير عقلك ولا قاضياً سوى نفسك ، ولكنه يذكرك الله الذي إليه معادك وعليه حسابك ، لما جعلت التفهم لمسألته من بالك وركبت حدودها في جوابك ، عادلاً بالقسط قاضياً بالحق قائلا بالصدق ولو على نفسك ، ناظراً بالأثرة لدينك ، فلقد وفق الله لك آية ، واهدى اليك بينة ، لاتستطيع دفعها لحجبها عن عقلك ، ولا حجاباً لنورها دون بصرك ، فلا تدفع الآية بقولك ، والبينة بلسانك ، جحداً بقطع وصول الحجج إليك ، ويد تغلق أبواب الفهم عنك ، فإن اللسان لك مداول حيث شئت ، ومنقاد تصرفه فيما هويت ، ولكن انصب نفسك للفهم وانت شهيد ، وارد الحق وقبوله فيما تريد . فاذا تصورت البينات مجسدة في قلبك وتبينت الحجج ممثلة لنظرك ، قد أضاء صوابها لك وقرع حقها قلبك ، فاجعل القول بها شعاراً للسان متصلا ، وافهم المسألة فهّمك الله الحق ، وجنبك الجحد ، ماتقول انت ومن قبلك في رجل كان يتيماً ضعيفاً اجيراً ساهياً لاهياً عائلا خاملا ، لم يتل كتاباً ولم يتعلم خطاً ، ولم يك في محلة علم ولا إرث ملك ولا معدن أدب ، ولا بيت نبوة ، فتراقت الأيام به واتصلت الحال بأمره حتى خرج الى العرب عامة والقبائل كافة وحيداً طريداً شريداً مخذولا مجهولا مجفواً بالعقوق لآلهتهم ، مقذوفاً بالكذب على أصنامهم ، منسوباً الى الهجر لأديانهم ، وهم مجمعون على دعوة العصبية وحمية الجاهلية متعادون متباغضون مختلفة اهواؤهم ، متفرقة أملاؤهم ، يتسافكون الدماء ويتناوحون النساء ويستحلون الحرم ، لا تمنعهم ألفة ولا تعصمهم دعوة [ولا] يحجزهم بر ، فألف قلوبها وجمع شتيتها حتى تناصرت القلوب وتواصلت النفوس وترافدت الأيدي . ثم اجتمعت الكلمة

واتفقت الافئدة حتى صار غاية لملقى رحالهم، ونهاية لمنتجع أسفارهم وصاروا له حزباً مثقفين وجنداً مطيعين، بلا دنيا بسطها لهم، ولا أموال أفاضها بينهم ولا سلطان له عليهم ولا ملك سلف لآبائه فيهم، ولا نباهة كانت له بين ظهرانيهم أتقول إنه [ما] قال ذلك كله إلا بوحي عظيم وتنزيل كريم وحكمة بالغة، فان قلت ذلك فقد اقررت ان محمداً ﷺ رسول، وتركت ما كنت تقول إنه لم يدركه ولم يبلغه إلا بعقل سديد ونظر بعيد ورفق لطيف ورأي دقيق، استبى به عقول الرجال واستمال اليه أفئدة العوام. فإن قلتم ذلك، فأنا سائلكم بالهكم الذي تعبدون ودينكم الذي تنتحلون، لما صدقتم أنفسكم وتجنبتم الهوى عنكم، أتؤمن قلوبكم وتقر عقولكم ويحتمل نظركم أن محمداً ﷺ الذي وصفتموه بكمال العقل وبيان الفضل ورفق التدبير كان يقول لرجالات العرب وجماعات الأمم [و] دهاة قريش: إن من آيات نبوّتي ودلالات رسالتي وعلامات زماني أن الشياطين ترمى بنجوم السماء. ولم تك ترمى بها فيما خلا، ثم يجعل ذلك كتاباً يقرأ، وقرآناً يتلى، وهو كاذب فيما تلا، ومبطل فيما ادعى، إبطالاً تدركه عيون الناظرين، وكذباً يظهر لجميع العالمين! سبحان الله! ارأيتم أن لو كان فيما قال من الكاذبين، وعلى ما ادعى من الآثمين، ثم حاول إبعاد القلوب وإنغال الصدور وإنفار النفوس وتفريق الجموع، أكان يزيد على ذلك؟

فيا أهل الكتاب: لايحملنكم الألف لدينكم على اللعب بتوحيدكم، فلعمر الله لئن تداركتم أنفسكم وناصحتم نظركم لتعلمن أن محمداً ﷺ لو حاول الكذب أو رام الإفك لما كان يترك جميع الأرض، وما يغيب عن بعض الخلق ويظهر لبعض، ويقصد للسماء المتصلة بالبصر، البارزة للنظر، التي لاتخفى على بشر، ولا تغيب عن احد فيدعي فيها كذباً ظاهراً وإفكاً بارزاً مكشوفاً، لا يبقى صغير ولا كبير ولا ذكر ولا انثى إلا عرف أنه إفك وزور وكذب وغرور، ولا سيما إذا كان يلقي ذلك إلى أقوام أكثرهم أعراب، ليس بينهم وبين السماء

حجاب ، إنما يراعون الكواكب ويتفقدون الغيوم . فأبعدُ عهد آخرهم بهـــا تفقــده لها ونظره إليها ، ساعة أو ساعتين ، أو ليلة او ليلتين . لعمر الله لو عثرت العرب من أمر النبي ﷺ على كذب لكان أولى من يواثبه به ويجـادله فيه من أعداؤه من قريش عامة ، وحساده من جيرته خاصة ، ونظراؤه من أهل بيته دِنيّة ، الذين كانوا يستميرونه لكل طريق ، ويقعدون له على كل سبيل ويتساءلون من أمره عن كل ذي حـادث فيتعلقون بالحروف المشكلة والآيات المشتبهة جدلاً وخصومة بها ، وطعناً وإلحاداً ومنازعة فيها ، حتى لقد وصفهم الله بفعلهم وأخبر عن ذلك من أمرهم فقال عز وجل: بل هم قوم خصمون(١). وما كان الله عز وجل ليقول ذلك ولا لأحد أن يقوله على الله في أمرهم إلا عن خصومة شديدة ومنازعة بليغة ومجادلة معروفـة ، فأحسن النظر لنفسك ولا تهلكن شفقــة على ملكك . فأيم الله لئن قلت إن النجوم شيء كانت العرب تراه بعيونها وتعرفه بقلوبها ، فما كان محمد ﷺ ، وهو عارف بها غير جاهل لهـا ، ليقول فيها إلا حقاً ، وينتحل فيها إلا صدقاً ، لقد ثبتت فروع كلامك فيها على أسسه ، ووصلت آخر قولك له بأوله ؛ ثبوتاً على ماذكرت من عُقَدِه ، ولزوماً لما فرطت من نظره ، ولكنك لا تجد مع الإقرار بذلك بداً من التصديق برسالته ولا مذهباً عن الإيمان بنبوته .

ولئن زعمت أنه ادعى أمر النجوم كذباً وانتحلها باطلاً ، عارفاً كان بها أم جاهلاً ، لقد نسبته من الخطأ الذي لا يعمي عن بصره إلى ما يخطىء فيه بشر ، فأكذبت نفسك وتركت قولك : إنــه لم يكن التأليف لقلوب العرب والجمع لشتيت القبائل ، إلا برأي سديد وعقل أصيل ورفق بالغ ، إلى أحد أمرين لا تجد لكلامك وجهاً تذهب إليه غيرهما ، ولا محملاً تضعه عليه سواهمـــا . إما أن تقول : إنـــه ألف قلوب العرب وفرق جموع الأمم بتنزيل الوحي فتؤمن إنه

---

(١) سورة الزخرف ، الاية ٥٨ .

نبي ، وإما أن تقول فعل ذلك بجهل ، وهـذا قول لا يقبل . كيف يصنعه أحد من الجاحدين به المكذبين له بغباوة ، أو يرمونه بجهالة وهم يجوزون بـه حدود الأنبياء ويرفعونه فوق أمور العلماء ، ويتخطون بـه مراتب الحكماء ومنازل الناس تكثيراً لعلمه وتسديداً لعقله وتثبيتاً لفضله ، فيما لا يقدر الخلق عليه ولا ولا تهتدي الألسن إليه ، حتى لقد نحلوه فعل الرب الذي لا يقدر عليه الخلق في وجوه كثيرة وأنحاء جمـة . من ذلك أنـه إذا قالت البقايا من أمتنا : كان محمد ﷺ يخبرنا بالغيوب قبل ظهورها ويصف الأمور قبل حلولها ، ويتجاوز [ما يكون] في زمانـه من ذلك إلى ما يكون في زماننا غيباً أطلعه الله عز وجل عليه ، أضافوا ذلك علمـاً إليه ، فقالوا : كان أعلم الناس بمواقع النجوم وأبصرهم بمنازل البروج وانظرهم بدقائق الحساب . كيف ولم يكن الحجاز دار نجوم ولا محل حساب ولا معدن أدب ، بل كيف والمنجم يقيس ويخطىء ويشك فيما يدعي ، وهو أخو صواب لا شك فيه ، وفارس صدق لا قياس معه .

ومن ذلك إذا قالت العلماء من المسلمين : كان نبينا ﷺ [عليماً] بباطن أخبار النبيين وخفيّ قصص القرون الأولين ، قالوا : كان أحيا الناس قلبـاً وأوسعهم سرباً وأسرعهم أخذاً ، يتتبع ذلك ويحبه وقد رواه وعلّمه . سبحان الله ! أو لا يعلمون أن المتعلم معروف المعلم ، متفاوت الحالات ، متنقل الطلبات وإنه ما أحد يؤدب صغيراً أو يطلب العلم كبيراً إلا وله درجات في علمه وتارات في أخذه ومنازل في تعلمه ، تارة تلميذ وتارة مقارب وأخرى حاذق ، وبكل ذلك موصوف من أهله ، معروف عند قومه ، ظاهر لجيرانـه ، مستفيض في عشيرته ، لا يجهل أمره ولا يخفي ذكره ، ولا ينسى عند مواضع الحاجة إليه وتارات الاحتجاج بـه عليه ؛ ولو كان ذلك معروفاً فيهم أو موجوداً لديهم أو ظاهراً عندهم لمـا أمره الله عز وجل أن يحتج عليهم ويقول في ذلك لهم : لقد لبثت فيكم عمراً من قبله لا أتلو قرآناً ولا أدعي وحياً أفلا تعقلون ؟ .

وأيم الله ، لو كانوا يعقلون أو ينظرون لعلموا أن معلمـــه على غير الملة التي يعرفون ، لأنه لهم من المخالفين وعليهم من الطاعنين، يذكر فضائح قولهم ومعايب أمرهم ومخازي أسلافهم وعواثر أديانهم ، وإنــه لو كان معلمه نصرانياً لدعاه إلى النصرانية ، أو يهودياً لدعاه إلى اليهودية أو مجوسياً لدعاه إلى المجوسية ، ولو لم يكن له معلم لما وقع على الحقيقة هداية من تلقاء نفسه ومعرفة بقوة عقله . ولو كان معلمه الشيطان لمـا دعاه إلى عبادة الرحمن ، ولا أمره بهجر الأوثان وكسر الأصنام وصلة الأرحام والإصلاح في الأرض ، كيف [و) كان الشيطان يصد الناس عن سبيله ، أو يزهدهم في دينه وينهاهم عن طاعته ويخرجهم من عبادتـه ، ويدخلهم في مساخطه ويحملهم على معاصيه ؟ انـه إذاً لرحيم بهم ناظرهم شفيق عليهم كأنـــه هو المبعوث اليهم ! كلا ، ما كان لينقذهم من حبائله ويخلصهم من مصايده ويخرجهم من ولايته وطاعته وسلطانه وخدعه وفتنته وحزبه، إلى غير ذلك من أمره ، وما كان لينهى العرب أن يقتلوا أنفسهم ويتنـــاوحوا حرمهم ويؤذوا ذريتهم ، ولا ليقول لهم : لم تعبدون نحيت الحجارة التي جعلها الله لكم عاراً ، وتذرون عبادة الرب الذي خلقكم أطواراً اهيهات! لقد ذهبتم بالشيطان الرجيم إلى صراط العزيز الحكيم فقلتم قولاً تنكره العقول وتدفعـــه القلوب وتستوحش منه النفوس . ألا تستمعون إلى قول الله عز وجل : فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم، أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم[1] . فمـــا كان الشيطان ليرضى للعرب باللعنة والبكم والعمى والصمم، فاتق الله ولا تكن من الجاحدين .

ومنها أنه إذا قالت الفقهاء والحكماء: أتانا محمد ﷺ بكلام لم تسمع الآذان بمثله ، ولم تقع القلوب على لفقه ، له رونق كحباب الماء ، وزبرج يعلو ولا يعلى،

---

(١) سورة محمد : الآيتان ٢٢ ، ٢٣ .

وعجائب لا تبلى وتفنى، وجدة لا تتغير (قالوا) : كان محمد ﷺ أبلغهم قولاً وأحسنهم وصفاً . فياسبحان الله ! ألا يعلمون إن لوكان القرآن كلاماً للعباد لما أقرت الأعداء من[1]... بفضله ، ولا عجزت القبائل طراً عن مثله، وهو يناديهم في الكتاب ويتحداهم في الوحي ، بصوت رفيع ونـداء سميع فيقول : هاتوا سورة من مثله إن كنتم صادقين . وهم فرسان الكلام وإخوان البلاغـة وأبناء الخطب ، وأهل عداوة له وبغي عليه ، فستحسر الأبصار وتثقل الأسماع وتنعقد الألسن وتخرس الخطباء وتعجز البلغاء وتحار الشعراء وتستسلم الكهان . ثم لقد قايست البصراء بالكلام والعلماء بالمنطق، بين ما بين أيدينا من كلام النبي -ﷺ- وما جاء به من كلام الوحي ، فإذا بينهما بون بعيد وتفاوت شديد ، ليس يشبه له ولا مدان ولا قريب. وكذلك ينبغي لكلام الرب عز وجل أن يعلو كلام الخلق، وألا يشبه قول العباد في تأليفه وأحاديثه ومعانيه وجميع ما فيه، لأن الله عز وجل لا يشبهه شيء من ذلك . إنـه إذا قال المسلمون : كان محمد ﷺ يُرى ماضي أسلافنا وصلّح آبائنا من العجائب العظام والآيات الكبار ماهو جديد عندنا ، بيّن قبلنا فلم يعف أثره ولم يدرس خبره ولم يتقادم عهده ، من شجرة ناداهـا فأقبلت ثم أمرهـا فرجعت ، ومن نحو بعير تظلم وذئب تكلم وأشباه لذلك كثيرة ونظائر له عجيبة ، قالوا : كان محمد - ﷺ - كاهناً حاذقـاً وساحراً ماهراً ، يشبّه بالخيال ويأخذ بالأبصار ، كيف والجـوع الكثيرة تصدر عن الأطعمة اليسيرة والمياه القليلة شباعاً رواءً أيكون ذلك والسحر سواءً! والأخذ بالعيون لا يجري في البطون ، ولو كانوا ينظرون لدينهم وينصفون من أنفسهم لعلموا أن أمر الساحر يـدور على إفك وغرور ، وأن لمحمد - ﷺ - آثاراً قائمة ومنافع دائمـة . ثم لو كانت الكهانة والسحر يبلغان مثل هذا من الأمر ،

---

(١) بياض بالاصل قدر كلمة .

لبطلت آيات الكتب وعلامات الرسل ولعلت الشبهة وسقطت الحجة وكذبت النبوة، ولبطل ما كان (يفعله) عيسى عليه السلام: من إبرائه الأكمه والأبرص وإحيائه الموتى ، فلا يكون التقليد الرجال مبلغ علمك ، ولا القبول لدعواهم بلا بينة .

ومن ذلك (أنه) إذا قالت البصراء من أمتنا والعلماء بملتنا : كان النبي - ﷺ - أمياً لا يحسن الكتاب وحافظاً لا ينسى القرآن ، وقلما يجتمع العقل السديد والحفظ السريع والنسيان البطيء . قالوا : كان أخط الناس يداً، وأذكاهم حفظاً ، كان يكتب بالنهار ويدرس بالليل .

ولعمر الله أن لو كانت الحال كما يقولون والأمر كما يصفون ، لما خفيت الصحف له، ولما اكْتُتِمَتْ الدراسة عليه،ولما كان يطيق سترها عن أهله ولا حجابها دون قومه . وكيف تؤمن القلوب وتقر العقول أن رجلاً كبيراً حمل علماً كثيرا وحكماً جماً : من آيات متشابهة وسور متوالية وهو صاحب أسفار مترامية وأخو حرب دائمة لا يبطيء لفظه ولا يسقط حفظه لولا أن الله عز وجل كفاه أن يحرك به لسانه ، وضمن له جمعه وقرآنه ، فقال عز وجل : سنقرئك فلا تنسى[1]. فلم يكن يسقط واواً ولا ألفاً ، ولا ينسى كلمة ولا حرفاً ، وما أبين هذا وأعجبه ، وأعجب منه المنكر له .

وأما قولهم في الخط وأكثارهم في الكتاب ، فإن الله عز وجل جعله أمياً ليثبت حجته ويصدق مقالته ولئلا يشك المبطلون في أمره ويقولون : تعلمه من غيره ، فإنه قد قال ذلك بطائن من منافقة العرب وطوائف من كفرة العجم ، فنطقت به الأعداء من جيرته والحسدة من عشيرته ، الذين بلغوا ما بلغوا من مجادلة حقه ومخاصمة ربه، كفاة لمن قرب ، ووكلاء لمن بعد، فيما لم تكن العرب

(١) سورة الأعلى : الآية ٦ .

واقعة عليه ولا الأمم مهتدية اليه، لأنهم قد أحاطوا من علم خبره وخفي أثره، بما كان عن غيرهم محتجباً ومن سواهم مكتتماً. وقالوا: لو كان محمد ﷺ يتعلم من بشر أو يختلف إلى أحد لما خفي عنا ولسقط علينا. وحقاً لو كان محمد ﷺ يختلف إلى أحد صغيراً، أو يتعلم من بشر كبيراً، لعرف ذلك أترابه المختلفون معه ورفقاؤه والمقتدون، ولما جهل ذلك من حوله من جيرته نضرة، ولا من معه من أهل بيته دنية، الذين عليهم يورد، ومن قبلهم يصدر، ولكان شائعاً عند حشم معلمه وجيرة موضعه الذين كان يختلف إليهم، ويتأدب بين ظهرانيهم، ولو كانوا بذلك عالمين، أو فيه من أمره شاكين، ثم بلغهم وتقرر قبلهم إنه يقول: إن الله عز وجل أوحى اليه، فيما أنزل من الكتاب اليه: وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون[1]. لخاصمه منهم من كفر ولكفر به من آمن، ثم يدعي ذلك قرآناً وينتحله وحياً؛ إما كان يرهب أن ينتشر في الأقربين، ويخرج إلى الأبعدين، فتبطل حجته وتنتقض دعوته وتسقط نبوته وينفر أصحابه الذين لم يصبروا معه في المجاهدة أنفسهم، ويبذلوا عند الشدائد مهجهم، وينفقوا فيه على الحاجة أموالهم، مناصبين لأهل الشرق والغرب والعجم وكل الأمم، وهم قليلون مستضعفون عائلون جائعون، لا طلباً لدنيا ولا طمعاً في مال، إلا لما تعقبوا من قوله، وعرفوا من صدقه، ولولا إنه أخبرهم ووعدهم أن يغلب كسرى وقيصرهم فصدقوا قوله وآمنوا بوعده، حتى قويت البصائر وصرمت العزائم وقويت النيات فنشطت النفوس وشجعت القلوب وحملت الأبدان، لما وقع لهم طمع فيه، ولا ذهب لهم وهل إليه. فكن من ذلك على يقين لا يخالجه شك، ومعرفة لا يخلطها ريب إن شاء الله.

ومن ذلك أنه إذا قال المسلمون: ما من فعال محمود ولا مقال معروف

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٤٨.

ولا خلق كريم ولا أدب فاضل ، إلا وقد أدب الله عز وجل به محمداً ﷺ ، وأنزله في الكتاب إليــه ، فكان يأمر بالمكارم ويحض على المحامد ويعمل التي ليس فيها مدخل لشبهة طـــاعن ، ولا معلق لحجة قائل ، ولا مغمز لبصيرة عائب ، ولا موضع لخصومة بشر ، وفي وعد أو عهد أو حل أو عقد أو مقال أو فعال ، أو غير ذلك من الأمــور . قالوا ، أمور حمل عليها نفسه ، ودعاه إليها عقله وصبر عليها ، لما أمل ورجا فيها ، سبحان الله! وما أُمّل بها و لرتجى منها ؟ أن قالوا : الدنيا ، فلقد اكذبهم إدباره عنها ، حيث أمكنته القدرة منها وأعثرته الحال عليها . وان قالوا : حب الأثرة ، فقد جعل نفسه للمسلمين أسوة في سهامهم وقصاصهم وحدودهم وحقوقهم وغير ذلك من أمورهم . وإن قالوا : الملك ، فقد كان أشد الناس لربه تواضعاً ، وأعظمهم في جنبه تصاغراً ، ما أن أكل متكئاً قط إلا مرة ، ثم قعد كهيئة الفزع لها النادم عليها فقال : اللهم إني عبدك ورسولك . وإن قالوا النعيم ؛ فمن كان أيبس منــه معاشاً ، وأخشن رياشاً وأغلظ مأكلاً ، وكيف يذوق العيش أو يجد لذة النعيم من حرم السكر والخمر ونهى عن الديباج والقز ، وكان أكثر دهره صائماً وأطول ليله قائمــاً ، فإن قالوا : طلب الصوت [1] ورغب في الدين ، فذلك ما لم يطلبه أحــد في حب الصوت والتماس الحمد لما جرّ مغاضب قومه وملاوم أهله ، وشتائم العرب وتوعـــد العجم ، واستهزاء قريش يرمونه بالعقوق ويقذفونه بالجنون ويبهتونه بالسحر ، وليس يدري ما يهجم به الأمر [2] .

أم يقولون طلب تأثيل الملك لقومه وأراد توطئة الولاية لأقاربه ، فكيف يطلب لقومه ما قد زهد فيه لنفسه ؟ أم كيف يطلب لهم عز الملك وقـــد

---

(١) الصوت : مثل الصيت الذكر الحسن .

(٢) العبارة من الاصل مضطربة غير مفهومة .

أوطأهم الذل ثم القتل ! لعمر الله أن لو أراد الملك لأقاربه ، وأراد طلب السلطان لذوي رحمه ، لوكد لهم عقداً لا يحل ، ولأبرم لهم امراً لا ينقضى ، ولأثل لهم في عنفوان أمره ملكاً لا يخرج من أيديهم ، ولا يبرح ابداً فيهم ، امتثالاً لصنيعكم واحتذاء على مثالكم ، مع أقاويل جمة ونظائر كثيرة ، لا يستقيم لهم معها أن يقولوا آن محمداً ﷺ غلب العرب وقهر العجم ، أو قال في أمـر السلطان والنجوم بكذب .

فإن قلتم : إن محمداً ﷺ كان في قوة عقله وبيان فضله ، على ما قلنا وقلتم وصدقنا به نحن وأنتم ، ولكن هفت العلماء وزلت الحكماء واخطأت القلوب . فقد يعلم أمير المؤمنين ـ وأنـتم بذلك من العالمين ـ أن خطأ قلوب العلماء ، كخطأ دائرة الرحا ، وليست العلماء بخطائة إلا المرة أو الثنتين ، كما لا تخطيء الرحا إلا الحبـة والحبتين ، ومثل الذي نسبتم إلى النبي ﷺ من الخطأ عندكم والجهل في أنفسكم ، كثير لا يحصيه أحـد ، ولا يبلغه عدد ، وأمير المؤمنين واصف بعضه لكم ، ومورد ما حضر كتابه إن شاء الله لكم . وأيم الله على ذلك لو قالت العلماء من المسلمين : هبـوا محمداً ﷺ كان في أمـر النجوم من المخطئين ، فكيف اخطأت العرب وهفت الأمم في ترك مجادلته ورفض منازعته وكيف لم تقل العلماء من إفناده [1] ، والحكماء من حكمائهم ، توبيخاً منهم له ، وتعبيراً لمن آمن معه : هذا أمر من أوضح الأكاذيب وأبطل الأباطيل ، فـلا يثبت مع قولهم إيمان ، ولا يقيم على شرحهم إنسان . فـإن قلت : فلعل ذلك قد كان ، ولكنه درج على طول الازمان ، فكيف إذا صدقت العرب بنبوته ولم تكفر القبائل برسالته ، وهم يسمعون كذباً لا ينفع معه صدق كان قبله ، وباطلاً لا يعصم معه حق حدث بعده ؟ وإن قلـتم : أدخلهم بالقهر وضبطهم

---

(١) كذا في الأصل .

بالقتل وأكرههم بالسيف ، فما بال القليل من المسلمين الذين قهرهم الكثير من المشركين ، ما بالهم آمنوا وصدقوا وصبروا وصابروا ، وجدوا وجاهدوا كيف لم تنكسر عزائمهم وتهن بصائرهم ، ويرجعوا إلى دينهم ويهربوا من توحيدهم ؟ كلا . لو كان الأمر على ما تقول لارفض القوم عن الرسول ، ولكان ﷺ أول مقتول أو مخذول . فأحسن النظر فيما تذهب الأهواء برأيك إليه من آيات النبي ﷺ ، وإن جمحت الدعوى بكم ، فقائل : قد مالت به الأهواء في الباطل ، فقال : انه لا يكن الأنبياء ذكرت النجوم في صحفها بنيت الحكماء منها ذكراً في كتبها ، فجعلت المنقض من الكواكب بين الأعوام ، دليلاً على أمر يحدث تلك الأيام ، ولا ما هذا الاختلاق يلط به الجاهل للفساق [1] . وما أن وضعت الحكماء ذلك في الكتب إلا ليالي ملئت السماء من الشهب ، وبالله لو ادعيتم غير ذلك فكان حقاً ، وكانت القالة منكم صدقاً ، لما كانت الدعوى بناقضة لآيـــة النجوم حجة ، ولا من خلة على أحد فيها شبهة ، لأن رمياً يقع فرط السنين من الكواكب لا يبطل رجماً قد ملأ السماء من كل جانب . ثم لو لم تكن النجوم آية دافعة وحجة بالغـــة ودلالة قاهرة وعلامة باهرة وامارة ظاهرة وشهادة قاطعة وبينة عادلة وداعية قائمة تبطل أظانين المشركين وتردع أقاويل المنافقين لما كان النبي ﷺ ليعظم أمرها ، ولا ليكرر في آي القرآن ذكرها ، رهبـــة لمناهضة أحياء العرب ، ومعرفة بمجادلة إخوان الكتب ، الذين لو وجدوا فيما كتب إليك أمير المؤمنين من أمر النجوم وأحتج به [عليك] من ذكـــر الرجوم ، موقعاً لظن أو مملماً لطعن أو مغمزاً لقول ، لناصبوه إذاً بالمجادلة ، وكاشفوه بالمنازعة ، وجاهروه بالقول الذي لا يستطيع له رداً . ولا يطيق له جحداً ، ولكنها آية ملأت الأقطار كثرة ، وحسرت الأبصار قوة ، قد وجلت

---

(١) كذا في الاصل .

العقول وولهت القلوب وملأت النفوس جزعا ووجعاً وفزعاً شغلهم عن الأولاد وأذهلهم عن البلاد ، حتى بلغ أمير المؤمنين وتقرر عند فقهاء المسلمين أن الله عز وجل ، لما ملأ السماء حرساً وأحدث لها رصداً وخلق فيها شهباً ، ذكرت العقلاء من العرب ، وقعات الله عز وجل في الكتب بقوم نوح وعاد وثمود وأشباههم من مؤلفي تلك الجنود، الذين كانوا أشد بطشاً وأكثر جمعاً، فانفرجت أيديهم عن كرائم أموالهم ، وأرسلت أنفسهم متائن عقدهم ، وإن أهل الطائف لما فعلوا ذلك بأموالهم وأجمعوا فيه الخروج الى فقرائهم قام فيهم رجل ذو سن وعقل فقال : يا معشر العرب ، لا تهلكوا أنفسكم قبل أن تهلكوا ، ولا تخرجوا من أموالكم قبل أن تخرجوا ، تفقدوا مواقع نجوم السماء ، وكواكب بدور الدجى فإن كانت النجوم التي حدث الرمي بها والنجوم التي أخليتم الأموال لها ، هي بروج الشمس والقمر ومساب(1) الحيوان والشجر ، فهي حوائج الاستئصال ، المتلفة الأنفس والأموال، وان كانت النجوم التي حدث القذف بها إنما هي نجوم خلت اليوم فليست المعرفة بواقعة على مبتداها ، ولا الأبصار بلاحقة منتهاها ، فأمسكوا العقد عليكم والأموال ، فإنه أمر يحدث في إحدى هذه الليال .

فإن قلت : وكيف وقعت الأمور في هذا الرجل كالعيان ، وصارت المقالة منه كوعي الآذان ، أنبأك أمير المؤمنين أن أوعية الفقه من المسلمين الذين حملوا الينا سنن الدين ، هم أدوا ذلك الينا ، وأبقوه فخراً ..(2) علينا ، فما أن ينفك منهم مفتخر يقول : أبونا الذي حبس على العرب الأموال والعقد ، فما أن يدفع القول في ذلك منا أحد . هيهات ! ما كانت العرب لتقر عند الفخار ، إلا بطَوْلٍ هو أبين فيها من ضوء النهار ، فافهم ما كتب به أمير المؤمنين في هذا

(1) كذا في الاصل .

(2) بياض بالاصل .

إليك ، ولا يكن التعلل فيها بالشبهات أوثق ما لديك ، فإنـه قل حجة إلا وإلى
جنبها شبهة تخيل للعقول ، وتعرض للقلوب ، وتجلجل في الصدور ، فـلا يثبت
مع تخيلها ولا يقيم لتعرضهابشر إلا من وزن الحق والباطل بميزان عادل، لا يميل
الى تفريط ، ولا ينحط في تقصير ، وقد جعل الله عز العقول موازين للأمور ،
فزنوا ما سمعتم من حجج كلام الرب عز وجل بما تنفون به الشبهة عن الحق ، ولا
تميلوا اللسان فتخسروا الميزان . وسيعلل أمير المؤمنين إن شاء الله بمـا جاء عن
ذكر ما كتب به إليكم من أمر النجوم والرجوم والشهب في القرآن والروايـة
والكتب ، فألطفوا النظر في صحة معانيه ونحوا الهدى عن شبهة ما وقعت
فيه . قال : الله عز وجل : ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً
للشياطين[1] . وقال : ولقدجعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين، وحفظناها
من كل شيطان رجيم[2] . وقال : إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظاً
من كل شيطان مارد[3] . وإن شطب عن الحق شاطب ، أو ذهب الى الباطل
ذاهب لا يعرف مذاهب كلام العرب ولا وجوه معـاني الكتب ولا تفسير آي
القرآن ، فقال : إنما جعلت الكواكب والمصابيح حفظاً من الله عز وجل للسماء
ورجوماً للشياطين من قبـل أن يبعث الله محمداً ﷺ بالدين ، فإن في آيات
القرآن ما فيه بيان مما يبطل دعواه التي لا بينة عليها ، ويكذب مقالته التي
لا شهود لها . فقالت الجن ـ فجعل الله تبارك وتعالى قولها وحياً ـ وبـه منها
صدقاً : وإنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً[4] . ألا ترون انها
كانت الجن لمست السماء فلم تجدها ملئت حرساً شديداً وشهباً، وقعدت الشياطين

---

(١) سورة الملك : الاية ٥ .

(٢) سورة الحجر : الآية ١٦ .

(٣) سورة الصافات : الاية ٦ .

(٤) سورة الجن ، الآية ٨ .

منها مقاعد للسمع فلم تجـد شهباً ولا رصداً ، أو لا يسمعون الى مـا يحقق ذلك ويسدده ويصدقه ويشهد له من قول الله تعالى : هـل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون [1] . مع قول الجن أيام حرست السماء ورميت الشياطين : وإنا لا ندري أشر أريـد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً [2] فإذا أعملتم في ذلك فكركم وقلبتم فيه نظركم فكنتم على برهان يقين ونور مستبين ، من استطاعة الجن للاستماع ، وقدرة الشياطين على الاستراق ، وإمكان السماء للقعود في تلك الحال الأولى ، ففكروا في الحـال الأخرى حيث حرست الآيات أن تعارض باطـلا بحق ، ومُنعت الشياطين أن تنزل بصدق ، وامتنعت السماء أن يصعد إليها شيطان ، فقال الله عز وجل: وما تنزلت به الشياطين وما يستطيعون ، إنهم عن السمع لمعزولون [3] . قالت الجن: وإنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً [4]. ان في قولهم الآن لأعظم نور وبيان ، وأبين من ذلك لكم وأصح لمن عقل إن شاء الله منكم ، أخبارُ الله عز وجل حين جُعلت الكواكب حفظاً من كل شيطان مارد إنهم : لا يسمعون الى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب دحوراً ولهم عذاب واصب [5] . مع اخباره في الحال الأولى إنهم يسمعون ويقعدون وينزلون ويستطيعون ويتلون على ملك سليمان . فكن لهذا من الحافظين وفيه من المفكرين .

ومن آيات النبي ﷺ أنه لمـا نفرت القبائل من أعلام الشرك بجموعها ، وتداعت القادة من صناديد الكفر بأتباعها حذراً على عير لها أقبلت من الشام بصنوف رغائب أموال عظام ، فكانت العير والنفير طائفتين : طائفـة ذات

---

(١) سورة الشعراء ، الآيتان ٢٢١ ، ٢٢٢ .

(٢) سورة الجن ، الآية ١٠ .

(٣) سورة الشعراء ، الآية ١١٠ .

(٤) سورة الجن ، الاية ٩ .

(٥) سورة الصافات ، الاية ٨ .

عدة كثيرة وشوكة شديـدة ، وطائفة ذات أموال رغيبة ورجال قليلة وفرصة ممكنة . أخرج الله عز وجل نبيه ﷺ ووعده ومن معه من المسلمين إحداهما، فكره المؤمنون جموع المشركين ، وأراد الله أن يقطع دابر الكافرين ويشيد بذلك أركان الدين ، فلما تراءت الفئتان وتناوشت الفرسان وتلاقى الناس، وقبل ذلك ما قال الله عز وجل : سيهزم الجمع ويولون الدبر(1) ، قبض النبي ﷺ قبضة [من تراب] حثاها في وجوههم فلم يقتنـاه دون مناخرهم وعيونهم ، فانصرفوا منهزمين بلا كثير قتال من المسلمين . يا أهل الكتاب : فأيما آية أعظم حجة وأوضح بينة وأقهر غلبة من هذه التي لو صدرت الأمور بلا تحقيق لها ، لانفضت الجموع من المسلمين كفاراً بهـا ، أبشارة الله المسلمين بإمداد الملائكة المقربين ، وهزيمة نفير المشركين التي نجمت الأمور عليهـا ، وتناهت الحال بهم إليها ، أم قبضة من تراب يسير ، ملأ المناخر من عدد كثير .

فإن قلتم : إن هذه آيات بينات وعلامات واضحات ولكنا [لا] نقر لكم بها ولا نؤمن بقولكم فيها . أفتؤمنون أن محمداً ﷺ ، مع ما نسبتموه من الفضل إليه ، كان يختلقها كذباً من تلقاء نفسه ، ثم يدعيها وحياً من عند ربه ، وهو لا يدري لعل الأمور [تقع] بخلاف مايقول، فيظهر كذبه ويرفض تبعه ، وإن تزعم ان أصحابه كانوا كثيراً أقوياء ، نشاطاً جلداء ، فكان على معرفـة بقوتهم ويقين من غلبتهم ، فقد قال الله عز وجل : وإن فريقـاً من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعدما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون . (2) ولم يكن الرسول ولا غيره ليخبر اصحابه من أمورهم بمـا يجهلون من أنفسهم ، ثم يدعي ذلك تنزيلا من ربهم ، هـذا لا تقبله الآراء ، ولا تقر به الحكماء ، ولا يجده النظر .

---

(1) سورة القمر الآية ٤٥ .

(2) سورة الانفال ، الآية ٥ ، وما بعدها

أم تقولون : إنما اراد محمد ﷺ ببشارته لهم وإخباره بما أخبرهم به من هزيمة الله عدوهم ان يشجع جبنهم ويقوي ضعفهم ، فكيف إذا لم يبق[1] لما كان يرى من كثرة المشركين وقوتهم وضعف المسلمين وقلقهم ، بظهور الأنباء على خلاف قوله ، وأن محال[1] الخبر على غير ظنه ، فيقع ظفر يكذب نبوته ويقطع حجته ويكون له مابعده ! وكيف إذا لم ينسب الأمر إلى نفسه وينحى الخبر عن ربه ليكون الخطر أصغر والشأن أيسر ، إن جرت الأقدار بما يحذر ، أو وقعت الأمور على مايكره ، ولكنه أثبته في كتاب مسطور ورق منشور . فعل لعمر الله يدل على النبوة التي كان بها واثقاً ويهدي إلى الوحي الذي كان إليه ساكناً .

وإن عرض لنظرك ، أو وقع في خلدك أن الله عز وجل عود محمداً ﷺ الغلبة واجراه على المنعة ، فكان يجري على عادة قد عرفها ويسلك جادة قد خبرها ، فلقد كانت الهزيمة في أول وقعة أوقعها الله ، ثم لقد دالت الحرب فيما بعد سجالاً فيما بينه وبينهم ؛ تارة عليه لهم ، وأخرى لهم عليه . فناصحوا الله عز وجل في نظركم وقلبوا فيما يقول أمير المؤمنين فكركم . فلعمر الله ما كان النبي ﷺ ليقول لملوك المشركين : إن الله هزمكم برمية من تراب وهو يعلم أنه عنده من الكاذبين . فأحضر كتابي هذا فهمك واصبر له وإن خاصمك ، فإن هذه آية عظيمة وحجة بليغة وبينة عجيبة في غلبة العرب .

وأعجب من هذا وألطف ، وأكثر منها وأعظم ، الآية في غلبة العجم ، واستمع : أمر الله نبيه ﷺ أن يقول للمؤمنين ــ وكانوا كما قال الله عز وجل قليلا مستضعفين ــ : إن قبائل العرب ستتحزب عليكم وإن الله سيهزمهم لكم ، وحياً أنزله في الكتاب فقال : جند ماهنالك مهزوم من الأحزاب[2] . فكان أصحاب رسول الله ﷺ بعدما نزل هذا القول عليه بدهور طويلة وسنين

---

(1) هكذا في الاصل .

(2) سورة ص : الآية ١١ .

كثيرة ، محبوسين محصورين في حومة الموت وعسكر الخوف وخندق القهر وذل الحصر ، سوادهم الأعم وجلهم الأعظم حفاة عراة عالة ، إخوان دبر وأصحاب وبر ، لا قوة بهم ، ولا منعة لهم ولا أسلحة عندهم ولا عدة معهم ، قد أحدقت العرب بعسكرهم وأحاطت القبائل بخندقهم ، وسالت الأحزاب تصديقاً لحتم الله عليهم ، تريد أن تزلزل أقدامهم وتهريق دماءهم ، فكان المؤمنون ، كما وصف الله عز وجل ، من سوء الحال وضيق المآل وشدة الكظاظ ، فإن الله قد وصف لهم حالهم وأذكرهم فعلهم . ولم يكن النبي ﷺ ليصف لهم عن الله ما يجهلون ، ولا ليذكرهم من أمره ما لا يعرفون ، حذاراً أن تنكسر عزائمهم وتنفير بصائرهم ، فتنهزم أفئدتهم وتموت نجدتهم وتختلف كلمتهم . فقال الله عز وجل : إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً[1]. حتى قالت طائفة منهم لأهل المدينة : يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا[2] . وقالت طائفة أخرى : يارسول الله إن بيوتنا عورة فأذن لنا . يقول الله تعالى : وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً[3] . فبيناهم على تلك الحال قد أجمعت العرب بتفريقهم في الجبال وتقسيمهم بالقداح ، وأخذهم بالأيدي ، إذ قال لهم الرسول ﷺ فيما ينبئهم به من علم الغيوب ويبشرهم به من أمر الفتوح : أن الله سينصركم على جميع الروم ، وسيغلب لكم جنود فارس فيهزم لكم جنودهم ويورثكم قصورهم ويستخلفكم في الأرض من بعدهم ، ويبدلكم من بعد خوفكم أمناً . وعداً صدقه الكتاب ، وبشارة نطق بها الوحي فقال : وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً

---

(1) سورة الاحزاب ، الاية ١١ .
(٢) سورة الاحزاب ، الاية ١٣ .
(٣) سورة الاحزاب ، الاية ١٣ .

يعبدونني لا يشركون بي شيئاً[1] . فقال أقوام وأناس ارتابوا حين تضايقت الحال وزلزلت الأقدام وطارت القلوب ودارت العيون وأشرف الموت : ماوعدنا الله ورسوله إلا غروراً ، أيعدنا هزيمة جموع الأحزاب وفتح قصور الشام وغلبة جنود كسرى ، وقد سالت القبائل علينا من كل جانب ، وأحدق الموت بنا من كل مكان ، فبقينا في مسبغة من الجوع ومجهدة من الخوف ، وضنك من الحال مقهورين مقموعين . وقالت الخاصة من المؤمنين حين عاينوا الجموع من المشركين وذكروا ماخبرهم الله من تحزبهم عليهم ومسيرهم إليهم : هذا ماوعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً [2] . فبينا أصحاب النبي ﷺ في مضايق تلك الحال وشدة ذلك الخصال [النضال] وعموم تلك البلايا الباهظة والأمور الفادحة التي قد أخذ بأنفاسهم غمها ، وبلغ مجهودهم كربها ، رافعين إلى الله عز وجل أيديهم ، يقلبون في السماء أعينهم ، إذ أرسل الله على تلك الجنود الكثيفة والجموع العظيمة والأحزاب المقتدرة ريحاً من الأرض وجنوداً من السماء فقطعت الأبنية وطيرت الأمتعة وسفت التراب في العيون وقذفت الرعب في القلوب فولوا مدبرين وخرجوا منهزمين ، لا يلوي والد على ولد ، ولا مولود على أحد ، أمر صدق الله فيه قوله ، وأنجز به وعده وهزم الأحزاب وحده ، وذكر المؤمنين نعمته فيهم وعرفهم منته عليهم فقال : اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً ، إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا [3] ، وقال الله عز وجل : ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً [4] .

---

(١) سورة النور ، الاية ٥٥ .
(٢) سورة الأحزاب ، الاية ٢٢ .
(٣) سورة الاحزاب ، الاية ١٠ .
(٤) سورة الاحزاب ، الاية ٢٥ .

ما كان الله عز وجل ليقتص على المسلمين في أنفسهم إلا ماقد رأوه بأعينهم .

لولا ان هذا ما لاينكره عقلك ولا يدفعه نظرك لما جادلتك بالكتاب ولا نازعتك بالتنزيل ، وإني لأترك من آيات النبي ﷺ وعلامات الوحي ماهو أعظم من هذا وأبين وأجل وأوضح . ولكن ليس لي أن أحاجك من آيات القرآن إلا بما عليه شاهد من برهان ومخبر من بيان لا يستطيع عقلك رداً له ، ولا قلبك جحداً له . وكيف ينبسط لسانك أو يجترىء قلبك أن يقول : إن محمداً ﷺ أخبر أصحابه بالكذب وهم يعلمون ، فاقتص عليهم من أمورهم ما لا يعرفون لا ، مايسوغ لك ولا يجمل بك ، ولا يقبل منك أن محمداً ﷺ يقوله من تلقاء نفسه ؛ كيف ! أما كان يخاف أن يكذبه أصحابه وتنتقل أحواله وتنتقض أموره ؟ لعمر الله لو وصفت بهذا من لا يعرف بفضل ولا ينسب إلى عقل لما كان سائغاً لك ولا جائزاً منك ، فكيف تصف به من يرفع عن الناس قدره ، ويفضل عليهم عقله ، وتقر أنك لم تر في الدنيا احداً صنع (ماصنع) وبلغ مابلغ . فأيما آية فيما اقتص عليك امير المؤمنين أعظم أو بينة أعجب ؟ أما كان يتلى على المؤمنين في الكتاب من اجتماع قبائل الأحزاب بجنود عظيمة قبل اجتماعهم بسنين كثيرة ، أم ما كان ينادي به القرآن من الهزيمة لهم وينطق به الوحي من الفتح عليهم ، أم قول النبي ﷺ لأصحابه : إن الله عز وجل يؤمّن خوفكم ويعز نصركم على الأمم ، وهو على تلك الحال ثم نجمت الأمور على ماقال ، أم عسكران مطابقان وجيشان متقابلان ، باتت الريح تحوس [1] أحدهما حتى انهزموا ، وبات الآخرون منها في عافية وغفلة حتى أصبحوا ؟ فأحسن النظر في أمرك والتثبت في دينك إن شاء الله .

واعلم أن من أعظم الآيات وأبين الدلالات على نبوة محمد ﷺ وحقه وأن ليس يتقول شيئاً من تلقاء نفسه أنه قال في عنفوان أمره : إن الله عز وجل

---

(١) تحوس : تغشى .

سيظهر ديني على الدين كله . وجاء مع ذلك بأثرة عن ربه في كتاب مخطوط وتنزيل محفوظ ، فأي أمريه لك أدل أو أيهما عندك أعجب ، إن كنت بنبوته مصدقاً ولرسالته محققاً ؛ الخبر الذي أخبره أم الفعل الذي صدقه ؛ لئن نظرت بعقلك وقلت في نفسك ، كيف ترقت إلى هذا نيته وارتفعت نحوه همته ، أم كيف امتدت إليه فطنته وقويت عليه رويته ، بل كيف دعته إليه نفسه وشجعه عليه قلبه ودخل فيه طمعه وطاوعه فيه لسانه وهو يذكر جنود كسرى وجموع الروم وملوك الترك وملوك الشرك ، وقيول اليمن وصناديد الأمم ؟ إن هذا لعجب ولا سيما إذا لم يكن في إرث ملك قاهر ولا كنف عز غالب ولا معدن علم سالف.

ولئن أعدت النظر وكررت فقلت: كيف وافق خبره أثره ، وكيف صدق فعله قوله حتى غلب الشرق والغرب ؟ إن هذا لعجب ! وأعجب من هذا أمر يدلك أمير المؤمنين عليه ويهديك إن شاء الله إليه : لو قلت لأهل مملكتك ومن قبلك من أمتك : هل بلغكم أو تقرر قبلكم أنه كان في الدهر الأول والعصر الخالي أحد مثل محمد ـ ﷺ ـ بدأت الأمور به مثل حاله من الوحدة والضعف والذلة والقلة وصدرت الحال به كفعاله في الغلبة والمنعة والقهر والظهور وغير ذلك ؟ لقالوا : لا .

ثم أنت لا تؤمن بمقالته ولا تقر برسالته ، إلفاً لدينك وضناً بملكك وطمعاً في قليل من الدنيا قد نعاه الله إليك ، ورغبة في صبابة عيش غير باقية في يديك ، فهذا عجب ، وأعجب من هذ أمر يقصه أمير المؤمنين على نور حقه ويوضح لك إن شاء الله بيان أمره : أصبحت العرب طراً والأمم جميعاً في محمد ﷺ ثلاثة لا رابع لهم ولا مخرج للحق من بينهم : رجل مصدق بـه من المؤمنين ، ورجل مكذب به من الكافرين ، ورجل شاك فيه من المنافقين .

فأما الشاك فلما قيل له : أخرجت نفسك من الحق وأبرأتها من الصواب

وأقررت عليها بالخطأ ، لقولك : لا بـــد أن يكون الحق في التصديق أو التكذيب ، ولست على واحد منها ، اعتزل عنها .

وأما المكذب فلما قيل له : أنت منكر ، والمنكر ليس بمدع ، ومن لم يدع لم يلزمه بينة ولا يسأل عن حجة ، اتبع صاحبه . وأيم الله على ذلك ، لو سئل هذا المدعي عن بنيته وكشفِ حجتـه فقيل له : من أين عرف قلبك وأيقنت نفسك إيقاناً لا يخالجه شك ، ومعرفة لا يشوبها ريب ولا ينازعها شبهة ، إن محمداً ﷺ ليس برسول ، لمـا دري ما يقول ، لأنه لا يستطيع أن يتقول على الرسل ، ولا أن يتكذب على الكتب فيقول : قد أخبر الله فيها إنـه لا يبعث نبياً ولا ينزل وحياً في كتاب مسطور بعد التوراة والانجيل والزبور . بـل قد يجد أهل الكتاب في أقاويـل رسلهم وأخابير كتبهم أن الله تبارك وتعالى ينزل كتاباً جديداً أو كلاماً حديثاً بعد خراب بيت المقدس في آخر الزمان، ولم ينزل بعد ذلك كتاباً إلا القرآن .

وأما الرجل المصدق بمحمد ﷺ فقيل له: أما أنت فقد ادعيت ،والمدعي يسأل عن الحجة ويقبل منه البينة فما بينتك ومن يشهد لك ؟ فقال: ألم تقولوا: إن الحق لا يخرج من بيننا ، ولا بد أن يكون مع بعضنا ؟ قالوا: بلى ؟ قال : فأية بينة أحق وأعدل وأي شهود أزكى وأفضل من شهادتكم بسقوط صاحبي وثبوت الحق من بعدهما في يديَّ ؟ قالوا : إن الأمر لكما تقول ، ولكن البينة أشفى للصدور ، فأقام بينة من الكتاب وشهوداً من الوحي وآيات سوى ذلك عظاماً وبينات عوامَّ من كلام لا يقدر عليه الخلق ، وصدق لا يكون إلا من قبل الرب ، شبيهاً بما أورده أمير المؤمنين عليكم وكتب به في صدر كتابه هذا إليكم ، مما قد تشهد له قلوب الأمم ويزكيه فعال العرب .

فلما أقام بينته ، وثبتت حجته ووجب حقه وقضى له به، قيل له: وكيف توسعت الأمور عليك وضاقت المقالة لك أن تقول : ان الله لا يبعث نبيـاً بعد

محمد - ﷺ - ولا وحياً ينزل غير القرآن ، ولم يجز للنصارى أن تقول : لانبي بعد عيسى عليه السلام ، ولا كتاب خلف الإنجيـــل ، وعن ذلك من أخبار الكتب ما قلنا كل متنبىء بعد نبينا كذاب ، فشاعت وجازت الحجة ووضح العذر . وأما النصارى فيجدون في أواخر كتبهم وأقاويل رسلهم أن الله عز وجل يبعث نبياً حديثا وينزل كتابــاً جديداً ، فليس لهم أن يكذبوا نبينا - ﷺ - ولا أن يردوا كتابنا .

فهؤلاء الثلاثة : أما الشاك فسقط وأما المنكر فبطل ، وأما المصدق فثبت ثبوتــاً ليس فيه مدخل شبهة ولا موضع لحجة ، ولا معلق لمنازعة . وذلك أن المنكر لوجوب حقه ، والشاك في ثبوت صدقه لا يجد بداً من أن ينحي الصدق عن الخلق ، ويخلي الدنيا من الحق ، وهذا قول المكذبين بربهم ، الشاكين في بعثهم ، فأحسن النظر في معانيه ينكشف لك عما فيه إن شاء الله .

ومن أبين آياته وأدل علاماته - ﷺ ، ووسع له فيما صدر إليه ، أنـــه لما أخبرت اليهود والنصارى أنهم لم يجدوا محمـــداً - ﷺ - في التوراة والأنجيل موصوفاً مكتوباً ، تجمعت العلماء منهم وتدارست الكتب فيما بينهم ، فلما نظروا الى اسمه وعاينوه بنعته ، وكانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ويستفتحون بذكره على من سواهم (كفرت) طائفة حسداً من عند أنفسها ، وجحداً من بعدماتبين لها ، وآمنت طائفة تصديقاً بكتابها ، وخوفاً من ربها .

فلعمر الله لو (لا) أن الذين آمنوا بحقــه وصدقوا بأمره رأوا صفته عياناً وقبلوا نعته ايقاناً لمـــا فارقوا أديانهم ولا جادلوا إخوانهم حتى وقفوهم على اسمه ونسبه وصفته وعلامته وهم علماء بني إسرائيل وحملة الإنجيل : من أهـــل الكتاب الذين احتج الله عز وجل بهم على العرب فقال عز وجل : أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل[1] . ولعمر الله إنهـــا لآية عظيمة وحجة بليغة

(1) سورة الشعراء ، الآية ١٩٧ .

ذكرها الله في كتابه وجعلها على العرب من بيناته فقال لهم : قل آمنوا بـه أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا[1] .

يقولون : وعدنا أن يرسل رسولاً فقـد أرسله وحقق قوله وصدق وعده ، واحتـــج النبي ﷺ بذلك وذكره ، ولم يكن النبي ﷺ ليجادل ويحتج في أمرهم بكذب وباطل، ولم يكن ليقول للنصاري واليهود فيا ذكر الله من صدق الموعود : أنه في التوراة والأنجيل مكتوب موجود، ألا وهو من ذلك على حق يقين ونور مستبين . وكيف كان يستشهد من التوراة والأنجيل بكذب ويتقول عليهم الباطل ، مع حرصه على تصديق أهل الكتاب ليستدعي بـه إيمان أحياء العرب . أما كان يعلم أنه إذا قال لهم : إنـه موجود في مثاني كتبهم وسمي على أفواه رسلهم ، فلم يجدوا خبره يقيناً ولا وصفـــه مستبيناً إنهم سيدبرون عنه إدباراً تزداد به العرب نفاراً ، إلا أن يقولوا خطأ من علمه ، وهواه من خبره ، فكيف لم يخط إذاً في كتبهم حرفاً لغيره ، ولم يخالف منها شيئاً سواه . سبحان الله ! لقد أكثر المؤمنون العجب من ذهاب الأساقفة بكم . فأنتم ، أن تنكر ما يقولون لكم ، مـا ليس لذي لب أن يأذن له أن يؤمن به ولا أن ينبذ اليه سمعه . يقولون : إن أنبياء الله ورسله المبعوثين بالرحمة إلى خلقه، لطفت النبوة منهم ، ووقعت الأخبار المنزلة عليهم على صغائر الأمور وغوامض الخطوب ، فسار الناس عليها وأشاروا لهم إلى طلبها ، فهي مكرمة في مثاني كتبهم وبطون صحفهم وأقاويل رسلهم ، وتركوا من كلام الله النبأ العظيم والأمر الكبير والذكر الحكيم الذي ملك آفاق الأرضين واستفاض على جميع العالمين . لم يذكروه بخير يأتمرون بـــه ولا بشر ينتهون عنه . كلا ؟ ماترك الله على هذا خلقه ، ولا بهذا

(1) سورة الاسراء ، الاية ١٠٧ .

وصف تبارك وتعالى نفسه . إنه لأرحم الراحمين وأحكم الحاكمين .

ولئن رجعت الى قلبك لتقولن في نفسك : لعمر الله لو كان هذا الأمر الذي طلع طلوع الشمس وامتد امتداد النهار فبلغ مشارق الأرض ومغاربها، وسهول الآفاق وحزونتها ، حقاً وصدقاً وعدلاً ، لبشرت الكتب به وتنبأت الرسل عليه ، ودعت النذر إليه ، تزييناً له وترغيباً فيه ، وأمراً به ، ولو كان ضلالة وجهالة وعماية لتقدموا في التحذير منــه والتزهيد فيه والتثبيط عنه ، فيدعو ذلك إلى أن تنظروا إلى كتب الأنبياء وأقاويــل الرسل . فأيم الله لئن طلبت لتجدن ، ولئن اجتهدت لتوفقن، وما الصواب بممنوع ولا الخير بمحظور . ولقد كانت العلماء بالكتب والبصراء بالتأويل تجده ، ولكنها كانت تكتمه بتحريف كلام الكتب عن مواضعه، وصرف تأويل الحكم إلى أشباهه ، حسداً من عند أنفسهم وبغياً بعد ما تبين لهم . ثم لقد اقتديتم بهم وجريتم معهم وأخذتم عنهم بلا حجة لكم ولا قوة معكم إلا الاقتداء بالآباء والإتباع للآثار . فاتق الله في نفسك واتهم الرجال على دينك ، ولا تجعــل النظر إلى غيرك من ذوي الشك في القلوب والفسخ في[1] . . . والتهم في التعطيل الذين لعلهم يعرض لآرائهم ويقع في أوهامهم أن يقولوا : فلعل ما يتلو عليكم أمير المؤمنين من آيات القرآن ويقرع لكم من حجج الوحي شيء زيد في المصاحف بعد النبي ﷺ ، وهذا مالا يحتمله عقل صحيح ولا نظر قوي ، وذاك الشاك في شهادات الرجال ، متفقة من بلدان وأمصار مختلفة وشعوب وقبائل متفرقة ، ليس يدعوهم إلى ماشهدوا دين ، ولا يحملهم على مااتفقوا عليه دنيا، لايستقيم له أن يؤمن بما لم تدركه جوارحه وتحيط به حواسه لإسقاطه حجة الإجماع وإبطاله شهادة العوام . واتفاق المختلفين دلالة واضحة ، فهو سائلكم عن الحجة في الإنجيل والبينة على التوراة شكاً في الرب

---

(١) كذا في الاصل .

وتكذيباً الرسل ، فما كنتَ قائــــله له أو مجيبه في كتابكم ، فأجبه بمثله في كتابنا وإن كانت الأحوال منها غير معتدلة ولا مؤتلفة ولا مرتفعة ولا واحدة تعتدل حالاهما ويتفق أمرهما من كتابكم ما لم تنزل به الملائكة وحياً كالقرآن ولم يشافه المسيح به أصحابه باللسان ، إنما كان فعلاً أثبت من بعده ، ولم يكن الفعال موضوعاً بعده . وليس يكتب أمير المؤمنين بهذا إليكم شكاً فيه ولايورده عليكم مرية به .

ولقد عــــلم أمير المؤمنين أن كتب الله عز وجل محفوظة ، وأن حججه مخزونة ، لا يزاد فيها على تقادم عهد ، ولا ينتقص منها على تقارب دهر ، وان ذلك ثبت في الإنجيل من بعد عيسى عليه السلام ، وأنه قال لمن اجتمع إليه من الحواريين : بالوحي اكلمكم ، والأمثال أضرب لكم . فأمثاله المضروبة كلام وكلامه الرائع وحي . ولكن ما بال الشك ينفي عــن كتابكم بحجه الاجتماع عليه عندكم ، وهو على ما وصف أمير المؤمنين لكم ، وسيان في تنزيل كتابنا ، وقد أدرك شهادة دينه ، أما مــــا قربا من عهده ومعانيه وحيه واجتماع على حفظه وهذا حكم مختلف .

فقل للذين يشكون فيه ويرتابون به : أوقعوا أوهامكم على حالات الأوقات التي تعرفون وموبها.[1] بطبقات الرجال الذين يتهمون .

فإن قالوا : أما طبقات الرجال التابعين وحالات زمان أمير المؤمنين ، فذلك ما لا يسوغ الأقاويل فيه ، ولا تدخل الشبهة عليه ، لانتشار القرآن وامتداد الزمان وكثرة الحملة لآياته فيهم ، والحفظة للسانه منهم ، ولكن الدين الذي نزل به القرآن ، وقبض النبي ﷺ بين أظهرهم ، وكيف بوقوع تهمة أو دخول شبهة على أقــوام [لبث] النبي ﷺ عشرين حجة فيهم يتلو كتاب الله

(١) كذا بالاصل .

عز وجل في كل عام عليهم حتى حملوه في صدورهم وحفظوه في قلوبهم ، وكرر في آذانهم مسموعاً ، وأمرّ على أبصارهم مكتوباً وجرى على ألسنتهم متلواً ، وجمعه كثير منهم محفوظاً . ثم توارثوه فيهم وتداولوه فيما بينهم حتى أدوه الينا وأوفوا به عندنا ، من مواضع متفاوتة وأصناف وأجناس متباينه على كلمة واحدة .

فإن قالوا : اتفقت الرجال على الزيادة فيه ، وأمكنت الحالُ من الحمل عليه ، فليعلموا أن المؤمنين المخلصين ليسوا في الزيادة متهمين ، وأن المنافقين الملحدين ليسوا على ذلك بقادرين ، وكيف يقدر القليل من المنافقين على مخالفة الجمع من المؤمنين ، بعدما حفظته قلوبهم ووعته أسماعهم ، ثم تكتتم القدرة لهم وتستتر الزيادة منهم ! هذا ما لا يقدر عليه منافق ولا يطيقه مشرك ولا فاسق . وايم الله أن لو قدرت اليهود على الزيادة في الإنجيل لأفسدوا كتابكم وغيروا دينكم ولو جعل الله المنافقين على الزيادة في كتابه قادرين لبدلوا ديننا وغيروا حالنا ، ولو كانوا لذلك مقرنين وعلى ذلك مقتدرين لكان الذي كتب بـه أمير المؤمنين إليكم وأورده من حجج الله عليكم ، أولى ما تلقون ورأس ما تقترفون ، فلا تلقين إلى ما قاله [المضل] سمعك ، ولا تنصت الدهر إليه ذهنك ، فإنه اتخذ الشك في كتابنا ذريعة إلى الإخلال بكتابك ، وسلماً إلى الشك في دينك وعلة في الطعن على ملتك . ولكن قل يا ولي الشيطان : إني وقع لك إيمان بأنك من ولد فلان ؟ أتقول : شهدت الجيرة واجتمعت العشيرة واتفق المختلفون ، فذهب الشك وزال الريب ووقع الإيقان من غير العيان ؟ صدقت . فما بال الشك فيما اجتمعت العامة على القول به واتفقت الجماعة في الشهادة عليه من آيات الكتب وبينات الرسل ! وإن ذهب بهذا عن أمره ، وباعده عن شبهة ، فتؤمن أنه من نطفة خلق ومن رحم خرج ، فإن جحد وأبى ألا يؤمن بما يرى ، فقل : أرأيت لو كنت سميعاً أعمى ، أكنت تؤمن بشيء مما في الدنيا : من سماء أو هواء

أو بحـر أو سبع أو أرض أو جبل أو شبه ذلك مما لم يدركه العيان ولم يقبله إلا عن الناس ؟ فإن قال نعم فقل : فهل لك إلا بالاجتماع الكفر بالرب ، ومـا لدائه دواء غير الصلب . فاتق الله إذ كنت إماماً وقائداً لأهل ملكك لاتقدم إلى النار فتحمل أوزارهم مع وزرك .

فإن من أبين آيات الوحي وأدل علامات النبي ﷺ أنه لا يبتدع في الدين أمراً من تلقاء نفسه ، ولا يتقدم في الأمور بين يدي ربه . والله أظهر فيما انزل من الكتاب أموراً كان يحصبها ﷺ مستورة ففال تأديباً له وإخباراً لمن آمن من بعده : وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وانعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه[1]. وقال : عبس وتولى أن جاءه الأعمى ، وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى أما من استغنى فأنت له تصدي وما عليك ألا يزكى ، وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى ، كل إنها تذكرة [2] . وقال تعالى : ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا، إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً [3] . وقـال له حين صرف قلبه عن بيت المقدس إلى البلد الحرام حين سكنت القلوب إليها وأنست النفوس بها : ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير [4] . وكانت القبلة التي صرفه الله إليها وأمره بها عظيمة على المنافقين واقعة بخلاف الكافرين ، كبيرة إلا على الذين هدى الله من المؤمنين، فإنهم قالوا: إذا اختلفت القبلتان وافترقت الجهتان ، كانت الطاعة فيها واحدة لا اختلاف فيها ولاافتراق

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٣٧ .

(٢) سورة عبس ، الآية ١ وما بعدها .

(٣) سورة الاسراء الآية ٧٥ .

(٤) سورة البقرة الاية ١٢٠ .

عليها ، وكيف تختلف الطاعة من رجل بنى بأمر الله ثم هدم بوحي الله ؟ ! فإن قلت : إن الله حوله عن أفضل القبلتين وأقوم الجهتين ، فلا سواء في الفضل أبين والخير أيسر : قبلة سلط الله عليها الكافرين ولم يمنعها من الظالمين ، وقبلة منعها بجنود من عنده وعصمها بغير ما حول من خلقه ولا حرمة يدعيها أحد ممن فيها، فأرسل طيراً أبابيل ترمي الأعداء بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول: فإن تقل : هذا خبر ننكره وقول لا نعرفه ، فبأي حديث بعد هذا تؤمن وتشهد لله عز وجل إنه من قبله ؟ وأنتم تعلمون إنه أنزل الله عز وجل سورة الفيل على قوم أدركه منهم بشر كثير .

فإن قلت : إن محمداً ﷺ خبرهم بما عاينوه وأدركوا خلافه فقل : إنه أراد أن يفرقهم عنه ويوحشهم منه وأحب أن يرموه بالكذب ويقذفوه بالحق ويصموه بالجنون ويظنون به الظنون . كلا ! ما كان نبي ولا غير نبي ليجاهد أقواماً بخلاف ما رأت أبصارهم وشاهدت آباؤهم فيخبرهم بخلاف ما شهدوا وتكذيب ماعاينوا ، فلا تكونن في هذا من الممترين ، ولا بأمر الفيل من المكذبين .

فلعمر الله لو كان من أمر النبي ﷺ ماتلحد أنت وقومك إليه لما قام معه رجلان ولا اختلف فيه سيفان ، وإن فيما صنع الله عز وجل بالفيل وأتباعه دلالة على قبله الله وأنبيائه . فاتق الله فقد شرح أمير المؤمنين علامات النبي ﷺ وكشف الأغطية لك من النور بآيات الوحي . فإن مالت الأهواء بك وغلبت الأساقفة عليك وحضرك الرؤساء الذين يجعلون مع الله آلهة أخرى بلا حجة عندهم ولا سلطان آتاهم فقل : أنبؤني عما اجتمعت عليه النصرانية وذهبت إليه بهم المعاني في تشقيق الكلام وتصريف الكتب : أحروف تتعسفونها أم لغة تعرفونها ؟ فإن قالوا : إنهم بغير لغة يتكلمون، فهم إذاً قوم يلعبون ، وإن قالوا: إنهم يتكلمون بلغة معروفة ومعان معلومة ، فقل : أخبروني عن قولكم أب وابن أهما ماتعترف العقول من المنطق ويقع في القلوب من المعنى أم لا ؟ فإن

قالوا: لا ، ليس ذلك بالذي تذهب أوهام العباد إليه ولا بالذي تقع الحقائق في الآباء والأبناء عليه ، إنمـــا هو كقول الله عز وجل في التوراه لإسرائيل : «بكري » لا يعني ولادة الرحم ، وكقول المسيح عليه السلام للحواريين : أنتم إخوتي ، لا يعني أخوة النسب ، فذلك قول لا يجدون معه بـدأ من أن ينسبوا عيسى عليه السلام عبداً . وإن قالوا : بل هو ما تجري به ألسن العباد ، ويقع في قلوب الخلق من الولادة المعروفة والأبوة المعلومة ، فليخبرونا متى كان الأب والداً والابن مولوداً . أقبل الولادة أم بعدها ؟ فإن قالوا : قبلها ، رجعوا عن القول الأول بتثبيت الأبوة ، إلا أن ذلك ليس بالشيء الذي تذهب إليـه الأوهام ، ولا بالمعنى الذي يقع في قلوب الأنام .

ولا بد إذا سقطت الولادة المعروفة وبطلت الأبوة الموجودهأن يقولوا: إن الأب والابن اسمان علقا على غير معنى ، ونسبان أضيفا إلى غير حق ، فيقرون أن عيسى عليه السلام خلق مثلهم وإنهم يتكلون بغير لغة أحد منهم .

وإن قالوا : إنمـا كان الابن مولوداً والأب والداً بعد الولادة ، فقد أقروا بأن الابن حدث مخلوق وعبد مربوب ، لقولهم إنه لم يكن حتى ولد ، ولم يولد حتى خلق ، وقل لمن يقول الزور العظيم ويقذف بالإفك المبين . أليس الأب أباً على حياله ولم يزل ، والابن ابناً نجل ، وروح القدس كذلك ؟ فإن قالوا: نعم، فقد أقروا بانهم ثلاثة متباينة وقعت عليهم ثلاثة أسماء متفاوتة ، وتركوا قولهم: أنهم ثلاثة أصلهم واحد .

وإن قالو إن الأب والابن وروح القدس واحد ، ولكن بعضه أب وبعضه ابن وبعضه روح القدس ، فقد دخلوا في التحديد الذي هو عيب عندهم ، وقالوا في التبعيض بما هو كفر قبلهم . وإن قالوا : ليس مبعضاً ولا مجزءاً ولا محدوداً ولا ثلاثة متباينين ، فإذا هم قوم يلعبون : يقولون الأب ابن والابن أب والوالد مولود والمولود والده والكبير صغير والصغير كبير والقليل كثير والكثير قليل .

وهذا من أبين المحال وأخلف المقال ، وليس من المنطق ما لا يوجد في لغة عرب ولا عجم ، ولا لسان أمة من الأمم ، وإنمـا أرسل الله عز وجل كل نبي بلسان قومه ليبين لهم ، فيضل الله الظالمين . ولو ذلك لما فهمت الأمم مذاهب أقاويل الرسل ولا معاني أحاديث الكتب . فلا تطع الذين يلعبون بأنفسهم ويتكلمون بغير لغتهم ، ويقولون : الثلاثة واحد ، والواحد ثلاثـة ، وهذا محال في مجاري المقال ومعاني الفعال .

لعمر الله ، لئن اتهمت عقول الأساقفـة على دينك واهتممت بالنظر في توحيدك ، لتعلمن أن الواحد لا يكون ثلاثة ، وإن الثلاثة لا تكون واحداً ، إلا على وجه ماله ثانٍ يقول به ، ولا منه مخرج تستريح اليه ، فالق نحوه سمعك وانصت إليه فهمك ، فـإن أمير المؤمنين واصفه لك ، وليس واقعاً إلا على المخلوقين، ولا لازماً غير المحدودين، ولا داخلاً على رب العالمين، وهو أن يكون الشيء أصله واحد وأجزاؤه كثيرة ، من نحو الإنسان وهو أصل يجمعه اسم ، وله أجزاء تلزمها اسماء ، فليس الجزء بالأصل ولا الأصل بالجزء ، ولكن الجزء بعض الأصل فإذا أردت الجزء قلت : يد الإنسان وسمع الإنسان ، ولولا إنـه محدود مخلوق مجزأ مبعض لمـا جاز هذا القول فيه ولا دخل هذا المثل عليه . وكذلك الشمس ، الأصل واحـد ، وهي شمس ، والأجزاء كثيرة وهي عين الشمس وضوء الشمس وشعاع الشمس ودقيقها وغليظها وحرورها وأعلاهـا وأسفلها وأشباه ذلك .

فلئن قلت : سميت كل جزء من الأجزاء على حياله إنسانـاً ، وكل جزء من الشمس دون أصله شمساً ، ونسبت فعل الأصل الى بعض أجزائه ، وتركت أن تنسب الأصل فاعلاً ببعض الأجزاء ، كما تقول : بسط الإنسان بيـده ، ومشى برجله ونظر بعينه ، ثم ضربت ذلك لله عز وجل مثـلاً وجعلت الله له قياساً فقلت : الأصل واحد ، وهو الله عز وجل ، والاجزاء كثيرة وهي أب وابن

وروح القدس ، وكل جزء منها إله على حياله ورب دون غيره لم تجد بداً أن تلحق اليد والعين والنفس بالأب والابن وروح القدس ، فتكثر آلهتك ، وتحدد ربك وتترك قولك إن الله ليس محدوداً ولا مجزأ ولا مبعضاً ، إلا أن يكون إنما تريد مذاهب الأسماء فتقول : المعنى واحد ، وهو الله عز وجل ، والأسماء أب وابن وروح قدس . فان كنت تقول هذا وكنت إنما تعبد أسماء ، فما تجد بداً من أن تعبد الأسماء كلها وتقول : إنها آلهة على حيالها ، حتى تقول باسم : ارحمني وبثان : اغفر لي . فاتقوا الله يا أهل الكتاب فإن الله عز وجل ليس بأب ولا ابن ولا إسم ولكن له الأسماء الحسنى فادعوه بها ، وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون .

فان أشارت الأساقفة الى بعض الإنسان باليد والرجل وأشباه ذلك وقالوا أليس إنساناً فقل : لا ولكنه للإنسان ، وقل هو إنسان بكماله ، وكذلك إن أشاروا إلى بعض الشمس فقالوا : أليس هذا الشمس طالعاً ، فقل : لا ولكنه بعضها . ولو كانت الأسماء التي تقع أبصاركم عليها وتشير أيديكم اليها من الشمس والسماء والهواء شمساً وهواء وسماء لكانت الشمس والهواء والسماء أكثر مما يبلغه الإحصاء . ولو قصدت بالإجابة لمسالك هذه الأودية لبطلت الحجج الداحضة وانقطعت الأقاويل المتناقضة . وسل من قبلك من أساقف أمتك وشمامسة أهل ملتك الذين يزعمون أن عيسى المسيح ، ويرفعونه أن يكون عبداً ، على أي شيء وقع اسم المسيح من عيسى : على الروح أم الجسد أم على كليهما؟ فان قالوا : وقع على الروح نفسه ، لأن الروح إله دون غيره ، فقد أقروا أن إلههم يأكل ويشرب ويمشي ويركب ، لأنهم يجدون ذلك من فعل عيسى مبيناً قبلهم ، موصوفاً عندهم . فإن قالوا : وقع اسم المسيح على الجسد بعينه فكان الجسد هو المسيح اذاً دون غيره ، والمسيح إذاً مخلوق عندهم ، والإله إنسان اذاً مثلهم ، فلِمَ يعبدون المخلوق ويدعون من خلقه وبرأه . وإن قالوا : وقع الإسم على الروح والجسد جميعاً ،

فلن يجدوا مخرجاً ولا بدأ ولا محيصاً ، إذا أوقعوا الإسم عليها ، من أن يضيفوا الأعمال إليها ، فيقولوا : إن الجسد المخلوق هو خلقهم ، وإن الروح الخالقة قد ماتت قبلهم ، وذلك لما يجدون من ذكر موت عيسى عليه السلام في الكتب عندهم وفي الإنجيل الذي قبلهم . وسل من قبلك عن الأب والإبن ، فقل أيها أعظم وأيها أصغر ، فإن قالوا: الأب أعظم والإبن أصغر فقد جعلوهما متباينين ، وإن قالوا : هما واحد وكلاهما عظيم ، وليس الأب بأعظم من الإبن ، ولا الإبن بأصغر من الأب ، فقد نقض عندهم جوابهم ، وأكذب المسيح عليه السلام كلامهم حيث يقول لو كنتم تحبوني لفرحتم حيث اذهب إلى إلهي فإن إلهي أعظم مني[1]. فلم يقل أعظم مني إلا وهو مقراً أنه أصغر منه . وسلهم عن قول المسيح : أنا ذاهب إلى إلهي وإلهكم[2] ، فقل: من هذا الإله الذي ذهب عيسى اليه ﷺ، إله في السماء متباين عنه منقطع منه ؟ فهما إذاً اثنان متباينان . أم إله كان به متصلا وكانا جميعاً واحداً ؟ فكيف إذاً يجوز له أن يقول: إذاً أذهب اليه ! إلا أن يقولوا: إن بعضه ذهب إلى بعض ، وهذا مما لايجوز عندهم في صفة الرب عز وجل .

وسل من قبلك : أخرج المسيح من بطن أمه مريم بكماله حتى كان البطن منه فارغاً ، وكان هو منه بكماله خارجاً ؟ فإن قالوا: نعم، فقد انكسر قولهم إن الله بكل مكان ، وإن قالوا : لم يخرج المسيح ولم يخل البطن ، فقد كذبوا إذاً في قولهم : انه قد خرج وأقروا أنه قد ولد ، فتعالى الله عما يصفون وتنزه عما يشركون . وسلهم : لم هبط عيسى الى بطن مريم وتجسد باللحم والدم ؟

---

(1) الكتاب المقدس . بيروت ، ١٨٨٢ م . اللغة العربية . انجيل يوحنا حـ٣ ، الاصحاح ١٩ ، الآية ٢٨ ، ص ١٨٦ فلو كنتم تحبوني لكنتم تفرحون بأني ماض إلى الأب لان الرب هو أعظم مني ،

(٢) الكتاب المقدس ـ انجيل يوحنا حـ٣ ، الاصحاح ٢٠ ، الآية ١٧ ص ١٩٦ : إني صاعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم .

فإن قالوا : ليمحق الخطايا من الأرض ويربط الشيطان عن الخلق ، فقل : كيف اذاً لم يربطه عن نفسه ، وكيف جلاباه[1] من اليهود بقلبه، ولم سلط على أهل دينه يتبعون في كل شعب ويقتلون بكل واد .

وقل للذين يقولون: إن الخالق في كل مكان من السماء والارض وغير ذلك، أيها أعظم المحيط المشتمل أم المخاط المشتمل عليه كما يقولون ؟ تعالى الله عما يشركون ، فإن قالوا : إنما النجم بعضه دون بعض ، فقد حدوا وبعضوا ونقصوا وانتقصوا ، وإما قالوا فلن يجدوا بدأ من أن يقولوا : إن بعض المسيح الذي جعلوه ربهم ، وهو إله عنـــدهم ، ميت بعضه جيفة ، وإن بعضه حي طيب . لأنهم زعموا أنه التحم بجسد حي فيه روح ، فلا بد إذاً أن يدخل عليه مايدخل على الاجسام الحية من الخوف والفرع والفرح والعطش وأشباه ذلك ، وهو عندهم كفر عظيم وأفك مبين . فاتق عقوبة الله ربك ، ولا تمش مكباً على وجهك ، ولكن اطلب والتمس وابحث ، فقد قال عيسى عليه السلام في الإنجيل: من سأل أعطي ومن طلب وجد ومن استفتح فتح له [2]

اجمع العلماء والبصراء « الذين » عندك ، والأساقفة والرهبان الذين قبلك فقل : لاي شيء نسبتم المسيح إلهاً وجعلتموه رباً؟ ونجد الله سماه في الكتاب ابناً، وقد تجدونه قال : إني ذاهب الى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم أيضا . وهذا كلام يحتمل وجهين أحدهما أولى به ، وقول لايحتمل إلا وجهاً وهو الربوبية . أم كيف تنظرون إلى كلامه : إني ذاهب الى أبي وأبيكم . فتفردونهـا في نفسه وقد قالها فيه وفي غيره . فاتق الله وكن من القائمين بالحق ، الموحدين للرب . إن أمير المؤمنين قد ضرب لك أمثالاً جمة وصرف اليك مسائل كثيرة ، وبين

---

(١) كذا بالاصل .

(٢) الوارد في انجيل متى ، اصحاح ٥ ، آية ٤٢ ، الجزء ٣ : من سألك فاعطه ، ومن أراد ان يقترض منك فلا تمنعه ، والوارد في انجيل لوقا ، اصحاح ١١ ، الآية ١٠ ، الجزء ٣ : من يسأل يعطى ومن يطلب يجد ومن يقرع يفتح له .

لك من آيات النبي ﷺ وعلامات الوحي قليلا من كثير ، واضحاً من تفسير ، لا تمنع العقول من التصديق به ، ولا القلوب من الإقرار به .

وسيذكر لك أمير المؤمنين من علامات النبي ﷺ في التوراة والإنجيل مايكتفى به ، إن شاء الله ، وباليسير منه ، لأن كتب الله عز وجل محفوظة ، وحججه محروسة لايزاد فيها ولا ينقص منها ؛ وإذا وجدت فيها كلمة تدلك على حق وتهديك إلى الرشد ، فلست واجداً أخرى تصدك عنه وتشككك فيه ، إذا تلي عليك بالحق ووضع على الصدق . ولكن ضلت اليهود والنصارى بتحريف تأويل الكلام وتصريف تفسير الكتب . وأمير المؤمنين يسأل الله العصمة والتوفيق .

من ذلك ماقد شهد به عيسى عليه السلام عندكم وبينه في الإنجيل لكم إذ قال للحواريين : أنا أذهب وسيأتيكم البارقليط روح الحق الذي لايتكلم من قبل نفسه إنما يقول كما يقال له ، وهو يشهد عليَّ وأنتم تشهدون لأنكم معي من قبل الناس بالخطيئة وكل شيء أعد الله لكم يخبركم به [1] . وترجمة البار قليط أحمد . هذا ما لا شك ولا مرية فيه ، وهو الذي يخبر بما وعـد الله المؤمنين وصالحي الحواريين في القرآن ولستم تجدون ذلك في التوراة ولا في الإنجيل .

ومن ذلك قول أشعيا النبي عليه السلام : قيل لي أقم بطاراً ماترى يخبري ؟ قال أرى راكبين بعيرين مقبلين أحدهما يقول لصاحبه سقطت بابل وأصنامها المنحوتة [2] . ولسنا نعلم نبياً ركب بعد موسى ﷺ بعيراً إلا محمد ﷺ كثيراً .

ومن ذلك قول داود عليه السلام : اللهم ابعث جاعل السنّة كي يعلم الناس

---

(1) انظر : انجيل يوحنا ، الاصحاح ١٤ ، الآية ٢٦ والاصحاح ١٥ ، الاية ٢٦ ، والاصحاح ١٦ ، الاية ١٢ ، الجزء ٣ ص ١٨٨ .

(٢) انظر : نبوءة اشعيا ، الاصحاح ٢١ ، الايه ٩ ، ج ٢ ص ٣٤٨ . كذا بالاصل ولم نوفق الى تصحيحه .

أنهم بشر (١) . يقول : كي يتبين الناس أن عيسى عليه السلام إنسان . ولسنا نعلم نبياً وضع سنة تنسب اليه إلا محمداً ﷺ. أما عيسى فانه نصب سنة موسى عليه السلام .

ومن ذلك قول حبقوق المتنبيء في زمان دانيال . جـــاء الله من السماء والقديس من جبال فاران ، وامتلأت من تحميد أحمد وتقديسه ومسح الأرض بيمينه وملك رقاب الأمم (٢) . وقال أيضاً: تضيء لنوره الأرض وتحمل خيله في البحر (٣) . فالى من ينحو هذا القول ، وإلى أين يذهب بهـذا المعنى ؟ لئن ذهب به إلى غـير الذي [تحمل] خيله في البحر وبدأ من جبـال فاران امره وغلب على الأرض ومسحها وملك رقاب الأمم كلها ، لقـــد تركتم الحق وأنتم تعلمون .

ومن ذلك قول داود عليه السلام في الزبور: صدقوا وسبحوا الرب تسبيحاً حديثاً ، سبحوا الذي هلله الصالحون . ليفرح إسرائيل بخالقـه ويتوب صهيون من أجل أن الله اصطفى له أمتـــه وأعطاه النصر وسدد الصالحين بالكرامة ، يسبحونه على مضاجعهم ، ويكبرون الله بأصوات عالية بأيديهم سيوف ذات شفرتين، لينتقم الله من الأمم الذين لايعبدونه ثم يقيد ملوكهم بالقيود وأشرافهم بالأغلال (٤) . فايما أمة يكبرون الله بأصوات وآذان الصلوات الدائمة وعلى كل شرف وعند كل حرب ، وايما أمة كانت سيوفها ذات شفرتين إلا أمة محمد ﷺ.

ومن ذلك قول أشعيا : سبحوا الرب تسبيحاً حديثاً ، ويسبحه من آفاق الأرض فرح يكون في بني قيدار (٥) . وبنو قيدار قريش أهـل فاران الذي نزل

---

(١) انظر : سفر المزامير ، الاصحاح ١ ، الآية ٢١ ، جـ ٢ ، ص ٥٢ .

(٢) انظر : نبوءة حبقبوق ، اصحاح ٣ ، آية ١٥ ، جـ ٢ ، ص ٧٠٩ .

(٣) نفس المصدر .

(٤) انظر : سفر المزامير ، الاصحاح ١٤٩ ، الآيات ١-٩ ، جـ٢ ، ص ١٥٧ .

(٥) انظر : نبوءة اشعيا ، الاصحاح ٤٢ ، الاية ١٠ ، جـ٢ ، ص ٣٧٦ .

فيه القرآن. وأيتُّها أمة تسبح من آفاق الارض إلا أمة محمد ﷺ عبدي اكدى[1].
ومن ذلك قول أشعيا: عبدي الذي وجب به حبي الذي بشرت به نفسي أفيض عليه روحي ، يوصي الأمم بالوصايا ، لا يضحك ولا يسمع صوته في الاسواق ويفتح العيون العور ويسمع الآذان الصم ويحيي القلوب الغلف ، وما أعطيه لا أعطي غيره ، أحمد يحمد الله حمداً حديثاً ، تهليله يأتي من أقصى الارض ، يجوز الماء بشدة أمواجه، وبصرح[2] و كورها ، سكانها يحمدون الله على كل شرف ويكبرونه على كل رابية[3] .

ومن ذلك قول داود عليه السلام في المزمور الخامس والأربعين : يقول الله عز وجل لمحمد في الزبور : انصبت رحمتي على شفتيك من أجل ذلك باركتك الدهر ، تقلد السيف على الأمم ، أيها الجبار على الأمم بالقتل والأسر والسباء ، بهاك وحمدك أحمد بملك الر[2] منك كلمة الحق وذلت لك الأشياء سيفك بحسمه[2] ونبالك مسمومة ويسقط[2] عند الأمم[4] . فأي نبي كان على الأمم جباراً ولهم بإذن الله قتالاً إلا نبينا ﷺ .

ومن ذلك في آخر التوراة: جاء الله تبارك وتعالى من سيناء ، وأشرف من ساعير واستبان واستعلن من جبال فاران وجاء عن يمينه ربوات القديسين[5] . وتفسير هذا أن الله عز وجل أنزل التوراة على موسى في طور سيناء ، وأنزل الإنجيل على عيسى عليه السلام في جبل ساعير وهو جبل بالشام ، وأنزل القرآن

---

(١) كذا بالاصل للكلمتين .

(٢) كذا بالاصل .

(٣) انظر: نبوءة اشعيا ، اصحاح ٤٢ ، آية ١-١٠ ، جـ٢ ، ص ٣٧٦ .

(٤) انظر : سفر المزامير ، المزمور ٤٤ ، وفي بعض النسخ ٤٥ ، الايات ٣-٨ ، جـ٢ ص ٧٩ .

(٥) انظر : سفر تثنية الاشتراع ، الاصحاح ٣٣ ، الاية ٢ ، جـ١ ، ص ٤٤٣ .

على محمد ﷺ في جبال فاران وهي بلاد مكة . وأنتم تجدون ذلك في كتبكم مكرراً وتعرفونه جميعاً بلغتكم .

ومن ذلك قول الله عز وجل لموسى عليه السلام : سأقيم لهم من أخوتهم مثلك اجعل كلامي على فهمه ولا يتكلم إلا بما آمره به[1] . فمن أخوة بني إسرائيل إلا بنو إسماعيل ! أما تعلم ، أن لو كان الله عز وجل يعني أحداً منهم لقال لهم : أقيم لكم نبياً منكم .

فإن قلتم : إنما قال من إخوتكم وهو يريد من أنفسكم . فهب أمير المؤمنين قبل الخلف منكم ووسع في هذا المجال لكم ، فكيف تصنعون بقول الله عز وجل في التوراة : مثل موسى في بني إسرائيل لا يقوم . فهل تجدون من هذا مخرجاً ، ومن الإيمان أن المعنى وقع على محمد ﷺ بدأ ؟ .

ألا تسمع قول الله عز وجل :- اجعل كلامي على فه كي يعنى بـــه ، أمي لا يقرأ ولا يكتب .

أو ليس قد أمر عيسى عليه السلام حوارييه أن يقولوا في صلواتهم : يا أبانا الذي في السماء ، تقدس اسمك . كيف صار عيسى دونهم ابناً وصار له دونهم أباً وهم يقولون : يا أبانا . أم كيف لم يجعل سليمان بن داود إلهــاً وقد قال الله عز وجل لداود : يولد لك غلام يسمى لي واسمى بـه . ولم لا يجعلون اسرائيل إلهاً وقد قال الله عز وجل له : أنت بكري . بل لمَ لا يسمون المؤمنين عامة والحواريين خاصة آلهة ، وقد قال المسيح للحواريين : أنتم اخوتي . وقد قال في الإنجيل : أعط كل من آمن بي سلطاناً يدعي له . وإن كان هؤلاء كلهم للمسيح أخوة أفلا تجعلونهم كلهم آلهة ! وكيف يقولون : إن عيسى ابن الله ، وهو يقول في مواضع جمة وأماكن كثيرة إنه ابن الإنسان . فكيف يكون ابن الإنسان ابن

---

(1) انظر : سفر تثنية الاشتراع ، الاصحاح ١٨ ، الاية ١٥ ، ج ١ ، ص ٣١٨ .

الله ؟ ومتى كان ذلك؟ لئن قالوا : إن عيسى لم يزل ابن الإنسان، لقد جعلوا مع الله إنساناً قديماً وجعلو الله إنساناً حديثاً ، وجعلوا المسيح ابن الله لم يزل ، وابن الإنسان فيما حدث . وهذه أمور متناقضة وحجج داحضة وأقاويل فاحشة .

فإن قالوا : إنما نعبد المسيح لأنه رفع إلى السماء ، فليعبدو الملائكة فإنهم في السماء قبله ، وإدريس فقد رفعه الله وغيره . وإن كانوا يعبدون المسيح لأنه لم يخلق من ذكر، فآدم وحواء لم يخلقا من ذكر ولا أنثى، ولم يقما منغم الرحم وضيق البطن وحال الصبا فيما [وقع] فيه المسيح . وإن قالوا : إنما نعبدعيسى لأنه أحيا الموتى ، فما أحيا حز قيل أكثر ، وما كان من اليسع تلميذ الياس أعجب لأنه أحيا الموتى بعد مئين من السنين ، وإن طلبتم ذلك في سير الملوك عند قصة إليسع أصبتموه إن شاء الله . وإن كانوا إنما يعبدون المسيح من أجل الأسقام التي أبرأ والعجائب التي أرى فعجائب موسى أعجب وآياته أعظم . أين ما ذكرت لك من عجائب عيسى من عجائب موسى : من انقلاب البحر له وسلوك الجيش معه ! أم أين ذلك من حجر يضربه فيتفجر بعيون الماء ويحمله معه حيث شاء ! بل أين تلك وهذه وغير هذه من الآيات من حبس يوشع الشمس ثلاث ساعات . وكل ما صنع موسى وعيسى وغيرهما بإذن الله وأمره وقدره وقضائه . فاتق الله وكن من القائلين بالحق ، الموحدين للرب ، ولا تقل على عيسى ما لم يقل، فإنكم لا تجدونه قال لكم في شيء من كتبكم : أعبدوني فإني ربكم . تعالى الله عما يقول الظالمون ويذهب إليه الجاحدون .

وإن أمير المؤمنين قد أحب أن ينصح لك ، في أولى داريك بك وأهم شأنيك لك ، فدعاك إلى الإسلام وأمرك بالإيمان الذي به تدخل الجنة وتنجو من النار ، فإن قبلت فحظك أصبت ، ونفسك أحرزت ، ولك ما للمسلمين وعليك ما عليهم ، وإن رددت نصيحة أمير المؤمنين فيما فيه الحظ في آخرتك، فإن أمير المؤمنين ينصح لك فيما فيه الصلاح في عاجلتك : من أعطاء الجزية التي

يحقن الله بها دماءكم ويحرم بهـا سباءكم ويجعلها قواماً لمعاشكم وصلاحاً لبلادكم وتوفيراً لأموالكم وأمناً لجنابكم وسعة لسربكم[1] ، وبركة على فقرائكم ، وغنى لأهل الحاجة والفاقة والمسكنة منكم .

ولن يذكر أمير المؤمنين في الجزية لكم من حلول الأمن فيكم وعموم العافية إياكم ، واستقامة البركة عليكم ، وكف أيدي المسلمين عنكم ، وبسطها على الأعداء منكم ، شيئاً إلا وفي قليل ما كان من أشباه ذلك أيام تلك الفدية التي كان الله أجرى نعمتها لكم على يده وفتح بركتها عليكم من قبله، مايدلكم على صدق أمير المؤمنين فيما يذكر ، ويشهد له على حقـه فيما يقول إن شاء الله . فقدتعلمون إن الله قد أدخل على كل طرف من أطرافكم وصنف من أصنافكم، بتلك الفدية ، أموراً عظيمة البركة ، واسعة المنفعة في أمور غير واحدة .

منها : ان قادة جنودكم وساسة حربكم كانوا بعد وقوع أمرها واستحكام عقدها فراغاً لمحاربة أعدائكم ومناصبة من ناوأكم ، بين أن يستمجموهم في بلادهم وينزلوا عليهم في ديارهم ، ولا يرهبون تعقب بشر إن ساروا في أرضهم ، ولا يتخوفون طراداً إن اجتمعوا لقتالهم أن يقيموا في خفض ودعة وأمن وسعة ، مع الأزواج والأولاد والعيال والأوطان والرياع والمحال ، وهم اليوم يترقبون الجيوش من كل شعب ويتخوفون الحتوف في كل وقت ، لا يهدأ لهم جأش ولا يسكن لهم فزع ، ولا ينام لهم ليل ، ولا يأمن فيهم حال ، قد قطعت الهموم دابرهم واضمرت المخاوف جنوبهم ، واستأصلت الجنود أموالهم .

ومنها : أن أهل الحراثة وإخوان العمارة في بلادك وأطراف أرضك ، كانوا سراعاً إلى عمـارة أرضهم وإصلاح ما تحت أيديهم ، فيما لا قوام لهم ولا لمعاشهم

---

(1) السرب : الطريق .

إلا به ، ولا بقاء لدينهم إلا معه ، قد أمنوا الجيوش ومعرتها والجنود وبادرتها وانتشروا للعمارة ، وابتكروا في الزراعة ، فارقوا رؤوس الجبال واقحام الغياض ، وراحوا في أوساط أوطانهم وظلال محالهم يشققون الأنهار ويغرسون الأشجار ويفجرون العيون حتى نمت الأموال واخضرت الحال وأخصب الجناب. وأصبحوا اليوم عن الزراعة ممسكين وللحراثة تاركين ، وبغيرها مشتغلين في اصلاح آلات الحرب واحراز العيال في الحصون ورم القلاع للجلاء وتحريش الحصون للبلاء ، قد انتقلوا عن منابت البر وكرائم الأرض ومجاري المياة الى أوشال الجبال وأشجار الغياض وبطون الأودية ، فليس يبلغون من عمارة بلادهم ولزوم أوطانهم ومن تناول ثمارهم وقوام معاشهم مثل ما كانوا يبلغون ولاينالون من خفض العيش وطيب الأمن ولذة الدعة قريباً مما كانوا ينالون .

ومنها : أن إخوان التجارات وأصحاب الأموال وأهل الظلف والحافر كافوا يتناولون ما شارفهم من بلادنا وما قاربهم من أسواقنا فينفقون تجاراتهم ويغلون بضائعهم فتعظم الأرباح وتضعف الأثمان ، وكانت الباعة من تجار المسلمين وغيرهم من الذميين يتناولونهم للبيع لهم ويتناولونهم للشراء منهم ، فعمت البركة وسهلت المنفعة حتى نالت الرعاة في جبالها وأصالها[1] ، والنساء في غزولهن وعمل أيديهن فضلاً عن غرض .

ومنها : أنك ومن قبلك من ذوي العبادة والزهادة والتأله والنسك والنيات كنتم على عافية من أيام الرضا بالحرب وسلامة من أوزار الحض على قتال الخوف وقد نجوتم من معصية المسيح في الدنيا التي نهاكم عنها ، والأمور التي أمركم بها ، من نحو قوله : من لطم خدك الأيمن فأمكنه من الأيسر ، ومن انتزع قميصك فأعطه كساءك ، ومن لطمك فاغفر له ، ومن شتمك فاعرض عنه .

---

(١) كذا بالاصل الكلمات والجمل ناقصة مضطربة .

ومنها : أن من بأقاصي بلادك ونواحي حوزتك قد ذاقوا تلك الأيام من لذة الخفض ودعة الحال وحلاوة الأمن ورفاهية العيش وسعة العافيه من سباء أزواجهم وهيض أولادهم وحطم معاشهم وأسر رجالهم وغنيمة بقرهم وغنمهم وافساد شجرهم وثمارهم وإجلاء عن مساكنهم وأوطانهم ، ما لم يكن لهم رأي يعرفه ، ولا ظن يبلغه ولا طمع يقاربه ، ولا أمل يذهب إليه ، وما قد عرفت الخاصة من بطارقتكم ، والعامة من أهل ملتكم به : من رأفتكم بهم ، ورحمتكم لهم ، وشفقتكم عليهم ، وأثرتكم إياهم ، وبركة ولايتكم ملكهم ومنفعه سياستكم أمرهم ما قد ازدادو لكم به محبة ، وفي بقائكم رغبة ولأمركم طاعة وعلى ملككم شفقة ، وفيما نابكم نصيحة ، مع قد ازددتم بذلك من الهيبة في صدور الأعداء ، والشرف في قلوب النظراء ، والعظم في عيون الأمم حتى اقروا لكم بقوة عزائم العقول وفضل سياسة الأمور وصحة تدبير الملك وصدق النية ولطف الحيلة التي جعلوا نسبة عملكم بها ومحل رأيكم فيها ، على أنكم نظرتم لضعفائكم حتى قووا ، ولفقرائكم حتى استغنوا ، ولقرابكم حتى ندوا وحيو ومود [1] المسلمين ، من أيام الحروب وأوزار القتال ، ومعصية المسيح عليه السلام ، ولاعدائكم الأبعدين وجيرتكم الأقربين حتى كنتم من فراغكم لهم واشتغالكم من أمركم بها ما أوطأتموه لحر بحر [1] القتل وذل الأسر وغلبة القهر والأذعان والاستسلام ، وأما كفيتموهم بالصلح ، واستوثقتم منهم بالرهن .

فإذا ذكرت ما كان من هذا وأشباهه وأمثاله في الفدية ، فاعلموا أن أمثاله وأضعافه مقيم معكم في الجزية فلا يكون لك رأي غيرها ولا أمر سواها ، فلقد أكثر أمير المؤمنين العجب من أمركم وأطال تقليب الفكرة في

(١) كذا بالاصل الكلمات والجمل ناقصة مضطربة .

بعضكم فظن أن إخراجكم من جميع ما كنتم فيه إلى خلافه مما أصبحتم عليه من انتظار وقعات الحروب وصولات الجنود وأكل الحدود وتوقع الجـــلاء والسباء والقتل ، والأسر والحصل ، شيئاً اختدعكم الله عـز وجل فيه عـن أنفسكم ، وكيداً استدرككم به لما علم من قلوبكم.

إلا أن أعجب عذركم وأفظعه كان عند أمير المؤمنين إذ بلغه جرأتكم على الله عز وجل في نقض عهده واستخفافكم بحقه في خفر ذمته ، وتهاونكم بمـا كان منكم ، وأنتم تعلمون أن مواثيق العهود ونذور الإيمان الذي وضعه الله عز وجل حرماً بين ظهراني خلقه ، وأماناً أفاضه في عباده لتسكن إليـــه نفوسهم وتطمئن به قلوبهم وليتعاملوا فيما بينهم ، ويقيموا به من دنياهم ودينهم فما من ملك من الملوك ولا أمة من الأمم تبيح حمى الله عز وجل تهاوناً بـه وجرأة عليه إلا أجرى الله عليهم دائرة من دول الأعداء ، وأنزل عليهم عذاباً من السماء ، وقد رجا أمير المؤمنين أن يجري الله نقمته منكم بأيدي المسلمين ، بعد إذ كان اعتقد عهدكم وأخذ ميثاقكم بالأيمان المغلظة والعهود المؤكدة الـتي قد اعتقدها في رقابكم وحملها على ظهوركم ، فأشهدتم الله بها على انفسكم ، وقسامع بها من حولكم وحكم بها بطارقتكم وأساقفتكم ، فلا الله اتقيتم ، ولا من الناس استحييتم، نكثاً العهد ، وبغضاً للمسلمين وختراً بالأمانة وإباحة للحمى . فتوقعوا العقوبة وانتظروا الغيب ، فلقد وثق أمير المؤمنين أن مـن عذاب الله ما هو حال إن شاء الله بكم .

ومن أسباب ما يريد الله من الانتقام منكم ، ما قـد أزمع أمير المؤمنين وعزم عليه ، فقذف الله في قلبه : من الإرادة والنية والرغبة في إيطاء الجيوش بلادكم ، وإشباء المقاتلة أرضكم ، والتفرغ لكم من كل شغل ، والإيـثـار لجهادكم على كل عمل ، حتى تؤمنوا بالله وأنـــتم طائعون أو كارهون ، وتؤدوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون ، فكونوا على عدة من الجزية ويقين من الإنتجاع

الذي لا طاقة لكم إن شاء الله به ، ولا صبر لكم بإذن الله عليه ، فإن جنود أمير المؤمنين فارغة كثيراً ، وخزائنه عامرة وافرة ، ونفسه سخية بالإنفاق ، ويده مطلقة بالبذل ، والمسلمون نشاط إليكم منقلبون عليكم ، قد عودهم الله في لقائكم عادة يرجون إنتظار مثلها ، وأبلاهم في قتالكم بلاء من أمثالها ، إن شاء إليه .

وكتاب أمير المؤمنين نذيره بين يدى جنوده ، ومقدمه ، إن شاء الله ، من جيوشه ، إلا أن تؤدوا الجزية عن التي دعاك أمير المؤمنين إليها ، وحداك ومن قبلك عليها ، رحمة للضعفاء الذين لا ترحمهم ، وتوجعاً للمساكين مما لا توجع منه لهم من الجلاء والسباء والقتل والأسر والقهر ، وقساوة من قلوبكم وأثرة لأنفسكم ، واعتصاماً بخواصكم وإجلاء لعوامكم الضعفاء الفقراء المساكين الذين لا تمنعونهم بقوة ، ولا تدفعون عنه بحيلة ، ولا تراقبون في الرحمـــة لهم والتعطف عليهم أدب المسيح إياكم وقوله في الكتاب لكم : طوبى للذين يرحمون الناس ، فإن أولئك أصفياء الله ونور بني آدم [١] .

وأيم الله لو يعلم من قبلك من المساكين والزراعين والفقراء والضعفاء والعملة بأيديهم مالهم عند امير المؤمنين لتحدروا عليه وأقبلوا اليه ، من ايوائهم وأنزالهم الأرض الواسعة ، وإمكانهم من مسايل المياه السائحة والعدل عليهم بما لا تبلغه أنت ولا تقاربه ، رفقاً بهم ونظراً لهم وإحساناً اليهم ، مع تخليته إياهم واديانهم لا يكرههم على خلافها ولا يجبرهم على غيرها ، لاختاروا قرب أمير المؤمنين على قربك وجوارك ، ولأنقـذوا أنفسهم وأموالهم وأولادهم وأزواجهم وعيالاتهم مما يحل بهم في كل عام ويلقون من كل غزاة . فاتق الله واقبـل ماعرض عليك من الجزية ، ولا يمنعك مافيه الحظ الك ولأهل مملكتك : ونحن على رجاء ان الله

---

(١) انظر : انجيل متى ، الاصحاح ٥ ، الاية ٧ ، الجزء ٣ ، الصفحة ٧ .

لا يؤخر ذلك منكم ويدفعه عنكم ، الا ليجعله على يد أهل بيت النبوة والرحمة ولأهل الوراثه فيهم للكتاب والحكمة ، الذين لايدخل عليكم في الإذعان [لهم] وأداء الجزية إليهم حمية ولا نقيصة ولا عار ، والذين يفون لكم بما يعقدون ، ويتبعون فعلهم بما يقولون .

ثم أمير المؤمنين بخاصة ، لما جعل الله عليه رأيه وفيه نظره من البر والرحمة والإقساط والوفاء بالعقود والعهود والشروط نظراً لدينه وخوفاً من ربه ، ولما قذف الله في قلبه وقلوب المسلمين من المحبة والطاعة والأثرة ، ولما جعلهم الله عليه من اجتماع الكلمة واتفاق الأفئدة ، والنصائح في السر والعلانية ، وما عوده الله ممن نصب له بمجاذبة ورماه بمكايدة ، وعراه بحيلة من النصر العزيز والفتح القريب والظفر المبين. فأبذل من الجزية ماشئت وسم منها ماهويت . واعلم أن أمير المؤمنين ليس يحدوك عليها لحاجة به إليها ولا للمسلمين ، ولكن طاعة لربه وأثرة لحقه ، وليجعلها سبباً لما يريد أن يجري فيما بينه وبينكم ، وإنه إنما كان قبول المهدي ـ رحمه الله ـ الفدية منكم، بطلبة أمير المؤمنين كانت إليه، والحاجة كانت فيها عليه [1] ، ولم يكن من رغبة بها ولا حاجة إليها ولا استعظام لها ، ولقد كان يعطي في المجلس الواحد مراراً أمثالها، ولكن ذلك كان برأي أمير المؤمنين يومئذ فيكم . أما اليوم إذ استبان له غدركم ونقضكم ونكثكم واستخفافكم بدينكم وجرأتكم على ربكم، فليس بين أمير المؤمنين وبينكم إلا الإسلام أو الحرب المجلية إن شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، عليه يتوكل وبه يثق وإياه يستعين ، والسلام على من اتبع الهدى [2] .

عصر المأمون لفريد الرفاعي جـ٢ ١٨٨ ـ ٢٣٦

---

(١) كذا بالأصل .

(٢) يذكر فريد الرفاعي أنه نقل هذه الرسالة من كتاب « اختيار المنظوم والمنثور » لابن طيفور ، ولكنه لايذكر الصفحة وما اذا كان الكتاب مطبوعاً أم مخطوطاً .

— شؤون ادارية ومتفرقة —

٢٤٦ — رسالة من عبد الملك بن صالح الى الرشيد وقد شعر أنه تغير عليه :

أخلاي لي شجو وليس لكم شجو وكل امرىء من شجو صاحبه خلو
من أي نواحي الأرض أبغي رضاكم وأنتم أناس ما لمرضاتكم نحو
فلا حسن نأتي به فتقبلونه ولا إن أسأنا كان عندكم عفو

٢٤٧ - رسالة أخرى من عبد الملك بن صالح الى الرشيد من السجن لما سجنه الرشيد :

قل لأمير المؤمنين الذي يشكره الصادر والوارد
ياواحد الأملاك في فضله مالك مثلي في الورى واحد
إن كان لي ذنب ولا ذنب لي حقاً كما قد زعم الحاسد
فلا يضق عفوك عني فقد فاز به المسلم والجاحد

فوات الوفيات للكتبي جـ٢ ٣٠-٣١

٢٤٨ — رسالة الرشيد الى الأمصار من أجل عطاء من درس القرآن الكريم والحديث الشريف والعلوم الدينية :

أما بعد : فانظروا من التزم الأذان عندكم فاكتبوه في الف من العطاء ، ومن جمع القرآن وأقبل على طلب العلم وعمر مجالس العلم ومقاعد الأدب فاكتبوه في ألفي دينار من العطاء، ومن جمع القرآن وروى الحديث وتفقه في العلم واستبحر فاكتبوه في أربعة آلاف دينار من العطاء، وليكن ذلك بامتحان الرجال السابقين لهذا الامر من المعروفين به من علماء عصركم وفضلاء دهركم، فاسمعوا قولهم واطيعوا أمرهم ، فان الله تعالى يقول : أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر

منكم [1] . وهم أهل العلم .

الإمامة والسياسة لابن قتيبة جـ٢ ـ ١٥٧

٢٤٩ ـ رسالة الرشيد الى يزيد بن مزيد الذي وجهه الرشيد الى حرب الوليد بن طريف الشاري اللي ثار في الجزيرة وتباطأ يزيد في حربه لأن الإثنين من وائل ، ووجد من حرك الرشيد ضد يزيد فغضب من تباطئه وأرسل يقول له :

لو وجهت أحد الخدم لقام بأكثر مما تقوم به ، ولكنك مداهن متعصب . وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن أخرت مناجزة الوليد ليبعثن إليك من يحمل رأسك إلى أمير المؤمنين .

وفيات الأعيان لابن خلكان جـ٥ ـ ٨٤

٢٥٠ ـ رسالة للرشيد من عامل الخراج في مصر بحق رجل أخر دفع الخراج فأقسم العامل أن لايقبل الخراج منه إلا أن يدفعه في بيت المال في بغداد ، وأرسل الرجل مع جنديين وأرسل معهم الى الرشيد الرسالة التالية :

إني دعوت بفلان بن فلان وطالبته بما عليه من الخراج ، فلواني واستنظرني فأنظرته ، ثم دعوته فدافع ومال إلى الإلطاط ، فآليت ألا يؤديه إلا في بيت المال بمدينة السلام ، وجملة ماعليه كذا وكذا قد انفذته مع فلان بن فلان وفلان ابن فلان من جند أمير المؤمنين من قيادة فلان بن فلان . فإن رأى أمير المؤمنين أن يكتب إلي بوصوله فعل إن شاء الله .

تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ٦ ٤٥٩ ـ ٤٦٠

---

(١) سورة النساء ، الآية ٥٩ .

٢٥١ - رسالة من الخيزران إلى كاتبها عمران بن مهران الذي عين والياً على مصر فضبطها وأرسل إليها رسالة يمـــدح نفسه بها ويذكر مافعله في مصر :

قـد وصل كتابك تذكر وتذكر ، ولا تستكثرن شيئاً يكون منــك ، واستدم أحسن ما أنت عليـــه يدم أحسن ماعنـــدي لك . وأعلم أنه قل شيء لم يزد إلا نقص ، والنقصان يمحق كما ينمي الزيادة القليل .

الوزراء والكتاب للجهشياري ص ٢٢١

٢٥٢ - رسالة عبد الله بن الجارود الى رؤساء جند الفضل بن روح بن حاتم الذي ولاه الرشيد أفريقية فأساء السيرة وظلم فثار ضده عبد الله هذا وقرر أن يفسد جند الفضل فأرسل إلى رؤسائهم الرسالة التالية :

إنا نظرنا في صنيع الفضل في بلاد أمير المؤمنين وسوء سيرته فلم يسعنا إلا الخروج عليه لنخرجه عنا ، ثم نظرنا فلم نجد أحداً أولى بنصيحة أمير المؤمنين، لبعد صوته وعطفه على جنده ، منك فرأينــا أن نجعل نفوسنا دونك ، فإن ظفرنا جعلناك أميرنا وكتبنا إلى أمـــير المؤمنين نسأله ولايتك ، وإن كانت الأخرى لم يعلم أحد أننا أردناك ، والسلام .

الكامل في التاريخ لابن الاثير جـ٦ ١٣٦ - ١٣٧

- أمر خراسان -

٢٥٣ - رسالة الرشيد إلى عامله على خراسان علي بن عيسى يعجزه ويوبخه لظلمه وعجزه وسوء سيرته وكثرة الشكايات منه :

بسم الله الرحمن الرحيم : يا ابن الزانية ، رفعت من قـدرك ونوهت باسمك وأوطأت سادة العرب عقبك وجعلت أبنــاء ملوك العجم خولك وأتباعك ،

فكان جزائي أن خالفت عهدي ونبذت وراء ظهرك أمري حتى عثت في الأرض وظلمت الرعية وأسخطت الله وخليفته لسوء سيرتك ورداءة طعمتك وظاهر خيانتك. وقد وليت هرثمة بن أعين مولاي ثغر خراسان وأمرته أن يشد وطأته عليك وعلى ولدك وكتابك وعمالك ولا يترك وراء ظهوركم درهماً ولاحقاً لمسلم ولا معاهد إلا أخذكم به حتى تردوه الى أهله ، فإن أبيت ذلك وأباه ولدك وعمالك فله أن يبسط عليكم العذاب ويصب عليكم السياط ويحل بكم ما يحل بمن نكث وغير وبدل وخالف وظلم وتعدى وغشم انتقاماً لله عز وجل بادئاً ، ولخليفته ثانياً ، وللمسلمين والمعاهدين ثالثاً ؛ فلا تعرض نفسك للتي لا شوي لها ، وأخرج مما يلزمك طائعاً أو مكرهاً .

تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٦ – ٥١٤

٢٥٤ – عهد الرشيد بخط يده بتولية هرثمة بن أعين خراسان :

هذا ما عهد هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى هرثمة بن أعين حين ولاه ثغر خراسان وأعماله وخراجه :

أمره بتقوى الله وطاعته ورعاية أمر الله ومراقبته ، وأن يجعل كتاب الله إماماً في جميع ما هو بسبيله فيحل حلاله ويحرم حرامه ويقف عند متشابهه ويسأل عنه أولي الفقه في دين الله وأولي العلم بكتاب الله ، أو يرده الى إمامه ليريه الله عز وجل فيه رأيه ويعزم له على رشده ، وأمره أن يستوثق من الفاسق علي بن عيسى وولده وعماله وكتابه وأن يشد عليهم وطأته ويحل بهم سطوته ويستخرج منهم كل مال يصح عليهم من خراج أمير المؤمنين وفيء المسلمين ، فإذا استنظف ما عندهم وقبلهم من ذلك نظر في حقوق المسلمين والمعاهدين. وأخذهم بحق كل ذي حق حتى يردوه إليهم ، فإن ثبتت قبلهم حقوق لأمير المؤمنين وحقوق للمسلمين فدافعوا بها وجحدوها أن يصب عليهم سوط عذاب الله وأليم نقمته حتى

يبلغ بهم الحال التي إن تخطاها بأدنى أدب تلفت أنفسهم وبطلت أرواحهم، فإذا خرجوا من حق كل ذي حق اشخصهم كما تشخص العصاة من خشونة الوطاء وخشونة المطعم والمشرب وغلظ الملبس مع الثقات من أصحابه الى باب أمير المؤمنين إن شاء الله. فاعمل - أبا حاتم - بما عهدت إليك، فإني آثرت الله وديني على هواي وإرادتي، فكذلك فليكن عملك وعليه فليكن أمرك، ودبر في عمال الكور الذين تمر بهم في صعودك ما لا يستوحشون معه إلى أمر يريبهم، وأبسط من آمال أهل ذلك الثغر ومن أمانهم وعذرهم، ثم اعمل بما يرضي الله منك وخليفته ومن ولاك الله أمره إن شاء الله. هذا عهدي وكتابي بخطي، وأنا أشهد الله وملائكته وحملة عرشه وسكان سمواته وكفى بالله شهيداً. وكتب أمير المؤمنين بخطه لم يحضره إلا الله وملائكته.

تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٦ ٥١٤ - ٥١٥

٢٥٥ - رسالة من هرثمة إلى الرشيد يخبره بوصوله خراسان وتنفيذه أوامره بشأن علي بن عيسى وعماله وإنه ألقى القبض عليه وعلى عماله وبدأ بمحاسبته:

بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد: فإن الله عز وجل لم يزل يبلي أمير المؤمنين في كل ما قلده من خلافته واسترعاه من أمور عباده وبلاده أجمل البلاء وأكمله ويعرفه في كل ما حضره ونأى عنه من خاص أموره وعامها ولطيفها وجليلها أتم الكفاية وأحسن الولاية ويعطيه في ذلك كله أفضل الأمنية ويبلغه فيه أقصى غاية الهمة امتناناً منه عليه وحفظاً لما جعل إليه مما تكفل بإعزازه وإعزاز أوليائه وأهل حقه وطاعته، فنستتم الله أحسن ما عوده وعودنا من الكفاية في كل ما يؤدينا إليه ونسأله توفيقاً لما نقضي به المفترض من حقه في الوقوف عند أمره والاقتصار على رأيه. ولم أزل، أعز الله أمير المؤمنين، مذ

فصلت عن معسكر أمير المؤمنين ممتثلا ما أمرني به فيما أنهضني له لا أجاوز ذلك ولا أتعداه الى غيره ، ولا أتعرف اليمن والبركة إلا في امتثاله إلى أن حللت أوائل خراسان، صائناً للامر الذي أمرني أمير المؤمنين بضيانته وستره لا أفضي ذلك الى خاصتي ولا إلى عامي ودبرت في مكاتبة أهل الشاش وفرغانة وخذلهما عن الخائن وقطع طمعه وطمع من قبله عنهما ، ومكاتبة من ببلخ بما كنت كتبت به إلى أمير المؤمنين وفسرت له . فلما نزلت نيسابور عملت في أمر الكور التي اجتزت عليها بتولية من وليت عليها قبل مجاوزتي إياها كجرجان ونيسابور ونسا وسرخس، ولم آل الاحتياط في ذلك واختيار الكفاة وأهل الأمانة والصحة من ثقات أصحابي ، وتقدمت إليهم في ستر الأمر وكتمانه ، وأخذت عليهم بذلك ايمان البيعة ودفعت الى كل رجل منهم عهده بولايته وأمرتهم بالسير إلى كور أعمالهم على أخفى الحالات وأسترها والتشبه بالمجتازين في ورودهم الكور ومقامهم بها إلى الوقت الذى سميت لهم وهو اليوم الذي قدرت فيه دخولي الى مرو والتقائي وعلي بن عيسى، وعملت في استكفائي اسماعيل بن حفص بن مصعب أمر جرجان بما كنت كتبت به الى أمير المؤمنين ، فنفذ أولئك العمال لأمري وقام كل رجل منهم في الوقت الذي وقت له بضبط عمله وإحكام ناحيته ، وكفى الله أمير المؤمنين المؤونة في ذلك بلطيف صنعه . ولما صرت من مدينة مرو على منزل اخترت عدة من ثقات أصحابي وكتبت بتسمية ولد علي بن عيسى وكتابه وأهل بيته وغيرهم رقاعاً ودفعت الى كل رجل منهم رقعة باسم من وكلته بحفظه في دخولي ، ولم آمن ، لو قعدت في ذلك وأخرته ، أن يصيروا عند ظهور الخبر وانتشاره إلى التغيب والانتشار، فعملوا بذلك، ورحلت عن موضعي نحو مدينة مرو ، فلما صرت منها على ميلين تلقاني علي بن عيسى في ولده وأهل بيته وقواده فلقيته بأحسن لقاء وآنسته وبلغت من توقيره وتعظيمه والتماس النزول إليه أول ما بصرت به ما أزداد به أنساً وثقة الى ما كان ركن إليه قبل ذلك مما كان

يأتيه من كتبي ، فإنهـا لم تنقطع عنه بالتعظيم والإجلال مني له والالتماس لأنفي سوء الظن عنه لئلا يسبق إلى قلبه أمر ينتقض به ما دبر أمير المؤمنين في أمره وأمرني بـه في ذلك . وكان الله تبارك وتعالى هو المنفرد بكفاية أمير المؤمنين الأمر فيه الى أن ضمني وإياه مجلسه وصرت الى الأكل معه ، فلما فرغنا من ذلك بدأني يسألني المصير الى منزل كان ارتاده لي فاعلمتـــه ما معي من الأمور التي لا تحتمل تأخير المناظرة فيها ، ثم دفـع اليه رجاء الخادم كتاب أمير المؤمنين وأبلغه رسالته فعلم عند ذلك أنه قد حل به الأمر الذي جناه على نفسه و كسبته يداه من سخط أمير المؤمنين وتغيرات رأيه بخلافه أمره وتمديه سيرته ، ثم صرت إلى التوكيل به ومضيت الى المسجد الجامع فبسطت آمال الناس ممن حضر وافتتحت القول بما حملني أمير المؤمنين إليهم ، وأعلمتهم إعظام أمير المؤمنين لما أتاه ووضح عنده من سوء سيرة علي وما أمرني به فيه وفي عماله وأعوانـــه ، وإني بالغ من ذلك ومن إنصاف العامــــة والخاصة والأخذ لهم بحقوقهم أقصى غاياتهم ، وأمرت بقراءة عهدي عليهم وأعلمتهم إن ذلك مثالي وأمامي وإني به أقتدي وعليه أحتذي ، فمتى زلت عن باب واحد من أبوابـه فقد ظلمت نفسي وأحللت بهـا ما يحل بمن خالف رأي أمير المؤمنين وأمره ، فأظهروا السرور بذلك والاستبشار ، وعلت بالتهليـــل والتكبير أصواتهم وكثر دعاؤهم لأمير المؤمنين بالبقاء وحسن الجزاء . ثم انكفأت الى المجلس الذي علي بن عيسى فيـه فصرت الى تقييده وتقييد ولده وأهل بيته وكتابـه وعماله والاستيثاق منهم جميعاً ، وأمرتهم بالخروج الي من الأموال التي احتجنوهـــا من أموال أمير المؤمنين وفيء المسلمين وإعفائي بذلك من الإقـدام عليهم بالمكروه والضرب ، وناديت في أصحاب ودائعهم بإخراج ما كان عندهم فحملوا إلي إلى أن كتبت الى أمير المؤمنين صدراً صالحاً من الورق والعين، وأرجو أن يعين الله على استيفاء ماقبلهم واستنظاف ماوراء ظهورهم ، ويسهل الله من ذلك أفضل مـــا لم يزل

يعوده أمير المؤمنين من الصنع في مثله من الأمور التي يعني بها إن شاء الله تعالى. ولم أدع عند قدومي مرو التقدم في توجيه الرسل وإنفاذ الكتب البالغة في الأعذار والإنذار والتبصير والإرشاد إلى رافع ومن قبله من أهل سمرقند وإلى من يبلغ على حسن ظني بهم من الإجابة ولزوم الطاعة والإستقامة . ومهما تنصرف به رسلي إلى باب أمير المؤمنين من أخبار القوم في إجابتهم وامتناعهم أعمل على حسبه من أمرهم وأكتب بذلك إلى أمير المؤمنين على حقه وصفته ، وأرجو أن يعرف الله أمير المؤمنين في ذلك من جميل صنعه ولطيف كفايته مالم تزل عادته جارية به عنده بمنه وطوله وقوته ، والسلام .

تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ٦ ٥١٩ - ٥٢١

٢٥٦ - رسالة جوابية من الرشيد الى هرثمة بن أعين :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد: فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك بقدومك مرو في اليوم الذي سميت وعلى الحال الذي وصفت وما فسرت وما كنت قدمت من الحيل قبل ورودك إياها وعملت به في أمر الكور التي سميت وتولية من وليت عليها قبل نفورك عنها ولطفت له من الأمر الذي استجمع لك به ما أردت من أمر الخائن علي بن عيسى وولده وأهل بيته ومن صار في يدك من عماله وأصحاب عماله واحتذائك في ذلك كله ما كان أمير المؤمنين مثل لك ووقفك ، وفهم أمير المؤمنين كل ما كتبت به وحمد الله على ذلك كثيراً ، وعلى تسديده إياك وما أعانك به من توقيفه حتى بلغت إرادة أمير المؤمنين وأدركت طلبته ، وأحسنت ما كان يحب بك وعلى يديك أحكام ما كان اشتد به اعتناؤه ولج به اهتمامه ، وجزاك الخير على نصيحتك وكفايتك، فلا أعدم الله أمير المؤمنين أحسن ما عرفه منك في كل ما أهاب بك اليه واعتمد بك عليه . وأمير المؤمنين يأمرك أن تزداد جداً واجتهاداً فيما أمرك به من تتبع أموال الخائن

علي بن عيسى وولده وكتابه وعماله ووكلائه وجهابذته والنظر فيما اختانوا بـه أمير المؤمنين في أمواله ، وظلموا به الرعية في أموالهم وتتبع ذلك واستخراجه من مظانه ومواضعه التي صارت اليه ومن أيدي أصحاب الودائع التي استودعوها اياهم واستعمال اللين والشدة في ذلك كله حتى تصير إلى استنظاف مـــا وراء ظهورهم ، ولا تبقي من نفسك في ذلك بقية وفي إنصاف الناس منهم في حقوقهم ومظالمهم حتى لا تبقي لمتظلم منهم قبلهم ظلامة إلا استقصيت ذلك له وحملتــه وإياهم على الحق والعدل فيهـا ، فاذا بلغت أقصى غاية الأحكام والمبالغة في ذلك فاشخص الخائن وولده وأهل بيته وكتابه وعماله إلى أمير المؤمنين في وثاق وعلى الحال التي استحقوها من التغيير والتنكيل بما كسبت أيديهم ، وما الله بظلام للعبيد . ثم اعمل بما أمرك به أمير المؤمنين من الشخوص إلى سمرقند ومحـاولة ما قبَل خامل ومن كان على رأيه ممن أظهر خلافاً وامتناعاً من أهل كور ماوراء النهر وطخارستان بالدعاء إلى الفيئة والمراجعة وبسط أمانات أمير المؤمنين التي حملكها إليهم ؛ فان قبلوا وأنابوا وراجعوا مـا هو أملك بهم وفرقوا جموعهم فهو مايحب أمـير المؤمنين أن يعاملهم بـه من العفو عنهم والإقالة لهم اذ كانوا رعيته ، وهو الواجب على أمير المؤمنين لهم إذ أجابهم إلى طلبتهم وآمن روعهم وكفاهم ولاية من كرهوا ولايته وأمر بإنصافهم في حقوقهم وظلاماتهم . وإن خالفوا ماظن أمير المؤمنين فحاكمهم إلى الله إذ طغوا وبغوا وكرهوا العافيـة وردوها ، فان أمير المؤمنين قد قضى ماعليه فغير ونكل وعزل واستبدل وعفا عمن أحدث وصفح عمن اجترم ، وهو يشهـد الله عليهم بعد ذلك في خلاف إن آثروه وعنود إن أظهروه ، وكفى بالله شهيداً ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، إليه يتوكل وإليه ينيب والسلام . وكتب إسمـاعيل بن صبيح بين يدي أمير المؤمنين .

تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٦ ٥٢١ ـ ٥٢٣

٢٥٧ - رسالة الأمين الى المأمون لما توقع موت والدهما الرشيد :

توقع الأمين أن يموت والده الرشيد في طريقه إلى خراسان ، فهيأ الكتب إلى الناس من أجل إعلان خلافته . فلما مات أخرج رسوله الكتب ووزعها . وفيما يلي مقتطفات من رسالته إلى أخيه المأمون :

. . . واضمم إلى الميمون ابن الميمون الفضل بن الربيع ولد أمير المؤمنين رحمه الله وحرمه وأهله وأمره بالمسير معهم فيمن معه من رابطته وجنده [1] .

وفي فصل منه :

وإياك أن تنفذ رأياً أو تبرم أمراً إلا برأي شيخك وثقة آبائك الفضل بن الربيع ، وأقر الخدم على ما في أيديهم من الأموال والخزائن والسلاح ، ولا تخرجن أحداً منهم عن ضمن مايلي إلى أن تقدم علي به . وإن أمرت لأهل عسكرك بعطاء أو رزق فليكن الفضل بن الربيع المتولي لإعطائهم على دفاتر يتخذها لنفسه بمحضر من أصحاب الدواوين ، فإن الفضل بن الربيع لم يزل يتقلد مثل ذلك عند مهمات الأمور . وأنفذ إلي عند وصول كتابي هذا إسماعيل بن صبيح وبكر بن المعتمر على مركبهما من دواب البريد .

الوزراء والكتاب للجهشياري ص ٢٧٦

* * *

(١) الذي في الطبري ج٦ ٥٤٧-٥٤٨ أن الأمين كتب بهذا الى أخيه صالح لا المأمون ويورد الطبري نص الرسالة كاملة .

محمد الامين

١٩٣ ـ ١٩٨ هـ / ٨٠٨ ـ ٨١٣ م

ـ الخطب ـ

٢٥٨ ـ خطبة الأمين لما أصبح خليفة :

صعد المنبر في الجمعة التالية فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمـــد وذكر مافضله الله به ثم قال :

وأفضت خـلافة الله وميراث نبيه إلى أمـير المؤمنين الرشيد فعمل بالحق وساس بالعدل وحج بيت الله وجـاهد في سبيل الله وبذل مهجته في طـاعة الله وباشر الجهاد طلباً لرضا الله جل وعز حتى أعز الله دينـه ثم دنياه وأقام حقـه ووقم العدو وآمن السبل ونصح العباد وعمر البلاد . وقـد اختار الله له ما عنده وأكرمه بلقائه فعند الله نحسبه ، وإياه نسأل حسن الخلافة من بعده والمعونة على ماحملني من أمركم ، وأرغب إليه في التسديد والتوفيق لما يرتضيه فيكم (١) . ثم حض على الطاعة وأمر بالمناصحة ونزل .

تاريخ اليعقوبي ج٢ ٤٣٣ ـ ٤٣٤

---

(١) ورد نص هذه الخطبة بشكل مختلف كل الاختلاف فى كل من الخطيب البغـدادي ج٣ ـ ٣٣٨ وقنيتو الاربيلي ١٧١ـ١٧٢ وفيما يلي نص الخطيب : أيها الناس ، ان المنون تراصد ذوي الانفاس حتماً من الله لايدفع حلولها ولا ينكر نزولها فاسترجعوا قلوبكم من الجزع على الماضي الى البهج للباقي تعطوا اجور الصابرين وجزاء الشاكرين .

٢٥٩ ـ خطبة المأمون في أهل خراسان لمـا أتاه نعي الرشيد وخلافة الأمين :

ورده النبأ فجمع الناس وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وآله ثم قال :

أيها الناس : أحسن الله عزاءنا وعزاءكم في الخليفة الماضي صلوات الله عليه ، وبارك لنا ولكم في خليفتكم الحادث ـ مد الله في عمره ـ .

ثم خنقته العبرة فمسح عينيه بسواده . ثم قال :

يا أهل خراسان : جددوا البيعة لإمامكم الأمين .

الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري ص ٣٩٣ ـ ٣٩٤

٢٦٠ ـ خطبة اسحاق بن عيسى بن على في بغداد يعلن وفاة الرشيد وخلافة الامين :

ورد نعي الرشيد بغداد فصعد إسحاق بن عيسى بن علي المنبر فحمد الله وأثني عليه ثم قال :

نحن أعظم الناس رزية وأحسن الناس بقية ؛ رزئنـا رسول الله فلم يكن أحد أشد رزءاً منا ، وعوضنا خلفاً ابنه فمن ذاله مثل عوضنا ؟

ثم نعى الرشيد إلى الناس وذكرهم العهد [١] .

تاريخ اليعقوبي ج ٢ ـ ٤٣٣

---

(١) ورد نص مشابه لهذا النص في الطبري ج٦ ـ ٥٤٩ .

ـ الصراع بين الأخويين الامين والمأمون ـ

٢٦١ – خطبة العباس بن عيسى بن موسى بين يدي المأمون :

أرسل الأمين رسالة إلى المأمون يطلب منه فيها أن يحضر عنــده في بغداد لأنه بأشد الحاجة إليه من أجل المعاونــة في إدارة شؤون الدولة ، وأرسلها مع وفد مؤلف من العباس بن عيسى بن موسى وعيسى بن جعفر بن المنصور ومحمد بن عيسى بن نهيك وصالح صاحب المصلى ، وأرسل معهم هدايا كثيرة والطافــاً ، وطلب منهم أن يعدوا المــأمون ويمنوه وأن يحثوه على الحضور عند أخيه في بغداد . وقد تكلم أغلب أعضاء الوفد أمام المأمون، وفيما يلي خطبهم ونبدؤها بخطبة العباس الذي قال :

أيها الأمير : إن أخاك قد تحمل من الخلافة ثقلاً عظيماً، ومن النظر فيأمور الناس عبئاً جليلاً، وقد صدقت نيته فيالخير فأعوزه الوزراء والأعوان والكفاة على العدل ، وقليل ما يأنس بأهل بيته . وأنت أخوه وشقيقه ، وقــد فزع إليك في أموره وأملك للمؤازرة والمكانفة ، ولسنا نستبطئك في بره اتهامــاً لنصرك له ، ولا نحضك على طاعة تخوفاً لخلافك عليه ، وفي قدومك عليه أنس عظيم وصلاح لدولته وسلطانــه . فأجب أيها الأمير دعوة أخيك وآثر طاعته وأعنه على ما استعانك عليه من أمره ، فإن في ذلك قضاء الحق وصلة الرحم وصلاح الدولة وعز الخلافــة ، عزم الله للأمير على الرشد في أموره وجعل له الخيرة والصلاح في عواقب أمره .

٢٦٢ ـ خطبة عيسى بن جعفر بن المنصور :

إن الإكثار على الأمير ـ أيده الله ـ في القول خرق، والاقتصاد في تعريفه ما يجب من حق أمير المؤمنين تقصير. وقد غاب الأمير ـ أكرمه الله ـ عن أمير

المؤمنين ولم يستغن عن قربه ، ومن شهد غيره من أهل بيته فلا يجد عنده غناء ولا يجد منه خلفاً ولا عوضاً. والأمير أولى من برأخاه وأطاع إمامه ، فليعمل الأمير فيما كتب بـــه إليه أمير المؤمنين بما هو أرضى وأقرب من موافقة أمير المؤمنين ومحبته ، وإن القدوم عليه فضل وحظ عظيم ، والإبطاء عنه وكف في الدين وضرر ومكروه على المسلمين .

٢٦٣ – خطبة محمد بن عيسى بن نهيك :

أيها الأمير : إنا لا نزيدك بالإكثار والتطويل فيما أنت عليه من المعرفة بحق أمير المؤمنين، ولا نشحذ نيتك بالأساطير والخطب فيما يلزمك من النظر والعناية بأمور المسلمين . وقد أعوز أمير المؤمنين الكفاة والنصحاء بحضرته ، وتناولك فزعاً اليك في المعونة والتقوية له على أمره ، فإن تجب أمير المؤمنين فيما دعاك فنعمة عظيمة تتلافى بها رعيتك وأهل بيتك ، وأن تقعد يغن الله أمير المؤمنين عنك، ولن يضعه ذلك مما هو عليه من البر بك والإعتماد على طاعتك ونصيحتك.

٢٦٤ – خطبة صالح صاحب المصلى :

أيها الأمير : إن الخلافـــة ثقيلة والأعوان قليل ، ومن يكيد هذه الدولة وينطوي على غشها والمعاندة لأوليائها من أهل الخلاف والمعصية كثير . وأنت أخو أمير المؤمنين وشقيقه ، وصلاح الأمور وفسادهـا راجع عليك وعليه إذ أنت ولي عهده والمشارك في سلطانه وولايته، وقد تناولك أمير المؤمنين ووثق بمعاونتك على ما استعانك عليـه من أموره ، وفي إجابتك إياه إلى القدوم عليه صلاح عظيم في الخلافة وأنس وسكون لأهل الملة والذمة . وفق الله الأمير في أموره وقضى له بالذي هو أحب إليه وأنفع له .

٢٦٥ - خطبة المأمون جواباً على خطب أعضاء الوفد :

حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

قد عرفتموني من حق أمير المؤمنين ـ أكرمه الله ـ ما لا أنكره ، ودعوتموني من المؤازرة والمكانفة إلى ما أؤثره ولا أدفعه . وأنا لطاعة أمير المؤمنين مقدم وعلى المسارعة إلى ما سره ووافقه حريص ، وفي الروية تبيان الرأي وفي أعمال الرأي نصح الإعتزام . والأمر الذي دعاني إليه أمير المؤمنين أمر لا أتاخرَ عنه تثبطاً ومدافعة ، ولا أتقدم عليه اعتسافاً وعجلة . وأنا في ثغر من ثغور المسلمين كلب عدوه ، شديد شوكته ، وإن أهملت أمره لم آمن دخول الضرر والمكروه على الجنود والرعية ، وإن أقمت لم آمن فوت ما أحب من معونة أمير المؤمنين ومؤازرته وإيثار طاعته ، فانصرَفوا حتى أنظر في أمري ونصح الرأي فيما أعتزم عليه من مسيري إن شاء الله .

تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٧ ١٢ - ١٤

٢٦٦ - خطبة الحسين بن علي بن عيسى في الناس في بغداد يحرض على خلع الأمين :

ثارت فتنة في الرقة بين العرب والأبناء [الأبناء هم الجيل الثاني من أهل خراسان الذين ناصروا العباسيين وحاربوا الأمويين وأسسوا الخلافة العباسية] وقد تزعم الأبناء الحسين بن علي بن عيسى وتغلب على العرب واحتل بغداد . وقد أراد الأمين استجلابه والاستعانة بـه ضد أخيه المأمون ، ولكن الحسين كان له رأي اخر في الأمر ذلك أنـه حرض الناس على الأمين حتى تمكن من خلعه ووضعه في السجن مع أمه . وفيما يلي أقواله يحرض الناس على خلع الأمين .

يامعشر الأبناء : إن خلافة الله لا تجـاور بالبطر ولا تستصحب بالتجبر والتكبر ، وإن محمداً يريد أن يوتغ اديانكم وينكث بيعتكم ويفرق جمعكم

وينقل عزكم إلى غيركم ، وهو صاحب الزواقيل بالأمس . وبالله إن طالت بـه مدة وراجعه من أمره قوة ليرجعن وبال ذلك عليكم وليعرفن ضرره ومكروهه في دولتكم ودعوتكم ، فاقطعوا أثره قبل أن يقطع آثاركم ، وضعوا عزه قبل أن يضع عزكم . فوالله لا ينصره منكم ناصر إلا خذل ، ولا يمنعه مانع إلا قتـــل ، وما عند الله لأحد هوادة ولا يراقب على الاستخفـاف بعهوده والحنث بإيمانـه .

وقـــد تمكن من خلع الأمين ووضعـه في السجن وذلك في ١١ رجب سنة ١٩٦ هـ .

تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٧ ٣٥ - ٣٦

٢٦٧ ـ خطبة محمد بن أبي خالد في باب الشام في نصرة الأمين :

لكن عزل الأمين ووضعه في السجن لم يرض أنصاره، ولذلك بدأ تحركهم في اليوم التالي وبدأوا يؤلبون الجماهير ضد الحسين بن علي، وكان ممن خطبفي الجماهير محمد بن أبي خالد الذي قال :

بأي سبب يتأمر الحسين بن علي علينا ويتولى هذا الأمر دوننا ، ما هو بأكبرنا سنا ولا أكرمنا حسباً ولا أعظمنا منزلة ، وإن فينا من لا يرضى بالدنية ولايقاد بالمخادعة وإني أولكم نقض عهده وأظهر التغيير عليه والإنكار لفعله ، فمن كان رأيه رأيي فليعتزل معي .

٢٦٨ ـ خطبة أسد الحربي في الناس حول نفس الموضوع :

يا معشر الحربية : هـذا يوم له ما بعده . أنتم قد نمتم وطال نومكم وتأخرتم فقدم عليكم غيركم ، وقـد ذهب أقوام بذكر خلع محمد وأسره فاذهبوا بذكر فكه وإطلاقـه .

٢٦٩ ـ خطبة شيخ مجهول الاسم أقبل على فرس وصاح في الناس اسكتوا فسكتوا فقال :

أيها الناس : هل تعتدون على محمد بقطع منه لأرزاقكم ؟ قالوا : لا . قال : فهل قصر بأحد منكم أو من رؤوسائكم وكبرائكم ؟ قالوا : ما علمنا . قال : فهل عزل أحداً من قوادكم ؟ قالوا : معاذ الله أن يكون فعل ذلك . قال : فما بالكم خذلتموه وأعنتم عدوه على اضطهاده وأسره ؟ أما والله ما قتل قوم خليفتهم قط إلا سلط الله عليهم السيف القاتل والحتف الجارف . انهضوا إلى خليفتكم وأدفعوا عنه وقاتلوا من أراد خلعه والفتك به .

وقد نجح هؤلاء في تأليب الناس ضد الحسين بن علي وحاربوه وهزموه وأعادوا الأمين إلى خلافته .

تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٧ ٣٦ ـ ٣٧

٢٧٠ ـ خطبة الأمين الوداعية في أصحابه لما أدرك أنه هزم نهائيا وعزم على تسليم نفسه لأخيه :

جمع الأمين من تبقى من أنصاره بعد أن أدرك أنه خسر الحرب كلها وبعد أن رأى قسماً كبيراً منهم يتسلل ويلوذ بطاهر بن الحسين وخاطبهم بقوله :

الحمد لله الذي يرفع ويضع ويعطي ويمنع ويقبض ويبسط وإليه المصير . أحمده على نوائب الزمان وخذلان الأعوان وتشتت الرجال وذهاب الأموال وحلول النوائب وتوفد المصائب حمداً يدخر لي به أجزل الجزاء ويرفدني أحسن العزاء وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كما شهد لنفسه وشهدت له ملائكته ، وأن محمداً عبده الأمين ورسوله إلى المسلمين ﷺ آمين رب العالمين. أما بعد يا معشر الأبناء وأهل السبق إلى الهدى : قد علمتم غفلتي كانت أيام الفضل بن الربيع وزير علي ومشير فمادت به الأيام بما لزمني به من الندامة في الخاصة والعامة إلى أن نبهتموني فانتبهت واستعنتموني في جميع ما كرهتم من نفسي

وفيكم ، فبذلت لكم ما حواه ملكي ونالته مقدرتي مما جمعته وورثته عن آبائي ، فقودت من لم يجزه ، واستكفيت من لم يكف ، واجتهدت - علم الله - في طلب رضاكم بكل ما قدرت عليه ، واجتهدتم - علم الله - في مساءتي في كل ما قدرتم عليه ، من ذلك توجيهي إليكم علي بن عيسى شيخكم وكبيركم وأهل الرأفة بكم والتحنن عليكم ، فكان منكم ما يطول ذكره ، فغفرت الذنب وأحسنت واحتملت وعزيت نفسي عند معرفتي بشذوذ الظفر وحرصي على مقامكم مسلحة بحلوان مع ابن كبير صاحب دعوتكم ومن على يدي أبيه كان فخركم وبه تمت طاعتكم عبد الله بن حميد بن قحطبة فصرتم من التألب عليه إلى ما لا طاقة له به ولا صبر عليه يقودكم رجل منكم وأنتم عشرون ألفاً ، إلي عاصين وعلى سيدكم متوثبين مع سعيد الفرد سامعين له مطيعين ، ثم وثبتم مع الحسين علي فخلعتموني وشتمتموني وحبستموني وقيدتموني وأشياء منعتموني من ذكرها . حقد قلوبكم وتلكؤ طاعتكم أكبر وأكثر . فالحمد لله حمد من أسلم لأمره ورضي بقدره والسلام[1] .

تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٧ ٨٩ — ٩٠

٢٧١ - خطابة داود بن عيسى أمير مكة في أهلها بخلع الأمين لما بلغه أنه نكث بأخيه وغدر وأخذ العهود من الكعبة ، فجمع الناس وخطبهم ضده وذلك في ٢٧ رجب سنة ١٩٦ هـ .

الحمد لله مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، وأشهد أن محمداً

(١) اورد المسعودي في مروج الذهب ج٣ ٤٠٧-٤٠٨ نصاً مختصراً كل الاختصار لخطبة الامين هذه .

عبده ورسوله أرسله بالدين وختم به النبيين وجعله رحمة للعالمين صلى الله عليه في الأولين والآخرين . أما بعد يا أهـــل مكة : فأنتم الأصل والفرع والعشيرة والأسرة ، والشركاء في النعمة ، إلى بلدكم يفد وفـــد الله ، وإلى قبلتكم يأتم المسلمون ، وقد علمتم ما أخذ عليكم الرشيد هارون رحمة الله عليه وصلاته حين بايع لابنيه محمد وعبد الله بين أظهركم من العهد والميثاق لتنصرن المظلوم منهما على الظالم والمبغي عليه على الباغي والمغدور به على الغادر . إلا وقد علمتم وعلمنا أن محمد بن هارون قد بدأ بالظلم والبغي والغدر وخالف الشروط التي أعطاها من نفسه في بطن البيت الحرام ، وقد حل لنا ولكم خلعه من الخلافة وتصييرها إلى المبغي عليه المغدور بـــه . ألا وإني أشهدكم إني قد خلعت محمد بن هارون من الخلافة كما خلعت قلنسوتي هذه من رأسي ـ وخلع قلنسوته عن رأسه ـ ثم قال: قد بايعت لعبد الله عبد الله المأمون أمير المؤمنين بالخلافـــة . ألا فقوموا إلى البيعة لخليفتكم[1] .

تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٧ ٤٥ – ٤٦

٢٧٢ – خطبة المأمون لمـــا بلغه هزيمة جيش الأمين بقيادة علي بن عيسى وقتل قائده :

لما وصلت المأمون انباء انتصار طاهر بن الحسين على جيش الأمين بقيادة علي بن عيسى وقتل علي نفسه بويع المأمون بالخلافة وصعد المنبر وقال بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على النبي محمد :

أيها الناس : إني جعلت لله على نفسي ، إن استرعاني أموركم ، أن أطيعه فيكم ولا أسفك دماً عمـداً لا تحله حدوده وتسفكه فرائضه ، ولا آخذ لأحد مالاً ولا أثاثـــاً ولا نحلة تحرم علي ، ولا أحكم بهواي في غضبي ولا رضاي إلا

(١) ذكر ابن الاثير نصاً مختصراً كل الاختصار لهذه الخطبة جـ٦ ـ ٢٦٦ .

ما كان في الله وله ، جعلت ذلك كله لله عهداً مؤكداً وميثاقاً مشدداً إني أفي رغبة في زيادته إياي في نعمي ، ورهبة من مسألته إياي عن حقه وخلفه ، فإن غيرت وبدلت كنت للغير مستأهلاً وللنكال متعرضاً ، وأعوذ بالله من سخطه وأرغب إليه في المعونة على طاعته وأن يحول بيني وبين معصيته .

تاريخ اليعقوبي ج ٢ - ٤٣٨

٢٧٣ ـ تحريض طاهر لجيشه لما التقى بجيش الأمين وذلك قبيل المعركة

جعل طاهر يمر بقائد قائد من جنده وجماعة جماعة ويقول :

يا أولياء الله ، يا أهل الوفاء والشكر : أنتم لستم كهؤلاء الذين ترون من أهل النكث والغدر . إن هؤلاء ضيعوا ما حفظتم وصغروا ما عظمتم ونكثوا الإيمان التي رعيتم ، وإنما يطلبون الباطل ويقاتلون على الغدر والجهل ، أصحاب سلب ونهب . فلو غضضتم الأبصار وأثبتم الاقدام ! قد أنجز الله وعده وفتح لكم أبواب عزه ونصره فجالدوا طواغيت الفتنة ويعاسيب النار عن دينكم ، ودافعوا بحقكم باطلهم فإنما هي ساعة واحدة حتى يحكم الله بينكم وهو خير الحاكمين .

ثم أقبل يقول :

يا أهل الوفاء والصدق : الصبرَ الصبرَ ، الحفاظَ الحفاظَ . ثم نادى :

يا أولياء الله : اشتغلوا بمن أمامكم عمن خلفكم [يقصد أهل الري الذين أغلقوا أبواب المدينة بوجه جيشه لما بلغهم اقتراب جيش الأمين] فإنه لا ينجيكم إلا الجد والصدق .

وقال أيضاً: اجعلوا بأسكم وجدكم على كراديس القلب فإنكم لو فضضتم منها راية واحدة رجعت أوائلها على أواخرها .

وقد تم ما توقعه طاهر .

تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٧ ٢٠ — ٢١

٢٧٤ ـ خطبة طاهر بن الحسين في بغداد لما دخلها فاتحاً وقد هزم جيوش الأمين وقتله .

الحمد لله مالك الملك يؤتيه من يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا يصلح عمل المفسدين ولا يهدي كيد الخائنين . إن ظهور غلبتنا لم يكن من أيدينا ولا كيدنا، بل اختار الله للخلافة إذ جعلها عماداً لدينه وقواماً لعباده وضبط الأطراف وسد الثغور وإعداد العدة وجمع الفيء وإنفاذ الحكم ونشر العدل وإحياء السنة بعد إذبال البطالات والتلذذ بموبق الشهوات. والمخلد إلى الدنيا مستحسن لداعي غرورها محتلب درة نعمتها ، ألِيف لزهرة روضتها كلف برونق بهجتها . وقد رأيتم من وفاء وعود الله عز وجل لمن بغي عليه وما أحل الله من بأسه ونقمته لما نكب عن عهده وارتكب معصيته وخالف أمره وغيرَّه ناهيه وعظته مردية ، فتمسكوا بدقائق عصم الطاعة واسلكوا مناحي سبيل الجماعة واحذروا مصارع أهل الخلاف والمعصية الذين قدحوا زناد الفتنة وصدعوا شعب الألفة فأعقبهم الله خسار الدنيا والآخرة .

تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٧ — ٩٠

ـ الوصايا ـ

٢٧٥ — وصية السيدة زبيدة لعلي بن عيسى قائد الجيش الذي أرسل لحرب المأمون أول مرة :

أتى علي بن عيسى ، قبل فصوله عن بغداد لحرب المأمون، إلى باب زبيدة لتوديعها فقالت له توصيه :

يا علي : إن أمير المؤمنين ، وإن كان ولدي وإليه انتهت شفقتي ، فإني على عبد الله منعطفة مشفقة لما يحدث عليه من مكروه وأذى ، وإنما ابني ملك نافس

أخاه في سلطانه وغاره على ما في يده ، والكريم يأكل لحمه ويميقه غيره فاعرف لعبد الله حق ولادته وأخوتـــه ولا تجبهه بالكلام فإنك لست له بنظير ، ولا تقتسره اقتسار العبيد ولا توهنه بقيد ولا غل ولا تمنع عنه جارية ولا خادماً ، ولا تعنف عليه في السير ولا تساوه في المسير ولا تركب قبله وخذ بركابه وإن شتمك فاحتمل منه .

ثم دفعت اليه قيداً من فضة وقالت : إن صار إليك فقيده بهذا القيد .

فقال لها : سأفعل مثل مارأيت[1] .

الكامل لأبن الأثير ج ٦ — ٢٤٠

٢٧٦ ـ وصية الأمين لعلي بن عيسى :

امنع جندك من العبث بالرعية والغارة على أهل القرى وقطع الشجر وانتهاك النساء ، وولِ الري يحيى بن علي واضمم اليه جنداً كثيفاً ومره ليدفع الى جنده أرزاقهم مما يجبي من خراجها ، وولِ كل كورة ترحل عنها رجلاً من أصحابك . ومن خرج إليك من جند أهل خراسان ووجوهها فأظهر إكرامـــه وأحسن جائزته ، ولا تعاقب أخاً بأخيه وضع عن أهل خراسان ربع الخراج، ولاتؤمن أحداً رماك بسهم أو طعن في أصحابك برمح، ولا تأذن لعبد الله في المقام أكثر من ثلاثـــة من اليوم الذي تظهر فيه عليه . فإذا اشخصته فليكن مع أوثق أصحابك عندك ، فإن غره الشيطان فناصبك فاحرص على أن تأسره أسراً ، وإن هرب منك إلى بعض كور خراسان فتول إليه المسير بنفسك . أفهمت كل ما أوصيك بـــه ؟ .

قال : نعم أصلح الله أمير المؤمنين .

قال : سر على بركة الله وعونه .

تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٧ — ١٧

---

(١) ورد نص هذه الوصية ـ مع شيء من الاختلاف ـ في كل من الطبري ج٧ ـ ١٦ والاخبار الطوال ص ٣٩٦ .

٢٧٧ ـ وصية الأمين لمحمد بن يزيد الذي أرسله لحرب طاهر بن الحسين:

بعد هزيمة جيش علي بن عيسى ومقتله أرسل الأمين جيشين لحرب طاهر الأول بقيادة عبد الله بن حميد بن قحطبة ، والثاني بقيادة محمد بن يزيد ، وأوصى محمد بن يزيد بما يلي :

أوصيك بخصال عدة : إياك والبغي فإنه عقال النصر ، ولا تقدم رجلاً إلا باستخارة ، ولا تشهر سيفاً إلا بعد إعذار . ومهما قدرت باللين فلا تتعده إلى الخرق والشدة ، وأحسن صحابة من معك من الجند. وطالعني بأخبارك كل يوم ، ولا تخاطر بنفسك طلب الزلفة عندي ولا تستبقها فيما تتخوف رجوعه علي . وكن لعبد الله أخاً مصافياً وقريناً براً . وأحسن مجامعته وصحبته ومعاشرته ولا تخذله إن استنصرك ، ولا تبطىء عنه إذا استصرخك ولتكن أيديكما واحدة وكلمتكما متفقة .

تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٧ — ٣٠

ـ الرسائل والعهود ـ

٢٧٨ ـ رسالة الأمين إلى المأمون لما بلغه موت والدهما الرشيد :

إذا ورد عليك كتاب أخيك ـ أعاذه الله من فقدك ـ عند حلول ما لامرد له ولا مدفع مما قد أخف وتناسخ الأمم الخالية والقرون الماضية بما عزاك الله به فاعلم أن الله جل ثناؤه قد اختار لأمير المؤمنين أفضل الدارين وأجزل الحظين فقبضه الله طاهراً زكياً قد شكر سعيه وغفر ذنبه إن شاء الله فقم في أمرك قيام ذي الحزم والعزم والناظر لأخيه ونفسه وسلطانه وعامة المسلمين ، وإياك أن يغلب عليك الجزع فإنه يحبط الأجر ويعقب الوزر . وصلوات الله على أمير المؤمنين حياً وميتاً وإنا لله وإنا اليه راجعون . وخذ البيعة على من قبلك من قوادك

وجندك وخاصتك وعامتك لأخيك ثم لنفسك ثم للقاسم ابن أمير المؤمنين على الشريطة التي جعلها الك أمير المؤمنين من فسخها له وإثباتها ، فإنه مقلد من ذاك ماقلدك الله وخليفته . وأعلم من قبلك رأيي في صلاحهم وسد خللهم والتوسعة عليهم ، فمن أنكرته عند بيعته أو اتهمته على طاعته فابعث إليّ برأسه مع خبره، وإياك وإقالته فإن النار أولى به ، واكتب إلى عمال ثغورك وأمراء أجنادك بما طرقك من المصيبة بأمير المؤمنين وأعلمهم أن الله لم يرض الدنيا له ثواباً حتى قبضه إلى روحه وراحته وجنته مغبوطاً محموداً قائداً لجميع خلفائه إلى الجنة إن شاء الله . ومرهم أن يأخذوا البيعة على أجنادهم وخواصهم وعوامهم على مثل ما أمرتك به من أخذها على من قبلك ، وأوعز إليهم في ضبط ثغورهم والقوة على عدوهم. إني متفقد حالاتهم ولامّ شعثهم وموسع عليهم ، ولا آن في تقوية أجنادي وأنصاري ، وليكن كتبك إليهم كتباً عامة لتقرأ عليهم فإن ذلك مايسكنهم ويبسط أملهم ، واعمل بما تأمر به لمن حضرك أو نأى عنك من أجنادك على حسب ماترى وتشاهد ، فإن أخاك يعرف حسن اختيارك وصحة رأيك وبعد نظرك ، وهو يستحفظ الله لك ويسأله أن يشد بك عضده ويجمع بك أمره إنه لطيف لما يشاء . وكتب بكر بن المعتمر بين يديّ وإملائي في شوال سنة ١٩٣ .

تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ٦ ٥٤٦ ـ ٥٤٧

٢٧٩ – رسالة الأمين إلى أخيه صالح الذي كان موجوداً مع الرشيد في طوس لما مات الرشيد :

بسم الله الرحمن الرحيم . إذا ورد عليك كتابي هذا عند وقوع ما قد سبق في علم الله ونفذ من قضائه في خلفائه وأوليائه وجرت به سنته في الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين فقال : كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه

ترجعون (١) . فاحمدوا الله على ما صار إليه أمير المؤمنين من عظيم ثوابه ومرافقة أنبيائه صلوات الله عليهم ، إنا إليه راجعون ، وإياه نسأل أن يحسن الخلافة على أمة نبيه محمد ﷺ ، وقد كان لهم عصمة وكهفاً ، وبهم رؤوفاً رحيماً فشمر في أمرك ، وإياك أن تلقي بيديك فإن أخاك قد اختارك لما استنهضك له ، وهو متفقد مواقع فقدانك فحقق ظنه ونسأل الله التوفيق ، وخذ البيعة على من قبلك من ولد أمير المؤمنين وأهل بيته ومواليه وخاصته وعامته لمحمد أمير المؤمنين ثم لعبد الله ابن أمير المؤمنين ثم للقاسم ابن أمير المؤمنين على الشريطة التي جعلها أمير المؤمنين صلوات الله عليه من فسخها على القاسم أو اثباتها ، فإن السعادة واليمن في الأخذ بعهده والمضي على مناهجه ، وأعلم من قبلك من الخاصة والعامة رأيي في استصلاحهم ورد مظالمهم وتفقد حالاتهم واداء أرزاقهم وأعطياتهم عليهم ، فإن شغب شاغب أو نعر ناعر فاسط به سطوة تجعله نكالاً لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين . واضمم إلى الميمون ابن الميمون الفضل بن الربيع ولد أمير المؤمنين وخدمه وأهله ومره بالمسير معهم فيمن معه وجنده ورابطته ، وصير إلى عبدالله بن مالك أمر العسكر وأحداثه فإنه ثقة على ما يلي ، مقبول عند العامة ، واضمم إليه جميع جند الشرط من الروابط وغيرهم إلى من معه من جنده ومره بالجد والتيقظ وتقديم الحزم في أمره كل ليله ونهاره ، فإن أهل العداوة والنفاق لهذا السلطان يغتنمون مثل حلول هذه المصيبة . وأقر حاتم بن هرثمة على ما هو عليه ومره بحراسة ما يحفظ عليه قصور أمير المؤمنين فانه ممن لا يعرف إلا بالطاعة ولا يدين إلا بها بمعاقد من الله مما قدم له من حال أبيه المحمود عند الخلفاء ، ومر الخدم بإحضار روابطهم من يسد بهم وبأجنادهم مواضع الخلل من عسكرك فإنهم حد

(١) سورة القصص ، الآية ٨٨ .

من حدودك . وصير مقدمتك إلى أسد بن يزيد بن مزيد وساقتك إلى يحيي بن معاذ فيمن معه من الجنود ، ومرهما بمناوبتك في كل ليـــلة ، وألزم الطريق الأعظم ولا تعدون المراحل فإن ذلك أرفق بك ، ومر أسد بن يزيد أن يتخير رجلاً من أهل بيته أو قواده فيصير إلى مقدمته ثم يصير أمامه لتهيئة المنازل أو بعض الطريق ، فـإن لم يحضرك في عسكرك بعض من سميت فاختر لمواضعهم من تثق بطاعته ونصيحته وهيبته عند العوام ، فـــإن ذلك لن يعوزك من قوادك وأنصارك إن شاء الله . وإياك أن تنفذ رأياً أو تبرم أمراً إلا برأي شيخك وبقية آبائك الفضل بن الربيع ، وأقرر جميع الخدم على ما في أيديهم من الأموال والسلاح والخزائن وغير ذلك ولا تخرجن أحداً منهم ممن ضمن مـا يلي إلى أن تقدم علي ، وقد أوصيت بكر بن المعتمر بما سيبلغكه . وأعمل في ذلك بقدر ما تشاهد وترى . وإن أمرت لأهل العسكر بعطاء أو رزق فليكن الفضل بن الربيع المتـــولي لاعطائهم على دواوين يتخذها لنفسه بمحضر من الدواوين ، فإن الفضل بن الربيع لم يزل مثل ذلك لمهمات الأمور ، وأنفذ إلي عند وصول كتابي هذا إليك إسماعيل بن صبيح وبكر بن المعتمر على مركبيهما من البريد ولا يكون له عرجة ولا مهلة بموضعك الدي أنت فيه حتى توجه إلي بعسكرك بما فيه من الأموال والخزائن ان شاء الله . أخوك يستدفع الله عنك ويسأله لك حسن التأييد برحمته ، وكتب بكر بن المعتمر بين يدي وإملائي في شوال سنة ١٩٢ هـ .

تاريخ الأمم والملوك للطبري حـ ٦ ٥٤٧ – ٥٤٨

- الصراع بين الاخوين -

٢٨٠ - رسالة جوابية من المأمون إلى الأمين حول طلب هذا الاخير أن يتنازل له المأمون عن بعض كور خراسان :

قد بلغني كتاب أمير المؤمنين يسأل التجافي عن مواضع سماها فيما أثبته الرشيد في العقد وجعل أمره إلي، وما أمر رآه أمير المؤمنين أحد يجاوز أكثره. غير أن الذي جعل لي الطرف الذي أنا به لا ظنين في النظر لعامته، ولا جاهل فيما اسند إلي من أمره، ولو لم يكن ذلك مثبتاً بالعهود والمواثيق المأخوذة، ثم كنت على الحال الذي أنا عليها من إشراف عدو مخوف الشوكة وعامة لا تتألف عن هضمها، واجناد لا يستتبع طاعتها إلا بالأموال وطرف من الأفضال لكان في نظر أمير المؤمنين لعامته وما يجب من لم أطرافه مايوجب عليه أن يقسم له كثيراً من عنايته وأن يستصلحه ببذل كثير من ماله، فكيف بمسألة ما أوجبه الحق ووكدته مأخوذة العقود. وإني أعلم أن أمير المؤمنين لو علم من الحال ماعلمت لم يطلع ماكتب بمسألته إلي، ثم أنا على ثقة من القبول بعد البيان إن شاء الله.

تاريخ الأمم والملوك للطبري ج٦ - ٥٥٦

٢٨١ - رسالة من المأمون الى الامين لما طلب منه أن يبايع لابنه موسى قبله :

أما بعد: فقد انتهى إلي كتاب أمير المؤمنين منكراً لإبائي منزلة تهضمني بها وأرادني على خلاف مايعلم من الحق فيها، ولعمري إن أورد أمير المؤمنين موارد النصفة فلم يطالب إلا بها، ولم يوجب فكرة تركها لانبسطت بالحجة مطالع مقالته ولكنت محجوجاً بمفارقة مايوجب من طاعته، فأما وأنا مذعن بها وهو على ترك أعمالها فأولى به أن يدير الحق في أمره ثم يأخذ به ويعطي من

نفسه ، فإن صرت إلى الحق فرغت عن قبله وإن أبيت الحق قام بمعذرته . وأما ماوعد من بر طاعته وأوعد من الوطأة بمخالفته فهل أحـد فارق الحق في فعله فأبقى للمتبين موضع ثقة بقوله ؟ والسلام .

تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ٧ – ٨

٢٨٢ – رسالة من المأمون الى الأمين جواباً على طلبه منـه أن يحضر عنده في بغداد للاستعانة به في تسيير أمور الدولة مع وفد أرسله اليه :

أما بعد : فإن الإمام الرشيد ولاني هذه الأرض على حين كلب من عدوها ووهى من سدها وضعف من جنودها . ومتى أخللت بها أو زلت عنها لم آمن انتقاض الأمور فيها وغلبة أعدائها عليها بما يصل ضرره إلى أمير المؤمنين حيث هو . فرأى أمير المؤمنين في أن لا ينقض ما أبرمه الإمام الرشيد[1] .

الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري ص ٣٩٥

٢٨٣ رسالة من الأمين الى المأمون :

أمـا بعد : فإن امير المؤمنين الرشيد ، وإن كان أفردك بالطرف ، وضم ماضم إليك من كور الجبل تأييداً لأمرك وتحصيناً لطرفك فإن ذلك لايوجب لك فضلة المال عن كفايتك . وقد كان هذا الطرف وخراجه كافياً لحدثه ، ثم تتجاوز بعد الكفاية إلى مايفضل من رده ، وقد ضم لك إلى الطرف كوراً من أمهات كور الأموال لا حاجة لك فيها ، فالحق فيها أن تكون مردودة في أهلها ومواضع حقها فكتبت إليك أسألك برد تلك الكور إلى ما كانت إليه من حالها ليكون فضول ردها مصروفة إلى مواضعها ، وإن تأذن لقائم بالخبر أن يكون بحضرتك يؤدي إلينا علم مايعني به من خبر طرفك فكتبت تلط دون ذلك بما

(١) ذكر ابن الاثير جـ٦ – ٢٣٣ نصاً مختلفاً عن نصنا هذا لنفس الرسالة .

إن تم امرك عليه صيرنا الحق إلى مطالبتك ، فاثن عن همك اثن عن مطالبتك إن شاء الله .

٢٨٤ – رسالة جوابية من المأمون إلى الأمين على رسالته السابقة :

أما بعد : فقد بلغني كتاب أمير المؤمنين ، ولم يكتب فيما جهل فأكشف له عن وجهه ، ولم يسأل ما لا يوجبه حق فيلزمني الحجة بترك إجابته ، وإنما يتجاوز الناظر أن منزلة النصفة ماضاقت النصفة عن أهلها ، فمتى تجاوز متجاوز وهي موجودة الوسع ، ولم يكن تجاوزها إلا عن نقضها واحتمال ما في تركها فلا تبعثني يا ابن أبي على مخالفتك ، وأنا مذعن بطاعتك ، ولا على قطيعتك ، وأنا على إيثار ماتحب من صلتك ، وارض بما حكم به الحق في أمرك أكن بالمكان الذي انزلني به الحق فيما بيني وبينك والسلام .

٢٨٥ – جواب الأمين ، وقد امتلأ غيظاً من رسالة المأمون السابقة :

أما بعد : فقد بلغني كتابك غامطاً لنعمة الله عليك فيما مكن لك من ظلها، متعرضاً لحراق نار لا قبل لك بها ، ولحظك عن الطاعة كان أودع . وإن كان قد تقدم مني متقدم فليس بخارج من مواضع نفعك إذ كان راجعاً على العامة من رعيتك . وأكثر من ذلك مايمكن لك من منزلة السلامة ويثبت لك من حال الهدنة فأعلمني رأيك أعمل عليه إن شاء الله .

٢٨٦ – رسالة المأمون إلى الأمين يطلب منه أن يرسل له أهله وأمواله:

أما بعد : فإن نظر أمير المؤمنين للعامة نظر من لا يقتصر عنه على إعطاء النصفة من نفسه حتى يتجاوزها إليهم ببره وصلته . إذ كان ذلك رأيه في عامته فأحر بأن يكون على مجاوزة ذلك بصنوه وقسيم نسبه ، فقد تعلم – يا أمير المؤمنين – حالاً أنا عليها من ثغور حللت بين لهواتها وأجناد لاتزال موقنة بنشر غيها وبنكث آرائها وقلة الخرج قبلي ، والأهل والولد والمال قبل أمير المؤمنين

وما للأهل ، وإن كانوا في كفاية من بر أمير المؤمنين فكان لهم والدا، بعدُ من الإشراف والنزوع إلى كنفي، ومالي بالمال من القوة والظهير على لم الشعث بحضرتي. وقد وجهت لحمل العيال وحمل ذلك المال ، فرأى أمير المؤمنين في إجازة فلان إلى الرقة في حمل ذلك المال والأمر بمعونته عليه غير محرج له فيه إلى ضيقة تقع بمخالفته ، أو حامل له علي رأي يكون على غير موافقة ، والسلام .

٢٨٧ ـ جواب الأمين على رسالته السابقة :

أما بعد : فقد بلغني كتابك بما ذكرت مما عليه رأي أمير المؤمنين في عامته فضلاً عما يجب من حق لذي حرمته وخليط نفسه ومحلك بين لهوات الثغور وحاجتك لمحلك بينها إلى فضلة من المال لتأييد أمرك، والمال الذي سمي لك من مال الله وتوجيهك من وجهت في حمله وحمل أهلك من قبل أمير المؤمنين . ولعمري ماينكر أمير المؤمنين رأياً هو عليه مما ذكرت لعامته وما يوجب عليه من حقوق أقربته وعامته به ، إلى ذلك المال الذي ذكرت حاجة في تحصين أمور المسلمين فكان اولى به اجراؤه منه على فرائضه ورده على مواضع حقه ، وليس بخارج من نفعك ماعاد بنفع العامة من رعيتك . وأما ماذكرت من حمل أهلك فإن رأى أمير المؤمنين تولى أمرهم ، وإن كنت بالمكان الذي أنت به من حق القرابة ، ولم أر من حملهم على سفرهم مثل الذي رأيت من تعريضهم بالسفر للتشتت . وإن رأى ذلك من قبلي أوجههم إليك مع الثقة من رسلي إن شاء الله ، والسلام.

تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٦ ٥٥٧ ـ ٥٥٨

٢٨٨ ـ رسالة أخيرة من الأمين إلى المأمون قبل بدء الحرب بينهما يطلب منه الحضور عنده :

من عند الأمين محمد أمير المومنين إلى عبد الله بن هارون أمير المؤمنين . أما بعد : فإن أمير المؤمنين روى في أمرك والموضع الذي أنت فيه من ثغرك

وما يؤمل في قربك من المعاونة والمكانفة على ما حمله الله وقلده من أمور عباده وبلاده ، وفكر فيما كان أمير المؤمنين الرشيد أوجب لك من الولاية وأمر بـه من إفرادك على مايصير إليك منها ، فرجا أمير المؤمنين ألا يدخل عليـه وكف في دينه ولا نكث في يمينه اذ كان إشخاصه إياك فيما يعود على المسلمين نفعـه ويصل إلى عامتهم صلاحه وفضله ، وعلم أمير المؤمنين أن مكانك بالقرب منـه أسد للثغور وأصلح للجنود وآكد للفيء وأرد على العـامة من مقامك ببلاد خراسان منقطعاً عن أهل بيتك ، متغيباً عن أمـير المؤمنين مايحب الاستمتاع به من رأيك وتدبيرك. وقد رأى أمير المؤمنين أن يولى موسى ابن امير المؤمنين فيما يقلده من خلافتك مايحدث إليه من أمرك ونهيك . فأقدم على أمير المؤمنين على بركة الله وعونه بأبسط امل وأفسح رجاء وأحمد عافية وأنفذ بصيرة ، فإنك أولى من استعان به أمير المؤمنين على أموره واحتمل عنـه النصب فيما فيـه من صلاح أهل بيته وذمته ، والسلام .

تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٧ ١١ - ١٢

٢٨٩ - جواب المأمون إلى الأمين على رسالته السابقة وذلك بعد أن استشار الفضل بن سهل :

لعبد الله أمير المؤمنين من عبد الله بن هارون . أما بعد : فقـد وصل إليّ كتاب أمير المؤمنين ، وإنما أنا عامل من عماله وعون من أعوانه أمرني الرشيد صلوات الله عليه بلزوم هذا الثغر ومكايدة من كايد أهله منعدو أمير المؤمنين ، ولعمري إن مقامي بـه أردُّ على أمير المؤمنين وأعظم غناء عن المسلمين من الشخوص إلى أمير المؤمنين ، وإن كنت مغتبطاً بقربـه مسروراً بمشاهدة نعمة الله عنده ، فـإن رأى أن يقرني على عملي ويعفيني من الشخوص إليه فعل إن شاء الله ، والسلام .

تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٧ ١٥ - ١٦

٢٩٠ – رسالة الفضل بن سهل إلى جاسوسه ودسيسه وعميله لدى الأمين

تمكن الفضل أن يشتري أحد كبار أنصار الأمين فكان يخبره بما يجد أولاً بأول ويشير على الأمين بالآراء المناسبة لصالح المأمون . ولما بات الصراع الحربي محتوماً أرسل الفضل إلى دسيسه يقول :

إن أبى القوم إلا عزمة الخلاف فالطف لأن يجعلوا أمره لعلي بن عيسى[1].

تاريخ الامم والملوك للطبري جـ٧ – ١٠

٢٩١ – رسالة المأمون إلى علي بن عيسى بن ماهان لما بلغه أن الأمين ولاه قيادة الجيش المرسل إلى حربه :

أما بعد : فإنك في ظل دعوة لم تزل أنت وسلفك بمكان ذب عن حريمها وعلى العناية بحفظها ورعاية لحقها توجبون ذلك لأئمتكم وتعتصمون بحبل جماعتكم وتعطون الطاعة من أنفسكم وتكونون يداً على أهل مخالفتكم ، وحزباً وإخواناً لأهل موافقتكم تؤثرونهم على الآباء والأبناء وتتصرفون فيما تصرفوا فيه من منزلة شديدة ورجاء لاترون شيئاً أبلغ في صلاحكم من الأمر الجامع لألفتكم ولا أجرى لبواركم مما دعا بشتات كلمتكم ترون من رغب عن ذلك جائراً عن القصد وعن أمه على منهاج الحق، ثم كنتم على منهاج الحق ، ثم كنتم على أولئك سيوفاً من سيوف نقم الله ، فكم من أولئك قد صاروا مسبعة وجزراً جامدة قد سفت الرياح في وجهه وتداعت السباع إلى مصرعه غير ممهد ولا موسد قد صار إلى أمة ...[2] وغير عاجل حظه ممن كانت الأئمة تنزلكم لذلك بحيث أنزلتم أنفسكم من الثقة بكم في أمورها والتقدمة في أثارها ، وأنت مستشعر دون كثير من ثقاتها وخاصتها حتى بلغ الله بك في نفسك إن كنت قريع أهل

---

(١) يقول الطبري : وانما خص ذو الرياستين علياً بذلك لسوء أثره في أهل خراسان واجتماع رأيهم على كرهه .

(٢) بياض بالاصل .

دعوتك والعلم القائم بمعظم أمر أمتك ، إن قلت ادنوا دنوا ، وإن أشرت أقبلوا أقبلوا ، وإن أمسكت وقفوا وأقروا وآماً لك واستنصاحاً ، وتزداد نعمة مع الزيادة في نفسك ويزدادون نعمة مع الزيادة لك بطاعتك حتى حللت المحل الذي قربت بـه من يومك وانقرض فيما دونـه أكثر مدتك ، لا ينتظر بعدها إلا ما يكون ختام عملك من خير فيرضى بـه ما تقدم من صالح فعلك ، أو خلاف فضل له متقدم سعيك ، ولا ترى - يا أبا يحيى - حالاً عليها جاوت أهل نعمتك والولاة القائمة بحق إمامتك من طمن عقدة كنت القائم بشدها ، وبعهود توليت معاقـد أخذها ، يبدأ فيها بالأخصين حتى أفضى الأمر الى العامة من المسلمين بالإيمان المحرجة والمواثيق المؤكدة وما طلع مما يدعو إلى نشر كلمة وتفريق أمة وشت جماعة . وتتعرض به لتبديل نعمة وزوال ما وطأت الأسلاف من الأئمة، ومتى زالت نعمة من ولاة أمركم وصل زوالها إليكم في خواص أنفسكم، ولن يغير الله [ما] بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . وليس الساعي في نشرهـا بساع فيها على نفسه دون السعي على حملتها القائمين بحرمتها قد عرضوهم أن يكونوا جزراً لأعدائهم وطعمة قوم تنظفر مخالبهم في دمائهم . ومكانك المكان الذي إن قلت رُجع الى قولك ، وان أشرت لم تتهم في نصيحتك ولك ، مع ايثـار الحق ، الحظوة عند أهل الحق ولا سواء من حظي بعاجل مع فراق الحق فأوبق نفسه في عاقبته ومن أعان الحق فادرك بـه صلاح العاقبة مع وفور الحظ في عاجلته ، وليس لك ما تُستدعى ولا عليه ما تُستعطف، ولكنه حق من حق أحسابك يجب ثوابه على ربك ثم على من قمت بالحق فيه من أهل إمامتك ، فإن أعجزك قول أو فعل فصر الى الدار التي تأمن فيها على نفسك وتحكم فيها برأيك وتجاوز الى من يحسن تقبـلا لصالح فعلك ويكون مرجعك الى عقدك وأموالك ، ولك بذلك الله وكفى بالله وكيلا . وإن تعـذر ذلك بقية على نفسك فإمساكاً بيدك

وقولاً بحق ما لم تخف وقوعــه بكرهك ، فلعل مقتدياً بك ومغتبطاً بنهيك ، ثم أعلمني برأيك أعرفه إن شاء الله .

تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٧ ٨ - ١٠

٢٩٢ - رسالة من المأمون إلى أحد رؤساء جند علي بن عيسى الذي أرسله الأمين لحرب المأمون :

أرسل المأمون عدداً كبيراً من الرسائل الى رؤساء جند الأمين المرسل لحربه وفيما يلي نص هذه الرسائل :

أما بعد : فإن أمر المؤمنين كأعضاء البــدن يحدث العلة في بعضها فيكون كره ذلك مؤلمــاً لجميعها ، وكذلك الحدث في المسلمين يكون في بعضهم فيصل كره ذلك إلى سائرهم للذي يجمعهم من شريعة دينهم ويلزمهم من حرمة آخرتهم، ثم ذلك من الأئمة أعظم للمكان الذي به الأئمة من سائر أممهم. وقد كان من الخبر ما لا أحسبه إلا سيعود عن مجيئه ويسفر عما ستر ، وما اختلف مختلفان فكان أحدهما أزمع على الغدر الا كان أول معونــة المسلمين وموالاتهم في ذات الله وأنت - يرحمك الله - من الأمر برأي ومسمع وبحيث إن قلت أذن لقولك ،وإن لم تجد للقول مساغاً فامسكت عن مخوف اقتُدِي فيه بك ، ولن يضيع على الله ثواب الإحسان مع ما يجب علينا بالإحسان من حقك . ولحظٌ حاز لك الحظين أو أحدهما أمثل من الأشراف لأحد الحظين مع التعرض لعدمهما . فاكتب الي برأيك وأعلم ذلك رسولي ليؤديه الي عنك إن شاء الله .

تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٦ - ٥٦٠

٢٩٣ - جواب أحد قواد عسكر الأمين للمأمون عن رسالته السابقة:

أما بعد : فقد بلغني كتابك وللحق برهان يدل على نفسه يثبت بــه الحجة على كل من صار إلى مفارقته فكفى غبناً بإضاعة حظ من حظ العاقبة لمــا مؤ ل

من حظ عاجله . وأبين في الغبن إضافة حظ عاقبه في التعرض للنكبة والوقائع. ولي من العلم بمواضع خطر ما أرجو أن يحسن معه النظر مني لنفسي ، ويضع عني مؤونة استزادتي إن شاء الله .

تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٦ ـ ٥٦٠

٢٩٤ ـ رسالة من رسول أرسله المأمون إلى بغداد ليتعرف له الأوضاع ويكتب له بما يجد :

أما بعد : فإني وافيت البلدة ، وقد أعلن خليطك بتنكيره وقدم علماً من اعتراضه ومفارقته بحضرته، ودفعت كتبك فوجدت أكثر الناس ولاة السريرة ونقاة العلانية ، ووجدت المستمالين بالرغبة لا يحوطون إلا عنها ، ولا يبالون ما احتملوا فيها ، والمنازع مختلج الرأي لا يجد دافعاً منه عن همه ولا راغباً في عامه ، والحلون بأنفسهم يحلون تمام الحدث ليسلموا من منهزم حدثهم . والقوم على جد ولا تجعلوا للتوادي إن شاء الله والسلام .

تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٦ ـ ٥٦١

٢٩٥ ـ رسالة طاهر بن الحسين إلى الفضل بن سهل لما هزم جيش الأمين بقيادة علي بن عيسى وقتل قائده :

كتبت إليك ورأس علي بن عيسى في حجري وخاتمه في أصبعي ، والحمد لله رب العالمين[1] .

البدء والتاريخ لأبي زيد البلخي جـ ٦ ـ ١٠٨

---

(١) ورد نص هذه الرسالة مع شيء من الاختلافات في كثير من المصادر كالطبري جـ٧ ـ ٦ وابن الاثير جـ٦ ـ ٢٤٥ والمسعودي جـ٣ـ٤٠٠ والفخري ص ١٩٥ وابن خلدون جـ٣ ـ ٤٩٨ . وبعضهم يجعلها موجهة الى المأمون وبعضهم الى الفضل .

٢٩٦ ـ رسالة طاهر بن الحسين إلى كل من سليمان بن أبي جعفر ومحمد ابن عيسى بن نهيك والسندي بن شاهك يتهددهم ويطلب منهم أن يصرفوا الأمين عن الأخذ بمشورة من أشار عليه، لما تضايق من حصار طاهر له في بغداد، أن يهرب منها إلى الجزيرة بحماية عدد من الأبناء، ومن هناك يعيد حظه واستعداده للحرب فخاف طاهر من ذلك وكتب إلى أولئك بما يلي :

والله لئن تقروه وتردوه عن هذا الرأي لا تركت لكم ضمية إلا قبضتها ولا تكون لي همة إلا أنفسكم . فخاف القوم ودخلوا على الأمين ولم يزالوا به حتى صرفوه عن ذلك ورضي بالبقاء في بغداد .

تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٧ ـ ٧٧

٢٩٧ ـ رسالة من طاهر إلى هرثمة لما التقى الإثنان الحصار على بغداد يعجزه فيها ويحرضه على الحرب :

وصل إلى طاهر خبر مفاده أن هرثمة يتباطأ في الحصار فأرسل إليه يقول:

جمعت الأجناد وأتلفت الأموال وأقطعتها دون أمير المؤمنين ودوني وفي مثل حاجتي إلى الكلف والنفقات، وقد وقفت على قوم هينة شوكتهم، يسير أمرهم وقوف المحجم الهائب، إن في ذلك جرماً . فاستعد للدخول فقد أحكمت الأمر على دفع العسكر وقطع الجسور، وأرجو ألا يختلف عليك في ذلك اثنان إن شاء الله .

٢٩٨ - جواب هرثمة لطاهر :

أنا عارف ببركة رأيك ويمن مشورتك فربما أحببت فلن أخالفك.

تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٧، ٧١ ـ ٧٢

٢٩٩ - رسالة من الأمين إلى طاهر أثناء حصاره بغداد يخوفه من أخيه ويحاول الإيقاع بينهما :

يا طاهر : ما قام لنا منذ قمنا قائم بحقنا فكان جزاؤه عندنا إلا السيف ، فانظر لنفسك أو دع .

٣٠٠ - رسالة ثانية من الأمين إلى طاهر لما خذله أنصاره وأدرك أنه مغلوب يعرض عليه فيها أن يمنحه أماناً حتى يستسلم له ويرسله إلى أخيه المأمون يرى رأيه فيه :

من عبد الله محمد أمير المؤمنين الى طاهر بن الحسين ، سلام عليك أما بعد : فإن الأمر قد خرج بيني وبين أخي الى هتك الستور وكشف الحرم، ولست آمن أن يطمع في هذا الأمر السحيق البعيد لشتات ألفتنا واختلاف كلمتنا . وقد رضيت أن تكتب لي أماناً لأخرج الى أخي ، فإن تفضل علي فأهل لذلك ،وإن قتلني فمروة كسرت مروة وصمصامة قطعت صمصامة ، ولإن يفترسني السبع أحب الي من أن ينبحني الكلب[1] .

تاريخ الخلفاء للسيوطي ٣٠٠ - ٣٠٥

٣٠١ - رسالة من هرثمة إلى الأمين يوافق على عرض الأمين عليه أن يسلم نفسه له ليصلح شأنه مع أخيه المأمون :

قد كان ينبغي لك أن تدعو الى ذلك قبل تفاقم الأمر ، فإما الآن فقد بلغ

---

(١) ذكر المسعودي في مروج الذهب ج٣ ٤٠٤-٥٠٨ نصين مشابهين بعض المشابهة لما ذكره السيوطي ، والجدير بالذكر أن الرسالة الاولى ترد في صفحة ٣٠٠ من السيوطي والثانية في الصفحة ٣٠٥ .

السيل الزبى وشغل الحَلْي أهله أن يمار . ومع ذلك فإني مجتهد في إصلاح أمرك فصر اليّ ليلاً لأكتب بصورة أمرك الى أمير المؤمنين وآخذ لك عهداً وثيقاً ، ولست آلوجهداً واجتهاداً في كل ما عاد بصلاح حالك وقربك الى أمير المؤمنين.

الاخبار الطوال لابي حنيفة الدنيوري ص ٤٠٠

٣٠٢ – رسالة من هرثمة إلى الأمين يطلب منه فيها أن لايخرج للقائه في الموعد المحدد والمكان المحدد لأن هرثمة علم أن الأمر قد افتضح وإن طاهراً بث أرصاده وعيونه وقواته في المكان المحدد فخاف هرثمة ألا يقوى على حفظ الأمين فأرسل اليه ألا يخرج :

وافيت الميعاد لأحملك ، ولكنني أرى أن لا تخرج الليلة فإني قد رأيت على الشط أمراً قد رابني ، وأخاف أن أغلب وتؤخذ من يدي وتذهب نفسك ونفسي ، فأقم الليلة حتى استعد وآتيك الليلة القادمة ، فإن حوربت حاربت دونك .

٣٠٣ – رسالة شفوية من الأمين لهرثمة يرفض طلبه ويصر على الحضور في الوقت المحدد .

ارجع إليه وقل له لا يبرح فإني خارج إليه الساعة لا محالة ، ولست اقيم إلى غد .

الكامل في التاريخ لابن الأثير حـ ٦ – ٢٨٥

٣٠٤ – رسالة طاهر إلى المأمون يبشره باحتلال بغداد وقتل الأمين :

أما بعد : فالحمد لله المتعالى ذي العزة والجلال والملك والسلطان الذي إذا أراد أمراً فإنما يقول له كن فيكون لا إله إلا هو الرحمن الرحيم . كان فيما قدر الله فأحكم ودبر فأبرم انتكاث المخلوع ببيعته وانتقاضه بعهده وارتكاسه في

فتنته وقضاؤه عليه القتل بما كسبت يداه وما الله بظلام للعبيد . وقد كتبت إلى أمير المؤمنين – أطال الله بقاءه – في إحاطة جند الله بالمدينة والخلد وأخذهم بأفواهها وطرقها ومسالكها في دجلة نواحي أزقة مدينة السلام ، وانتظام المسالح حواليها وحدرى السفن والزواريق بالعرادات والمقاتلة إلى ماواجه الخلد وباب خراسان تحفظاً بالمخلوع وتخوفاً أن يروغ مراغاً ويسلك مسلكاً يجد به السبيل إلى إثارة فتنة وإحياء ثائرة أو يهايج قتالاً بعد أن حصره الله عز وجل وخذله ، ومتابعة الرسل بما يعرض عليه هرثمة بن أعين مولى أمير المؤمنين ويسألني من تخلية الطريق له في الخروج اليه واجتماعي وهرثمة ابن أعين لنتناظر في ذلك وكراهتي ما أحدث وراءه من أمره بعد إرهاق الله اياه وقطعه رجاءه من كل حيلة ومتعلق وانقطاع المنافع عنه وحيل بينه وبين الماء فضلاً عن غيره حتى هم بـه خدمه واشياعه من أهل المدينة ومن نجا معه إليها وتحزبوا على الوثوب به للدفع عن انفسهم والنجاة بها وغير ذلك مما فسرت لأمير المؤمنين – أطال الله بقاءه – فما أرجو أن يكون قد أتاه . وأني اخبر امير المؤمنين إني رويت فيما دبر هرثمة بن أعين مولى أمير المؤمنين في المخلوع وما عرض عليه وما أجابه إليه فوجدت الفتنة في تخلصه من موضعه الذي قد أنزله الله فيه بالذلة والصغار وصيره فيه إلى الضيق والحصار تزداد ، ولا يزيد أهل التربص في الأطراف إلا طمعاً وانتشاراً ، وأعلمت ذلك هرثمة بن أعين كراهتي ما أطمعه فيه وأجابه إليه ، فذكر أنه لا يرى الرجوع عما أعطاه ، فصادرته ، بعد يأس من انصرافه عن رأيه ، على أن يقدم المخلوع رداء رسول الله ﷺ وسيفه وقضيبه قبل خروجه ، ثم أخلي له طريق الخروج إليه كراهة أن يكون بيني وبينه اختلاف نصير منه إلى أمر يطمع الأعداء فينا ، أو فراق القلوب بخلاف ما نحن عليه من الائتلاف والإتفاق على ذلك ، وعلى أن نجتمع لميعادنا عشية السبت ، فتوجهت في خاصة ثقاتي الذين اعتمدت عليهم واثق بهم

بربط الجأش وصدق البأس وصحة المناصحة حتى طالعت جميع أمر من كُنت وكلت بالمدينة والخلد براً وبحراً والتقدمة إليهم في التحفظ والتيقظ والحراسة والحذر ، ثم انكفأت إلى باب خراسان ، وكنت أُعددت حراقات وسفناً سوى العدة التي كانت لأركبها بنفسي لوقت ميعادي بيني وبين هرثمة فنزلتها في عـدة ممن ركب معي من خاصة ثقاتي وشاكريتي وصيرت عـدة منهم فرساناً ورجالة بين باب خراسان والمشرعة على الشط . وأقبل هرثمة بن أعين حتى صار بقرب باب خراسان معداً مستعداً ، وقد خاتلني بالرسالة إلى المخلوع إلى ان يخرج إليـه إذا وافى المشرعة ليحمله قبل أن أعلم أو يبعث إلي بالرداء والسيف والقضيب على ما كان فارقني عليه من ذلك . فلما وافى خروج المخلوع على من وكلت بباب خراسان نهضوا عند طلوعه عليهم ليعرفوا الطابع لأمري كان أتاهم وتقدمي إليهم ألا يدعوا أحـداً يجوزهم إلا بأمري ، فبادرهم نحو المشرعة وقرب هرثمـة إليه الحراقة فسبق الناكث أصحابي اليها وتأخر كوثر فظفر بـه قريش مولاي ومعـه الرداء والقضيب والسيف ، فأخذه ومـا معه . فنفر أصحاب المخلوع عندما رأوا من إرادة أصحابي منع مخلوعهم من الخروج فبادر بعضهم حراقة هرثمة فتكفأت بهم حتى أغرقت في المـاء ورسبت فانصرف بعضهم إلى المدينة ورمى المخلوع عند ذلك بنفسه من الحراقة في دجلة متخلصاً الى الشط نادماً على ما كان من خروجه ناقضاً للعهد داعيـاً بشعاره فابتدره عدة من أوليائي الذين كنت وكلتهم بما بين مشرعة باب خراسان وركن الصراة فأخذوه عنوة وقهراً بلا عهد ولا عقد ، فدعا بشعاره وعاذ في نكثه فعرض عليها مائـة حبة ذكر أن قيمة كل حبة مائةالف درهم فأبوا إلا الوفاء لخليفتهم ـ أبقاه الله ـ وصيانةلدينهم وإيثاراً للحق الواجب عليهم فتعلقوا بـه قد أسلمه الله وأفرده كل يرغبه ويريد أن يفوز بالحظوة عندي دون صاحبه حتى اضطربوا فيما بينهم وتناولوه بأسيافهم منازعة فيه وتشاحاً عليه إلى أن أتيح له ـ مغيظاً لله ودينه ورسوله وخليفته ـ

فأتى عليه . وأتاني الخبر بذلك فأمرت بحمل رأسه إلي ، فلما أُتيت به تقدمت إلى من كنت وكلت بالمدينة والخلد وما حولهـــا وسائر من في المسالح في لزوم مواضعهم والاحتفاظ بما يليهم إلى أن يأتيهم أمري ، ثم انصرفت . فأعظم الله لأمير المؤمنين الصنع والفتح عليه وعلى الإسلام بـــه وفيه . فلما أصبحت هاج الناس واختلفوا في المخلوع فمصدق بقتله ومكذب وشاك وموقن فرأيت أن أطرح عنهم الشبهة في أمره فمضيت برأسه لينظروا إليـــه فيصح بعينهم وينقطع بذلك بَعَلُ قلوبهم ودخل النيـــات المستشرفين للفساد والمستوفزين للفتنة .
وغدوت نحو المدينة فاستسلم من فيها وأعطى أهلها الطاعة واستقام لأمير المؤمنين شرقي ما يلي مدينة السلام وغربيه وأرباعه وأرباضه ونواحيه ، وقـــد وضعت الحرب أوزارها وتلاقى بالسلام والإسلام أهله وبعـد الله الدغل عنهم وأصارهم ببركة أمير المؤمنين إلى الأمن والسكون والدعة والاستقامة والاغتباط والصنع من الله عز وجل والخيرة ، والحمـــد لله على ذلك . فكتبت إلى أمير المؤمنين ـ حفظه الله ـ وليس قبلي داعٍ إلى فتنة ولا متحرك ولا ساعٍ في فساده ولا أحد إلا سامع مطيع باخع حاضر قد أذاقه الله حلاوة أمير المؤمنين ودعة ولايته فهو يتقلب في ظلها يغدو في متجره ويروح في معايشه ، والله ولي ما صنع من ذلك والمتمم له والمان بالزيادة فيه برحمته . وأنا أسأل الله أن يهنيء أمير المؤمنين نعمته ويتابع له فيها مزيده ويوزعه عليها شكره وأن يجعل منته لديه متواليا دائمـــا متواصلا حتى يجمع الله له خير الدنيا والآخرة ولأوليائـــه وأنصار حقه ولجماعة المسلمين ببركته وبركة ولايته ويمن خلافته إنـــه ولي ذلك منهم وفيه إنه سميع لطيف لما يشاء . وكتب يوم الأحد لأربع بقين من المحرم سنة ١٩٨ هـ .

تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٧ – ٨٦ – ٨٩

٣٠٥ - رسالة أحمد بن يوسف إلى المأمون يخبره فيهـــا بقتل الأمين ويهنئه بذلك :

أما بعد : فإن المخلوع كان قسيم أمير المؤمنين في النسب واللحمة، وقدفرق الله بينه وبينه في الولاية والحرمة بمفارقته عصم الدين وخروجه من الأمرالجامع للمسلمين ، يقول الله عز وجل حين اقتص علينا نبأ ابن نوح : إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح[1] . فـلا طاعة لأحد في معصية الله ، ولا قطيعة إذا كانت القطيعة في جنب الله . وكتابي إلى أمير المؤمنين وقـــد قتل الله المخلوع ورداه رداء نكثه وأحصد لأمير المؤمنين أمره، وأنجز له وعده وما ينتظر من صادق وعده حين رد به الألفة بعد فرقتها وجمع الأمة بعد شتاتها وأحيا به أعلام الإسلام بعد دروسها[2] .

تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٧ - ١٠١

٣٠٦ - رسالة طاهر بن الحسين الى إبراهيم بن المهدي لما احتل بغداد وقد بلغه عنه أشياء كثيرة :

أما بعد : فإنه عزيز علي أن أكتب إلى رجل من أهل بيت الخلافـــة بغير التأمير ، ولكنه بلغني إنك تميـــل بالرأي وتصغي بالهوى إلى الناكث المخلوع ، فإن كان كذلك فكثير ما كتبت بـه إليك ، وإن كان غير ذلك فالسلام عليك ورحمة الله وبركاته[3] .

تجارب الأمم لابن مسكويه جـ ٦ - ٤١٦

---

(١) سورة هود ، الآية ٤٦ .

(٢) ورد نص هذه الرسالة بشكل مشابه كل المشابهة لنصنا، مع وجود بعض الخلافات اليسيرة ، في كل من تجارب الامم لابن مسكويه حـ٦ - ٤١٨ واليعقوبي حـ٢-٤٤٢ على أنها رسالة طاهر الى المأمون يبشره بقتل الأمين وهي من انشاء أحمد بن يوسف .

(٣) ورد نص هذه الرسالة مع شيء من الاختلاف ، في كل من الطبري جـ٧ ٩٠-٩١ وابن الاثير حـ٦ - ٢٨٨ ، ويذكران ان هذه الرسالة وجهت للمعتصم، وهما أيضاً يقولان أنه قيل أنها وجهت لابراهيم بن المهدي .

٣٠٧ ـ رسالة السيدة زبيدة أم الأمين إلى المأمون لما قتل ابنها :

لخير إمام قـــام من خير عنصر ... وأفضل راقٍ فوق أعـواد منبر
ووارث علم الأولين وفخرهم ... وللملك المأمون من أم جعفر
كتبت وعيني تستهل دموعهـــا ... إليك ابن عمي من جفوني ومحجري
أصبت بأدنى الناس منك قرابة ... ومن زال عن كبدي فقل تصبري
أتى طاهر ، لا طهر الله طاهراً ... وما طـــاهر في فعله بمطهر
فأبرزني مكشوفة الوجه حاسراً ... وأنهب أموالي وأخرب أدوري
يعز على هارون ما قـــد لقيته ... وما نالني من ناقص الخلق أعور
فإن كان ما أسدى لأمر أمرته ... صبرت لأمر من قـــدير مقدر

مروج الذهب للمسعودي ج ٣ ـ ٤٢٤



عبد الله المأمون

١٩٨ - ٢١٨ هـ / ٨١٣ - ٨٣٣ م

- الخطب -

- خطب المأمون -

٣٠٨ - خطبة المأمون يوم جمعة :

الحمد لله مستخلص الحمد لنفسه ومستوجبه على خلقه ، أحمده وأستعينه وأوصي به وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدي ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . أوصيكم عباد الله بتقوى الله وحده والعمل لما عنده والخوف لوعيده فإنه لا يسلم إلا من اتقاه ورجاه وعمل له وأرضاه. فاتقوا الله عباد الله وبادروا آجالكم بأعمالكم وابتاعوا مايبقى بما يزول عنكم ، وترحلوا فقد جد بكم ، واستعدوا للموت فقد أظلكم ، وكونوا قوماً صيح بهم فانتبهوا وعلموا أن الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا، فإن الله لم يخلقكم عبثاً ولم يترككم سدى ، وما بين أحدكم وبين الجنة والنار إلا الموت أن ينزل به ، وإن غاية تنقضها اللحظة تهدمها الساعة الواحدة لجديرة بقصر المدة . وإن غائباً يحدوه الجديدان الليل والنهار لحري بسرعة الأوبة ، وإن قادماً يحل بالفوز أو الشقوة لمستحق لأفضل العدة ، فاتقى عبد ربه ونصح نفسه وقدم توبته وغلب شهوته ، فإن أجله مستور عنه ، وأمله خادع له ، والشيطان موكل به يزين له المعصية ليركبها ويمنيه ليسوفها حتى تهجم عليه منيته أغفل مايكون عنها فيالها حسرة على ذي غفلة : أن

يكون عمره حجة عليه أو تؤديه أيامــه إلى شقوة . نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن لا تبطره نعمة ولا تقصر به عن طاعته غفلة ، ولا يحل به بعد الموت فزعــة إنه سميع الدعاء وبيده الخير إنه فعال لما يريد .

عيون الأخبار لابن قتيبة ج٢ ٢٥٣ - ٢٥٤

٣٠٩ - خطبة المأمون يوم عيد الفطر بعد التكبير الأول :

إن يومكم هذا يوم عيد وسنة وابتهال ورغبة ، يوم ختم الله به صيام شهر رمضان وافتتح به حج بيته الحرام فجعله خاتمــة الشهر وأول أيام شهور الحج وجعله معقباً لمفروض صيامكم ومتنفل قيامكم ، أحل فيه الطعام لكم وحرم فيه الصيام عليكم ، فاطلبوا إلى الله حوائجكم واستغفروه لتفريطكم فإنــه يقال : لا كبير مع استغفار ولا صغير مع إصرار . ثم قال :

فاتقوا الله عباد الله وبادروا الأمر الذي اعتــدل فيه يقينكم ، ولم يحتضر الشك فيه أحداً منكم وهو الموت المكتوب عليكم فإنه لا تستقال بعده عثرة ولا تحظر بعده توبة . واعلموا أنه لا شيء قبله إلا دونه، ولا شيء بعده إلا فوقه ولا يعين على أحد جزعه وعلَزه وكربه ، ولا يعين على القبر وظلمته وضيقــه ووحشته وهول مطلعه ومسألة ملائكته إلا العمل الصالح الذي أمر الله بــه ، فمن زلت عند الموت قدمه فقد ظهرت ندامته وفاتته استقالته ودعا من الرجعة إلا ما لا يجاب إليه ، وبذل من الفدية ما لا يقبل منه . فالله الله عباد الله! وكونوا قوماً سألوا الرجعة فأعطوها إذ منعها الذين طلبوها ، فإنه ليس يتمنى المتقدمون قبلكم إلا هذا المهل المبسوط لكم . واحذروا ما حــذركم الله . واتقوا اليوم الذي يجمعكم الله فيه لوضع موازينكم ، ونشر صحفكم الحافظة لأعمالكم ، فلينظر عبد ما يضع في ميزانه مما يثقل به ، وما يملّ في صحيفته الحافظة لما عليه وله . فقد حكى الله لكم ما قال المفرطون إذ طال إعراضهم عنها . قال : ووضع

الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ... الآية [1] . وقال : ونضع الموازين القسط ليوم القيامة [2] . ولست أنهاكم عن الدنيا بأعظم مما نهتكم الدنيا عن نفسها . فإنه كل مافيها يدعو إلى غيرها . وأعظم مما رأته أعينكم من عجائبها ذم كتاب الله لها ونهى الله عنها ، فإنه يقول : فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور [3] . وقال : إنما الحياة الدنيا لعب ولهو ... الآية . فانتفعوا بمعرفتكم بها وبإخبار الله عنها، واعلموا أن قوماً من عباد الله أدركتهم عصمة الله فحذروا مصارعها وجانبوا خدائعها وآثروا طاعة الله فيها، فأدركوا الجنة بما تركوا منها .

عيون الأخبار لابن قتيبة ج٢ ٢٥٥ ـ ٢٥٦

٣١٠ ـ خطبة المأمون يوم عيد الأضحى بعد التكبير الأول :

إن يومكم هذا يوم أبان الله فضله وأوجب تشريفه وعظم حرمته ووفق له من خلقه صفوته وابتلى فيه خليله ، وفدى فيه من الذبح نبيه ، وجعله خاتم الأيام المعلومات من العشر ومتقدم الأيام المعدودات من النفر ، يوم حرام من أيام عظام في شهر حرام ، يوم الحج الأكبر ، يوم دعا الله إلى مشهده ونزل القرآن بتعظيمه . قال الله عز وجل : وأذن في الناس بالحج.. الآية [4] . فتقربوا إلى الله في هذا اليوم بذبائحكم وعظموا شعائر الله واجعلوها من طيب أموالكم وبصحة التقوى من قلوبكم فإنه يقول : لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم .. [5] ثم قال بعد ذكر الجنة والنار .

---

(١) سورة الكهف : الآية ٤٩ .

(٢) سورة الأنبياء ، الاية ٤٧ .

(٣) سورة لقمان ، الآية ٣٣ .

(٤) سورة الحج ، الآية ٢٧ .

(٥) سورة الحج ، الآية ٣٧ .

عظم قدر الدارين وارتفع جزاء العملين وطالت مدة الفريقين . الله الله !
فوالله إنه الجد لا اللعب، وإنه الحق لا الكذب، وما هو إلا الموت والبعث والميزان والحساب والقصاص والصراط ثم العقاب والثواب، فمن نجا يومئذ فقد فاز، ومن هوى يومئذ فقد خاب . الخير كله في الجنة والشر كله في النار [1] .

عيون الأخبار لابن قتيبة ج٢ ـ ٢٥٤

ـ خطب ولاة المأمون ـ

٣١١ ـ خطبة طاهر بن الحسين بعد أن افتتح مدينة السلام واستتب الامر فيها :

احضر جماعة من بني هاشم والقواد وغيرهم فقال :

الحمـــد لله مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ولا يصلح عمل المفسدين ولا يهدي كيد الخائنين. إن ظهور غلبتنا لم يكن من أيدينا ولا كيدنا ، بل اختـــار الله لخلافته ـ إذ جعلها عموداً لدينه وقواماً لعباده ـ من يستقل بأعبائها ويضطلع بحملها .

العقد الفريد لابن عبد ربه ج٤ ـ ١٢٤

٣١٢ ـ خطبة عبد الله بن طاهر وقد تيسر لحروب الخوارج :

إنكم فئة الله المجاهدون عن حقه الذابون عن دينه الذائدون عن محــــارمه الداعون إلى ما أمر به من الاعتصام بحبله والطاعة لولاة أمره الذين جعلهم رعاة الدين ونظـام المسلمين ، فاستنجزوا موعود الله ونصره بمجاهـدة عدوه وأهل

---

(١) يورد ابن عبد ربه نصوص هذه الخطب جـ٤ ١٠٤-١٠٧ مع شيء من الاختلاف، ويورد ابن كثير جـ١٠-٢٧٦ المقطع الاخير من الخطبة الأخيرة من مبـــدأ : عظم قدر الدارين.. مع شيء من الاختلاف ، على انها خطبة المأمون يوم عيد .

معصيته الذين أشروا وتمردوا وشقوا العصا وفارقوا الجماعـة ومرقوا من الدين وسعوا في الأرض فساداً فإنه يقول تبارك وتعـالى : إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم [1] . فليكن الصبر معقلكم الذي إليه تلجأون وعـدتكم التي تستظهرون ، فإنه الوزر المنيع الذي دلكم الله عليه، والجنة الحصينه التي أمركم الله بلباسها. غضوا أبصاركم واخفتوا أصواتكم وامضوا قدماً على بصائركم فارغين إلى الله والاستعانة به كما أمركم الله فإنه يقول : إذا لقيتم فئـة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون [2] . أيدكم الله بعز الصبر ووليكم بالحياطة والنصر .

العقد الفريد لابن عبد ربه ج٤ ١٢٤ – ١٢٥

٣١٣ ـ خطبة طـــاهر بن الحسين لما أسقط اسم الخليفة إشعاراً بالاستقلال عن المأمون :

كان طاهر والياً لخراسان فأراد الاستقلال فأسقط ذكر الخليفة إذ انـه لمـا وصل إلى ذكره أمسك عن الدعاء له وقـال : اللهم أصلح أمة محمد ﷺ بما أصلحت به أولياءك . واكفها مؤونة من بغى فيها وحسد عليها من لم الشعث وحقن الدماء وإصلاح ذات البين .

تاريخ بغداد لابن طيفور ج٦ – ٧٤

٣١٤ ـ خطبة سهل بن هارون بين يدي المأمون :

كان المأمون يستثقل سهل بن هارون فدخل عليه سهل يوماً والناس عنده على منازلهم فتكلم المأمون بكلام ذهب فيه كل مذهب . فلما فرغ المأمون من كلامه أقبل سهل بن هارون على ذلك الجمع فقال :

---

(١) سورة محمد ، الآية ٧ .
(٢) سورة الأنفال ، الآية ٤٥ .

مالكم تسمعون ولا تعون ، وتشاهدون ولا تفهمون ، وتنظرون ولا تبصرون ! والله إنه ليفعل ويقول في اليوم القصير مثل مافعل بنو مروان وقالوا في الدهر الطويل . عربكم كعجمهم وعجمكم كعبيدهم . ولكن كيف يعرف الدواء من لا يشعر بالداء ! ؟

البيان والتبيين للجاحظ ج ١ ٣٣٢ - ٣٣٣

٣١٥ - خطبة علي الرضا لما أخذ له العهد بعد المأمون :

طلب المأمون من علي الرضا أن يتكلم بعد أن جعله ولي عهده فقال :
إن لنا عليكم حقاً برسول الله ﷺ وآله ، ولكم علينا حق به ، فإذا أديتم الينا ذلك وجب علينا الحق لكم .

مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني ص ٥٦٤

٣١٦ - خطبة والي المدينة يدعو الناس إلى بيعة علي الرضا بعد المأمون وذلك بأمر المأمون :

يا أيها الناس ، هذا الأمر الذي كنتم فيه ترغبون ، والعدل الذي كنتم تنتظرون ، والخير الذي كنتم ترجون . هذا علي بن موسى بن جعفر بن محمد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب .

ستة آباء هم ما هم — من خير من يشرب صوب الغمام[1]

العقد الفريد لابن عبد ربه ج٥ - ١٠١

---

(١) ورد نص هذه الخطبة بشكل مختلف بعض الاختلاف في مقاتل الطالبين ص٥٦٥ .

ـ المأمون والعلويون ـ

٣١٧ ـ خطبة شخص يظن أنه أبو السرايا قبل خروجه بأيام يحرض الناس على الانضمام الى محمد بن إبراهيم العلوي :

صح عزم أبي السرايا على الخروج والدعوة لمحمد بن ابراهيم المعروف بابن طباطبا العلوي فقصد قبر الحسين وطاف بـه مع فرسانه وخطب الناس هناك خطبة طويلة ذكر فيها فضل أهل البيت وذكر الحسين بن علي فقال :

أيها الناس : هبكم لم تحضروا الحسين فتنصروه فما يقعدكم عمن أدركتموه ولحقتموه؟ وهو غداً خارج طالب بثأره وحقه وتراث آبائه وإقامة دين الله . وما يمنعكم من نصره ومؤازرتـه ؟ إني خارج من وجهي هذا إلى الكوفة للقيام بأمر الله والذب عن دينه والنصر لأهل بيته فمن كان له نية في ذلك فليلحق بي .

مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني ص ٥٢٢ ـ ٥٢٣

٣١٨ ـ خطبة أبي السرايا لما خرج في الكوفة :

يا أهل الكوفة: صححوا نياتكم وأخلصوا لله ضمائركم واستنصروه على عدوكم وابرأوا إليه من حولكم وقوتكم، واقرأوا القرآن، ومن كان يروي الشعر فلينشد شعر عنترة العبسي .

٣١٩ ـ خطبة الحسن بن هذيل من أصحاب أبي السرايا في أهل الكوفة يحثهم على القتال :

يا معشر الزيدية . هذا موقف تستزل فيه الأقدام وتزايل فيه الأفعال ، والسعيد من حاط دينه ، والرشيد من وفى لله بعهده وحفظ محمداً في عترته .

ألا إن الآجال موقوتـة والأيام معدودة ، من هرب بنفسه من الموت كان الموت محيطاً به . ثم قال :

من لم يمت عبطة يمت هرمـاً ... الموت كأس والمرء ذائقها

مقاتل الطالبيين لابي الفرج الاصفهاني ص ٥٢٧

٣٢٠ خطبة أبي السرايا في الناس يعلمهم موت محمـــد بن ابراهيم ووصيتـــه :

قد أوصى أبو عبد الله ـ يقصد محمـد بن ابراهيم ـ رحمة الله عليه إلى شبيهه ومن اختاره وهو أبو الحسن علي بن عبد الله ، فإن رضيتم بـه فهو الرضا وإلا فاختاروا لأنفسكم .

فوثب محمد بن محمد بن زيد فقال :

يا آل علي : فات الهالك النجا وبقي الثاني بكرمـــه : إن دين الله لاينصر بالفشل ، وليست يد هذا الرجل عندنا بسيئة وقد شفى الغليل وأدرك الثأر ، ثم التفت إلى علي بن عبد الله فقال : ما تقول يا أبا الحسن رضي الله عنك فقد وصانا بك ، امدد يدك أبايعك . فحمد الله وأثني عليه ثم قال:

إن أبا عبيدة ، رحمة الله عليه ، قـد اختار فلم يعد الثقة في نفسه ولم يأل جهداً في حق الله الذي قلده،وما أرد وصيته تهاوناً بأمره، ولا أدع هذا نكولاً عنه ، ولكن أتخوف أن اشتغل به عن غيره مما هو أحمد وأفضل عاقبة، فامض رحمك الله لأمرك واجمع شمل ابن عمك فقـد قلدناك الرياسة علينا وأنت الرضا عندنا ، والثقة بأنفسنا .

مقاتل الطالبيين لابي الفرج الاصفهاني ص ٥٣٢ — ٥٣٣

٣٢١ ـ خطبة أبي السرايا في أهل الكوفة وذلك بعـد أن امتنعوا عن القتال معه أثناء معركة دارت رحاها بينه وبين هرثمة بن أعين قائد المأمون الذي تمكن من جعل أهل الكوفة الذين كانوا يحاربون مع أبي السرايا يقفون على الحياد بما أنقذ هرثمة من هزيمة محققة. وقد أثار ذلك غضب أبي السرايا فخطب في أهل الكوفة بما يلي :

يا أهل الكوفة ، يا قتلة علي ويا خذلة الحسين : إن المغتر بكم لمغرور ، وإن

المعتمد على نصركم لمخذول ، وإن الذليل لمن أعززتموه . والله ما حمد على أمركم فنحمده ولا رضي مذهبكم فنرضى به، ولقد حكمكم فحكمتم عليه وأئتمنكم فخنتم أمانته ، ووثق بكم فحلتم عن ثقته، ثم لم تنفكوا عليه مختلفين ولطاعته ناكثين ، إن قام قعدتم ، وإن قعد قمتم ، وإن تقدم تأخرتم وإن تـأخر تقدمتم خلافاً عليه وعصياناً لأمره حتى سبقت فيكم دعوته وخذلكم الله بخذلانكم إياه. أي عذر لكم في الهرب عن عدوكم والنكول عمن لقيتم وقد عبروا خندقكم وعلوا قبائلكم ينتهبون أموالكم ويستحيون حريمكم ؟ هيهات ! لا عذر لكم إلا العجز والمهانة والرضا بالصغار والذلة . وإنما أنتم كفيء الظل تهزمكم الطبول بأصواتها ويملأ قلوبكم الحرق بسوادها . أما والله لاستبدلن بكم قوماً يعرفون الله حق معرفته ويحفظون محمداً في عترته .

ثم قال :

ومارست أقطار البلاد فلم أجد	لكم شبهاً فيها وطئت من الارض
خلافاً وجهلاً وانتشار عزيمة	ووهناً وعجزاً في الشدائد والخفض
لقد سبقت فيكم إلى الحشر دعوة	فلا عنكم راض ولا فيكم مرضي
سأبعد داري من قلي عن دياركم	فذوقوا إذا وليت عاقبة البغض

ثم تركهم وذهب إلى القادسية فأخذوا الأمان من هرثمة ودخلوا في طاعته.

مقاتل الطالبيين لابي الفرج الاصفهاني ص ٥٤٥

٣٢٢ - خطبة محمد بن جعفر العلوي في مكة يخلع نفسه من الخلافة :

ثار الطالبيون في مكة لما ثار أبو السرايا في العراق وخلعوا المأمون ونصبوا عوضاً عنه خليفة محمد بن جعفر . ولما تغلب المأمون على أبي السرايا أرسل جيشاً إلى مكة فاحتلها وقبض على محمد بن جعفر الذي أعلن استعداده لخلع نفسه علناً من الخلافة وأن يبايع الناس للمأمون . فاجتمع الناس في المسجد الحرام وقام محمد بن جعفر خطيباً فقال :

أيها الناس : من عرفني قد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا محمد بن جعفر بن علي ابن حسين بن علي بن أبي طالب . فإنه كان لعبد الله عبد الله أمير المؤمنين في رقبتي بيعة بالسمع والطاعة طائعاً غير مكره ، وكنت أحد الشهود الذين شهدوا في الكعبة في الشرطين لهارون الرشيد على ابنيه محمد المخلوع وعبد الله المأمون أمير المؤمنين ألا وقد كانت فتنة غشيت عامة الأرض منا ومن غيرنا ، وكان نمي إلي خبر أن عبد الله عبد الله المأمون أمير المؤمنين كان توفي فدعاني ذلك إلى أن بايعوا إلي بأمرة المؤمنين واستحللت قبول ذلك لما كان علي من العهود والمواثيق في بيعتي لعبد الله عبد الله الإمام المأمون ، فبايعتموني أو من فعل منكم ، ألا وقد بلغني وصح عندي أنه حي سوي ، ألا وإني أستغفر الله مما دعوتكم إليه من البيعة ، وقد خلعت نفسي من بيعتي التي بايعتموني عليها كما خلعت خاتمي هذا من أصبعي وقد صرت كرجل من المسلمين فلا بيعة لي في رقابهم ، وقد أخرجت نفسي من ذلك ، وقد رد الله الحق إلى الخليفة المأمون عبد الله عبد الله المأمون أمير المؤمنين ، والحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد خاتم النبيين والسلام عليكم أيها المسلمون .

تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٧ ١٢٧ - ١٢٨

٣٢٣ – نداء أذاعه المأمون ضد معاوية وذلك أنه أمر منادياً أن ينادي بالناس ضد معاوية سنة ٢١١ هـ بما يلي :

برئت الذمة ممن ذكر معاوية بخير أو فضله على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ .

الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٦ ـ ٤٠٦

٣٢٤ ـ وصية المأمون لما احتضر لأخيه وابنه أمام القواد والقضاة:

هـــذا ما شهد عليه عبد الله بن هارون أمير المؤمنين بحضرة من حضره أشهدهم جميعاً على نفسه أنه يشهد ومن حضره أن الله عز وجل وحده لاشريك له في ملكه ، ولا مدبر لأمره غيره ، وأنه خالق وما سواه مخلوق ، ولا يخلو القرآن أن يكون شيئاً له مثل ، ولا شيء مثله تبارك وتعالى ، وإن الموت حق والبعث حق والحساب حــق ، وثواب المحسن الجنة ، وعقاب المسيء النــار ، وأن محمداً ﷺ قد بلغ عن ربه شرائع دينه وأدى نصحيته إلى أمته حتى قبضه الله إليه صلى الله عليه أفضل صلاة صلاها على أحد من ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين ، وإني مقر مذنب أرجو وأخاف ، إلا إني إذا ذكرت عفــو الله رجوت ، فإذا أنامت فوجهوني وغمضوني وأسبغوا وضوئي وطهوري وأجيدوا كفني ثم أكثروا حمــد الله على الإسلام ومعرفة حقه عليكم في محمد إذ جعلنا من أمته المرحومة ، ثم اضجعوني على سريري ثم عجلوا لي ، فــإذا أنتم وضعتموني للصلاة فليتقدم بها من هو أقربكم بي نسباً وأكبركم سناً فليكبر خمساً خمساً يبدأ في الأولى في أولها بالحمــد لله والثناء عليه والصلاة على سيدي وسيد المرسلين جميعا ، ثم الدعاء للمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات ثم الدعاء للذين سبقونا بالإيمان ، ثم ليكبر الرابعة فيحمد الله ويهلله ويكبره ويسلم في الخامسة ثم أقلوني فابلغوا بي حفرتي ، ثم لينزل أقربكم إلي قرابة وأودكم محبة وأكثروا من حمد الله وذكره ثم ضعوني على شقي الأيمن واستقبلوا بي القبلة وحلوا كفني عن رأسي ورجلي ثم سدوا اللحد باللبن واحثوا تراباً علي واخرجوا عـــني وخلوني وعملي ، فكلكم لا يغني عني شيئاً ولا يدفع عني مكروها ، ثم قفــوا بأجمعكم فقولوا خيراً إن علمتم وأمسكوا عن ذكر شر إن كنتم عرفتم ، فــإني

مأخوذ من بينكم بما تقولون وبما تلفظون بـه ولا تدعوا باكية عندي فإن المعول عليه يعذب . رحم الله امرءاً اتعظ وفكر فيما حتم الله على جميع خلقه من الفناء وقضى عليهم من الموت الذي لا بد منه . فالحمد لله الذي توحد بالبقاء وقضى على جميع خلقه بالفناء ، ثم لينظر ما كنت فيه من عز الخلافة هل اغنى ذلك عني شيئاً إذ جاء أمر الله ؟ لا والله . ولكن أضعف علي به الحساب ، فيا ليت عبد الله بن هارون لم يكن بشراً ، بـل ليته لم يكن خلقاً . يا أبا اسحاق : ادن مني واتعظ بما ترى وخـذ بسيرة أخيك في القرآن واعمل في الخلافة إذا طوقكها الله عمل المريد لله الخائف من عقابه وعذابه ، ولا تغتر بالله ومهلته ، فكأن قد نزل بك الموت ، ولا تغفل أمر الرعية . الرعية الرعية ، العوام العوام ! فإن الملك بهم وبتعهدك المسلمين والمنفعة لهم ، الله الله فيهم وفي غيرهم من المسلمين ، ولا يُنْهَيَنّ إليك أمر فيه صلاح للمسلمين ومنفعة لهم إلا قدمته وآثرته على غيره من هواك ، وخذ من أقويائهم لضعفائهم ولا تحمل عليهم في شيء وانصف بعضهم من بعض بالحق بينهم وقربهم وتأنهم وعجل الرحلة عني والقدوم إلى دار ملكك بالعراق . وانظر هؤلاء القوم الذين أنت بساحتهم فـلا تغفل عنهم في كل وقت ، والخرمية فاغزهم ذا حزامة وصرامة وجلد ، واكنفه بالأموال والسلاح والجنود من الفرسان والرجالة . فـان طالت مدتهم فتجرد لهم بمـن معك من أنصارك وأوليائك واعمل في ذلك عمل مقدم النية فيه ، راجياً ثواب الله عليه . واعلم أن العظة إذا طالت أوجبت على السامع لهـا والموصي بها الحجة ، فاتق الله في أمرك كله ولا تفتن .

ثم دعا أخاه أبا اسحاق بعد ساعة حين اشتد به الوجع وأحس بمجيء أمر الله فقال له :

يا أبا اسحاق : عليك عهد الله وميثاقه وذمـة رسول الله ﷺ لتقومن بحـــق الله في عباده ولتؤثرن طاعته على معصيته ، إذا أنا نقلتها من غيرك إليك .

قال : اللهم نعم .

قال : فانظر من كنت تسمعني أقدمـــه على لساني فأضعف له التقدمة عبد الله بن طاهر أقره على عمله ولا تهجه ، فقد عرفت الذي سلف منكما أيام حياتي وبحضرتي ، استعطفه بقلبك وخصه ببرك فقد عرفت بلاءه وغناءه عن أخيك ، وإسحاق بن إبراهيم فاشركه في ذلك فإنــه أهل له ، وأهل بيتك فقد علمت أنه لا بقية فيهم وان كان بعضهم يظهر الصيانة لنفسه . عبد الوهاب عليك به من بين أهلك فقدمه عليهم وصير أمرهم إليه . وأبو عبد الله بن أبي دؤاد فـــلا يفارقك واشركه في المشورة في كل أمرك فإنه موضع لذلك منك ، ولا تتخذن بعدي وزيراً تلقي إليه شيئاً فقد علمت ما نكبني بـه يحيى بن أكثم في معاملة الناس وخبث سيرته حتى أبان الله ذلك منه في صحة مني فصرت إلى معارضته قالياً له غير راض بما صنع في أموال الله وصدقاته لا جزاه الله عن الإسلام خيراً . وهؤلاء بنو عمك من ولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأحسن صحبتهم ، وتجاوز عن مسيئهم ، واقبل من محسنهم ، وصلاتهم فلا تغفلها في كل سنة عند محلها فإن حقوقهم تجب من وجوه شتى . اتقوا الله ربكم حـــق تقاته ولا تموتن إلا وانتم مسلمون . اتقوا الله واعملوا له . اتقوا الله في أموركم كلها . استودعكم الله ونفسي واستغفر الله مما سلف ، واستغفر الله مما كان مني إنه كان غفاراً ، فإنــه ليعلم كيف ندمي على ذنوبي فعليه توكلت من عظيمها ، وإليه أنيب ولا قوة إلا بالله حسبي الله ونعم الوكيل وصلى الله على محمد نـــبي

الهدى والرحمة [1] .

تاريخ الأمم والملوك للطبري حـ ٧ ٢٠٨ - ٢١٠

٣٢٥ - حوار المأمون مع عمه إبراهيم بن المهدي لمـــا ألقي القبض عليه وأتي به إلى المأمون وذلك لما أدعى الخلافة قبل ورود المأمون بغداد من خراسان :

أدخل إبراهيم على المأمون فقال : يا أمير المؤمنين . ولي الثأر محكم في القصاص ، ومن تناوله الاغترار بما مد له من أسباب الرخاء أمن عادية الدهر وقد جعلك الله فوق كل ذي ذنب ، كما جعل كل ذنب من دونك ، فإن تأخذ فبحقك ، وإن تعف فبفضلك .

ثم قـــال :

ذنبي إليك عظيم	وأنت أعظم منه
فخذ بحقك أولا	فاصفح بفضلك عنه
إن لم أكن في فعالي	من الكرام فكنه

فقال المأمون : القدرة تذهب الحفيظة والندم توبة ، وعفو الله بينهما وهو أكبر ما يحاول . ياإبراهيم : لقـــد حببت إلي العفو حتى خفت ألا أؤجر عليه . لا تثريب عليك يغفر الله لك .

الأمالي لأبي علي القالي حـ ١ — ١٩٧

(١) ورد نص هذه الوصية بشكل فيــه اختصار في ابن الاثير جـ٦ ٤٢٩-٤٣١ . ووردت أيضاً بشكل موجز كل الايجاز في شـــذرات الذهب جـ٢ - ٤٣ . ويذكر مؤلف الشذرات أن الوصية قسمان : قسم مكتوب ويعطى نصه وقسم القاه المأمون إلى أخيه، وهي لاتخرج في مضمونها عن نص الطبري .

٣٢٦ – حوار بين الفضل بن سهل ونعيم بن حازم بين يدي المأمون حول لبس الخضرة :

لما عزم المأمون على جعل علي الرضا ولي عهده وعلى لبس الخضرة قال للفضل بن سهل : أحضر نعيم بن خازم فناظره فيما أجمعنا عليه أمرنا . فأحضره الفضل وأخبره بما عقد المأمون العزم عليه وخلط ليناً بغلظة ، فقال نعيم :

إنك إنما تريد أن تزيل الملك من بني العباس إلى ولد علي ، ثم تحتال عليهم فيصير الملك كسروياً ، ولولا أنك أردت ذلك لما عدلت عن لبسه علي وولده ، وهي البياض ، إلى الخضرة وهي لباس كسرى والمجوس . ثم التفت إلى المأمون فقال :

الله الله يا أمير المؤمنين لا يخدعنك عن دينك وملكك ، فإن أهل خراسان لا يجيبون إلى بيعة رجل تقطر سيوفهم من دمه .

فقال له المأمون : انصرف .

كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري ص ٣١٣

٣٢٧ - وصية محمد بن إبراهيم بن طباطبا العلوي لأبي السرايا قبل موته :

أوصيك بتقوى الله والمقام على الذب عن دينك ونصرة أهل بيت نبيك ﷺ، فإن أنفسهم موصولة بنفسك ، وولي الناس الخيرة فيمن يقوم مقامي من آل علي، فإن اختلفوا فالأمر إلى علي بن عبيد الله فإني قد بلوت طريقته ورضيت دينه.

مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني ص ٥٣١

ـ الوسائل والعهود والبيانات ـ

ـ الخلافة وولاية العهـــد ـ

٣٢٨ ـ عهد عاهده المأمون للفضل بن سهل وتعهد به على نفسه في كيفية سيره وتسييره الأمور إذا واتته الخلافة وذلك عندما قام الفضل بأمره وسير له أموره في حربه ضد أخيه الأمين :

جعلت لله على نفسي إن استرعاني أمور المؤمنين وقلدني خلافته في خلقه العمل فيهم بكتابه وسنة رسوله محمد ﷺ ، ولا أسفك دماً عمداً إلا ما أحلته حدوده وسفكته فروضه ، وأن لا أنال من أحد من المخلوقين مالاً ولا أثاثاً غصباً ولا بحيلة تحرم على المسلمين ، ولا أعمل في شيء من الأحكام بهواي ولا بغضبي إلا ما كان منها في الله عز وجل وله ، وجعلت ذلك كله عهداً مؤكداً علي أن أفي به رغبة في زيادته إياي ورهبة من مساءلته لي عنه فإنه جل وعز يقول : وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً [١] . فإن حلت أو غيرت كنت للمن مستحقاً وللنكال متعرضاً . وأعوذ بالله من سخطه وأرغب إليه في المعونة لي على طاعته والحؤول بيني وبين معصيته ، في عافية لي ولجماعة المسلمين وأن يسهل لي ما يحب ويرضى في جميع أموري إنه قريب مجيب وعلى ما يشاء قدير . وكتبت بخطي .

كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري ص ٢٧٩

٣٢٩ ـ رسالة من زبيدة إلى المأمون تستعطفه عليها :

كل ذنب ـ يا أمـــير المؤمنين ـ وإن عظم ، صغير في جنب عفوك ، وكل إساءة ، وإن جلت يسيرة لدى حلمك ، وذلك الذي عودكه الله ، أطـال الله مدتك وتمم نعمتك وأدام بك الخير ودفع عنك الشر والضير .

---

(١) سورة الاسراء ، الآية ٣٤ .

وبعد : فهذه رقعة الولهى ـ التي ترجوك في الحيـاة لنوائب الدهر ، وفي الممات لجميل الذكر ـ فإن رأيت أن ترحم ضعفي واستكانتي وقلة حيلتي ، وأن تصل رحمي وتحتسب فيما جعلك الله له طالباً وفيه راغباً ـ فافعل ، وتذكر من لو كان حياً لكان شفيعي لك .

٣٣٠ – جواب المأمون زبيدة على الرسالة السابقة :

وصلت رقعتك يا أماه ـ أحاطك الله وتولاك بالرعاية ـ ووقفت عليهـا وساءني ، شهد الله ، جميع مـا أوضحت فيها ، ولكن الأقدار نافذة والأحكام جارية والأمور متصرفة ، والمخلوقون في قبضتها لا يقدرون على دفاعها . والدنيا كلها إلى شتات وكل حي إلى ممات ، والبغي والغدر حتف الإنسان . والمكر راجع إلى صاحبه . وقد أمرت برد جميع ما أخذ لك ، ولم تفقدي ممن مضى إلى رحمة الله إلا وجهه . وأنا ، بعد ذلك على أكثر مما تختارين . والسلام [١] .

جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب للسيد أحمد الهاشمي ج١ ٨٣ ـ ٨٤

٣٣١ – رسالة من زبيدة إلى المأمون تهنئه بالخلافة وتقول :

هنأت نفسي بها عنك قبل أن أراك . ولئن كنت فقدت ابناً خليفة لقـد عوضت ابناً خليفة لم ألده ، ومـا خسر من اعتاض مثلك ، ولا ثكلت أم ملأت يدها منك . وأنا اسأل الله أجراً على ما أخذ ، وإمتاعاً بما عوض .

البداية والنهاية لابن كثير ج١٠ ـ ٢٧١

٣٣٢ - رسالة من زبيدة إلى المأمون وقد أحست جفاء منه ، وقد عمل لها هذه الابيات أبو العتاهية وغناها بين يدي المأمون مخارق :

ألا إن ريب الدهر يـدني ويبعد ... ويؤنس بالآلاف طوراً ويفقـد
أصابت لريب الدهر مني يدي يدي ... فسلمت للأقـدار والله أحمـد

(١) ذكر صاحب عصر المأمون ج٣ ـ ٣٨ نصاً مشابهاً لنصنا هذا .

وقلت لريب الدهر إن ذهبت يد فقــد بقيت والحمد لله لي يد
إذا بقي المأمون لي فالرشيد لي ولي جعفر لم يفقدا ومحمــد (١)

الأغاني لأبي الفرج الأصفاني ج٢٠ ـ ٢٦٥

٣٣٣ ـ رسالة إبراهيم بن المهدي إلى المأمون لما ضاقت به الحال وهو مختبىء في مكانه بعد عجزه عن أن يصبح خليفة :

ولي الثأر محكم في القصاص ، والعفو أقرب للتقوى ، ومن تناوله الاغترار بما مد له من أسباب الرجاء أمكن عادية الدهر على نفسه . وقد جعلك الله فوق كل ذي ذنب ، كما جعل كل ذي ذنب دونك ، فإن أخذت فبحقك ، وإن عفوت فبفضلك .

٣٣٤ - جواب المأمون على التماس إبراهيم :

القدرة تذهب الحفيظة والندم توبة ، وبينهما عفو الله ، وهو أكثر مايسأله(٢).

تاريخ بغداد لابن طيفور ج٦ـ١٠١

٣٣٥ ـ رسالة المأمون إلى العباسيين الثائرين ضده في بغداد لما بلغهم مبايعته بالخلافة لعلي الرضا . فلما مات علي أرسل المأمون إليهم بما يلي :

إنكم إنما نقمتم علي بسبب توليتي العهد من بعدي لعلي بن موسى الرضى [الرضا] . وها هو قد مات فارجعوا إلى السمع والطاعة .

فأجابوه بأغلظ جواب كتب به إلى أحد .

البداية والنهاية لابن كثير ج١٠ ـ ٢٤٩

(١) وردت الابيات السابقة في شذرات الذهب ج١ ـ ٣٠٠ .

(٢) ورد نص هاتين الرسالتين في اليعقوبي ج٢ ـ ٤٥٨ والطبري ج٧ ـ ١٧٦ . وقد وردت في كثير من كتب التاريخ والادب على انها محاورة بين المأمون وابراهيم لما ظفر به المأمون كما في الأمالي للقالي ج١ ـ ١٩٧ ، انظر ما مر قسم الحوار والمناظرات في المأمون .

٣٣٦ ـ صورة المرسوم الذي أصدره المأمون يعلن فيه اختياره عليا الرضا [ويقال الرضى] ولياً للعهد من بعده :

هذا كتاب كتبه عبد الله بن هارون الرشيد أمير المؤمنين بيده لعلي بن موسى ابن جعفر ولي عهده . أما بعد : فإن الله اصطفى الإسلام ديناً واصطفى له من عباده رسلاً دالين عليه وهادين إليه يبشر أولهم بآخرهم ويصدق تاليهم ماضيهم حتى انتهت نبوة الله إلى محمد ﷺ على فترة من الرسل ودروس من العلم وانقطاع من الوحي واقتراب من الساعة ، فختم الله به النبيين وجعله شاهداً لهم ومهيمناً عليهم ، وأنزل عليه كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، فأحل وحرم ووعد وأوعد وحذر وأنذر وأمر به ونهى عنه لتكون له الحجة البالغة وليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم . فبلغ عن الله رسالته ودعا إلى سبيله ما أمره به من الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ، ثم بالجهاد والغلظة حتى قبضه الله إليه واختار له ما عنده ﷺ . فلما انقضت النبوة وختم الله بمحمد ﷺ الوحي والرسالة جعل قوام الدين ونظام أمر المسلمين بالخلافة وإتمامها وعزها والقيام بحق الله فيها بالطاعة التي تقام بها فرائض الله وحدوده ، وشرائع الإسلام وسننه ، ويجاهد بها عدوه ، فعلى خلفاء الله طاعته فيما استحفظهم واسترعاهم من دينه وعباده وعلى المسلمين طاعة خلفائهم ومعاونتهم على إقامة حق الله وعدله وأمن السبيل وحقن الدماء وصلاح ذات البين وجمع الألفة ، وفي إخلال ذلك اضطراب حبل المسلمين واختلالهم واختلاف ملتهم وقهر دينهم واستعلاء عدوهم وتفرق الكلمة وخسران الدنيا والآخرة ، فحق على من استخلفه الله في أرضه وأئتمنه على خلقه أن يؤثر ما فيه رضا الله وطاعته ويعدل فيما الله واقفه عليه وسائله عنه ويحكم بالحق ويعمل بالعدل فيما حمله الله وقلده ، فإن الله عز وجل يقول لنبيه داود

عليه السلام : يا داود إنا جعلناك خليفـة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهـوى فيضلك عن سبيل الله ، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب[1] . وقال عز وجل : فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون[2] . وبلغنا أن عمر بن الخطاب قـــال : لو ضاعت سخلة بجانب الفرات لتخوفت أن يسألني الله عنهـا . وأيم الله أن المسؤول عن خاصة نفسه الموقوف على عمله فيما بين الله وبينه لمتعرض لأمر كبير وعلى خطر عظيم. فكيف بالمسؤول عن رعاية الامـــة ، وبالله الثقة وإليه المفزع والرغبة في التوفيق مع العصمة والتسديـد والهداية إلى ما فيه ثبوت الحجة والفوز من الله بالرضوان والرحمة . وأنْظَرُ الأئمة لنفسه وأنصحهم في دينه وعباده وخلافته في أرضه من عمل بطاعة الله وكتابه وسنة نبيه عليه السلام في مدة أيامه واجتهد وأجهد رأيه ونظره فيمن يوليه عهده ويختار لإمامة المسلمين ورعايتهم بعده ، وينصبه علمـاً لهم ومفزعاً في جمـع ألفتهم ولم شعثهم وحقن دمائهم والأمن بإذن الله من فرقتهم وفساد ذات بينهم واختلافهم ورفع نزغ الشيطان وكيده عنهم ، فـإن الله عز وجل جعل العهد بالخلافة من تمـام أمر الاسلام وكماله وعزه وصلاح أهله ، وألهم خلفاءه من توسيده لمن يختارونه له من بعدهم ماعظمت بـــه النعمة وشملت منه العافية ونقض الله بذلك مرّ[3] أهـل الشقاق والعداوة والسعي في الفرقـــة والرفض للفتنة . ولم يزل أمير المؤمنين منذ أفضت إليه الخلافة فاختبر بشاعة مذاقتها وثقل محملها وشدة مؤونتها وما يجب على من تقلدها من ارتباط طاعة الله ومراقبته فيما حمله منها فأنصب بدنـــه وأسهر عينيه وأطال فكره فيما

---

(١) سورة ص ، الآية ٢٦ .

(٢) سورة الحجر ، الاية ٩ .

(٣) المر : الحبل والرفض : أن يطرد الرجل غنمه الى حيث يهوى فاذا بلغته لها عنها وتركها ، والمعنى ان يتركها تسير بين الناس .

فيه عز الدين وقمع المشركين وصلاح الأمة ونشر العدل وإقامة الكتاب والسنة ومنعه ذلك من الخفض والدعة بهني العيش علماً بما الله سائله عنه ، ومحبة أن يلقي الله مناصحه في دينه وعباده ، ومختاراً لولاية عهده ورعاية الأمة من بعده أفضل من يقدر عليه في دينه وورعه وعلمه وأرجاهم للقيام بأمر الله وحقه ، مناجياً لله بالاستخارة في ذلك ، ويسأله إلهامه ما فيه رضاه وطاعته في ليله ونهاره ، ومعجلاً في طلبه والتماسه من أهل بيته من ولد عبد الله ابن العباس وعلي بن أبي طالب فكره ونظره ، ومقتصراً ممن علم حاله ومذهبه منهم على علمه ، وبالغاً في المسألة عمن خفي عليه أمره جهده وطاقته ، حتى استقصي أمورهم بمعرفته ، وابتلى أخبارهم مشاهدة وكشف ما عندهم مساءلة ، فكانت خيرته ، بعد استخارته لله وإجهاده نفسه في قضاء حقه وبلاده من البيتين جميعاً : علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب لما رأى من فضله البارع وعلمه الناصع وورعه الظاهر وزهده الخالص وتخليه من الدنيا وتسلمه من الناس ، وقد استبان له مالم تزل الأخبار عليه متواطئة والألسن عليه متفقة والكلمة فيه جامعة ، ولما لم يزل يعرفه به من الفضل يافعاً وناشئاً وحدثاً ومكتهلاً ، فعقد له بالعقد والخلافة إيثاراً لله والدين ونظراً للمسلمين وطلباً للسلامة وثبات الحجة والنجاة في اليوم الذي يقوم الناس به لرب العالمين . ودعا أمير المؤمنين ولده وأهل بيته وخاصته وقواده وخدمه فبايعوه مسرعين مسرورين عالمين بإيثار أمير المؤمنين طاعة الله على الهوى في ولده وغيرهم ممن هو أشبك به رحماً وأقرب قرابة وسماه الرضيّ إذ كان رضياً عند أمير المؤمنين .

فبايعوا معشر بيت أمير المؤمنين ومن بالمدينة المحروسة من قواده وجنده وعامة المسلمين الرضيّ من بعده على اسم الله وبركته وحسن قضائه لدينه وعباده بيعة مبسوطة إليها أيديكم منشرحة لها صدوركم عالمين بما أراد أمير

المؤمنين بهـا وآثر طاعة الله والنظر لنفسه ولكم فيها ، شاكرين الله على ما ألهم أمـــير المؤمنين من نصاحته في رعايتكم وحرصه على رشدكم وصلاحكم راجين عائده في ذلك في جمـع ألفتكم وحقن دمائكم ولم شعثكم وسد ثغوركم وقـوة دينكم ورغم عدوكم واستقامة أموركم ، وسارعوا إلى طاعة الله وطاعة أمـــير المؤمنين فإنه الأمر ان سارعتكم إليه وحمدتم الله عليه عرفـتم الحظ فيه إن شاء الله تعالى .

صبح الأعشى للقلقشندي حـ ٩ ٣٦٢ – ٣٦٦

٣٣٧ – رسالة جوابية من علي الرضا إلى المأمون لما اختاره ولياً للعهد وأصدر المنشور السابق :

الحمد لله الفعال لما يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وصلواته على نبيه محمد خاتم النبيين وآله الطيبين الطاهرين أقول وأنا علي بن موسى بن جعفر أن أمير المؤمنين ـ عضده الله بالسداد ووفقه للرشاد ـ عرف من حقنا ما جهله غيره ، فوصل أرحاماً قطعت ، وأمنّ أنفساً فزعت ، بل أحياها وقد تلفت وأغناها إذ افتقرت متبعاً رضا رب العالمين ، لايريـد جزاءً من غيره ، وسيجزي الله الشاكرين ولا يضيع أجر المحسنين . وأنه جعل إليّ عهده والأمرة الكبرى إن بقيت بعده ، فمن حل عقدة امر الله بشدها أو فصم عروة أحب الله إثباتها فقد أباح حريمه وأحل محرمه إذ كان بذلك زاريا على الإمام ، منتهكاً حرمـــة الإسلام ، بذلك جرى السالف فصرفهم على الفلتات ولم يُعترض بعدها على العزمات خوفـاً على شتات الدين واضطراب حبل المسلمين ولقرب أمر الجاهلية ورصد فرصة تنتهز وباغية تبتدر وقد جعلت لله تعالى على نفسي إن استرعاني على المسلمين وقلدني خلافته العمل فيهم عامة وفي بني العباس بن عبد المطلب خاصة بطاعته وسنة رسول الله ﷺ ، وأن

لا أسفك دماً حراماً ولا أبيح فرجاً ولا مالاً إلا ما سفكته حدوده وأباحته فرائضه ، وأن أتخير الكفاة جهدي وطاقـــتي جعلت بذلك على نفسي عهداً مؤكداً يسألني الله عنه فإنه عز وجل يقول : وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً (١) .فإن أحدثت أو غيرت أو بدلت كنت للغير مستحقاً وللنكال متعرضاً ، وأعوذ بالله من سخطه وإليه أرغب في التوفيق لطاعته والحول بيني وبين معصيته [في عامة المسلمين والخاصة والحضر يدلان على خلاف ذلك؟](٢) وما أدري ما يفعل بي وبكم .إن الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين . لكنني امتثلت أمـــر أمير المؤمنين وآثرت رضاه ، والله يعصمني وإياه ، وأشهدت الله على نفسي بذلك وكفى بالله شهيداً . وكتبت بخطي في حضرة أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ والفضل بن سهل وسهل بن الفضل ويحيى بن اكثم وبشر بن المعتمر وحماد بن النعمان في شهر رمضان سنة إحدى ومائتين(٣).

صبح الأعشي للقلقشندي ج ٩ ٣٩١ ـ ٣٩٢

٣٣٨ ـ نص شهادة الفضل بن سهل على منشور المأمون وجواب علي الرضا :

بعد أن أورد القلقشندي نص جواب علي الرضا ذكر أن الشهود وضعوا شهاداتهم تحت ذلـــك المنشور ، وإليك صورة شهادة الفضل بن سهل وزير المأمون .

---

(١) سورة الاسراء الآية ٣٧ .

(٢) وردت هذه العبارة التي بين معترضتين [ ] هكذا في الاصل وعليها علامة التوقف .

(٣) ذكر الفخري ص ١٩٨ نصاً مختصراً كل الاختصار ومختلفاً كل الاختلاف لكتاب علي الرضا وذكر ان علياً لم يقبل ولاية العهد إلا بعد تمنع وفيما يلي نصه : إني قـــد اجبت امتثالاً للأمر وان كان الجفر والجامعة يدلان على ضد ذلك .

رسم أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ قراءة مضمون هذا الكتاب ظهره وبطنه بحـرم سيدنا رسول الله ﷺ بين الروضة والمنبر على رؤوس الأشهاد ومرأى ومسمع من وجوه بني هاشم وسائر الأولياء والأجناد ، وهو يسأل الله أن يعرف أمير المؤمنين وكافة المسلمين بركة هـذا العهد والميثاق بما أوجب إلى المؤمنين الحجة به على جميع المسلمين وأبطل الشبهة الـتي كانت اعترضت آراء الجاهلين ، ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه . وكتب الفضل بن سهل في التاريخ المبين فيه .

٣٣٩ – نص شهادات الشهود عبد الله بن طاهر ويحيى بن أكثم وحماد ابن النعمان وبشر بن المعتمر :

شهادة عبد الله بن طاهر : أثبت شهادته فيـه بتاريخه عبد الله بن طاهر الحسين .

شهادة يحيى بن أكثم : شهد يحيى بن أكثم على مضمون هذه الصحيفة ظهرها وبطنها وكتب بخطه بالتاريخ .

شهادة حماد بن النعمان : شهد حماد بن النعمان بمضمون ظهره وبطنه وكتب بيده بتاريخه .

شهادة بشر بن المعتمر : شهد بمثل ذلك بشر بن المعتمر وكتب بخطـه بالتاريخ .

صبح الأعشى للقلقشندي حـ ٩ ٣٩٢ – ٣٩٣

٣٤٠ – رسالة من أبي إسحاق المعتصم وهو أمير إلى اسحاق بن يحيى عامل جند دمشق باسمه واسم أخيه المأمون وذلك لمـا أوصى المأمون إلى أخيه أبي إسحاق بالخلافة :

من عبد الله عبد الله الإمام المأمون أمير المؤمنين والخليفة من بعد أمـير

المؤمنين أبي اسحاق ابن أمير المؤمنين الرشيد .

أما بعد : فإن أمير المؤمنين أمر بالكتاب إليك في التقدم إلى عمالك في حسن السيرة وتخفيف المؤونة وكف الأذى عن أهل عملك . فتقدم إلى عمالك في ذلك أشد التقدمة ، واكتب إلى عمال الخراج بمثل ذلك .

تاريخ الأمم والملوك للطبري ح ٧ - ٢٠٧

ـ قضية خلق القرآن ـ

٣٤١ - رسالة من المأمون إلى واليه على بغداد إسحاق بن إبراهيم في امتحان القضاة بخلق القرآن :

أما بعد : فإن حق الله على أئمة المسلمين وخلفائهم الإجتهاد في إقامة دين الله الذي استحفظهم ، ومواريث النبوة التي أورثهم ، وأثر العلم الذي استودعهم ، والعمل بالحق في رعيتهم ، والتشمير لطاعة الله فيهم . والله يسأل أمير المؤمنين أن يوفقه لعزيمة الرشد وصريمته والإقساط فيما ولاه الله من رعيته برحمته ومنته . وقد عرف أمير المؤمنين أن الجمهور الأعظم والسواد الأكبر من حشو الرعية وسفلة العامة ممن لا نظر له ولا روية ولا استدلال له بدلالة الله وهدايته ، والاستضاء بنور العلم وبرهانه في جميع الأقطار والآفاق أهل جهالة بالله وعمى عنه وضلالة عن حقيقة دينه وتوحيده والإيمان به ، ونكوب عن واضحات أعلامه وواجب سبيله وقصور أن يقدروا الله حق قدره ويعرفو كنه معرفته ويفرقوا بينه وبين خلقه لضعف آرائهم ونقص عقولهم وجفائهم عن التفكر والتذكر ، وذلك أنهم ساووا بين الله تبارك وتعالى وبين ما أنزل من القرآن فأطبقوا مجتمعين واتفقوا غير متعاجمين على أنه قديم أول لم يخلقه الله ويحدثه ويخترعه .

وقد قال الله عز وجل في محكم كتابه الذي جعله لما في الصدور شفاء وللمؤمنين رحمة وهدى ، إنا جعلناه قرآناً عربيا[1]. فكل ما جعله الله فقد خلقه. وقال: الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور [2] . وقال عز وجل : كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق[3] . فأخبر أنه قصص لأمور أحدثه بعدها وتلا به متقدمها . وقال : الر ، كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير[4]، وكل محكم مفصل فله محكم ومفصل والله محكم كتابه ومفصله فهو خالقه ومبتدعه . ثم هم الذين جادلوا بالباطل فدعوا إلى قولهم ونسبوا أنفسهم إلى السنة ، وفي كل فصل من كتاب الله قصص من تلاوته مبطل لقولهم ومكذب دعواهم يرد عليهم قولهم ونحلهم ، ثم أظهروا مع ذلك أنهم أهل الحق والدين والجماعة، وإن من سواهم أهل الباطل والكفر والفرقة . فاستطالوا بذلك على الناس وغروا به الجهال حتى مال قوم من أهل السمت الكاذب والتخشع لغير الله والتقشف لغير الله الدين إلى موافقتهم عليه، ومواطأتهم على سيء آرائهم تزيناً بذلك عندهم وتصنعاً للرئاسة والعدالة فيهم ، فتركوا الحق إلى باطلهم ، واتخذوا دون الله وليجة إلى ضلالتهم فقبلت بتزكيتهم لهم شهاداتهم ونفذت أحكام الكتاب بهم على دغل دينهم ونغل أديمهم وفساد نياتهم ويقينهم ، وكان ذلك غايتهم التي إليها أجروا وإياها طلبوا في متابعتهم والكذب على مولاهم، وقد أخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه ، أولئك الذين أصمهم الله وأعمى أبصارهم أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها . فرأى أمير المؤمنين أن أولئك شر الأمة ورؤوس الضلالة المنقوصون من التوحيد

---

(1) سورة الزخرف : الآية ٣ .

(2) سورة الانعام الآية ١ .

(3) سورة طه ، الآية ٩٩ .

(4) سورة فصلت ، الآيتان ١ ، ٢ .

حظاً والمخسوسون من الإيمان نصيباً ، وأوعية الجهالة وأعلام الكذب ولسان إبليس الناطق في أوليائه والهائل على أعدائه من أهل دين الله ، وحق من يتهم في صدقه وتطرح شهادته ولا يوثق بقوله ولا عمله ، فإنه لا عمل إلا بعد يقين ، ولا يقين إلا بعد استكمال حقيقة الإسلام وإخلاص التوحيد. ومن عمي عن رشده وحظه من الإيمان بالله وتوحيده كان عما سوى ذلك من عمله والقصد في شهادته أعمى وأضل سبيلاً . ولعَمْرُ أمير المؤمنين إن أحجى الناس بالكذب في قوله وتخرص الباطل في شهادته من كذب على الله ووحيه ولم يعرف الله حقيقة معرفته ، وإن أولاهم برد شهادته في حكم الله ودينه من رد شهادة الله على كتابه وبهت حق الله بباطله . فاجمع من بحضرتك من القضاة واقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين هذا إليك فابدأ بامتحانهم فيما يقولون وتكشيفهم عما يعتقدون في خلق الله القرآن وإحداثه ، واعلمهم أن أمير المؤمنين غير مستعين في عمله ولا واثق فيما قلده الله واستحفظه من أمور رعيته بمن لا يوثق بدينه وخلوص توحيده ويقينه . فاذا أقروا بذلك ووافقوا أمير المؤمنين فيه وكانوا على سبيل الهدى والنجاة فمرهم بنص من يحضرهم من الشهود على الناس ومسألتهم عن علمهم في القرآن ، وترك إثبات شهادة من لم يقر أنه مخلوق محدث ولم يره ، والإمتناع من توقيعها عنده . واكتب إلى أمير المؤمنين بما يأتيك عن قضاة أهل عملك في مسألتهم والأمر لهم بمثل ذلك ، ثم أشرف عليهم وتفقد آثارهم حتى لا تنفذ أحكام الله إلا بشهادة أهل البصائر في الدين والإخلاص للتوحيد ، واكتب إلى أمير المؤمنين بما يكون في ذلك إن شاء الله . وكتب في شهر ربيع الأول سنة ٢١٨ هـ [1] .

---

(١) يعطي ابن طيفور جـ٦ ١٨١-١٨٣ نصاً مشابهاً لنصنا هذا،مع بعض الاختلاف. على حين يعطي السيوطي في تاريخه ص ٣٠٨-٣٠٩ نصاً موجزاً كل الايجاز له .

٢٣٤ - رسالة ثانية من المأمون إلى واليـــه على بغداد إسحاق بن إبراهيم حول القرآن الكريم والقول بخلقه :

أما بعد : فإن من حق الله على خلفائه في أرضه وأمنائه على عباده الذين ارتضاهم لإقامة دينه وحملهم رعاية خلقه وإمضاء حكمه وسنته والائتمام بعدله في بريته أن يجهدوا لله أنفسهم وينصحوا له فيما استحفظهم وقلدهم وبدلوا عليـه ، تبارك اسمه وتعالى،بفضل العلم الذي أودعهم ، والمعرفة التي جعلها فيهم ، ويهدوا إليه من زاغ عنـــه ويردوا من أدبر عن أمره ، وينهجوا لرعاياهم سمت نجاتهم ويقفوهم على حدود إيمانهم وسبيل فوزهم وعصمتهم ويكشفوا لهم عن معطيات أمورهم ومشتبهاتها عليهم بما يدفعون الريب عنهم ويعود بالضياء والبينـة على كافتهم ، وأن يؤثروا ذلك من إرشادهم وتبصيرهم إذ كان جامعاً لفنون مصانعهم ومنتظماً لحظوظ عاجلتهم وآجلتهم ويتذكروا ما الله مرصد من مساءلتهم عما حملوه ومجازاتهم عما أسلفوه وقدموا عنده . وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله وحده وحسبه الله وكفى به .

ومما بينه أمير المؤمنين برويته وطالعه بفكره فتبين عظيم خطره وجليل مايرجع في الدين من وكفه وضرره ماينال المسلمون بينهم من القول في القرآن الذي جعله الله إماماً لهم وأثراً من رسول الله ﷺ وصفيه محمد ﷺ باقياً لهم، واشتباهه على كثير منهم حتى حسن عندهم وتزين في عقولهم ألا يكون مخلوقـاً فتعرضوا بذلك لدفع خلق الله الذي بان به عن خلقه وتفرد بجلالته من ابتداع الأشياء كلها بحكمته وإنشائها بقدرته والتقدم عليها بأوليته التي لا يبلغ أولاهـا ولا يدرك مداها ، وكان كل شيء دونه خلقاً من خلقه وحدثاً هو المحدث له ، وإن كان القرآن ناطقاً به ودالاً عليه وقاطعاً للاختلاف فيه ، وضاهوا بـه قول النصارى في إدعائهم في عيسى بن مريم أنه ليس بمخلوق إذ كان كلمة الله . والله

عز وجل يقول : إنا جعلناه قرآناً عربياً [١] . وتأويل ذلك إنا خلقناه ، كما قال جل جلاله : وجعل منها زوجها ليسكن إليها [٢] وقال : وجعلنا الليل لباساً والنهار معاشاً [٣] . وجعلنا من الماء كل شيء حي [٤] . فسوى عز وجل بين القرآن وبين هذه الخلائق التي ذكرها في مشيئة الصنعة، وأخبر أنه جاعله وحده فقال : إنه لقرآن مجيد في لوح محفوظ [٥] . فقال ذلك على إحاطة اللوح بالقرآن ولا يحاط إلا بمخلوق . وقال لنبيه ﷺ : لا تحرك به لسانك لتعجل به [٦] . وقال : ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث [٧] . وقال : ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته [٨] . وأخبر عن قوم ذمهم بكذبهم انهم قالوا : ما أنزل الله على بشر من شيء [٩] . ثم أكذبهم على لسان رسوله فقال لرسوله : قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى [١٠]. فسمى الله تعالى القرآن قرآناً وذكراً وإيماناً ونوراً وهدى ومباركاً وعربياً وقصصاً فقال : نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن [١١]. وقال: قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله [١٢]. وقال : قل فأتوا بعشر

---

(١) سورة الزخرف ، الآية ٣ .
(٢) سورة الاحزاب ، الاية ١٨٩ .
(٣) سورة النبأ ، الآية ١٠ .
(٤) سورة الانبياء ، الآية ٣٠ .
(٥) سورة الروح الاية ٢٢ .
(٦) سورة القيامة ، الآية ١٦ .
(٧) سورة الانبياء ، الآية ٢ .
(٨) سورة الانعام ، الاية ٢١ .
(٩) سورة الانعام ، الاية ٩١ .
(١٠) سورة الانعام، الاية ٩١ .
(١١) سورة يوسف ، الاية ٣ .
(١٢) سورة الاسراء ، الاية ٨٨ .

سور مثله مفتريات (١) . وقال : لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه(٢).
فجعل له أولاً وآخراً ، ودل عليه أنه محدود مخلوق ، وقد عظم هؤلاء الجهلة بقولهم في القرآن الثلم في دينهم والجرح في أمانتهم وسهلوا السبيل لعدو الإسلام واعترفوا بالتبديل والإلحاد على قلوبهم حتى عرّفوا ووصفوا خلق الله وفعله بالصفة التي هي لله وحده وشبهوه به ، والأشباه أولى بخلقه . وليس يرى أمير المؤمنين لمن قال بهذه المقالة حظاً في الدين ولا نصيباً من الإيمان واليقين ، ولا يرى أن يحل أحداً منهم محل الثقة في أمانة ولا عدالة ولا شهادة ولا صدق في قول ولا حكاية ولا تولية لشيء من أمر الرعية ، وإن ظهر قصد بعضهم وعرف بالسداد مسدد فيهم ، فإن الفروع مردودة إلى أصول ومحمولة في الحمد والذم عليها ، ومن كان جاهلاً بأمر دينه الذي أمره الله به من وحدانيته فهو بما سواه أعظم جهلاً وعن الرشد في غيره أعمى وأضل سبيلاً . فاقرأ على جعفر بن عيسى وعبد الرحمن بن إسحاق القاضي كتاب أمير المؤمنين بما كتب به إليك وانصصهما عن علمهما في القرآن وأعلمهما أن أمير المؤمنين لا يستعين على شيء من أمور المسلمين إلا بمن وثق بإخلاصه وبتوحيده وإنه لا توحيد لمن لا يقر أن القرآن مخلوق فإن قالا بقول أمير المؤمنين في ذلك فتقدم إليهم في امتحان من يحضر مجالسهما بالشهادات على الحقوق ونصهم عن قولهم في القرآن ، فمن لم يقل منهم أنه مخلوق أبطلا شهادته ولم يقطعا حكماً بقوله ، وإن ثبت عفافه بالقصد والسداد في أمره ، وافعل ذلك بمن في سائر عملك من القضاة وأشرف عليهم إشرافاً يزيد الله به ذا البصيرة في بصيرته ، ويمنع المرتاب من إغفال دينه ، واكتب الى أمير المؤمنين بما يكون منك في ذلك إن شاء الله (٣) .

تاريخ الأمم والملوك للطبري ج٧ ١٩٧- ٢٠٠

---

(١) سورة هود ، الآية ١١ .

(٢) سورة فصلت ، الآية ٤٢ .

(٣) أورد ابن طيفور ج٦ ١٨٣-١٨٦ نص هذه الرسالة بشكل يختلف بعض الاختلاف عن نصنا هذا . اما نص السيوطي ص ٣١١-٣١٢ فوجز غاية الايجاز .

٣٤٣ ـ رسالة جوابية من المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم بعد أن نفذ أوامره وامتحن القضاة وأرسل له محضراً عن إجاباتهم :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد : فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك جواب كتابه كان إليك فيما ذهب إليه متصنعة أهل القبلة وملتمسو الرئاسة فيما ليسوا له بأهل من أهل الملة من القول في القرآن ، وأمرك به أمير المؤمنين من امتحانهم وتكشيف أحوالهم وإحلالهم محالهم . تذكر إحضارك جعفر بن عيسى وعبد الرحمن بن اسحاق عند ورود كتاب أمير المؤمنين مع من أحضرت ممن كان ينسب إلى الفقه ويعرف بالجلوس للحديث وينصب نفسه للفتيا بمدينة السلام وقراءتك عليهم جميعاً كتاب أمير المؤمنين ومسألتك إياهم عن اعتقادهم في القرآن والدلالة لهم على حظهم وإطباقهم على نفي التشبيه واختلافهم في القرآن ، وأمرك من لم يقل منهم إنه مخلوق بالإمساك عن الحديث والفتوى في السر والعلانية وتقدمك إلى السندي وعباس مولى أمير المؤمنين بما تقدمت به فيهم إلى القاضيين بمثل ما مثل لك أمير المؤمنين من امتحان من يحضر مجالسهما من الشهود ، وبث الكتب إلى القضاة في النواحي من عملك بالقدوم عليك لتحملهم وتمتحنهم على ما حده أمير المؤمنين وتثبيتك في آخر الكتاب أسماء من حضر ومقالاتهم ، وفهم أمير المؤمنين ما اقتصصت . وأمير المؤمنين يحمد الله كثيراً كما هو أهله ، ويسأله أن يصلي على عبده ورسوله محمد ﷺ ويرغب إلى الله في التوفيق لطاعته وحسن المعونة على صالح نيته برحمته . وقد تدبر أمير المؤمنين ما كتبت به من أسماء من سألت عن القرآن وما رجع إليك فيه كل امرىء منهم وما شرحت من مقالاتهم . فأما ما قال المغرور بشر بن الوليد في نفي التشبيه وما أمسك به من أن القرآن مخلوق وادعى من تركه الكلام في ذلك واستعهاده أمير المؤمنين فقد كذب بشر في ذلك وكفر وقال الزور والمنكر ، ولم يكن جرى بين أمير

المؤمنين وبينه في ذلك ولا في غيره عهد ولا نظر أكثر من أخباره أمير المؤمنين من اعتقاده كلمة الإخلاص والقول بأن القرآن مخلوق ، فادع به إليك وأعلمه ما أعلمك به أمير المؤمنين من ذلك أو نصصه عن قوله في القرآن واستتبه منه، فإن أمير المؤمنين يرى أن يستتيب من قال بمقالته إذ كانت تلك المقالة الكفر الصراح والشرك المحض عند أمير المؤمنين ، فإن تاب منها فأشهر أمره وأمسك عنه ،وإن أصر على شركه ودفع أن يكون القرآن مخلوقاً بكفره وإلحاده فاضرب عنقه وابعث إلى أمير المؤمين برأسه إن شاء الله ، وكذلك إبراهيم ابن المهدي فامتحنه بمثل ما تمتحن به بشراً فإنه كان يقول بقوله ، وقد بلغت أمير المؤمنين عنه بوالغ ، فإن قال إن القرآن مخلوق فأشهر أمره واكشفه وإلا فاضرب عنقه وابعث إلى أمير المؤمنين برأسه إن شاء الله. وأما علي بن أبي مقاتل فقل له : ألست القائل لأمير المؤمنين إنك تحلل وتحرم والمكلم له بمثل ما كلمته به مما لم يذهب عنه ذكره ؟ وأما الذيال بن الهيثم فأعلمه إنه كان في الطعام الذي كان يسرقه في الأنبار وما يستولي عليه من أمر مدينة أمير المؤمنين أبي العباس ما يشغله وإنه لو كان مقتفياً آثار سلفه وسالكاً مناهجهم ومحتذياً سبيلهم لما خرج إلى الشرك بعد إيمانه . وأما أحمد بن يزيد المعروف بأبي العوام وقوله إنه لا يحسن الجواب في القرآن فأعلمه إنه صبي في عقله لا في سنه جاهل ، وإنه إن كان لا يحسن الجواب في القرآن فسيحسنه إذا أخذه التأديب ، ثم إن يفعل كان السيف من وراء ذلك إن شاء الله . وأما أحمد بن حنبل وما تكتب عنه فأعلمه أن أمير المؤمنين قد عرف فحوى تلك المقالة وسبيله فيها واستدل على جهله وآفته بها . وأما الفضل بن غانم فأعلمه إنه لم يخف على أمير المؤمنين ما كان منه بمصر وما اكتسب من الأموال في أقل من سنة وما شجر بينه وبين عبد المطلب ابن عبد الله في ذلك فإنه من كان شأنه شأنه وكانت رغبته في الدنيا والدرهم رغبته فليس بمستنكر أن يبيع إيمانه طمعاً فيها وإيثاراً لعاجل نفعهما ، وإنه مع

ذلك ، القائل لعلي بن هشام ماقال ، والمخالف له فيا خالفه فيه ، فما الذي حال به عن ذلك ونقله إلى غيره؟ وأما الزيادي فأعلمه إنه كان منتحلاً ولا أول دعي كان في الاسلام خولف فيه حكم رسول الله ﷺ. وكان جديراً أن يسلك مسلكه فأنكر أبو حسان أن يكون مولى لزياد أو يكون مولى لأحد من الناس - وذكر إنه إنما نسب إلى زياد لامر من الأمور - وأما المعروف بأبي نصر التمار فإن أمير المؤمنين شبه خساسة عقله بخساسة متجره . وأما الفضل بن الفرخان فأعلمه إنه حاول بالقول الذي قاله في القرآن أخذ الودائع التي أودعها إياه عبد الرحمن بن اسحاق وغيره تربصاً بمن استودعه وطمعاً في الاستكثار لما صار في يده ولا سبيل عليه عن تقادم عهده وتطاول الأيام بـه ، فقل لعبد بن الرحمن اسحاق : لا جزاك الله خيراً عن تقويتك مثل هـذا وإيمانك إياه وهو معتقد الشرك منسلخ من التوحيد . وأما محمد بن حاتم وابن نوح والمعروف بأبي معمر فاعلم أنهم مشاغيل بأكل الربا عن الوقوف على التوحيد ، وإن أمير المؤمنين لو لم يستحل محاربتهم في الله ومجاهدتهم إلا لأربائهم وما نزل بـه كتاب الله في أمثالهم لاستحل ذلك ، فيكف بهم وقـد جمعوا مع الأرباء شركا وصاروا للنصارى مثلاً ؟ وأما أحمد بن شجاع فأعلمه أنك صاحبه بالأمس والمستخرج منه ما استخرجته من المال الذي كان استحله من مال علي بن هشام وإنه ممن الدنيا والدرهم دينه . وأما سعدويه الواسطى فقل له : قبح الله رجلاً بلغ بـه التصنع للحديث والتزين به والحرص على طلب الرئاسة فيه أن يتمنى وقت المحنة فيقول بالتقرب منها متى يمتحن فيجلس للحديث . وأما المعروف بسجادة وإنكاره أن يكون سمع ممن كان يجالس من أهل الحديث وأهل الفقه القول بأن القرآن مخلوق فأعلمه إنه في شغله بإعداد النوى وحكه لإصلاح سجادته وبالودائع التي دفعها إليه علي بن يحي وغيره ما أذهله عن التوحيد وألهاه ، ثم سله عما كان يوسف بن أبي يوسف ومحمد بن الحسن يقولانـه إن كان شاهدهما وجالسهما . وأما القواريري

فقيما تكشف من أحواله وقبوله الرشا والمصانعات ما أبان عن مذهبه وسوء طريقته وسخافة عقله ودينه . وقد انتهى إلى أمير المؤمنين إنه يتولى لجعفر بن عيسى الحسني مسائله ، فتقدم إلى جعفر بن عيسى في رفضه وترك الثقة به والاستنامة إليه . وأما يحيى بن عبد الرحمن العمري فإنه كان من ولد عمر بن الخطاب فجوابه معروف . وأما محمد بن الحسن بن علي بن عاصم فإنه لو كان مقتدياً بمن مضى من سلفه لم ينتحل النحلة التي حكيت عنه وإنه بعد صبي يحتاج إلى تعلم . وقد كان أمير المؤمنين وجه إليك المعروف بأبي مسهر بعد أن نصبه أمير المؤمنين عن محنته في القرآن فجمجم عنها ولجلج فيها حتى دعا له أمير المؤمنين بالسيف فأقر ذميماً فانصصه عن إقراره ، فإن كان مقيماً عليه فأشهر ذالك وأظهره إن شاء الله. ومن لم يرجع عن شركه ممن سميت لأمير المؤمنين في كتابك وذكره أمير المؤمنين لك أو أمسك عن ذكره في كتابه هذا ولم يقل أن القرآن مخلوق بعد بشر بن الوليد وإبراهيم بن المهدي فاحملهم أجمعين موثقين إلى عسكر أمير المؤمنين مع من يقوم بحفظهم وحراستهم في طريقهم حتى يؤديهم الى عسكر أمير المؤمنين ويسلمهم إلى من يؤمن بتسليمهم إليه لينصهم أمير المؤمنين فإن لم يرجعوا ويتوبوا حملهم جميعاً على السيف إن شاء الله ولا قوة إلا بالله . وقد أنفذ أمير المؤمنين كتابه هذا في خريطة بندارية ولم ينظر فيه اجتماع الكتب الخرائطية معجلا به تقرباً إلى الله عز وجل بما أصدر من الحكم ورجاء ما اعتمد وإدراك ما أمل من جزيل ثواب الله عليه. فأنفذ لما أتاك من أمر أمير المؤمنين وعجل إجابة أمير المؤمنين بما يكون منك في خريطة بندارية مفردة عن سائر الخرائط لتعرف أمير المؤمنين مايعملونه إن شاء الله . وكتب سنة ٢١٨ هـ.

تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٧ ٢٠٢ ـ ٢٠٥

٣٤٤ - رسالة أخرى من المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم بحق بشر بن الوليد الذي أذعن أن القرآن مخلوق ولكنه ذكر أنه إنما فعل ذلك بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان ووصل خبر ذلك إلى المأمون :

قد فهم أمير المؤمنين ما أجاب القوم إليه. وذكر سليمان بن يعقوب صاحب الخبر أن بشر بن الوليد تأول الآية التي أنزلها الله تعالى في عمار بن ياسر : إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان [1] . وقد أخطأ التأويل إنما عنى الله عز وجل بهذه الآية من كان معتقد الإيمان مظهر الشرك ، فأما من كان معتقد الشرك مظهر الإيمان فليس هذه له ، فأشخصهم جميعاً إلى طرسوس ليقيموا بها إلى خروج أمير المؤمنين من بلاد الروم [2] .

تاريخ الأمم والملوك للطبري ج٧ - ٢٠٦

٣٤٥ - رسالة بشر المريسي إلى منصور بن عمار حول القرآن الكريم:

اخبرني : القرآن خالق أو مخلوق ؟

٣٤٦ - رسالة جوابية من منصور بن عمار إلى بشر المريسي عن الرسالة السابقة :

عافانا الله وإياك من كل فتنة ، وجعلنا وإياك من أهل السنة والجماعة ، فإنه إن يفعل فأعظم بها من نعمة ، وإلا فهي الهلكة وليست لأحد على الله بعد المرسلين حجة، نحن نرى أن الكلام في القرآن بدعة، تشارك فيها السائل والمجيب وتعاطى السائل ماليس له ، وتكلف المجيب ماليس عليه. وما أعرف خالقاً إلا

---

(١) سورة النحل ، الآية ٦٠ .

(٢) ورد نص هذه الرساله في كثير من المصادر كابن مسكويه ج٦ - ٤٦٦ وابي الفداء ج٢-٣٣ وابن الوردي ج١-٣٣ . وهناك اختلافات كثيرة في نصوصها .

الله ومـا دون الله مخلوق   والقرآن كلام الله فاتـه بنفسك وبالمختلفين معك إلى أسمائه التي سماه الله بها تكن من المهتدين، ولا تسم القرآن باسم من عندك فتكون من الضالين . جعلنا الله وإياك من الذين يخشونه بالغيب وهم من الساعة مشفقون.

تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج٧ ـ ٦٢

ـ المأمون والعلويون ـ

٣٤٧ ـ مقاطع من رسالة وجهها عبد الله بن موسى العلوي أخو علي الرضا إلى المأمون جوابا على رسالة أرسلها له المأمون بعـد موت أخيه يطلب منه أن يظهر نفسه ـ لأنه كان متخفياً ـ لأنه يريد أن يعهد إليه بالخلافة :

فبأي شيء تغرني ؟ مافعلته بأبي الحسن ـ صلوات الله عليه ـ بالعنب الذي أطعمته إياه فقتله . والله مايقعدني عن ذلك خوف من الموت ولا كراهة له ، ولكن لا أجد لي فسحة في تسليطك على نفسي ولولا ذلك لأتيتك حتى تريحني من هذه الدنيا الكدرة .

ويقول فيها :

هبني لاثأر لي عندك وعند آبائك المستحلين لدمائنا الآخـــذين حقنا الذين جاهروا في أمرنا فحذرناهم وكنت ألطف حيلة منهم بما استعملته من الرضا بنـا والتستر لمحننا تختل واحداً فواحداً منا، ولكني كنت امرءاً حبب إلي الجهـاد كما حبب إلى كل امرىء بغيته فشحذت سيفي وركبت سناني على رمحي واستفرهت فرسي لم أدر أي عدو أشد ضرراً على الإسلام فعلمت أن كتاب الله يجمع كل شيء فقرأته فإذا فيه: يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة [1] . فما أدري من يلينا منهم ، فأعـدت النظر فوجدته يقول : لا تجـد

---

(١) سورة التوبة ، الآية ١٢٣ .

قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم [١] . فعلمت أن علي أن أبدأ بما قرب مني ، وتدبرت فإذا أنت أضر على الإسلام والمسلمين من كل عدو لهم ، لأن الكفار خرجوا منه وخالفوه فحذرهم الناس وقاتلوهم . وأنت دخلت فيه ظاهراً فأمسك الناس وطفقت تنقض عراه عروة عروة فأنت أشد أعداء الإسلام ضرراً عليه [٢] .

مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني ص ٦٢٨ ـ ٦٢٩

ـ شؤون ادارية وعمرانية وقضائية ومختلفة ـ

بين المأمون والآخرين ولا سيما عماله وقضاته

٣٤٨ ـ نص الكتابة التي كانت مكتوبة على لوح من الفضة مثبت على السرير الذي أهداه ملك التبت لما أسلم الى الكعبة المشرفة وعرض في المسجد الحرام أمام الناس :

أسلم ملك التبت زمن المأمون ، وكان له سرير فخم من فضة محلى بالذهب ، فأرسل السرير هدية إلى الكعبة المشرفة ، فأرسله المأمون إليها وثبت إلى السرير لوحاً من فضة يحمل الكتابة التالية :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا سرير فلان بن فلان ملك التبت أسلم وبعث بهذا السرير هدية الى الكعبة فاحمدوا الله الذي هداه للإسلام .

٣٤٩ ـ نص الكتابة التي وجدت على اللوح الذي وجه به المأمون الى الكعبة لما أرسل إليها سرير ملك التبت وتاجه مع ذي الرياستين. وقد بقيا حتى

---

(١) سورة المجادلة ، الآية ٢٢ .

(٢) اورد نفس المؤلف نصاً آخر لرسالة عبد الله هذا الى المأمون في نفس الكتاب ٦٣٠-٦٣١ ولا تخرج في مضمونها عن نصنا هذا .

زمن الأزرقي [حوالي ٢٤٠ هـ] الذي نسخ ماهو موجود على اللوح الفضي وعلى تاج الملك :

بسم الله الرحمن الرحيم ،أمر عبد الله الإمام المأمون أمير المؤمنين ـ أكرمه الله ـ ذا الرياستين الفضل بن سهل بالبعثة بهـذا السرير من خراسان الى بيت الله الحرام في سنة مائتين ، وهو سرير الأصبهبذ كابل شاه بعـد مهراب بني دومي كابل شاه المحمول تاجه إلى مكة المخزون سريره في بيت مـال المسلمين بالمشرق في سنة سبع وتسعين ومائة . ومن نبأ أمر الأصبهبذ أنـه أضعف عليه الخراج والفدية عن بلاد كابل والقندهار ونصبت المنابر وبنيت المساجد فيها ، وخرج الأصبهبذ كابل شاه نازلاً عن سريره هذا خاضعاً لله مستسلماً حتى حاول حدود كابل وأرض الطخارستان،ووضع يده في يد صاحب جبل خراسان ذي الرياستين على ماسامه ذو الرياستين من خطة الذل للدين ولإمام المسلمين . ثم أقام البريـد من القندهار الى الباميان وأضاف بلاد كابل والقندهار إلى بلاد خراسان وأذعن للوالي مع الجنود ، مقيماً حدود الله والإسلام عاملاً بأحكامه فيه وفي من اختار الإسلام معه وأقام على العهد في مملكته . وسير الإمام ـ أكرمه الله ـ الرايات الخضر على يدي ذي الرياستين إلى قشمير وفي ناحية التبت ماسيرهـا فأظهره الله سبحانه على بوخان وراور بلاد بلور صاحب جبل خاقان وجبل التبت ، وبعث به إلى العراق مع فرسان التبت ، ومن ناحية السرير ماطلب على باراب وشاوغر وزاول وبلاد إطراز ، وقتل قائد الثغر وسبا أولاد جبغويه الخرلخي مع خاتوناته بعد إحجاره إياه ببلاد كيماك وبعد غلبه ماغلب على مدينـــة كاسان وبعث بمفاتيح قلاع فرغانة إلى العرب . فمن قرأ هذه السطور فليمن على تعزيز الإسلام وتذليل الشرك بقول أو فعل ، فإن ذلك واجب على النـاس تعزيز الدين إذا قامت به الأئمة ، ومن أراد الزهد والجهاد وأبواب البر والمعاونة على ما يكسب الإسلام كهذا العز وهذه المفاخر . وقـد نسخنا ما كان حفر على صفيحة تاج

مهرب بني دومي كابل شاه في سنة سبع وتسعين ومائة على هـذا اللوح . ومن نصر دين الله نصره الله لقوله تبارك وتعـالى : ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز (١) . وكتب الحسن بن سهل صنو ذي الرياستين في سنة مائتين .

أخبار مكة . . . للأزرقي ج١ ٢٢٦ - ٢٣١

٣٥٠ - نص الكتابة التي كانت موجودة على تاج كابل شاه :

بسم الله الرحمن الرحيم . أمر الإمام المأمون أمير المؤمنين - أكرمه الله - بحمل هذا التاج من خراسان وتعليقه في الموضع الذي علق فيه الشرطان في بيت الله الحرام شكراً لله عز وجل على الظفر بمن غدر ، وتبجيلاً للكعبة إذ استخف بها من نكث وحال عما أكد على نفسه فيها ، ورجا الإمام عظيم الثواب من الله عز وجل بسده الثلمة التي اخترمها المخلوع في الدين فإنه قد كان جرئاً على الغدر والاستخفاف بما أكد في بيت الله عز وجل وحرمه . وتوخى الإمام تذكير من تنفعه الذكرى ليزيدهم به يقيناً في دينهم وتعظيماً لبيت ربهم وتحذيراً لمن استخف وتعدى ، فإنا علقنا هذا التاج بعد غدر المخلوع وإخراجه الشرطين وإحراقه إياهما فأخرجه الله من ملكه بالسيف وأحرق محلته بالنار عبرة وعظة وعقوبة بما كسبت يداه ، وما الله بظلام للعبيد . وبعد عقد الإمام المأمون - أكرمه الله - بخراسان لذي الرياستين الفضل بن سهل وتوليته إياه المشرق وبلوغ الراية السوداء بلاد كابل ونهر السند وتصيير مهرب بني دومي كابل شاه سريره وتاجه على يدي ذي الرياستين إلى باب الإمام المأمون أمير المؤمنين وإسلام كابل شاه وأهل طاعته على يد الامام بمرو ، فأمر الإمام ، جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً الثروه(٢) من الأئمة المهديين أن يرفع السرير إلى خزان بيت مـال المسلمين بالمشرق ويعلق

(١) سورة الحج ، الآية ٤٠ .

(٢) كذا بالاصل وهي محرفة لاشك ، وهناك حذف إذ أن المعنى ناقص مضطرب .

التاج في بيت الله الحرام بمكة، وبعث به ذو الرياستين والي الإمام على المشرق ومدبر خيوله وصاحب دعوته بعدما اجتمع المسلمون على طاعة الإمام المأمون أمير المؤمنين أكرمه الله ووفوا له بوفائه بعهد الله وأطاعوه بتمسكه بطاعة الله عز وجل وكانفوه بعمله بكتاب الله وإحيائه سنة رسول الله ﷺ، وبرئوا به من المخلوع لغدره ونكثه وتبديله. فالحمد لله رب العالمين معز من أطاعه ومذل من عصاه ورافع من وفى وواضع من غدر، وصلى الله على محمد النبي وآله وصحبه وسلم. وكتب الحسن بن سهل صنو ذي الرياستين في سنة تسع وتسعين ومائة.

أخبار مكة للأزرقي ج١ ٢٤٣ – ٢٤٤

٣٥١ – رسالة المأمون في صفات الوزير :

إني التمست لأموري رجلا جامعاً لخصال البر ذا عفة في خلائقه واستقامة في طرائقه، قد هذبته الآداب وأحكمته التجارب، إن اؤتمن على الأسرار قام بها، وإن قلد مهمات الأمور نهض بها، يسكته الحلم وينطقه العلم وتكفيه اللحظة وتغنيه اللمحة، له صولة الأمراء وأناة الحكماء وتواضع العلماء وفهم الفقهاء. إن أحسن إليه شكر، وإن ابتلي بالاساءة صبر. لايبيع نصيب يومه بحرمان غده، يسترق قلوب الرجال بخلابة لسانه وحسن بيانه.

الأحكام السلطانية للماوردي ص ٢١

٣٥٢ – توقيع المأمون إلى الفضل بن سهل بإقطاعه السيب في أرض العراق مكافأة له :

أغنيت يا فضل بن سهل بمعاونتك إياي على طاعة الله وإقامة سلطاني، فرأيت أن أغنيك وسبقت الناس من الحاضر كان لي والغائب كان عني فاحببت أن أسبق إلى الكتاب لك بخطي، بما رأيته على نفسي وأنا أسأل الله تمامه، فإن حولي وقوتي ومقدرتي وقبضي وبسطي به، لا شريك له. وقد أقطعتك

السيب بأرض العراق على حيازة تميم مولى أمير المؤمنين عطاء لك واعقبك لما أنت عليه من النزاهة عن أموال رعيتي ، ولما قمت بـه من حق الله وحقي فلم تأخذك في لومة لائم ، ولم تراقب ذا سلطان ولا غيره . وقد جعلت لك بعد ذلك مرتبة من يقول في كل شيء فيسمع منه، ولا تتقدمك مرتبة أحد ما لزمت ما أمرتك به من العمل لله ونبيه والقيام بصلاح دولة أنت ولي قيامها ، وجعلت ذلك كله لك بشهادة الله وجعلته لك كفيلاً على عهدي. وكتبت بخطي سنة ست وتسعين ومائة .

كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري ص ٣٠٦

٣٥٣ ـ رسالة المأمون إلى عبد الله بن طاهر بخط يده بعد أن اخمد الثورات في مصر وهدأ الأمور فيها :

أرسل المأمون رسالة إلى عبد الله بن طاهر وهـو في مصر وكتب بأسفلها هذه الأبيات :

اخي أنت ومولاي	ومن أشكر نعماه
فما أحببت من أمر	فأتى الدهر أهواه
وما تكره من شيء	فإني لست أرضاه
لك الله على ذلك	لك الله لك الله[1]

زبدة الحلب من تاريخ حلب لابن العديم حـ ١ ـ ٩٧

---

(١) ذكر هذه الأبيات الطبري حـ٧ـ١٥٨ وابن مسكويه حـ٦ ٤٦٢ـ٤٦٣ ،

٣٥٤ - رسالة من المأمون إلى عبد الله بن طاهر يخبره بأسباب ستر خبر وفاة والده :

توفي طاهر بن الحسين وابنه عبد الله يحارب بابك فكتم المأمون الخبر عنه، ولكن الخبر وصله من غيره ، فأرسل إلى المأمون يستفسره عن سبب ذلك فأجابه بما يلي :

لم أستر عنك علمه إلا لأني خشيت أن تضعف وأنت في وجه حرب فخفت عليك من الفكرة والتواني ، وقد كان ذلك فرحمه الله .

تاريخ بغداد لابن طيفور ﺣ ٦ - ٧٥

٣٥٥ - رسالة المأمون إلى عبد الله بن طاهر يعزله عن مصر ويولي مكانه إسحاق بن إبراهيم وهي من إنشاء أحمد بن يوسف :

أما بعد : فإن أمير المؤمنين قد رأى تولية إسحاق بن إبراهيم ما تتولاه من أعمال المعاون بديار مصر ، وإنما هو عملك نقل عنك إليك ، فسلمه من يدك إلى يدك ، والسلام .

كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ص ٣٥٥

٣٥٦ - رسالة عمرو بن مسعدة إلى المأمون لما اضطرب أمر الجند بسبب تأخر أرزاقهم :

كتابي إلى أمير المؤمنين ومن قبلي من قواده وسائر أجناده في الانقياد والطاعة على أحسن ما تكون عليه طاعة جند تأخرت أرزاقهم ، وانقياد كفاة تراخت أعطياتهم واختلت لذلك أحوالهم والتاثت معه أمورهم (١) .

وفيات الأعيان لابن خلكان ﺣ ٣ - ١٤٨

(١) مر ذكر هذه الرسالة بشكل فيه بعض الايجاز في كل من زهر الآداب ﺣ٢ - ٨٣٧ ونهاية الارب ﺣ٧ - ٢٦٠ .

٣٥٧ – رسالة أحمد بن يوسف للمأمون يذكر له اجتماع الوفود والناس ببابـــه :

اجتمع طلاب الحاجات بباب المأمون وطال وقوفهم به فكتب إليه أحمد بن يوسف يقول :

داعي نداك يا أمير المؤمنين ومنادي جدواك جمعا الوفود ببابك يرجون نائلك المعهود ، فمنهم من يمت بحرمة ، ومنهم من يدلي بخدمة ، وقد أجحف بهم المقام وطالت عليهم الأيام . فإن رأى أمير المؤمنين أن ينعشهم بسيبه ويحقق حسن ظنهم بطوله فعل إن شاء الله تعالى .

٣٥٨ – جواب المأمون على الرسالة السابقة :

الخير متبع وأبواب الملوك مغان لطالبي الحاجات ومواطن لهم ، ولذلك قال الشاعر :

يسقط الطير حيث يلتقط الحب وتغشى منازل الكرماء

فاكتب أسماء من ببابنا منهم واحك مراتبهم ليصل إلى كل واحد منهم قدر استحقاقه ، ولا تكدر معروفنا عندهم بطول الحجاب وتأخير الثواب . فقد قال الشاعر :

فإنك لن ترى طرداً لحر كإلصاق به طرف الهوان[1]

معجم الأدباء لياقوت الحموي حـ ٥ ١٦٩ – ١٧٠

---

(١) ورد نص هاتين الرسالتين بشكل مختلف بعض الاختلاف في كل من زهر الآداب حـ١ ٤٣٦-٤٣٧ ونهاية الارب حـ٢ ٢٦٠-٢٦١ ويذكر هذان المصدران بيتاً ثانياً في رسالة المأمون وهو :

ولم يجلب مودة ذي وفاء كمثل البذل أو بسط اللسان

٣٥٩ - رساله عنبسة بن إسحاق عامل المأمون على الرقة إليه يصف عيث الأعراب بناحية سنجار وخروجهم فيها :

يا أمير المؤمنين : قد قطع سبيل المجتازين من المسلمين والمعاهدين نفر من شذاذ الأعرب الذين لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة ، ولا يخافون من الله حداً ولا عقوبة . ولولا ثقتي بسيف أمير المؤمنين وحصده هذه الطائفه وبلوغه في أعداء الله ما يردع قاصيهم ودانيهم لآذنت بالاستنجاد عليهم ولا بتعثت الخيل إليهم . وأمير المؤمنين معان في أموره بالتأييد والنصر إن شاء الله .

٣٦٠ - جواب المأمون عن الرسالة السابقة :

لم يرسل المأمون سوى بيتين من الشعر إلى الوالي وأمره بإرسالها إلى العصاة وهما :

اسمعت غير كهام السمع والبصر لا يقطع السيف إلا في يد الحذر

يصبح القوم من سيفي وضاربه مثل الهشيم ذرته الريح بالمطر[1]

زهر الآداب للحصري القيرواني ج ٢-١٠٧٦

٣٦١ - رسالة من المأمون إلى أبي الرازي قاضيه في البصرة برد زوجة رجل بصري تزوج امرأة من آل زياد ففرق القاضي بينهما بحجة أن الزيادية امرأة من قريش :

صاح رجل بالمأمون : إني رجل بصري وتزوجت امرأة من آل زياد ففرق بيننا القاضي أبو الرازي بحجة أنها من قريش . فأمر المأمون كاتبه عمرو بن مسعدة فكتب باسمه إلى القاضي :

---

(١) وبقية القصة تقول أن عنبه وجه بالبيتين الى الاعراب فما بقي منهم اثنان .

أنه قد بلغ أمير المؤمنين ما كان من أمر الزبادية وخلعك إياها إذ كانت من قريش ، فمتى تحاكمت إليك العرب ، لا أم لك ، في أنسابها ؟ ومتى وكلتك قريش ، يا ابن اللخناء ، بأن تلصق بها من ليس منها ؟ فحل بين الرجل وامرأته ، فلئن كان زياد من قريش إنه لابن سمية بغي عاهرة لا يفتخر بقرابتها ولا يتطاول بولادتها ، ولئن كان ابن عبيد لقد باء بأمر عظيم إذ آوى إلى غير أبيه لحظ تعجله وملك قهره .

عصر المأمون لفريد الرفاعي حـ ٣ - ٦٣

٣٦٢ - رسالة من المأمون إلى أحد العصاة من إنشاء إبراهيم الصولي :

أما بعد : فإن لأمير المؤمنين أناة ، فإن لم تغن عقب بعدها وعيداً ، فإن لم يغن أغنت عزائمه ، والسلام .

وفيات الأعيان لابن خلكان حـ ١ - ٢٦

٣٦٣ - رسالة من إبراهيم بن السندي إلى المأمون حول رقاع وجدت في الطريق فيها شتم السلطان وتهديد يسأله ما يفعل بشأنها :

إنا أصبنا - يا أمير المؤمنين - رقاعاً فيها كلام السفهاء والسفلة وفيها تهديد ووعيد ، وبعضها عندنا محفوظة إلى أن يأمر أمير المؤمنين فيها بأمره .

٣٦٤ - جواب المأمون بخطه على الرسالة السابقة :

هذا أمر إن أكبرناه كثر غمنا به ، واتسع علينا خرقه ، فمر أصحاب أخبارك متى وجدوا من هذه الرقاع رقعة أن يمزقوها قبل أن ينظروا فيها ، فانهم إذا فعلوا ذلك لم ير لها أثر ولا عين .

تاريخ بغداد لابن طيفور حـ ٢ - ٤٢

٣٦٥ - رسالة من سجين طال سجنه ولم يلتفت إليه إلى المأمون يلفت نظره إليه :

اغفلت يا أمير المؤمنين أمري وتناسيت ذكري ولم تتأمل حجتي وعذري حتى مل من صبري الصبر ومسني في حبسك الضر .

٣٦٦ - جواب المأمون :

ركوبك مطية الجهل صيرك أهلا للقتل ، وبغيك عليَّ وعلى نفسك نقلك من سعة الدنيا الى قبر من قبور الأحياء ، ومن جهل الشكر على المنن قل صبره على المحن ، فاصبر على عواقب هفواتك وموبقات زلاتك على قدر صبرك على كثير جناياتك ، فإن حصل في نفسك كف عن معصيتي وعزم على طاعتي وندم على مخالفتي فلن تعدم مع ذلك جميلا من بيتي ، والسلام .

نهاية الأدب للنويري ج ٦ - ٦٧

٣٦٧ - منشور أصدره المأمون وقرىء على الناس لما قتل المأمون علي ابن هشام المرزوي وعقله في إذنه ، لأن عليا هذا أساء السيرة وظلم الرعية وسفك الدماء ونهب الأموال لما عينه المأمون واليا على كور الجبال فأخذه المأمون وقتله وأذاع المنشور التالي :

أما بعد : فـإن أمير المؤمنين كان دعا علي بن هشام فيمن دعا من أهل خراسان أيام المخلوع إلى معاونته والقيام بحقه، وكان فيمن أجاب وأسرع الإجابة وعاون فأحسن المعاونة ، فرعى أمير المؤمنين ذلك له واصطنعه وهو يظن به تقوى الله وطاعته والانتهاء إلى أمر أمير المؤمنين في عمل إن أسند إليه في حسن السيرة وعفاف الطعمة . وبدأه أمير المؤمنين بالأفضال عليه فولاه الأعمال السنية ووصله بالصلات الجزيلة التي أمر أمير المؤمنين بالنظر في قدرها فوجدها أكثر

من خمسين الف الف درهم ، فمد يده إلى الخيانة والتضييع لما استرعاه من الأمانة فباعده عنه وأقصاه . ثم استقال أمير المؤمنين عثرته فأقاله إياها وولاه الجبل وأذربيجان وكور أرمينية ومحاربة أعداء الله الخرمية على أن لا يعود إلى ما كان منه ، فعاود أكثر ما كان بتقديمه الدنيا والدرهم على العمل لله ودينه وأساء السيرة وعسف الرعية وسفك الدماء المحرمة ، فوجه أمير المؤمنين عجيف بن عنبسة مباشراً لأمره وراعياً إلى تلافي ما كان منه . فوثب بعجيف يريد قتله ، فقوى الله عجيفاً بنيته الصادقة في طاعة أمير المؤمنين حتى دفعه عن نفسه ، ولو تم ما أراد بعجيف لكان في ذلك ما لا يستدرك ولا يستقال ، ولكن الله إذا أراد أمراً كان مفعولاً . فلما أمضى أمير المؤمنين حكم الله في علي بن هشام رأى أن لا يؤاخذ من خلفه بذنبه فأمر أن يجري لولده ولعياله ولمن اتصل بهم ومن كان يجري عليهم مثل الذي كان جارياً لهم في حياته . ولولا أن علي بن هشام أراد العظمى بعجيف لكان في عداد من كان في عسكره ممن خالف وخان كعيسى ابن منصور ونظرائه ، والسلام[1] .

تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٧ - ١٩٣

٣٦٨ ـ نص أمان المأمون الذي منحه إلى نصر بن شبث الذي ثار في الجزيرة فوجه له المأمون عبد الله بن طاهر فحاربه حتى حصره في حصونه فطلب الأمان من المأمون فأرسل عبد الله بذلك إلى المأمون فمنحه هذا الأمان:

أما بعد : فإن الإعذار بالحق حجة الله المقرون بها النصر ، والاحتجاج بالعدل دعوة الله الموصول بها العز ، ولا يزال المعذر بالحق ، المحتج بالعدل في استفتاح أبواب التأييد واستدعاء أسباب التمكين حتى يفتح الله وهو خير

---

(١) يوجد نص مشابه لنصنا هذا في ابن طيفور جـ٦-١٤٦ .

الفاتحين ويمكن وهو خير الممكنين . ولست تعدو أن تكون فيما لهجت به أحد ثلاثة : طالب دين أو ملتمس دنيا أو متهوراً يطلب الغلبة ظلماً . فإن كنت للدين تسعى بما تصنع فأوضح ذلك لأمير المؤمنين يغتنم قبوله إن كان حقاً ، فلعمري ماهمته الكبرى ولا غايته القصوى إلا الميل مع الحق حيث مال ، والزوال مع العدل حيث زال ، وإن كنت للدنيا تقصد ، فأبلغ أمير المؤمنين غايتك فيها والأمر الذي تستحقها به ، فإن استحققتها وأمكنه ذلك فعله لك ، فلعمري مايستجيز منع خلق مايستحقه وإن عظم ، وإن كنت متهوراً فسيكفي الله أمير المؤمنين مؤونتك ويعجل ذلك كما عجل كفايته مؤن قوم سلكوا مثل طريقك كانوا أقوى يداً وأكثف جنداً وأكثر جمعاً وعدداً ونفراً منك فيما أصارهم إليه من مصارع الخاسرين وأنزل بهم من جوانح الظالمين . وأمير المؤمنين يختم كتابه بشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ ، وضمانه لك في دينه وذمته الصفح عن سوالف جرائمك ومتقدمات جرائرك وإنزالك ماتستأهل من منازل العز والرفعة إن أتيت وراجعت إن شاء الله ، والسلام [1] .

تاريخ بغداد لابن طيفور ج٦ – ٧٨

٣٦٩ – رسالة الفضل بن الربيع إلى المأمون وقد حجبه لسبب من الأسباب :

يا أمير المؤمنين ، لم ينسني التقريب حالي أيام التبعيد ، ولا أغفلتني المؤانسة عن شكر الإبتداء ، فعلى أي الحالين أبعد من أمير المؤمنين المأمون ويلحقني ذم التقصير في واجب خدمته؟ وأمير المؤمنين أعدل شهودي على الصدق فيما وصفت ، فإن رأى أمير المؤمنين ألا يكتم شهادتي فعل إن شاء الله .

زهر الآداب للحصري القيرواني ج١ – ٣٨٧

(١) يذكر الطبري جـ٧ ١٧٣-١٧٤ نصاً مشابهاً لهذا النص ،

٣٧٠ ــ رسالة من الفضل بن الربيع إلى عبد الله بن طاهر يعزيه في والده ويقول :

إن أمير المؤمنين ستر عنك موت أبيك خوف التواني، فجد في الأمر الذي أنت له ، متولياً له مايرضيه وما تعلم به أنك قد قمت بالواجب وأثره أثراً تعجله في الكلب الذي أنت بإزائه وأصدقه، فإني أعلم أنك ستظفر به وأنا عارف بضعفه .

تاريخ بغداد لابن طيفور ج٦ ــ ٧٥

٣٧١ ــ توقيع الفضل بن سهل في رقعة رفعها إليه صاحب مقاطعة همذان يذكر أن كاتب البريد ذكر أن صاحبه اقتطع مالاً جليلاً من مال السلطان ويذكر أنه وكل به وبصاحبه ، فأجابه الفضل :

قبول السعاية شر من السعاية لأن السعاية دلالة والقبول إجازة ، ومن قبل مانهى الله عنه كان بعيداً عنه وحقيقاً ألا يقبل قوله ، فأنف هذا الكاتب فإنه لم يرع ما كان يجب عليه أن يرعاه من حقوق صاحبه وحرمة خدمته .

الوزراء والكتاب للجهشياري ص ٣٠٨

٣٧٢ ــ رسالة الحسن بن سهل إلى أخيه الفضل بن سهل :

إن الله قد جعل جدك عالياً وجعلك في كل خير مقدماً وإلى غاية كل فضل سابقاً ، وصيرك ــ وإن نأت بك الدار، من أمير المؤمنين وكرامته قريباً. وقد حدد لك من البركيت وكيت . وكذا يحوز الله لك من الدين والدنيا والعز والشرف أكثره وأشرفه إن شاء الله .

عيون الأخبار لابن قتيبة ج١ ــ ٩٤

٣٧٣ ـ رسالة الحسن بن سهل إلى محمد بن سماعة القاضي يطلب منه رجلاً ذا صفات معينة ليستعين به في بعض أمره :

أما بعد : فإني احتجت لبعض أموري إلى رجل جامع لخصال الخير ذي عفة ونزاهة طعمة هذبته الآداب وأحكمته التجارب ، ليس بظنين في رأيه ولا بمطعون في حسبه ، إن اؤتمن على الأسرار قام بها ، وإن قلد مهماً من الأمور أجزأ فيه ، له سن مع أدب ولسان، تقعده الرزانة ويسكته الحلم ، قد فُرَّ عن ذكاء وفطنة، وعض على قارحة من الكمال، تكفيه اللحظة وترشده السكتة. قد أبصر خدمة الملوك وأحكمها وقام في أمورهم فحمد فيها ، له أناة الوزراء وصولة الأمراء وتواضع العلماء وفهم الفقهاء وجواب الحكماء ، لا يبيع نصيب يومه بحرمان غده ، يكاد يسترق قلوب الرجال بحلاوة لسانه وحسن بيانه ، دلائل الفضل عليه لائحة، وأمارات العلم له شاهدة، مضطلعاً بما استنهض مستقلا بما حمل . وقد آثرتك بطلبه وحبوتك بارتياده ثقة بفضل اختيارك ومعرفة بحسن تأتيك .

٣٧٤ ـ جواب القاضي محمد بن سماعة للحسن بن سهل على رسالته السابقة :

إني عازم أن أرغب إلى الله عز وجل حولاً كاملا في ارتياد مثل هذه الصفة ، وأفرق الرسل الثقات في الآفاق لالتماسه ، وأرجو أن يمن الله بالإجابة فأفوز لديك بقضاء حاجتك ، والسلام .

الأمالي لأبي القالي ج ١ ـ ٢٤٦

٣٧٥ ـ رسالة يحيى بن حماد إلى طاهر بن الحسين من السجن وذلك عندما حبسه طاهر لأنه رفض أن يتقلد كتابته :

بسم الله الرحمن الرحيم : تمم الله للأمير السلامة وأدام له الكرامة ووصل

نعمه عليـــه بالزيادة ، وقوى إحسانه إليه بالسعادة . ضعف صبري ـ أعز الله الأمير ـ عما أقاسي من ثقل الحديد ومكابدة الهموم ومصاحبة الوحشة في دار الغربة عن انقطاع الأهل وتعقب الوصل واستخلاف البلاء من وثيق الرجـاء ، وتذكري ما أفاتني القضاء الماضي من رأي الأمير ـ أكرمه الله ـ فيَّ ، وموجدته علي . لقد تخوفت أن تسرع لزوم الفكرة إياي في إفسادي ، ويصير بي تمكن الهم الى تغير حالي ، ولولا أن سخط الأمير ـ أيده الله ـ لايصبر عليه ، ووجده لا يقام له ، لرأيت الإمساك عن ذكر أمري ، وشكوى ما بي إلى أن يستوي غير ما أنا فيه لسرور ما كنت صرت إليه من إكرام الأمير ـ أيده الله ـ وبره وتشريفه وتقريبه . ولعمري إن شديد ما أقاسي ، ولو دام حيناً من دهري ، ليصغر عند لحظة لحظها إليّ ببره فضلاً عن رأيه الذي جل عن قـدري وعجز عن احتماله شكري . فقد تبين الأمير ـ أعزه الله ـ أمري وتحقيق شأني ، فإن كان ما أنا فيه للهفوة التي كانت مني ، والجناية التي جنيتها على نفسي بالجهل بصباي ، فقد وضع الله عن الصبي فرائضه علماً بحاله ، وكانت حالي في الصباء قريبة من حاله . والأمير ـ أعزه الله ـ أولى من عطف في ذات الله عن زلقي ، وأحتسب الأجر في إقالة عثرتي وهفوتي ، فإن رأى الأمير ـ أبقاه الله ـ أن يأمر بالدعاء بي ، واستماع مني فعل منعماً إن شاء الله .

٣٧٦ – جواب طاهر على رسالة يحيى بن حماد السابقة :

قلة نظرك لنفسك حرمتك مني المنزلة ، وغفلتك عن حظك حطتك عن درجتك ، وجهلك بموضع النعمة أحل بك الغير والنعمة [هكذا في الأصل ولعلها النقمة] ، وعماؤك عن سبيل الدعة أسلكك في طريق المشقة حتى صرت من قوة الأمل ممتاضاً شدة الوجل ، ومن رجاء الغد معقباً بأياس الأبـد حتى ركبت مطية الخوف بعد مجلس الأمن والكرامه ، وصرت موضعاً للرحمة بعد أن

تكنفتك الغبطة . على أني أرى أمثل أمريك أدعاهما للمكروه إليك ، وأنفع حالتيك أضيقهما متنفساً بقول القائل .

إذا ما بدأت امرءاً جاهلا ببـــبر فقصر عن حمـــله
ولم تلفـه قائلا بالجيـــل ولا عرف العـــز من ذله
قسمه الهوان فإن الهوان دواء لذي الجهل من جهله

وقد قرأت كتابك بإغراقك وأطنابك فوجدت أرجاه عندك آيـه لك، وأرقه في نفسك أقساه لقلبي عليك ، ومن صافه ما أذهبت وخامره ماذكرت خرس عن تشقيق وتزويق الكذب والآثام . ولعمري لولا تعلقك مني بحرمـــة المعاينة واتصالك مني بسبب المفاوضة وإنحائي بهما لمن نالها بسط المنفعة وقبض الأذى والمعرة ، مع استدامتي النعة بالعفو عن ذي الجريمة، واستدعائي الزيادة بالتجاوز عن ذي الهفوة واستقالتي العثرة بإقالة الزلة لنالك من عقوبتي مايؤذيك ومسك من سطوتي مايدنيك؛ وبحسبك ما اجترمته لنفسك من العجز ذلاً وجهلا ، وما أخلدت إليه من الخمول وضعاً، وبما حرمته من الفضل عقوبة ونقصاً . وفي كفاية الله غنى عنك ، وفي عاداته الجميلة عوض منك، وحسبنا الله ونعم الوكيل أقوى معين وأهدى دليل .

٣٧٧ ــ رسالة من طاهر بن الحسين إلى الفضل بن الربيع يطلب منه أن يسمي له شخصين يعينهما للجسر في بغداد وذلك لمـــا ولاه المأمون شرطة بغداد سنة ٢٠٤ ه .

إن في رأيك البركة ، وفي مشورتك الصواب ، فـــإن رأيت أن تختار لي رجلين للجسر ؟ .

٣٧٨ ــ جواب الفضل بن الربيع إلى طاهر عن رسالته السابقة :

قد وجدتها لك وهما خيار السندي بن يحيى وعياش القاسم .

تاريخ بغداد لابن طيفور ج ٦ ــ ٢٠

٣٧٩ ـ رسالة طاهر بن الحسين إلى ابنه عبد الله لما ولاه ديار ربيعة :

عليك بتقوى الله وحده لا شريك له وخشيته ومراقبته ومزايلة سخطه وحفظ رعيتك ، والزم ما ألبسك الله من العافية بالذكر لمعادك وما أنت صائر إليه وموقوف عليه ومسؤول عنه، والعمل في ذلك كله بما يعصمك الله وينجيك يوم القيامة من عذابه وأليم عقابه ، فإن الله قد أحسن إليك وأوجب عليك الرأفة بمن استرعاك أمرهم من عباده ، وألزمك العدل عليهم والقيام بحقه وحدوده فيهم والذب عنهم والدفع عن حريمهم وبيضتهم والحقن لدمائهم والأمن لسبيلهم وإدخال الراحة عليهم في معايشهم ، ومؤاخذتك بما فرض عليك من ذلك وموقفك عليه وسائلك عنه ومثيبك عليه بما قدمت وأخرت . ففرغ لذلك فكرك وعقلك وبصرك ورؤيتك ولا يذهلك عنه ذاهل ولا يشغلك عنه شاغل فإنه رأس أمرك وملاك شأنك وأول ما يوفقك الله به لرشدك . وليكن أول ما تلزم به نفسك وتنسب إليه فعالك المواظبة على ما افترض الله عليك من الصلوات الخمس والجماعة عليها بالناس قبلك في مواقيتها على سننها في أسباغ الوضوء بها وافتتاح ذكر الله فيها ، وترتل في قراءتك وتمكن في ركوعك وسجودك وتشهدك ، ولتصدق فيها لربك نيتك ، واحضض عليها جماعة من معك وتحت يدك وادأب عليها فإنها كما قال الله تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر . ثم اتبع ذلك الأخذ بسنن رسول الله ﷺ والمثابرة على خلائقه واقتفاء آثار السلف الصالح من بعده . وإذا ورد عليك أمر فاستعن عليه باستخارة الله وتقواه ولزوم ما أنزل الله في كتابه من أمره ونهيه وحلاله وحرامه ، وائتمام ما جاءت به الآثار عن النبي ﷺ ، ثم قم فيه بما يحق لله عليك ، ولا تمل عن العدل فيما أحببت أو كرهت لقريب من الناس أو بعيد ، وآثر الفقه وأهله والدين وحملته وكتاب الله والعاملين به، فإن أفضل ما يزين به المرء الفقه في دين الله والطلب له والحث عليه والمعرفة بما يتقرب فيه منه إلى الله ، فإنه الدليل على

الخير كله والقائد له والآمر بـه والناهي عن المعاصي والموبقات كلها ، وبها مع توفيق الله تزداد العباد معرفة بالله عز وجل وإجلالاً له ودركاً للدرجات العلى في المعاد ، مع ما في ظهوره للناس من التوقير لأمرك والهيبة لسلطانـك والآنسة بك والثقة بعدلك . وعليك بالاقتصاد في الأمور كلها فليس شيء أبين نفعاً ولا أحضر أمنـاً ولا أجمع فضلاً من القصد . والقصد داعية إلى الرشد دليل على التوفيق . والتوفيق منقاد إلى السعادة ، وقوام الدين والسنن الهادية بالإقتصاد ، فآثره في دنياك كلها ، ولا تقصر في طلب الآخرة والأجر والاعمال الصالحة والسنن المعروفة ومعالم الرشد ، فلا غاية للاستكثار من البر والسعي له إذا كان يطلب به وجه الله ومرضاته ومرافقة أوليائه في دار كرامته . واعلم إن القصد في شأن الدنيا يورث العز ويحصن من الذنوب ، وإنـك لن تحوط نفسك ومن يليك ولا تستصلح أمورك بأفضل منه ، فإنه واهتد به تتم أمورك وتزد مقدرتك وتصلح خاصتك وعامتك . وأحسن الظن بالله عز وجـل تستقم لك رعيتك ، والتمس الوسيلة إليه في الأمور كلها تستدم به النعمة عليك ، ولا تنهض أحداً من الناس فيما توليه من عملك قبل تكشف أمره بالتهمة ، فـإن إيقاع التهم بالبراء والظنون السيئة بهم مـأثم ، واجعل من شأنك حسن الظن بأصحابك وأطرد عنهم سوء الظن بهم وأرفضه عنهم يمنك ذلك على اصطناعهم ورياضتهم . ولا يجدن عدو الله الشيطان في أمرك مغمزاً فإنه إنما يكتفي بالقليل من وهنك فيدخل عليك من الغم في سوء الظن ما ينغصك لذاذة عيشك .

واعلم أنك تجد بحسن الظن قوة وراحة وتكفي به ما أحببت كفايته من أمورك وتدعو به الناس إلى محبتك والاستقامة في الامور كلها لك ، ولا يمنعنك حسن الظن بأصحابك والرأفة لرعيتك أن تستعمل المسألة والبحث عن أمورك ، والمباشرة لأمور الأولياء والحياطة للرعية والنظر فيما يقيمها ويصلحها ، بل لتكن المباشرة لأمور الأولياء والحياطة للرعية والنظر في حوائجهم وحمـل مؤوناتهم آثر عندك

مما سوى ذلك ، فإنه أقوم للدين وأحيا للسنة . وأخلص نيتك في جميع هذا وتفرد بتقويم نفسك تفرد من يعلم إنه مسؤول عما صنع ومجزي بما أحسن ومأخوذ بما أساء ، فان الله جعل الدين حرزاً وعزاً ورفع من اتبعه وعززه ، فاسلك بمن تسوسه وترعاه نهج الدين وطريقه الهدى، وأقم حدود الله في أصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه ، ولا تعطل ذلك ولا تهاون به ، ولا تؤخر عقوبة أهل العقوبة فإن في تفريطك في ذلك لما يفسد عليك حسن ظنك، واعزم على أمرك في ذلك بالسنن المعروفة وجانب الشبه والبدعات يسلم لك دينك وتقم لك مروءتك . وإذا عاهدت عهداً ففِ به ، وإذا وعدت الخير فأنجزه ، واقبل الحسنة وادفع بها واغمض عن عيب كل ذي عيب من رعيتك ، واشدد لسانك عن قول الكذب والزور ، وابغض أهله وإقص أهل النميمة ، فإن أول فساد أمرك في عاجل الأمور وآجلها تقريب الكذوب والجرأة على الكذب لأن الكذب رأس المآثم، والزور والنميمة خاتمتها، لأن النميمة لايسلم صاحبها ، وقائلها لايسلم له صاحب ولا يستقيم لمطيعها أمر .

وأحب أهل الصدق والصلاح ، وأعن الإشراف بالحق وواصل الضعفاء وصل الرحم وابتغ بذلك وجه الله وعزة أمره والتمس منه ثوابه والدار الآخرة ، واجتنب سوء الأهواء والجور واصرف عنهما رأيك ، وأظهر براءتك من ذلك لرعيتك ، وأنعم بالعدل سياستهم وقم بالحق فيهم وبالمعرفة التي تنتهي بك إلى سبيل الهدى ، واملك نفسك عند الغضب وآثر الوقار والحلم وإياك والحدة والطيرة والغرور فيما أنت بسبيله .

وإياك أن تقول : إني مسلط أفعل ما أشاء فإن ذلك سريع فيك إلى نقص الرأي ، وقلة اليقين بالله وحده لا شريك له . وأخلص لله النية فيه واليقين به ، واعلم أن الملك لله يعطيه من يشاء وينزعه عمن يشاء، ولن تجد تغير النعمة وحلول النقمة إلى أحد أسرع منه إلى حملة النعمة من أصحاب السلطان والمبسوط لهم في

الدولة إذا كفروا بنعم الله وإحسانه واستطالوا بما آتاهم الله من فضله . ودع عنك شره نفسك، ولتكن ذخائرك وكنوزك التي تدخر وتكنز البر والتقوى والمعدلة واستصلاح الرعية وعمارة بلادهم والتفقد لأمورهم والحفظ لدهمائهم والإغـاثة للهوفهم . واعـلم ان الأموال إذا كثرت وذخرت في الخزائن لا تثمر ، وإذا كانت في إصلاح الرعية وإعطاء حقوقهم وكف المؤونة عنهم نمت وربت وصلحت به العامة وتزينت الولاة وطاب به الزمان ، واعتقد فيه العز والمنعة ، فليكن كنز خزائنك تفريق الأموال في عمارة الإسلام وأهله ، ووفر منه على أوليـاء أمير المؤمنين قبلك حقوقهم وأوف رعيتك من ذلك حصصهم وتعهد ما يصلح أمورهم ومعايشهم فإنك إذا فعلت ذلك قرت النعمة عليك واستوجبت المزيد من الله وكنت بذلك على جباية خراجك وجمع أموال رعيتك وعملك أقدر ، وكان الجمع لمـا شملهم من عـدلك وإحسانك أسلس لطاعتك وأطيب نفساً لكل ما أردت .

فأجهد نفسك فيما حددت لك في هذا الباب ولتعظم حسبتك فيه ، فإنما يبقى من المال ما أنفق في سبيل حقه ، واعرف للشاكرين شكرهم وأثبهم عليه، وإياك أن تنسيك الدنيا وغرورها هول الآخرة فتتهاون بما يحق عليك ، فإن التهاون يوجب التفريط والتفريط يورث البوار ، وليكن عملك لله وفيه تبارك وتعالى وارج الثواب ، فإن الله قد أسبغ عليك نعمته في الدنيـا وأظهر لديك فضله فاعتصم بالشكر ، وعليه فاعتمد يزدك الله خيراً وإحساناً ، فإن الله يثيب بقدر شكر الشاكرين وسيرة المحسنين ، واقض الحق فيما حمل من النعم والبس من العافية والكرامة ولا تحقرن ذنباً ولا تمايلن حاسداً ولا ترحمن فاجراً ولا تداهنن عدواً ولا تصدقن غاماً ولا تأمنن غداراً ولا توالين فاسقاً ولا تتبعن غاوياً ولا تحمدن مرائياً ولا تحقرن إنساناً ولا تردن سائلاً فقـيراً ولا تجيبن باطلاً . ولا تلاحظن مضحكاً ولا تخلفن وعداً ، ولا ترهبن فجّراً ولا تعملن غضباً ، ولا تأتين بذخاً ولا تمشين مرحاً ولا تركبن سفهاً ، ولا تفرطن في طلب الآخرة ،

ولا تدفع الأيام عياناً ، ولا تغمضن عن الظالم رهبة أو مخافة ولا تطلبن ثواب الآخرة بالدنيا ، وأكثر مشاورة الفقهاء ، واستعمل نفسك بالحلم وخذ عن أهل التجارب وذوي العقول والرأي والحكمة ولا تدخلن في مشورتك أهل الدقّة والبخل ولا تسمعن لهم قولاً فإن ضررهم أكثر من منفعتهم . وليس شيء أسرع فسادا لما استقبلت في أمر رعيتك من الشح . واعلم أنك إذا كنت حريصاً كنت كثير الأخذ قليل العطية ، وإذا كنت كذلك لم يستقم لك أمرك إلا قليلاً ، فان رعيتك إنما تعتقد على محبتك بالكف عن أموالهم وترك الجور عنهم . ويدوم صفاء أوليائك لك بالأفضال عليهم وحسن العطية لهم ، فاجتنب الشح واعلم أنه أول ماعصى به الإنسان ربه ، وإن العاصي بمنزلة خزي وهو قول الله عز وجل : ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون[1] . فسهل طريق الجود بالحق واجعل للمسلمين كلهم من نيتك حظاً ونصيباً ، وأيقن أن الجود من أفضل أعمال العباد ، فاعدده لنفسك خلقاً وارض به عملا ومذهباً . وتفقد أمور الجند في دواوينهم ومكاتبهم وأدر عليهم أرزاقهم ووسع عليهم في معايشهم ليذهب بذلك الله فاقتهم ويقوم لك أمرهم ويزيد به قلوبهم في طاعتك وأمرك خلوصاً وانشراحاً . وحسب ذي سلطان من السعادة أن يكون على جنده ورعيته رحمة في عدله وحيطته وإنصافه وعنايته وشفقته وبره وتوسعته ، فزايل مكروه إحدى البليتين باستشعار تكملة الباب الآخر ولزوم العمل به تلقَ إن شاء الله نجاحاً وصلاحاً وفلاحاً .

واعلم أن القضاء من الله بالمكان الذي ليس به شيء من الأمور لأنه ميزان الله الذي تعتدل عليه الأحوال في الأرض ، وبإقامة العدل في القضاء والعمل تصلح الرعية وتأمن السبيل وينتصف المظلوم ويأخذ الناس حقوقهم وتحسن المعيشة ويؤدي حق الطاعة ويرزق الله العافية والسلامة ويقوم الدين وتجري السنن والشرائع وعلى مجاريها ينتجز الحق والعدل والقضاء .

---

(١) سورة التغابن : الآية ١٦ .

واشتد في أمر الله وتورع عن النطف (١)، وامض لإقامة الحدود وأقلل العجلة وأبعد عن الضجر والقلق واقنع بالقسم ولتسكن ريحك ويقر جدك، وانتفع بتجربتك وانتبه في صمتك واسدد في منطقك وانصف الخصم وقف عند الشبهة وأبلغ في الحجة، ولا يأخذك في أحد من رعيتك محاباة ولا محاماة ولا لوم لائم وتثبت وتأن وراقب وانظر وتدبر وتفكر واعتبر وتواضع لربك، وارأف بجميع الرعية وسلط الحق على نفسك، ولا تسرعن في سفك دم ـ فإن الدماء من الله بمكان عظيم ـ انتهاكاً لها بغير حقها.

وانظر إلى هذا الخراج الذي قد استقامت عليه الرعية وجعله الله للإسلام عزاً ورفعة ولأهله سعة ومنعة، ولعدوه وعدوهم كبتاً وغيظاً، ولأهل الكفر من معاهدتهم ذلاً وصغاراً فوزعه بين أصحابه بالحق والعدل والتسوية والعموم فيه. ولا ترفعن منه شيئاً عن شريف لشرفه وعن غني لغناه، ولا عن كاتب لك، ولأحد من خاصتك، ولا تأخذن فيه فوق الإحتمال له، ولا تكلفن أمراً فيه شطط، واحمل الناس كلهم على مر الحق، فإن ذلك أجمع لألفتهم وألزم لرضا العامة. واعلم أنك جُعلت بولايتك خازناً وحافظاً وراعياً، وإنما سمي أهل عملك رعيتك لأنك راعيهم وقيمهم تأخذ منهم ما أعطوك من عفوهم ومقدرتهم وتنفقه في قوام أمرهم وصلاحهم وتقويم أودهم فاستعمل عليهم في كور عملك ذوي الرأي والتدبير والتجربة والخبرة بالعمل والعلم بالسياسة والعفاف، ووسع عليهم في الرزق فإن ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تقلدت وأسند إليك، ولا يشغلنك عنه شاغل ولا يصرفناك عنه صارف، فإنك متى آثرت وقمت فيه بالواجب استدعيت به زيادة النعمة من ربك وحسن الأحدوثة في أعمالك واحترزت النصيحة من رعيتك وأعنت على الصلاح فدرت الخيرات ببلدك وفشت العمارة بناحيتك وظهر الخصب في كورك فكثر خراجك وتوفرت أموالك، وقويت

---

(١) النطف: العيب والفساد.

بذلك على ارتباط جندك وإرضاء العامة بإقامة العطاء فيهم من نفسك وكنت محمود السياسة مرضي العدل في ذلك عند عدوك ، وكنت في أمورك كلها ذا عدل وقوة وآلة وعدة . فنافس في هذا ولا تقدم عليه شيئاً تحمد مغبة أمرك إن شاء الله .

واجعل في كل كورة من عملك أميناً يخبرك أخبار عمالك ويكتب إليك بسيرتهم وأعمالهم حتى كأنك مع كل عامل في عمله معاين لأمره كله ، وإن أردت أن تأمره بأمر فانظر في عواقب ما أردت من ذلك ، فإن رأيت السلامة فيه والعافية ورجوت فيه حسن الدفاع والنصح والصنع فأمضه ، وإلا فتوقف عنه وراجع أهل البصر والعلم ثم خذ فيه عدته ، فإنه ربما نظر الرجل في أمر من أمره قد واتاه على ما يهوى فقواه ذلك وأعجبه وإن لم ينظر في عواقبه أهلكه ونقض عليه أمره .

فاستعمل الحزم في كل ما أردت وباشره بعد عون الله بالقوة ، وأكثر استخارة ربك في جميع أمورك ، وأفرغ من عمل يومك ولا تؤخره لغدك وأكثر مباشرته بنفسك ، فإن لغد أموراً وحوادث تلهيك عن عمل يومك الذي أخرت . واعلم أن اليوم إذا مضى ذهب بما فيه ، وإذا أخرت عمله اجتمع عليك أمر يومين فشغلك ذلك حتى تعرض عنه . فإذا أمضيت لكل يوم عمله أرحت نفسك وبدنك وأحكمت أمور سلطانك .

وانظر أحرار الناس وذوي الشرف منهم ، ثم استيقن صفاء طويتهم وتهذيب مودتهم لك ومظاهرتهم بالنصح والمخالصة على أمرك فاستخلصهم وأحسن إليهم ، وتعاهد أهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة فاحتمل مؤونتهم واصلح حالهم حتى لا يجدوا لخلتهم مساً ، وأفرد نفسك للنظر في أمور الفقراء والمساكين ومن لا يقدر على رفع مظلمة إليك ، والمحتقر الذي لا علم له بطلب حقه فاسأل عنه أحفى مسألة ووكل بأمثاله أهل الصلاح من رعيتك ومرهم برفع

حوائجهم وحالاتهم إليك لتنظر فيها بما يصلح الله أمرهم ، وتعاهد ذوي البأساء ويتاماهم وأراملهم ، واجعل لهم أرزاقاً من بيت المال اقتداءً بأمير المؤمنين ـ أعزه الله ـ في العطف عليهم والصلة لهم ليصلح الله بذلك عيشهم ويرزقك به بركة وزيادة ، وإجْرِ للأضرّاء من بيت المال وقدم حملة القرآن منهم والحافظين لأكثره في الجراية على غيرهم ، وانصب لمرضى المسلمين دوراً تأويهم وقواماً يرفقون بهم وأطباء يعالجون أسقامهم وأسعفهم بشهواتهم ما لم يؤد ذلك إلى سرف في بيت المال . واعلم أن الناس إذا أعطوا حقوقهم وأفضل أمانيهم لم يرضهم ذلك ولم تطب أنفسهم دون رفع حوائجهم إلى ولاتهم طمعاً في نيل الزيادة وفضل الرفق بهم ، وربما برم المتصفح لأمور الناس بكثرة ما يرد عليه ويشغل فكره وذهنه منها ما يناله به مؤونة ومشقة ، وليس من يرغب في العدل ويعرف محاسن أموره في العاجل وفضل ثواب الآجل كالذي يستقبل ما يقربه إلى الله ويلتمس رحمته به . وأكثر الأذن للناس عليك وأبرز لهم وجهك وسكن لهم أحراسك واخفض لهم جناحك وأظهر لهم بشرك ولن لهم في المسألة والمنطق ، واعطف عليهم بجودك وفضلك ، وإذا أعطيت فأعط بسماحة وطيب نفس والتمس الصنيعة والأجر غير مكدر ولا منان ، فإن العطية على ذلك تجارة مربحة إن شاء الله .

واعتبر بما ترى من أمور الدنيا ومن مضى قبلك من أهل السلطان والرياسة في القرون الخالية والأمم البائدة ، ثم اعتصم في أحوالك كلها بأمر الله والوقوف عند محبته والعمل بشريعته وسنته وإقامة دينه وكتابه ، واجتنب ما فارق ذلك وخالفه ودعا إلى سخط الله ، واعرف ما يجمع عمالك من الأموال وينفقون منها ، ولا تجمع حراماً ولا تنفق إسرافاً وأكثر مجالسة العلماء ومشاورتهم ومخالطتهم ، وليكن هواك اتباع السنن وإقامتها وإيثار مكارم الأمور ومعاليها . وليكن أكرم دخلائك وخاصتك عليك من إذا رأى عيباً فيك لم تمنعه هيبتك من إنهاء ذلك إليك في سر ، وإعلامك ما فيه من النقص ، فإن أولئك أنصح أوليائك ومظاهريك .

وانظر عمالك الذين بحضرتك وكتابك فوقت لكل رجل منهم في كل يوم وقتاً يدخل عليك فيه مكتبه ومؤامراته وما عنده من حوائج عمالك وامر كورك ورعيتك ، ثم فرغ لما يورده عليك من ذلك سمعك وبصرك وفهمك وعقلك وكرر النظر اليه والتدبير له ، فما كان موافقاً للحزم والحق فامضه واستخر الله فيه ، وما كان مخالفاً لذلك فاصرفه إلى التثبت فيه والمسألة عنه ، ولا تمنن على رعيتك ولا على غيرهم بمعروف تأتيه اليهم ، ولا تقبل من أحد منهم إلا الوفاء والاستقامة والعون في أمور أمير المؤمنين ، ولا تضعن المعروف إلا على ذلك .

وتفهم كتابي إليك واكثر النظر فيه والعمل به ، واستعن بالله على جميع أمورك واستخره فإن الله مع الصلاح وأهله ، وليكن أعظم سيرتك وأفضل رغبتك ما كان لله رضا ولدينه نظاماً ولأهله عزاً وتمكيناً وللذمة والملة عدلاً وصلاحاً .

وأنا أسأل الله أن يحسن عونك وتوفيقك ورشدك وكلاءك ، وأن ينزل عليك فضله ورحمته بتمام فضله عليك وكرامته لك حتى يجعل أفضل مثالك نصيباً وأوفرهم حظاً واسناهم ذكراً وأمراً ، وأن يهلك عدوك ومن ناوأك وبغى عليك ويرزقك من رعيتك العافية ويحجز الشيطان عنك ووساوسه حتى يستعلي أمرك بالعز والقوة والتوفيق إنه قريب مجيب[1] .

تاريخ الأمم والملوك للطبري حـ ٧ ١٦٠ ـ ١٦٨

---

(١) ورد نص هذه الرسالة الشهيرة ـ مع شيء من الخلاف ـ في كل من ابن طيفور حـ٦ ٢٦-٣٤ وابن خلدون حـ١ ٥٤٢-٥٥٤ .

يقول الطبري : شاعت هذه الرسالة وذاعت حتى بلغت المأمون فقال لما اطلع عليها : ما ابقى ابو الطيب شيئاً من امر الدين والدنيا والتدبير والرأي والرياسة واصلاح الملك والرعية وحفظ البيضة وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة إلا وقد أحكمه .

وامر ان يكتب بذلك الى جميع العمال في نواحي الاعمال .

٣٨٠ - رسالة عبد الله بن طاهر إلى نصر بـــن شبث، الذي تحصن بحصون مدينته لما بلغه وصول عبد الله لمحاربته :

اعتصامك بالقلال قيد عزمك عن القتال ، والتجاؤك إلى الحصون ليس ينجيك من المنون ، ولست بمفلت من أمير المؤمنين . فـــإما فارس مطاعن أو راجل مستأمن .

زهر الآداب للحصري القيرواني جـ ٢ - ٩٩٠

٣٨١ - رسالة ثانية من عبد الله بن طاهر إلى نصر بن شبث بعد ان حاربه وألجاه إلى الحصون :

أما بعد : فإنك يا نصر بن شبث قـــد عرفت الطاعة وعزها وبرد ظلها وطيب مرتعها ، وما في خلافها من النـــدم والخسار ، وإن طالت مدة الله بك فانه إنما يملي لمن يلتمس مظاهرة الحجة عليه لتقع عبرة بأهلها على قدر أضرارهم واستحقاقهم . وقد رأيت أذكارك وتبصيرك لمـا رجوت أن يكون لمـا أكتب به إليك موقع منك ، فإن الصدق صدق والباطل باطل . وإنما القول بمخارجه وبأهله الذين يعنون به ، ولم يعاملك من عمال أمير المؤمنين أحد أنصح لك في مالك ودينك ونفسك ولا أحرص على استبقائك والإنتياش الك من خطائك مني ، فبأي أول أو آخر أوسطة أو أمرة اقدامك، يا نصر ، على أمير المؤمنين في أمواله ؟ وتتولى دونه ما ولاه الله وتريد أن تبيت آمناً أو مطمئناً أو وادعاً أو ساكناً أو هادئاً ؟ فوعالم السر والجهر لئن لم تكن للطاعة مراجعاً وبهـــا خانعاً لتستوبلن وخيم العاقبة ، ثم لأبدأن بك قبل كل عمل ، فإن قرون الشيطان إذا لم تقطع كانت في الأرض فتنة وفساد كبير . ولأطأن بمـن معي من أنصار الدولة كواهل رعاع أصحابك ومن تأشب إليك من داني البلاد وقاصيهـــا وطغامها وأوباشها ومن انضوى إلى حوزتك من ضراب الناس ومن لفظه بلده

ونفته عشيرته لسوء موضعه فيهم . وقد أعذر من أنذر ، والسلام [1] .

تاريخ بغداد لابن طيفور حـ ٦ - ٧٧

٣٨٢ - رسالة عبد الله بن طاهر إلى الحسن بن عمر التغلبي :

أما بعد : فقد بلغني من قطع الفسقة الطريق ما بلغني ، فلا الطريق تحمي ولا اللصوص تكفي ولا الرعية ترضي ، وتطمع بعد هـــذا في الزيادة ! إنك لمفسح الأمل . وأيم الله لتكفين من قبلك أو لأوجهن إليك رجالاً لا تعرف مرة من جشم ولا عدياً من رهم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله [2] .

نهاية الأدب للنويري حـ ٦ - ٤٧

٣٨٣ - رسالة عبد الله بن طاهر إلى ابن السري الذي غلب على مصر واحتلها مع أصحابه :

أرسل المأمون عبد الله بن طاهر لحرب ابن السري وطرده من مصر بعـد أن احتلها . فلما وصلها أرسل له ابن السري ليــلاً هدية هي ألف وصيف ووصيفة مع كل واحد منهم كيس فيه ألف دينار ، فرد عبد الله الهديه وأرسل إليه رسالة يقول فيها :

لو قبلت هديتك ليلاً لقبلتها نهاراً ، بل أنتم بهديتكم تفرحون ، أرجع اليهم فلنأتيهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون [3] .

تاريخ الأمم والملوك للطبري حـ ٧ - ١٨١

(١) ورد في الطبري نص مشابه لهذا النص حـ٧ ١٧٢-١٧٣ ، ٦٠

(٢) ذكر ابن عبد ربه في عقده هذه الرسالة حـ١-٥٠ وهي مشابهة لما أثبتناه .

(٣) سورة النمل، الآيتان ٣٦-٣٧ . يذكر ابن طيفور حـ٦-٨٣ نصاً مشابهاً لهذا النص.

٣٨٤ – رسالة تهنئة لعبد الله بن طاهر من أحمد بن يوسف لما تغلب على ابن السري وأعاد مصر إلى الخلافة العباسية :

بلغني – أيها الأمير – ما فتح الله عليك وخروج ابن السري إليك فالحمد لله الناصر لدينه المعز لدولة خليفته على عباده المذل لمن عند عنه وعن حقه ورغب عن طاعته ، ونسأل الله أن يظاهر له النعم ويفتح له بلدان الشرك . والحمد لله على ما وليك به مذ ظعنت لوجهك ، فـــأنا ومن قبلنا نتذاكر سيرتك في حربك وسلمك ونكثر التعجب لمـا وفقت له من الشدة واللبان في مواضعها ، ولا نعلم سائس جند ورعية عدل بينهم عدلك ، ولا عفا بعد المقدرة عمن آسفه واضغنه عفوك ، ولقل ما رأينا ابن شرف لم يلق بيده متكلا على ما قدمت له أبوته ومن أوتي خطأ وكفاية وسلطاناً وولاية ، ولم يخلد إلى ما عفا حتى يخـــل بسامأة ما أمامه ، ثم لا نعلم سائساً استحق النجح لحسن السيرة وكف معرة الاتباع استحقاقك . وما يستجيز أحد ممن قبلنا أن يقدم عليك أحداً يهدي عند إلحاقه والنازلة المعضلة ، فليهنك منة الله ومزيده ويسوغك الله هذه النعمة التي حواها لك بالمحافظة على ما بــه تمت لك من التمسك بحبل إمامك ومولاك ومولى جميع المسلمين وملاك وإيانا العيش ببقائه . وأنت تعلم أنك لم تزل عندنا وعند من قبلنا مكرماً مقدماً معظماً ، وقد زادك الله في أعين الخاصة والعامة جلالة ونجـــالة فاصبحوا يرجونك لأنفسهم ، ويعدونك لأحداثهم ونوائبهم . وأرجو أن يوفقك الله لحابه كما وفق لك صنعه وتوفيقه ، فقد أحسنت جوار النعمة فلم تطغك ولم تزدد إلا تذللا وتواضعاً . فالحمد لله على ما أنالك وأبلاك وأودع فيك ، والسلام (١) .

تاريخ الأمم والملوك للطبري حـ ٧ ١٨٦ – ١٨٧

---

(١) يذكر فريد الرفاعي في عصر المأمون حـ١ ٢٧٩-٢٨٠ نصاً مشابها لهذا .

ـــ السياسة الخارجية ـــ

٣٨٥ - رسالة تيوفيل ملك الروم الى المأمون يعرض الهدنة ويمزج ليناً بشدة :

أرسل تيوفيل وزيره برسالة إلى المأمون وبدأ بنفسه . وكانت نسخة الكتاب :

أما بعد : فإن اجتماع المختلفين على حظهما أولى بهما في الرأي مما عاد بالضرر عليهما ، ولست حرياً أن تدع لحظ يصل إلى غيرك حظاً تحوزه إلى نفسك، وفي علمك كافٍ عن أخبارك . وقد كنت كتبت إليك داعياً إلى المسالمة راغباً في فضيلة المهادنة لتضع أوزار الحرب عنا، ونكون كل واحد لكل واحد ولياً وحزباً مع اتصال المرافق والفسح في المتاجر وفك المستأسر وأمن الطرق والبيضة ، فإن أبيت فلا أدب لك في الخمر[1] ، ولا أزخرف لك في القول ، فإني لخائض إليك غمارها آخذ عليك أسدادها شانٌ خيلها ورجالها ، وإن أفعل فبعد أن قدمت المعذرة وأقمت بيني وبينك علم الحجة ، والسلام .

٣٨٦ - رسالة جوابية من المأمون إلى ملك الروم تيوفيل :

أما بعد : فقد بلغني كتابك فيما سألت من الهدنة ودعوت إليه من الموادعه وخلطت فيه من اللين والشدة مما استعطفت به من شرح المتاجر واتصال المرافق وفك الأساري ورفع القتل والقتال ، فلولا ما رجعت إليه من أعمال التؤدة والأخذ بالحظ في تقليب الفكرة وإلا أعتقد الرأي في مستقبله إلا في استصلاح ما أوثره في معتقبه لجعلت جواب كتابك خيلاً تحمل رجالاً من أهل البأس والنجدة والبصيرة ينازعونكم عن ثكلكم ويتقربون إلى الله بدمائكم ويستقلون في

---

(١) الخمر : ما وارى الشخص من شجر او غيره . ويقال دب له في الخمر إذا تخفى له ليختله .

ذات الله ما نالهم من ألم شوكتكم ، ثم أوصل إليهم من الإمداد وأبلغ لهم كافياً من العدة والعتاد هم أظمأ إلى موارد المنايا منكم إلى السلامة من مخوف معرتهم عليكم ، موعدهم إحدى الحسنيين عاجل غلبة أو كريم منقلب . غير أني رأيت أن التقدم إليك بالموعظة التي يثبت الله بها عليك الحجة من الدعاء لك ولمن معك إلى الوحدانية والشريعة الحنيفية ، فإن أبيت ففدية توجب ذمة وتثبت نظرة ، وإن تركت ذلك ففي يقين المعاينة لنعوتنا ما يغني عن الإبلاغ في القول والإغراق في الصفة ، والسلام على من اتبع الهدى[1] .

تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٧ — ١٩٤

٣٨٧ ـ رسالة ثانية من ملك الروم تيوفيل إلى المأمون :

حارب المأمون ملك الروم وهزمه .فأرسل له رسالة مع أسقف وبدأ فيها بنفسه فرفض المأمون قراءتها لأنه لم يبدأ به فأرسل له تيوفيل رسالة ديباجتها :

لعبد الله غاية الناس في الشرف ملك العرب من تيوفيل بن ميخائيل ملك الروم من قبل ...

تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ـ ٤٦٥



(١) ورد نص مشابه لهذا النص في كل من ابن طيفور ص ١٥٣-١٥٤ وعصر المأمون جـ ١ ٢٩١-٢٩٢ ،

ابو اسحاق المعتصم بالله

٢١٨ - ٢٢٧ هـ / ٨٣٣ - ٨٤٢ م

- الخطب -

٣٨٨ - خطبة أحمد بن أبي دؤاد بين يدي المعتصم لأنـــه قضي له حوائج كثيرة :

يا أمير المؤمنين : عمرك الله طويلا ، فبعمرك تخصب جنات رعيتك ويلين عيشهم وتثمر أموالهم ، ولا زلت ممتعاً بالسلامة محبواً بالكرامة مرفوعاً عنك حوادث الأيام وغيرها !

مروج الذهب المسعودي ج ٤ - ٩٨

٣٨٩ - خطبة تميم بن جميل بين يدي المعتصم عندما أتي به أسيراً إليه إثر ثورته ضده وانهزامه أمام قواته :

ثار تميم هذا ولكنه هزم وأتي به إلى المعتصم الذي قرر قتله ، ولكنه قال له قبل التنفيذ : إن كان لك عذر فات به أو حجة فادل بها . فقال تميم :

أما إذ أذنت لي يا أمير المؤمنين بالكلام فإني أقول : الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين. يا أمير المؤمنين : جبر الله بك صدع الدين ولأم بك شعث الأمة وأخمـــد بك شهاب الباطل وأوضح بك سراج الحق . يا أمير المؤمنين : إن الذنوب تخرس

الألسنة وتصدع الأفئدة ، ولقد عظمت الجريرة وكبر الذنب وساء الظن ولم يبق إلا عفوك أو انتقامك . وأرجو أن يكون أقربهما منك وأسرعهما إليك أولاهما بإمامتك وأشبههما بخلافتك . ثم أنشد :

أرى الموت بين السيف والنطع كامناً ... يلاحظني من حيث ما أتلفت
وأكبر ظني أنك اليوم قاتلي ... وأي امرىء مما قضى الله يفلت
ومن ذا الذي يدلي بعذر وحجة ... وسيف المنايا بين عينيه مصلت
يعز على أبناء تغلب موقف ... يسل علي السيف فيه وأسكت
وما جزعي من أن أموت وإنني ... لأعلم أن الموت شيء مؤقت
ولكن خلفي صبية قد تركتهم ... وأكبادهم من حسرة تتفتت
كأني أراهم حين أنعى إليهم ... وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا
فإن عشت عاشوا خافضين بغبطة ... أذود الردى عنهم وإن مت موّتوا
وكم قائل لا يبعد الله داره ... وآخر جذلان يُسر ويشمت(١)

نهاية الأرب للنويري جـ ٦ ٦٢ – ٦٣

ـ الحوار والمناظرات ـ

٣٩٠ - محاكمة الأفشين :

غضب المعتصم على قائده الأفشين فاعتقله وقرر محاكمته ومناظرته فيما نسب إليه من التهم وخصص يوماً معيناً لذلك وتولى الحوار والمناظرة محمد بن عبد الملك الزيات وحضر المحاكمة كثير من الشهود .

---

(١) فغفر له المعتصم ذنبه واطلقه . وورد نص هـذه الخطبة في زهر الآداب جـ٢ ٧٨٤-٧٨٥ وفي فوات الوفيات جـ٢ ٢٩٤-٢٩٥ ،ويذكر صاحب الفوات ان هذه الخطبة لمالك بن طوق التغلبي بين يدي الرشيد لما ثار ضده وأتي به اليه اسيراً .

أفتتح ابن الزيات المحاكمة بدعوة رجلين عليهما ثياب رثة فقال لهما : ماشأنكما؟ فكشفا عن ظهورهما فإذا هي عارية عن اللحم . فقال ابن الزيات للأفشين : تعرف هذين ؟

قال الأفشين : نعم هذا مؤذن وهذا إمام بنيا مسجداً بأشر وسنة فضربت كل واحد منهما الف سوط . ذلك أن بيني وبين ملوك السغد عهداً وشرطاً أن أترك كل قوم على دينهم وما هم عليه ، فوثب هذان على بيت كان فيـه أصنامهم ـ يعني أهل أشروسنة ـ فأخرجا الأصنام و لتخذاه مسجداً فضربتهما على هـذا ألفاً ألفاً لتعديهما ومنعهما القوم من بيعتهم .

قال له محمد : ما كتاب عندك قد زينته بالذهب والجواهر والديباج فيـه الكفر بالله ؟

قال : هذا كتاب ورثته عن أبي ، فيه أدب من آداب العجم ، وما ذكرت من الكفر فكنت أستمتع منه بالأدب وأترك ما سوى ذلك ووجدته محلى فلم تضطرني الحاجه إلى أخذ الحلية منه فتركته على حاله ككتاب كليلة ودمنـــة وكتاب مزدك في منزلك ، فما ظننت أن هذا يخرج من الاسلام .

ثم تقدم المؤبذ فقال : ان هذا كان يأكل المخنوقة ويحملني على أكلها ويزعم أنها أرطب لحمـاً من المذبوحة . وكان يقتل شاة سوداء كل يوم أربعـاء يضرب وسطها بالسيف يمشي بين وسطيها ويأكل لحمها . وقال لي يوماً : إني قد دخلت لهؤلاء القوم في كل شيء أكرهه حتى أكلت لهم الزيت وركبت الجمل ولبست النعل ، غير أني إلى هذه الغاية لم تسقط عني شعرة ـ يعني لم يطل [1] ولم يختتن . فقال الأفشين : خبروني عن هذا الذي يتكلم بهذا الكلام ثقـة هو في دينه ؟ ـ وكان المؤبذ مجوسياً ثم أسلم بعد على يد المتوكل ونادمه ـ .

---

(١) لم يطل : لم يأخذ شعر العانة .

قالوا : لا .

قال : فما معنى قبولكم شهادة من لا تثقون به ولا تعدلونه ؟

ثم أقبل على المؤبذ فقال : هل كان بين منزلي ومنزلك باب أو كوة تطلع عليّ فيها وتعرف أخباري منها ؟

قال : لا .

قال : أفليس كنت أدخلك إليّ وأبثك سري وأخبرك بالأعجمية وميلي إليها وإلى أهلها ؟

قال : نعم .

قال : فلست بالثقة في دينك ولا بالكريم في عهدك إذ أفشيت علي سراً أسررته إليك .

ثم تنحى المؤبذ وتقدم المرزبان بن تركش . فقالو للأفشين : هل تعرف هذا ؟ قال : لا . فقيل للمرزبان : هل تعرف هذا ؟ قال : نعم هذا الأفشين . فقالوا له : هذا المرزبان .

فقال له المرزبان : يامخرق : كم تدافع وتموه .

فقال له الأفشين : ياطويل اللحية : ماتقول ؟

قال : كيف يكتب لك أهل مملكتك ؟

قال : كما كانوا يكتبون إلى أبي وجدي .

قال : فقل .

قال : لا أقول .

قال المرزبان : أليس يكتبون إليك بكذا وكذا ـ بالأشروسنية ؟

قال : بلى .

قال : أفليس تفسيره بالعربية : إلى إله الآلهة من عبده فلان بن فلان .

قال : بلى .

قال محمد بن عبد الملك الزيات : والمسلمون يحتملون أن يقال لهم هذا ؟ فما أبقيت لفرعون حين قال لقومه : أنا ربكم الأعلى [1] .

قال : كانت هذه عادة القوم لأبي وجدي ولي قبل أن أدخل في الاسلام ، فكرهت أن أضع نفسي دونهم فتفسد علي طاعتهم .

فقال له إسحاق بن إبراهيم بن مصعب : ويحك ياخيذر كيف تحلف لنا بالله فنصدقك ونصدق يمينك ونجريك مجرى المسلمين وأنت تدعي ما ادعى فرعون .

قال : يا أبا الحسين ، هذه سورة قرأها عجيف على علي بن هشام ، وأنت تقرؤها علي ، فانظر من يقرؤها عليك ؟

ثم قدم مازيار صاحب طبرستان . فقالوا للأفشين : تعرف هذا ؟ قال : لا . . قالوا للمازيار : تعرف هذا ؟ قال : نعم هذا الأفشين . فقالوا له : هـــذا المازيار . قال : نعم قد عرفته الآن .

قالوا : هل كاتبته ؟

قال : لا .

قالوا للمازيار : هل كتب إليك ؟

قال : نعم . كتب أخوك خاش إلى أخي قوهيار : إنه لم يكن ينصر هذا الدين الأبيض غيري وغيرك وغير بابك . فأما بابك فإنه بحمقه قتل نفسه ، ولقد جهدت أن أصرف عنه الموت فأبى حمقه إلا أن دلاه فيما وقع فيـه . فإن خـالفت لم يكن للقوم من يرمونك به غيري ، ومعي الفرسان وأهل النجـدة والبأس ، فإن وجهت إليه لم يبق أحـــد يحاربنا إلا ثلاثة : العرب والمغاربة والأتراك . والعربي بمنزلة الكلب اطرح له كسرة ثم اضرب رأسه بالدبوس ، وهؤلاء الذباب ـ يعني المغاربة ـ إنما هم أكلة رأس ، وأولاد الشياطين ـ يعني الأتراك ـ

---

(١) سورة النازعات ، الآية ٢٤ .

فإنما هي ساعة حتى تنفذ سهامهم ثم تجول الخيـل عليهم جولة فتأتي على آخرهم ويعود الدين إلى ما لم يزل عليه أيام العجم .

فقال الأفشين : هذا يدعي على أخيه وأخي لا تجب علي ولو كنت كتبت إليه بهذا الكتاب لأستميله إلي وتيق بناحيتي كان غير مستنكر ، لأني إذا نصرت الخليفة بيدي ، كنت بالحيلة أحرى أن أنصره لآخذ بقفاه وآتي به إلى الخليفة لأحظى عنده كما حظي به عبد الله بن طاهر عند الخليفة . ثم نحى المازيار .

ولما قال الأفشين للمرزبان التركشي ماقال وقال لإسحاق بن إبراهيم ماقال زجره ابن أبي دؤاد فقال له الأفشين: أنت يا أبا عبد الله ترفع طيلسانك بيدك فلا تضعه على عاتقك حتى تقتل به جماعة .

فقال له ابن أبي دؤاد : أمطهر أنت ؟

قال : لا .

قال : فما منعك من ذلك وبه تمام الإسلام والطهور من النجاسة ؟

قال : أوليس في دين الإسلام استعمال التقية ؟

قال : بلى .

قال : خفت أن أقطع ذلك العضو من جسدي فأموت .

قال : أنت تطعن بالرمح وتضرب بالسيف فلا يمنعك ذلك من أن تكون في الحرب وتجزع من قطع قلفة؟!

قال : تلك ضرورة تعنيني فأصبر عليها إذا وقعت ، وهو شيء أستجلبه فلا آمن معه خروج نفسي ، ولم أعلم أن في تركها الخروج من الإسلام .

فقال ابن أبي دؤاد : قد بان لكم أمره . يابغـــا ـ لبغا الكبير أبي موسى التركي ـ عليك به[1] .

تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٧ ٣٠٦ ـ ٣٠٨

---

(١) فضرب بغا بيده على منطقته فجذبها فقال : قد كنت اتوقع هذا منكم قبل اليوم. فقلب بغا ذيل القباء على رأسه ثم أخذ بمجامع القباء من عند عنقه ثم اخرجه من باب الوزيرين الى محبسه . ورد نص هذه المناظرة او المحاكمة في ابن خلدون حـ٣ ـ ٥٧٠ مختصرة بعض الاختصار وكذلك الحال في ابن الاثير حـ٦ ٥١٣ـ٥١٦ .

الرسائل والعهود والتعاليم

٣٩١ ـ رسالة المعتصم إلى عبد الله بن طاهر لما ولي الخلافة :

عافانا الله وإياك ، فقد كانت في قلبي منك هنات غفرها الاقتدار وبقيت حزازات أخاف منها عليك عند نظري إليك فإن أتاك ألف كتاب أستقدمك فيه فلا تقدم ، وحسبك معرفة بما أنا منطو لك عليه اطلاعي إياك على ما في ضميري منك ، والسلام .

زهر الآداب للحصري القيرواني ج ٢ ـ ٧٨٥

٣٩٢ ـ عهد المعتصم بتولية ابنه الواثق مكة المكرمة :

عهد المعتصم إلى ابنه الواثق بولاية مكة المكرمة وقد أنشأ العهد ابن الزيات :
أما بعد : فإن أمير المؤمنين قد قلدك مكة وزمزم تراث أبيك إلا قدم وجدك الأكرم وركضة جبريل وسقيا إسماعيل وحفر عبد المطلب وسقاية العباس . فعليك بتقوى الله تعالى والتوسعة على أهل بيته .

زهر الآداب للحصري القيرواني ج ٢ ـ ١٠٢٦

ـ العلويون ـ

٣٩٣ ـ تعاليم عبد الله بن طاهر أعطاها لأحد قواده واسمه إبراهيم ابن غسان العودي وذلك عندما ثار محمد بن القاسم العلوي في خراسان فحاربه عبد الله وهزمه فالتجأ إلى نسا فارسل عبد الله قائده هذا مع تعليمات في كيفية إلقاء القبض على محمد بن القاسم . وهذه التعليمات موجهة له في شكل رسالة هذا نصها :

سر على بركة الله وعونه فإذا كنت على فرسخ فعبىء أصحابك تعبئة الحرب وادخل نسا وأنفذ قائداً من قوادك في ثلاثمائة يأخذ على صاحب البريـــد داره فيحدق بها هو وأصحابه ، وأنفذ قائداً في خمسماية فارس إلى دار عاملها تحرزاً من وقوع حيلة ببيعة وقعت في أعناقهم لمحمد بن القاسم . وسر في باقي أصحابك إلى محلة كذا وكذا ودرب كذا وكذا دار فلان بن فلان وأدخل الدار الأولى ، ثم أنفذ منها إلى دار ثانية ، فإذا دخلتها فأنفذ منها إلى دار ثالثة . فـإذا دخلتها فارق على درجة فيها على يمينك فإنك تصير إلى غرفـة فيها محمد بن القاسم العلوي الصوفي ومعه رجل من أصحابه يقال له أبو تراب فاستوثق منهما بالحديد استيثاقاً شديداً وأنفذ إلي خاتمك مع خاتم محمد بن القاسم لأعلم ظفرك به قبل كتابك وأنفذ الخاتمين مع الرسول ومره فليركض بهما ركضاً حتى يصير إليّ في اليوم الثالث إن شاء الله . ثم اكتب إلي بعد ذلك بشرح خبرك وكن على غاية التحرز والتحفظ في أمره حتى تصير به وبصاحبه في حضرتي .

وقد تم الأمر كما رسم عبد الله .

مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني ص ٥٨٢

ـ بابك وقضيته ـ

٣٩٤ ـ رسالة بابك إلى ملك الروم يسأله التحرك ضد المسلمين لعله يخفف الضغط عنه :

ثار بابك زمن المأمون واستمرت ثورته حتى زمن المعتصم الذي جد في أمره وضايقه كل المضايقة فأرسل إلى ملك الروم يطلب منه أن يتحرك ويهاجم البلاد الإسلامية لعل ذلك يضطر المعتصم أن يسحب بعض قواته من أمامه :

إن ملك العرب قد وجه جميع عساكره حتى وجه خياطه ـ يعني جعفر بن

دينار وكان يعرف بالخياط - ووجه طباخه - يعني ايتاخ وكان يعرف باتياخ الطباخ - فلم يبق على بابه أحد. فإن أردت الخروج فافعل فإنه ليس عنده من يمنعك ، فإن خرجت الآن استعدت أضعاف ما أخذه أبوه وأخوه منكم - يعني الرشيد والمأمون -[1] .

كتاب العيون والحدائق جـ ٣ - ٣٨٩ - ٣٩٠

٣٩٥ - رسالة من الأفشين إلى ابن سنباط الذي أرسل له رسالة يقول له فيها إن بابك الذي هزمه الأفشين لجأ إلى حصنه هو - أي حصن ابن سنباط - فأجابه بما يلي :

إن كان هذا صحيحاً فلك عندي وعند أمير المؤمنين - أيده الله - الذي تحب.

تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٧ - ٢٥٧

٣٩٦ - رسالة بابك إلى ولده الكبير :

هرب بابك ورفض عرض الأمان الذي عرضه عليه المعتصم وكذلك أرسل له ولده الكبير الذي استأمن إلى الأفشين رسالة يحضه على الأمـان فرفض وغضب من ولده فأرسل إليه يقول :

لو أنك لحقت بي واتبعت دعوتك حتى يجيئك الأمر يومـاً كنت ابني ، وقد صح عندي الساعة فساد أمك الفاعلة . يا ابن الفاعلة : عسى أن أعيش بعد اليوم ! قد كنت باسم هـــذه الرياسة وحيثما كنت أو ذكرت كنت ملكاً ، ولكنك من جنس لا خير فيه ، وأنا أشهد أنك لست بابني . تعيش يومـاً واحداً وأنت رئيس خير أن تعيش أربعين سنة وأنت عبد ذليل .

تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٧ - ٢٥٥

---

(١) وكان ذلك سبب خروج تيوفيل الى زبطرة وتدميرها . ذكر الطبري جـ٧-٢٦٣ نصاً مشابهاً لهذا النص .

٣٩٧ - نسخة كتاب المعتصم إلى ملوك الآفاق من المسلمين عند القبض على بابك :

أما بعد : فالحمد لله الذي جعل العاقبة لدينه والعصمة لأوليائه والعز لمن نصره والفلج لمن أطاعه والحق لمن عرف حقه ، وجعل دائرة السوء على من عصاه وصدف عنه ورغب عن ربوبيته وابتغى إلها غيره ، لا إله إلا هو وحده لا شريك له يحمده أمير المؤمنين حمد من لا يعبد غيره ولا يتوكل إلا عليه ولا يفوض أمره إلا إليه ، ولا يرجو الخير إلا من عنده ، والمزيد إلا من سعة فضله، ولا يستعين في أحواله كلها إلا به ، ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله وصفوته من عباده الذي ارتضاه لنبوته وابتعثه بوحيه واختصه بكرامته ، فأرسله بالحق شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، والحمد لله الذي توجه لأمير المؤمنين بصنعه فيسر له أمره وصدق له ظنه وانجح له طلبته وأنفذ له حيلته وبلغ به محبته ، وأدرك المسلمون بثأرهم على يده وقتل عدوهم ، وأسكن روعتهم ورحم فاقتهم وآنس وحشتهم فأصبحوا آمنين مطمئنين مقيمين في ديارهم متمكنين في أوطانهم بعد القتل والخوف والتشريد وطول العناء وتتابع البلاء ، مَنّاً من الله عز وجل على أمير المؤمنين بما خصه به ، وصنعاً له فيما وفقه لطلبه ، وكرامة زادها فيما أجري على يده . فالحمد لله كثيراً كما هو أهله ونرغب إلى الله في تمام نعمه ودوام صنعه وسعة ما عنده بمنّه ولطفه ، ولا يعلم أمير المؤمنين - مع كثرة أعداء المسلمين وتكنفهم إياه من أقطاره والضغائن التي في قلوبهم على أهله وما يترصدونه من العداوة وينطوون عليه من المكايدة ، إذ كان هو الظاهر عليهم والآخذ منهم - عدواً كان أعظم بلية ولا أشد خطباً ولا أشد كلباً ولا أبلغ مكايدة ، ولا أرمى بمكروه من هؤلاء الكفرة الذين يغزوهم المسلمون فيستعلون عليهم ويضعون أيديهم حيث شاءوا منهم

ولا يقبلون لهـم صلحاً ولا يميلون معهم إلى موادعة ، وإن كان لهم على طول الأيام وتصرف الحالات وبعض ما لا يزال يكون من فترات ولاة الثغور أدنى دولة من دولات الظفر وخلسة من خلس الحرب كان بما لهم من خوف العاقبة في ذلك منغصاً لـمـا تعجلوا من سروره وما يتوقعون من الدوائر بعد ، مكدراً لما وصل إليهم من فرحة .

فأما اللعين بابك وكفرتهم فإنهم كانوا يَغزون أكثر مما يُغزون وينالون أكثر مما ينال منهم ، ومنهم المنحرفون عن الموادعة ، والمتوحشون عن المراسلة ومن أديلوا مع تتابع الدول ولم يخافوا عاقبة تدركهم ولا دائرة تدور عليهم ، وكان مما وطأ ذلك ومكنه لهم أنهم قـــوم ابتدأوا أمرهم على حال تشاغل السلطان وتتابع من الفتن واضطراب من الحبل ، فاستقبلوا أمرهم بعـزة من أنفسهم وضعف واستثارة ممن باراهم ، فأجلوا من حولهم لتخلص البلاد لهـم ، ثم اخربوا البـلاد ليعز طلبهم وتشتد المؤونة وتعظم الكلفة ، ويقووا في ذات أيديهم ، فلم يتواف إليهم قواد السلطان إلا وقـــد توافت إليهم القوة من كل جانب ، فاستفحل أمرهم وعظمت شوكتهم واشتدت ضروراتهم واستجمع لهم كيدهم وكثر عددهم واعتدادهم وتمكنت الهيبة في صدور الناس منهم ، وتحقق في نفوسهم أن كل ما يعدم الكافر ويمينهم أخذ باليد . وكان الذي بقي عندهم منه كالذي مضى ، وبدون هذا ما يختدع الأريب ويستزل العاقـــل ويعتقل الفطن ، فكيف بمن لا فكرة عنده ولا روية دونه ؟ .

هـــذا مع كل ما يقوم في قلوبهم من حسد أهل النعم ومنافستهم على ما في أيديهم وتقطعهم حسرات في أثر ما خصوا به ، وإنهم أن لا يكونوا يرون انفسهم أحق بذلك فإنهم يرون أنهم فيه سواء .

ولم يزل أمير المؤمنين ، قبل أن تفضي إليه الخلافة ، ماداً عنقه موجهاً همته إلى أن يوليه الله أمر هؤلاء الكفرة ويملكه حربهم ويجعله المقارع لهم عن دينه

والمناجز لهم عن حقه ، فلم يكن يـألو جهداً في ذلك حرصاً وطلباً واحتيالاً ، فكان أمير المؤمنين ـ رضي الله عنه ـ يأبى ذلك لضنه به وصيانته بقربه مع الأمر الذي أعده له وآثره بـه ، ورأى أن شيئاً لا يفي بقوام الدين وصلاح الأمـر .

فلما أفضى الله إلى أمير المؤمنين بخلافته وأطلق الأمر في يده ، لم يكن شيء أحب إليه ولا آخذ بقلبه من المعالجة للكافر وكفرته . فأعزه الله وأعانه الله ، فلله الحمد على ذلك وتيسره ، فأعد من أمواله أخطرها ، ومن قواد جيشه أعلمهم بالحرب وأنهضهم بالمضلات ، ومن أوليائه وأبناء دعوته ودعوة آبائه ـ صلوات الله عليهم ـ أحسنهم طاعة وأشدهم نكاية وأكثرهم عدة . ثم أتبع الأموال بالأموال والرجال بالرجال من خاصة مواليه وعدد غلمانه ، وقبل ذلك ما اتكل عليه من صنع الله جل وعز ، ووجه إليه من رعيته . فكيف رأى الكافر اللعين وأصحابه الملاعين ؟ ألم يكذب الله ظنونهم ويشف صدور أوليائه منهم ؟ يقتلونهم كيف شاءوا في كل موطن ومعترك ما دامت عند أنفسهم مقاومة ، فلما ذلوا وقلوا وكرهوا الموت ، صاروا لا يتراءون إلا في رؤوس الجبال ومضايق الطرق وخلف الأوديه ومن وراء الأنهار ، وحيث لا تنالهم الخيل ، حصناً للمطاولة وانتظاراً للدوائر ، فكادهم الله عند ذلك وهو خير الكائدين واستدرجهم حتى جمعهم إلى حصنهم معتصمين فيـه عند أنفسهم فجعلوا اعتصامهم لحين لهم ، وصنعٌ لأوليائه وإحاطة منه به تبارك وتعالى ، فجمعهم وحصرهم لكي لا تبقى منهم بقية ولا ترجى لهم عاقبة ولا يكون الدين إلا لله ولا العاقبة إلا لأوليائه ولا التعس والنكس إلا لمن خذله . فلما حصرهم الله وحبسهم عليهم ووانتهم مصارعهم سلطهم الله عليهم كيد واحدة يختطفونهم بسيوفهم وينتظمونهم برماحهم فلا يجدون ملجأ ولا مهرباً ، ثم أمكنهم من أموالهـم وأهاليهم وأولادهم ونسائهم وحرمهم ، وصيروا الدار

دارهم والحلة محلتهم والأموال قسماً بينهم ، والأهل إماءً وعبيداً . وفوق ذلك كله مـا فعل بهؤلاء وأعطاهم من الرحمة والثواب ، وما أعد لأولئك من الخزي والعقاب . وصار الكافر بابك لا فيمن قتل فسلم من ذل الغلبة، ولا فيمن نجا فعاين في الحياة بعض العوض ، ولا فيمن أصيب فيشتغل بنفسه عن المصيبة بمـا سواه ، ولكنه سبحانه وتعالى أطلقه وسد مذاهبه وتركه ملدداً بين الذل والخوف والغصة والحسرة ، حتى إذا ذاق طعم ذلك كله وفهمه وعرف موقع المصيبة ـ وظن مع ذلك كله أنه على طريق النجاة ـ فأضرب الله وجهه وأعمى بصره وسد سبيله وأخـــذ بسمعه وبصره وحازه إلى من لا يرق له ولا يرثى لمصرعه ، فامتثل ما أمر به الأفشين (حيدر بن طاوس)[1] مولى أمير المؤمنين في أمره فبث له الحبائل ووضع عليه الأرصاد ونصب له الإشراك حتى أظفره الله به أسيراً ذليلاً موثقاً في الحديد ، يراه في تلك الحالة من كان يراه رباً ويرى الدائرة عليه من كان يظن أنهـا ستكون له . فالحمد لله الذي أعز دينه وأظهر حجته ونصر أولياءه وأهلك اعداءه حمداً يقضي به الحق وتتم به النعمة وتتصل به الزيادة ، والحمد لله الذي فتح على أمير المؤمنين وحقق ظنه وأنجح سعيه ، وحاز له أمر هذا الفتح وذخره وشرفه ، وجعله خالصاً لتمامه وكاله بأكمـــل الصنيع وأحسن الكفاية ، ولم ير بؤساً فيه ما يقذي عينه ، ولا خلا من سرور يراه وبشارة تتجدد له عنه . فما يدري أمير المؤمنين ما متع فيه من الأجل ، وما ختم له من الظفر . فالحمد لله أولاً ، والحمد لله آخراً ، والحمد لله على عطاياه التي لا تخفى ونعمه التي لا تنسى إن شاء الله تعالى .

صبح الأعشى للقلقشندي حـ ٦ ٤٠٠ ـ ٤٠٤

---

(١) هكذا ورد اسم الافشين في الاصل وصوابه حيدر بن كاوس على خلاف في لفظ حيدر او حيذر او خيذر ... الخ .

– قضايا الأفشين والمازيار –

٣٩٨ رسالة عبد الله بن طاهر إلى الأفشين من أجل المال الذي وجهه الافشين سرا مع رسله إلى أشروسنة ووقع الرسل بيد عبد الله الذي صادر الأموال واحتجز الرجال وكتب إلى الإفشين بذلك :

أنا أنكر أن تكون وجهت بمثل هذا المال إلى أشروسنة ولم تكتب إلي تعلمني لأبذرقه [١] . فإن كان هذا المال ليس لك فقد أعطيته للجند مكان المال الذي يوجهه إلى أمير المؤمنين في كل سنة ، وإن كان المال لك – كما زعم القوم – فإذا جاء المال من قبل أمير المؤمنين رددته إليك ، وإن يكن غير ذلك فأمير المؤمنين أحق بهذا المال ، وإنما دفعته إلى الجند لأني أريد أن أوجههم إلى بلاد الترك [٢] .

تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٧ – ٣٠٤

٣٩٩ – جواب الأفشين :

أرسل الأفشين إلى عبد الله بن طاهر يخبره أن المال ماله ويطلب منه أن يطلق سراح الرجال ويقول :

إن مالي ومال أمير المؤمنين واحد .

الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٦ – ٥١١

---

(١) البذرقة : الحراسة والحماية .

(٢) وردت نصوص مشابهة في كل من ابن الاثير جـ٦–٥١١ وابن مسكويه جـ٦–٥١٧

٤٠٠ - رسالة خاش أخي الأفشين إلى قوهيار أخي المازيار :

شهد المازيار - اثناء محاكمة الأفشين - أن خاش أخا الأفشين كتب - عن لسانه - رسالة إلى أخيه قوهيار يقول فيها :

إنه لم يكن ينصر هذا الدين الأبيض غيري وغير أخيك وغير بابك . فأما بابك فإنه بحمقه قتيل نفسه ، ولقد جهدت أن أصرف عنه الموت فأبى حمقه إلا أن دلاه فيما وقع فيه . فإن خالفت لم يكن للقوم من يرمونك به غيري ومعي من الفرسان وأهل النجدة والبأس . فإن وجهت إليك لم يبق أحد يحاربنا إلا ثلاثة : العرب والمغاربة والأتراك . والعربي بمنزلة الكلب أطرح له كسرة ثم اضرب رأسه بالدبوس . وهؤلاء الذباب - يعني المغاربة - إنما هم أكلة رأس ، وأولاد الشياطين - يعني الأتراك - فإنما هي ساعة تنفذ سهامهم ثم تجول الخيل عليهم جولة فتأتي على آخرهم ويعود الدين إلى ما لم يزل عليه أيام العجم .

تجارب الأمم لابن مسكويه ج ٦ - ٥٢٢

٤٠١ - رسالة الأفشين إلى المعتصم لما اعتقل ، وقد طلب أن يرسل له المعتصم ثقة من طرفه ليرسل له رسالة شفوية فأرسل إليه حمدون بن إسماعيل وقد كلفه الأفشين أن يقول للمعتصم ما يلي :

قل لأمير المؤمنين : أحسنت إليّ وشرفتني وأوطأت الرجال عقبي ، ثم قبلت فيّ كلاماً لم يتحقق عندك ولم تتدبره بعقلك ، كيف يكون هذا وكيف يجوز لي أن أفعل هذا الذي بلغك ! تخبر بأني دسست إلى منكجور أن يخرج وتقبله ، وتخبر أني قلت للقائد الذي وجهته إلى منكجور ، لا تحاربه واغدر وإن أحسست بأحد منا فانهزم من بين يديه . أنت رجل قد عرفت الحرب وحاربت الرجال وسُسْتَ العساكر ، هذا يمكن ؟ ! رأس العسكر يقول لجند يلقون قوماً : افعلوا كذا وكذا ، هذا ما لا يسوغ لأحد أن يفعله ، ولو

كان هذا يمكن ما كان ينبغي أن تقبله من عدو قد عرفت سببه ، وأنت أولى بي إنما أنا عبد من عبيدك وصنيعك ، ولكن مثلي ومثلك يا أمير المؤمنين ، مثل رجل ربى عجلاً له حتى أسمنه وكبر وحسنت حاله ، وكان له أصحاب اشتهوا أن يأكلوا من لحمه فعرضوا له بذبح العجل فلم يجبهم إلى ذلك ، فاتفقوا جميعاً على أن قالوا له ذات يوم: ويحك لم تربي هذا الأسد؟ هذا سبع وقد كبر ، والسبع إذا كبر يرجع إلى جنسه . فقال لهم : ويحكم هذا عجل بقر ماهو سبع ! فقالوا: هذا سبع سل من شئت عنه ، وقد تقدموا إلى جميع من يعرفونه فقالوا له: إذا سألكم عن العجل فقولوا له هذا سبع . فكلما سأل الرجل إنساناً عنه وقال له : أما ترى هذا العجل ما أحسنه ! قال الآخر : هذا سبع ، هذا أسد ، ويحك . فأمر بالعجل فذبح . ولكني أنا ذلك العجل كيف أقدر أن أكون أسداً ؟ الله الله في أمري ، اصطنعتني وشرفتني وأنت سيدي ومولاي . اسأل الله أن يعطف قلبك علي (١) .

تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٧ – ٣١٠

٤٠٢ ـ رسالة مازيار طبرستان إلى عامله على الخراج :

منع المازيار في طبرستان الخراج عن المعتصم ونافر آل طاهر في خراسان وكان الأفشين يشجعه ، حتى أعلن عصيانه . فسارت الإشاعات تقول أن المعتصم سوف يوجه الأفشين لحربه بعد أن فرغ من حرب بابك ، فأرسل المازيار رسالة إلى عامل خراجه شاذان بن الفضل هذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم ، إن الأخبار تواترت علينا وصحت عندنا بما يرجف

(١) يذكر ابن مسكويه في كتابه تجارب الامم جـ ٦ ٥٢٤-٥٢٥ نص هذه الرسالة وفيه شيء من الخلاف .

به جهال أهل خراسان وطبرستان فينا ويولدون علينا من الأخبار ويحملون عليه رؤوسهم من التعصب لدولتنا والطعن في تدبيرنا والمراسلة لأعدائنا وتوقع الفتن وانتظار الدوائر فينا ، جاحدين للنعم، مستقلين للأمن والدعة والرفاهية والسعة التي آثرهم الله بها . فما يرد الري قائد ولا مشرق ولا مغرب ، ولا يأتينا رسول صغير ولا كبير إلا قالوا : كيت وكيت ومدوا أعناقهم نحوه ، وخاضوا فيما قد كذب الله أحدوثتهم وخيب أمانيهم فيه مرة بعد مرة. فلا تنهاهم الأولى عن الآخرة ولا يزجرهم عن ذلك تقية ولا خشية . كل ذلك نغضي عنه ونتجرع مكروهه استبقاء على كافتهم وطلباً للصلاح والسلامة لهم إلحاحاً ، فلا يزيدهم استبقاؤنا إلا لجاجاً ولا كفنا عن تأديبهم إلا اغراء. إن أخرنا عنهم افتتاح الخراج نظراً لهم ورفقاً بهم قالوا : معزول . وإن بادرنا به قالوا : لحادث أمر . لا يزدجرون عن ذلك بالشدة إن أغلظنا ولا برفق إن أنعمنا ، والله حسبنا وهو ولينا عليه نتوكل وإليه ننيب . وقد أمرنا بالكتاب إلى بندار آمل والرويان في استفلاق الخراج في عملهما ، وأجلناهما في ذلك إلى سلخ تيرماه [1] . فاعلم ذلك وجرد جبايتك واستخرج ما على أهل ناحيتك كملاً، ولا يمضين عنه تيرماه ولك درهم باق، فإنك إن خالفت ذلك إلى غيره لم يكن جزاؤك عندنا إلا الصلب فانظر لنفسك وحام عن مهجتك وشمر في أمرك وتابع كتابك إلى العباس، وإياك والتغرير ، واكتب بما يحدث منك من الإنكماش والتشمير فإنا قد رجونا أن يكون في ذلك مشغلة لهم عن الأراجيف ، ومانع عن التسويف ، فقد أشاعوا في هذه الأيام أن أمير المؤمنين ـ أكرمه الله ـ صائر إلى قرماسين وموجه الأفشين إلى الري . ولعمري لئن فعل ـ أيده الله ـ ذلك ، إنه لما يسرنا الله به ويؤنسنا بجواره ويبسط الأمل فيما قد عودنا من فوائده وأفضاله ، ويكبت أعداءه وأعداءنا . ولن يهمل ـ أكرمه الله ـ أموره ويرفض ثغوره والتصرف في نواحي

ملكه لأراجيف مرجف بعماله وقول قائل في خاصته، فإنه لايسرب - أكرمه الله - جنـده إذا سرب ، ولا يندب قواده إذا نـدب إلا إلى مخالف . فاقرأ كتابنا هذا على من بحضرتك من أهل الخراج ليبلغ شاهدهم غائبهم وعنف عليهم في استخراجه، ومنهم بكسره فليبد بذلك صفحته لينزل الله به ما أنزل بأمثاله، فإن لهم أسوة في الوظائف وغيرها بأهل جرجان والري وما ولاهما ، فإنما خفف الخلفاء عنهم خراجهم ورفعت الرفائع عنهم للحاجة التي كانت إليهم في محاربة أهل الجبال ومغازي الديلم الضلال. وقد كفى الله أمير المؤمنين - أعزه الله - ذلك كله وجعل أهل الجبال والديلم جنداً وأعواناً ، والله المحمود .

تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٧ ٢٨٤ - ٢٨٥

٤٠٣ - رسالة أحمد بن الصقر الى قوهيار أخي المازيار :

وقعت الحرب بين المازيار من جهة وبين عبد الله بن طاهر والمعتصم من جهة ثانية . وهزم المازيار واستأمن أخوه القوهيار إلى حيان مولى عبد الله بن طاهر فغضب لذلك أحمد بن الصقر أحد قواد عبد الله وكتب إلى القوهيار :

ويحك ! لم تغلط في أمرك وتترك مثل الحسن بن الحسين عم الأمير عبد الله ابن طاهر وتدخل في أمان هذا العبد الحائك [يعني حياناً] وتدفع إليه أخاك وتضع من قدرك وتحقد عليك الحسن بن الحسين بتركك إياه وميلك إلى عبـد من عبيده ؟ !

٤٠٤ - جواب القوهيار الى أحمد بن الصقر :

قد غلطت في أول الأمر وواعدت الرجل أن أصير إليه بعد غد ، ولا آمن، إن خالفته ، أن يناهضني ويحاربني ويستبيح منازلي ، وإن قاتلته وقتلت من أصحابه وجرت الدماء بيننا وقعت الشحناء ويبطل ما نحن فيه .

٤٠٥ – رسالة أحمد بن الصقر الثانية الى القوهيار جواب رسالته السابقة :

إذا كان يوم الميعاد فابعث إليه رجلا من أهل بيتك واكتب إليه أنه عرضت لك علة منعتك من الحركة وإنك تتعالج ثلاثة أيام فإن عوفيت وإلا صرت إليه في محمل وسنحمله نحن على قبول ذلك منك (١) .

تجارب الأمم لابن مسكويه ج ٦ ٥٠٩ – ٥٢٠

٤٠٦ – رسالة أحمد بن الصقر إلى الحسن بن الحسين يطلب منه الحضور ليسلم إليه مازيار والجبل :

اركب إلينا لندفع إليك مازيار والجبل ، وإلا فاتك فلا تقم .

٤٠٧ – رسالة أحمد بن الصقر إلى القوهيار الذي هم بالغدر بعد أن استأمن ولاحظ ذلك عليه أحمد بن الصقر فكتب إليه يقول :

لا أرى لك التخليط والمناصبة لعبد الله بن طاهر ، وقد كتب إليه بخبرك وضمانك فلا تكن ذا قلبين .

تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٧ ٢٩٤ – ٢٩٦

ـ علاقات خارجية ـ

٤٠٨ – رسالة المعتصم إلى ملك الروم جواب رسالة وردته منه فيها تهديد ووعيد :

أرسل ملك الروم إلى المعتصم كتاباً يتهدده فأمر بجوابه فلما قرىء عليه

---

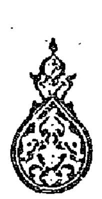
(١) وردت نصوص مشابهة لنصوص ما أثبتناه هنا في كل من الطبري حـ٧-٢٩٣ وابن الاثير ٤٩٩-٤٠٠ .

الجواب لم يرضه وقال للكاتب : اكتب

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد : فقد قرأت كتابك وسمعت خطابك ،

والجواب ماترى لا ماتسمع ، وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار (١) .

تاريخ بغداد للخطيب البغدادي جـ ٣ ــ ٣٤٤



(١) يأتي كل من الحصري القيرواني جـ٢-٧٨٦ والسيوطي ص ٣٣٨ وصبح الاعشى جـ١-١٩٢ بنصوص مشابهة لنصنا هذا .

هارون الواثق بالله

٢٢٧ - ٢٣٢ هـ / ٨٤٢ - ٨٤٧ م

- الحوار -

٤٠٩ - مناظرة بين أحمد بن أبي دؤاد وشيخ مجهول حول موضوع خلق القرآن :

أتى الواثق - وهو في مصلاه - بشيخ مخضوب مقيد متهم أنه لايقول بخلق القرآن . فأمر بإدخاله وإحضار أحمد بن أبي دؤاد . فلما أدخل الشيخ قال :

السلام عليك يا أمير المؤمنين .

فقال له الواثق : لا سلم الله عليك .

فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين ، بئس ما أدبك مؤدبك . قال الله تعالى : وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها [1] . والله ماحييتني بها ولا بأحسن منها .

فقال ابن أبي دؤاد : يا أمير المؤمنين الرجل متكلم .

فقال الواثق له : كلمه .

فقال ابن أبي دؤاد : ياشيخ ، ما تقول في القرآن ؟

قال الشيخ : لم تنصفني - يعني ولي السؤال .

فقال له : سل .

---

(١) سورة النساء ، الآية ٨٦ .

فقال الشيخ : ماتقول في القرآن ؟

فقال : مخلوق .

فقال : هذا شيء علمه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي والخلفاء الراشدون أم شيء لم يعلموه .

فقال : شيء لم يعلموه !

فقال : سبحان الله ! شيء لم يعلمه النبي ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي ولا الخلفاء الراسدون وعلمته أنت ؟

فخجل ابن أبي دؤاد وقال : أقلني والمسألة بحالها .

قال : نعم ، ماتقول في القرآن ؟

فقال : مخلوق .

فقال : هذا شيء علمه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي والخلفاء الراشدون أم لم يعلموه ؟

فقال : علموه ولم يدعوا الناس له .

قال : أفلا وسعك ما وسعهم ؟

ثم قام الواثق فدخل إلى مجلس الخلوة .

تاريخ بغداد للخطيب البغدادي جـ ٣ ١٥١ ـ ١٥٢

ـ الرسائل والعهود والبيانات ـ

٤١٠ - رسالة إبراهيم الصولي إلى الواثق يهنئه بالخلافة ويعزيه بوفاة والده المعتصم :

إن أحق الناس بالشكر من جاء به عن الله ، وأولاهم بالصبر من كان سلفه رسول الله ، وأمير المؤمنين ـ أعزه الله ـ وآباؤه ـ نصرهم الله ـ أولو الكتاب الناطق عن الله بالشكر وعترة رسوله المخصوصون بالصبر. وفي كتاب الله أعظم

الشفاء وفي رسوله أحسن العزاء . وقد كان من وفاة أمير المؤمنين المعتصم بالله ومن مشيئة الله في ولاية أمير المؤمنين الواثق بالله ما عفا على أوله آخره وتلافت بدأته عاقبته ، فحق الله في الأولى الصبر وفرضه في الأخرى الشكر. فإن رأى أمير المؤمنين أن يستنجز ثواب الله بصبره ويستدعي زيادته بشكره فعل إن شاء الله تعالى وحده .

معجم الأدباء لياقوت الحموي ج ١ ١٨٩ - ١٩٠

٤١١ - منشور أذاعه الواثق لما قتل أحمد بن نصر لما رفض أن يقول بخلق القرآن وأصر على ذلك ، فقتله الواثق وعلق بأذنه رقعة مكتوباً فيها ما يلي :

هذا رأس الكافر المشرك الضال وهو أحمد بن نصر بن مالك ممن قتله الله على يدي عبد الله هارون الإمام الواثق بالله أمير المؤمنين بعد أن أقام عليه الحجة في خلق القرآن ونفي التشبيه وعرض عليه التوبة ومكنه من الرجوع إلى الحق فأبى إلا المعاندة والتصريح ، والحمد لله الذي عجل به إلى ناره وأليم عقابه. وإن أمير المؤمنين سأله عن ذلك فأقر بالتشبيه وتكلم بالكفر فاستحل أمير المؤمنين دمه ولعنه[1] .

تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٧ - ٣٢٩

٤١٢ - رسالة محمد بن عبد الملك الزيات إلى الواثق حول أخيه جعفر [المتوكل فيما بعد] :

غضب الواثق على أخيه جعفر [المتوكل فيما بعد] فحاول توسيط ابن

---

(١) وردت نصوص مشابهة لنص بياننا هذا في كل من ابن كثير ج١٠-٣٠٥ وابن مسكويه ج٦-٥٣٢ والسيوطي ص ٣٤١ ونص السيوطي موجز كل الايجاز .

الزيات في جعل أخيه يرضى عنه فحضر عنده وطلب منه أن يكتب إلى أخيه بالرضا عنه فكتب ابن الزيات إلى الواثق الرسالة التالية :

إن جعفراً أتاني في زي المخنثين له شعر قفا يسألني أن أسأل أمير المؤمنين الرضا عنه .

٤١٣ ـ رسالة جوابية من الواثق الى ابن الزيات حول أخيه :

ابعث إليه فأحضره ومر من يجز شعر قفاه فيضرب به وجهه[١] .

الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٧ ـ ٣٧

٤١٤ ـ رسالة إبراهيم بن العباس الصولي إلى ابن الزيات يشكو له تحامل أحمد بن يوسف أبي الجهم عليه كل التحامل لما أرسله ابن الزيات الى الأهواز ليكشف إبراهيم :

أبو الجهم كافر لا يبالي ما عمل ، وهو القائل لما مات غلامه يخاطب ملك الموت :

وأقبلت تسعى إلى واحدي	ضراراً كأني قتلت الرسولا
تركت عبيد بني طاهر	وقد ملأوا الأرض عرضاً وطولا
فسوف أدين بترك الصلاة	اصطبح الخمر صرفاً شمولا

الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني ج ١٠ ـ ٥١

٤١٥ رسالة ثانية من ابراهيم الصولي الى ابن الزيات يستعطفه لما غضب عليه :

كتبت وقد بلغت المدية الحز ، وعدت الأيام عليّ بعد عدواي بك عليها ،

---

(١) ورد مثل هذا النص ، مع شيء من الخلاف ، في كل من الطبري ج٧ ـ ٣٤٤ وابن مسكويه ج٦ـ٥٣٧ وابن خلدون ج٣ـ٥٧٩ . ويضيف ابن الاثير أن فعل ابن الزيات بالمتوكل ومعاملته هذه له كان من اكبر اسباب نكبته فيما بعد على يد المتوكل لما أصبح خليفة.

وكان اسوأ الظن وأكبر خوفي أن تسكن في وقت حركتها وتكف عند أذاتها ، فصرت أضر علي منها ، فكف الصديق عن نصرتي خوفاً منك ، وبادر إلى العدو تقرباً إليك .

وكتب في أسفل رقعته :

أخ بيني وبين الدهر صاحب أيّنا غلبا
صديقي ما استقام وإن نبا دهر علي نبا
وثبت على الزمان به فعاد به وقد وثبا
ولو عاد الزمان لنا لعاد به أخاً حدبا

٤١٦ ـ رسالة أخرى من إبراهيم الصولي إلى ابن الزيات يستعطفه :

أما والله لو آمنت ودك لقلت ، ولكني أخاف منك عتباً لا تنصفني فيه ، وأخشى من نفسي لائمة لا تحتملها لي ، وما قدر فهو كائن ، عن كل حادثة أحدوثة ، وما استبدلت بحالة كنت فيها مغتبطاً حالاً أناني مكروهها ، ولكنها أشد علي من إني فزعت إلى ناصري عند ظلم لحقني ، فوجدت من ظلمني أخف نية في ظلمي منه ، وأحمد الله كثيراً .

وكتب تحتها :

وكنت أخي باخاء الزمان فلما نبا صرت حرباً عوانا
وكنت أذم إليك الزمان فأصبحت فيك أذم الزمانا
وكنت أعدك للنائبات فها أنا أطلب منك الأمانا[1]

معجم الأدباء لياقوت الحموي ج ١ ١٧٠ ـ ١٧١

(١) ثم وقف الواثق على تحامل ابن الزيات عليه فرفع يده عنه .

جعفر المتوكل على الله
٢٣٢ - ٢٤٧ هـ / ٨٤٧ - ٨٦١ م

ـ الرسائل والعهود والبيانات ـ

ـ الخلافـــة وولاية العهد ـ

٤١٧ — منشور المتوكل إلى العمال بتوليه الخلافـــة وتلقبه المتوكل على الله :

بسم الله الرحمن الرحيم. أمر ، أبقاك الله ، أمير المؤمنين ـ أعزه الله ـ أن يكون الرسم الذي يجري بـه ذكره على أعواد منبره وكتبه إلى قضاته وكتابه وعماله وأصحاب دواوينه وسائر من يجري المكاتبة بينه وبينه : من عبدالله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين . فرأيك في العمل بذلك وأعلامي وصول كتابي إليك موفقـاً إن شاء الله[1] .

تجارب الأمم لابن مسكويه جـ ٦ - ٢٣٦

٤١٨ — كتاب تعزية من المتوكل إلى طاهر بن عبد الله بن طاهر بوفاة قريبه محمد بن إبراهيم بن مصعب في فارس :

أما بعد : فإن أمير المؤمنين يوجب لك ، مع كل فائـــدة ونعمة ، تهنئتك بمواهب الله وتعزيتك عن ملمات أقداره . وقـد قضى الله لمحمد بن إبراهيم مولى أمير المؤمنين ما هو قضاؤه في عباده حتى يكون الفنـاء لهم والبقاء له . وأمير

(١) ورد في الطبري جـ٧-٣٤٢ نص مشابه لهذا المنشور .

المؤمنين يعزيك عن محمد بما أوجب الله لمن عمل بما أمره به في مصائبه من جزيل ثوابه وأجره . فليكن الله وما قربك منه أولى بـك في أحوالك كلها ، فإن مع شكر الله مزيـــده ، ومع التسليم لأمر الله رضاه . وبالله توفيق أمير المؤمنين ، والسلام .

تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٧ - ٣٦٥

٤١٩ - كتاب تعزية من محمد بن عبد الله بن طاهر إلى المتوكل بفقد أحد أولاده :

إني أعزيك لا إني على ثقـــة من الحياة ولكن سنة الدين
ليس المعزيُّ بباق بعد ميته ولا المعزى وإن عاشا إلى حين

العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٣ - ٣١٠

٤٢٠ - عهد المتوكل بولاية العهد من بعده إلى أولاده الثلاثة المنتصر والمعتز والمؤيد :

هذا كتاب كتبه عبد الله جعفر الامام المتوكل على الله أمير المؤمنين وأشهد الله على نفسه بجمع ما فيه ومن حضر من أهل بيته وشيعته وقواده وقضاتـــه وكفاته وفقهائه وغيرهم من المسلمين لمحمد المنتصر بالله ولأبي عبد الله المعتز بالله وإبراهيم المؤيـد بالله بني أمير المؤمنين في أصالة من رأيه وعموم من عافية بدنـه واجتماع من فهمه مختاراً لمـا شهد به ، متوخياً بذلك طاعة ربه وسلامة رعيته واستقامتها وانقياد طاعتها واتساق كلمتها وصلاح ذات بينها ، وذلك في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين ومائتين . إنـــه جعل إلى محمد المنتصر بالله بن جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين ولاية عهد المسلمين في حياته والخلافة عليهم من بعده ، وأمره بتقوى الله التي هي عصمة من اعتصم بها ونجاة من لجأ إليها وعز من اقتصر عليها ، فإن بطاعة الله تتم النعمة وتجب من الله الرحمـــة ، والله غفور رحيم .

وجعل عبد الله جعفر الامام المتوكل على الله أمير المؤمنين الخلافـة من بعد محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين إلى أبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين ، ثم من بعد أبي عبد الله المعتز ابن أمير المؤمنين الخلافـــة إلى ابراهيم المؤيــد بالله ابن أمير المؤمنين .

وجعل عبد الله جعفر الإمام المتوكل على اللهأمير المؤمنين لمحمد المنتصر بالله ابنأمير المؤمنين على أبي عبد الله المعتز بالله وابراهيم المؤيد بالله ابني أمير المؤمنين السمع والطاعة والنصحية والمشايعة والموالاة لأوليائه والمعاداة لأعدائه في السر والجهر والغضب والرضا والمنع والإعطاء ، والتمسك ببيعته والوفـــاء بعهده لا يبغيانه غائلةولا يحاولانه مخاتلة ولا يمالئان عليه عدواً ولا يستبدان دونه بأمر يكون فيه نقض لما جعل إليه أمير المؤمنين من ولاية العهد في حياته والخلافةمن بعده. وجعل عبد الله جعفر الإمام المتوكلعلى الله أمير المؤمنين على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين لأبي عبد المعتز بالله وإبراهيم المؤيــد بالله ابني أمير المؤمنين الوفاء بما عقده لهما وعهد به إليهما من الخلافة بعد محمد المنتصر بالله ابنأميرالمؤمنين وإبراهيم المؤيــد بالله ابن أمير المؤمنين الخليفة من بعد أبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين والإتمام على ذلك ولا يخلعهما ولا واحداً منها ولا يعقد دونهما ولا دون واحد منهما بيعة لولده ولا لأحد من جميع البرية، ولا يؤخر منهما مقدماًولا يقدم منهما مؤخراً ، ولا ينقصهما ولا واحداً منهما شيئاً من أعمالهما التي ولاهما عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين وكل واحد منهما من الصلاة والمعاون والقضاء والمظالم والخراج والضياع والغنيمة والصدقات وغير ذلك من حقوق أعمالهما ومـــا في عمل كل واحد منهما من البريد والطرز وخزن بيوت الأموال والمعاون ودور الضرب وجميع الأعمال التي جعلها أمير المؤمنين ويجعلها إلى كل واحد منهما ، ولا ينقل عن واحد منهما أحـــداً من ناحيته من القواد والجنــد والشاكرية والموالي والغلمان وغيرهم ، ولا يعترض عليه في شيء

من ضياعه وإقطاعاته وسائر أمواله وذخائره وجميع ما في يـــده وما حواه وملكت يده من تالد وطارف وقديم ومستأنف وجميع ما يستفيده ويستفاد له بنقص ولا يحرم ولا يجنف ولا يمرض لأحد من عماله وكتابه وقضاته وخدمه ووكلائه وأصحابه وجميع أسبابه بمناظرة ولا محاسبة ولا غير ذلك من الوجوه والأسباب كلها ، ولا يفسخ فيما وكده أمير المؤمنين لهما في هذا العقد والعهد مما يزيل ذلك عن جهته أو يؤخره عن وقته ، أو يكون ناقضاً لشيء منه .

وجعل عبد الله جعفر المتوكل على الله أمير المؤمنين على أبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين ، أن أفضت إليه الخلافة بعـد محمد المنتصر بالله ابن أمـير المؤمنين لإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين مثل الشرائط التي اشترطها على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين بجميـع ما سمي فيه ووصف في هذا الكتاب ، وعلى مـا بين وفسر ، مع الوفاء من أبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين بما جعله أمير المؤمنين لابراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين من الخلافة وتسليم ذلك راضياً به ممضياً له مقدماً ما فيه حق الله عليه وما أمر به أمير المؤمنين ، غير ناكث ولا ناكب بذلك ولا مبدل فإن الله تعالى جده وعز ذكره يتوعد من خالف أمره وعند عن سبيله في محكم كتابه : فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمـه على الذين يبدلونه ، إن الله سميع علـــيم (١) .

على أن لأبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين ولإبراهيم المؤيد بالله ابـن أمير المؤمنين على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين ، وهمـا يقيمان بحضرته ، أو أحدهما ، أو كانا غائبين عنـه أو مجتمعين كانا أو متفرقين (٢) ، وليس أبـو عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين في ولايته بخراسان وأعمالها المتصلة بهـــا

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٨١ .

(٢) المعنى هنا وفي السطرين التاليين غير مفهوم والسياق مضطرب وذلك من الاصل .

والمضمومة إليها . وليس إبراهيم المؤيـد بالله ابن أمير المؤمنين في ولايته بالشام وأجنادها ، فعلى محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين أن يمضي أبا عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين إلى خراسان وأعمالها المتصلة بها والمضمومة إليها، وأن يسلم له ولايتها وأعمالها كلها وأجنادها والكور الداخلة فيها ولى جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين أبا عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين فلا يعوقه عنها ولا يحبسه قبـله ولا في شيء من البلدان دون خراسان والكور والأعمال المضمومة إليها ، وأن يعجل إشخاصه إليها واليا عليها وعلى جميع أعمالها منفرداً بها مفوضاً اليه أعمالها كلها لينزل حيث أحب من كور عمله ، ولا ينقله عنها ، وان يشخص معـه جميع من ضم إليه أمير المؤمنين ويضم من مواليه وقواده وشاكريته وأصحابه وكتابه وعماله وخدمه ومن اتبعه من صنوف الناس بأهاليهم وأولادهم وعيالهم وأموالهم ، ولا يحبس عنه أحداً ولا يشرك في شيء من أعماله أحداً ولا يوجـه عليه أمنياً ولا كاتباً ولا بريداً ولا يضرب على يده في قليل أو كثير .

وأن يطلق محمد المنتصر بالله لإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين الخروج إلى الشام وأجنادها فيمن ضـــم أمير المؤمنين ويضمه إليه من مواليه وقواده وخدمه وجنوده وشاكريته وصحابته وعمـاله وخدامه ومن اتبعه من صنوف الناس بأهاليهـا وأولادهم وأموالهم ، ولا يحبس عنهم أحداً ويسلم إليه ولايتهـا وأعمالها وجنودها كلها لا يعوقه عنها ولا يحبـه قبـله ولا في شيء من البلدان دونها ، وأن يعجل إشخاصه إلى الشام وأجنادها واليا عليها ولا ينقله عنها ، وأن عليه له فيمن ضم إليه من القواد والموالي والغلمان والجنود والشاكرية وأصناف الناس وفي جميع الأسباب والوجوه مثل الذي اشترط على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين لأبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين في خراسان وأعمالها على ما رسم من ذلك وبين ولخص وشرح في هذا الكتاب .

ولإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين على أبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين - إذا افضت الخلافة إليه وإبراهيم المؤيد بالله مقيم بالشام - أن يقره بها أو كان بحضرته أو كان غائباً عنه أن يمضيه إلى عمله من الشام وأن يسلم إليه أجنادها وولايتها وأعمالها كلهاولا يعوقه عنها ولا يحبسه قبلهولافي شيء من البلدان دونها ، وأن يعجل إشخاصه إليها والياً عليها وعلى جميع أعمالها ، على مثل الشرط الذي أخذ لأبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين في خراسان وأعمالها على ما رسم ووصف وشرط في هذا الكتاب .

لم يجعل أمير المؤمنين لواحد ممن وقعت عليه أو له هذه الشروط من محمد المنتصر بالله وأبي عبد الله المعتز بالله وإبراهيم المؤيد بالله بني أمير المؤمنين أن يزيل شيئاً مما اشترطنا في هذا الكتاب ووكدنا ، وعليهم جميعاً الوفاء به ، لا يقبل الله منهم إلا ذلك ، ولا التمسك إلا بعهد الله فيه ، وكان عهد الله مسؤولا .

أشهد الله رب العالمين جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين ومن حضره من المسلمين بجميع ما في هذا الكتاب على إمضائه إياه على محمد المنتصر بالله وأبي عبد الله المعتز بالله وإبراهيم المؤيد بالله بني أمير المؤمنين بجميع ما سمي ووصف فيه ، وكفى بالله شهيداً ومعيناً لمن أطاعه راجياً ، ووفى بعهده خائفاً وحسيباً ، ومعاقباً من خالفه معانداً أو صدف عن أمره مجاهداً .

وقد كتب هذا الكتاب على أربع نسخ وقعت شهادة الشهود بحضرة أمير المؤمنين في كل نسخة منها . في خزانة أمير المؤمنين نسخة ، وعند محمد المنتصر ابن أمير المؤمنين نسخة ، وعند أبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين نسخة ونسخة عند إبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين .

وقد ولي جعفر الإمام المتوكل على الله أبا عبد الله المعتز بالله ابن أمير

المؤمنين أعمال فارس وأرمينيا وأذربيجان إلى ما يلي أعمال خراسان وكورها والأعمال المتصلة بها والمضمومة إليها ، على أن يجعل له على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين في ذلك الذي جعل له في الحياطة في نفسه ، والوثاق في أعماله والمضمومين إليه وسائر من يستعين به من الناس جميعاً في خراسان والكور المضمومة إليها والمتصلة بها على ما سمي ووصف في هذا الكتاب .

تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٧ ٣٥٨ - ٣٦٢

ــ شؤون إدارية ــ

ــ معاملة أهل الذمة ــ

٤٢١ ــ منشور المتوكل إلى العمال بمعاملة أهل الذمة :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد : فإن الله تبارك وتعالى بعزته التي لا تحاول وقدرته على ما يريد ارتضى الإسلام فرضيه لنفسه وأكرم به ملائكته وبعث به رسله وأيد به أوليائه ، وكنفه بالبر وحاطه بالنصر وحرسه من العاهة وأظهره على الأديان مبرءاً من الشبهات ، معصوماً من الآفات ، محبواً بمناقب الخير ، مخصوصاً من الشرائع بأطهرها وأفضلها ، ومن الفرائض بأزكاها وأشرفها ، ومن الأحكام بأعدلها وأقنمها ، ومن الأعمال بأحسنها وأقصدها . وأكرم أهله بما أحل لهم من حلاله وحرم عليهم من حرامه ، وبين لهم من شرائعه وأحكامه ، وحد لهم من حدوده ومناهجه ، وأعد لهم من سعة جزائه وثوابه ، فقال في كتابه فيما أمر به ونهى عنه ، وفيما حض عليه فيه ووعظ : إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر

والبغي يعظكم لعلكم تذكرون[1] .

وقال فيما حرم على أهله مما غمط فيه أهل الأديان من رديء المطعم والمشرب والمنكح لينزههم عنه وليظهر به دينهم ليفضلهم عليهم تفضيلاً : حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة ... آخر الآية[2] . ثم ختم ما حرم عليهم من ذلك في هذه الآية بحراسة دينه ممن عند عنه وبإتمام نعمته على أهله الذين اصطفاهم فقال عز وجل : اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشوني ، اليوم أكملت لكم دينكم[3] . . الآية . وقال عز وجل : حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم[4] ... وقال : إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان[5] ... فحرم على المسلمين من مآكل أهل الأديان أرجسها وأنجسها ، ومن شرابهم أدعاه إلى العداوة والبغضاء وأصده عن ذكر الله وعن الصلاة ، ومن مناكحهم أعظمها عند الله وزراً ، وأولاها عند ذوي الحجى والألباب تحريماً . ثم حباهم بمحاسن الأخلاق وفضائل الكرامات فجعلهم أهل الإيمان والأمانة والفضل والتراحم ، واليقين والصدق ، ولم يجعل في دينهم التقاطع والتدابر ولا الحمية ولا التكبر ، ولا الخيانة ولا الغدر . ولا التباغي ولا التظالم ، بل أمر بالأولى ونهى عن الأخرى ، ووعد وأوعد عليها جنته وناره وثوابه وعقابه . فالمسلمون ، بما اختصهم الله من كرامته وجعل لهم من الفضيلة بدينهم الذي اختاره لهم ، بائنون على الأديان بشرائعهم الزاكية وأحكامهم المرضية الطاهرة وبراهينهم المنيرة ، وبتطهير الله دينهم بما أحل وحرم فيه لهم وعليهم ، قضاءً من الله عز

(١) سورة النحل ، الآية ٩٠ .
(٢) سورة المائدة ، الآية ٣ .
(٣) سورة المائدة ، الآية ٣ .
(٤) سورة النساء ، الآية ٢٣ .
(٥) سورة المائدة ، الآية ٦٠ .

وجل في إعزاز دينه حتماً ومشيئة منه في إظهار حقه ماضية ، وإرادة منه في إتمام نعمته على أهله نافذة : ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيي عن بينة[1] . وليجعل الله الفوز والعاقبة للمتقين ، والخزي في الدنيا والآخرة على الكافرين .

وقد رأى أمير المؤمنين ـ وبالله توفيقه وإرشاده ـ أن يحمل أهل الذمة جميعاً بحضرته وفي نواحي أعماله ، أقربها وأبعدها ، وأخصهم وأخسهم على تصيير طيالستهم التي يلبسونها ، من لبسها من تجارهم وكتابهم ، كبيرهم وصغيرهم ، على ألوان الثياب العسلية ، لا يتجاوز ذلك منهم متجاوز إلى غيره ، ومن قصر عن هذه الطبقة من أتباعهم وأرذالهم ، ومن يقعد به حاله عن لبس الطيالسة منهم ، أخذ بتركيب خرقتين صبغهما ذلك الصبغ يكون استدارة كل واحدة منهما شبراً تاماً في مثله ، على موضع أمام ثوبه الذي يلبسه تلقاء صدره ومن وراء ظهره . وأن يؤخذ الجميع في قلانسهم بتركيب أزرة عليها تخالف ألوانها ألوان القلانس ، ترتفع في أماكنها التي تقع بها لئلا تلصق فتستر ، ولا يركب منها على حباك فتخفى . وكذلك في سروجهم باتخاذ ركب خشب لها ونصب أكر على قرابيسها تكون ناتئة عنها وموفية عليها ، لا يرخص لهم بإزالتها عن قرابيسهم وتأخيرها إلى جوانبها ، بل يتفقد ذلك منهم ليقع ما وقع من الذي أمر أمير المؤمنين بحملهم عليه ظاهراً يتبينه الناظر من غير تأمل وتأخذه الأعين من غير طلب . وأن تؤخذ عبيدهم وإماؤهم ومن يلبس المناطق من تلك الطبقة بشد الزنانير والكساتيج مكان المناطق التي كانت في أوساطهم ، وأن توعز إلى عمالك فيما أمر به أمير المؤمنين في ذلك إيعازاً تحدوهم به استقصاء ما تقدم إليهم فيه ، وتحذرهم إدهاناً وميلاً وتتقدم إليهم في إنزال العقوبة بمن خالف ذلك من جميع أهل الذمة عن سبيل عناد وتهوين إلى غيره ليقتصر الجميع منهم على طبقاتهم وأصنافهم على السبيل التي أمر أمير المؤمنين

(١) سورة الأنفال ، الآية ٤٤ .

بحملهم عليها وأخذهم بها إن شاء الله .

فاعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين وأمره ، وأنفذ إلى عمالك في نواحي عملك ما ورد عليك من كتاب أمير المؤمنين بما تعمل به إن شاء الله . وأمير المؤمنين يسأل الله ربه ووليه أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وملائكته ، وأن يحفظه فيما استخلفه عليه من أمر دينه ويتولى ما ولاه مما لا يبلغ حقه فيه إلا بعونه حفظاً يحمل به ما حمله ، وولاية يقضي بها حقه منه ويوجب بها له أكمل ثوابه وأفضل مزيده ، إنه كريم حليم . وكتب إبراهيم بن العباس في شوال سنة خمس وثلاثين ومائتين [1] .

تاريخ الأمم والملوك للطبري ح ٧ ٣٥٥ - ٣٥٧

- شؤون إدارية متفرقة -

٤٢٢ - رسالة من عبيد الله بن يحيى بأمر المتوكل الى محمد بن عبد الله ابن طاهر يأمره بإنزال العقوبة بشخص ظهر في بغداد يسب الصحابة وشهد عليه الشهود في ذلك :

ظهر في بغداد شخص اسمه عيسى بن جعفر سب الصحابة فأرسل صاحب البريد بخبره ، فأمر المتوكل عبيد الله بن يحيى بأن يكتب إلى محمد بن عبد الله بن طاهر والي بغداد بضربه بالسياط حتى الموت ثم رميه في دجلة :

بسم الله الرحمن الرحيم . أبقاك الله وحفظك وأتم نعمته عليك . وصل كتابك في الرجل المسمى عيسى بن جعفر بن محمد بن عاصم صاحب الخانات

(١) اورد القلقشندي في صبح الاعشى ح١٣ ٣٦٧-٣٦٨ نصاً يختلف كل الاختلاف عن نصنا هذا ولا ينص إلا على وجوب عدم استخدام أهل الذمة في الأعمال العامة .

وما شهد به الشهود عليه من شتم أصحاب رسول الله ﷺ ولعنهم واكفارهم ورميهم بالكبائر ونسبتهم إلى النفاق وغير ذلك مما خرج به إلى المعاندة لله ولرسوله ﷺ ، وتثبتك في أمر أولئك الشهود وما شهدوا به ، وما صح عندك من عدالة من عدل منهم ، ووضح لك من الأمر فيما شهدوا به وشرحك ذلك في رقعة درج كتابك ، فعرضت على أمير المؤمنين ـ أعزه الله ـ ذلك فأمر بالكتاب إلى أبي العباس محمد بن عبد الله بن طاهر مولى أمير المؤمنين ـ أبقاه الله ـ بما قد نفذ إليه ؛ مما يشبه ماعنده ـ أبقاه الله ـ في نصرة دين الله وإحياء سنته والانتقام ممن ألحد فيه ، وأن يضرب الرجل حداً في مجمع الناس حد الشتم ، وخمسمائة سوط بعد الحد للأمور العظام التي اجترأ عليها ، فإن مات ألقي في الماء من غير صلاة ليكون ذلك ناهياً لكل ملحد في الدين خارج من جماعة المسلمين ، وأعلمتك ذلك لتعرفه إن شاء الله تعالى ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ٧ — ٣٧٥

٤٢٣ ـ رسالة المتوكل إلى أهل حمص لمـــا ثاروا ضده ، وهي من إنشاء الصولي :

أما بعد : فإن أمير المؤمنين يرى من حق الله تعالى عليه فيما قوم به من أود أو عدل به من زيغ ، أو لمّ به من شعث ثلاثاً يقدم بعضهن أمام بعض : فأولاهن مايستظهر به من عظة وحجة . ثم مايشفعه به من تحذير ، ثم التي لا ينفع حسم الداء غيرها .

أناة فإن لم تغن عقب بعدها وعيد فإن لم يجد أجدت عزائمه

صبح الأعشى للقلقشندي جـ ٦ — ٣٠٨

---

(١) ورد نص قريب من نصنا هذا في معجم الأدباء لياقوت الحموي جـ ١٠ ١٨٧-١٨٨

٤٢٤ - رسالة إسحاق بن إبراهيم والي بغداد الى إيتاخ لما رجع هذا من الحج :

كان إيتاخ كبير النفوذ في دولة لمتوكل وكان المتوكل يخشاه فقرر التخلص منه فزين له الحج فذهب وأثناء عودته طلب المتوكل من واليه على بغداد إسحاق أن يعتقله عندما يمر فيها وأن يتخلص منه. فلما اقترب إيتاخ من بغداد أرسل إليه إسحاق الرسالة التالية :

إن أمير المؤمنين قد أمر آن تدخل بغداد وأن يتلقاك بنو هاشم ووجوه الناس ، وأن تقعد لهم في دار خزيمة بن خازم فتأمر لهم بجوائز (١) .

تجارب الأمم لابن مسكويه ج ٦ - ٥٤٣

٤٢٥ - رسالة من إيتاخ الى إسحاق بن إبراهيم من السجن بعد أن اعتقله إسحاق هذا :

قد علمت ما أمرني به المعتصم والواثق في أمرك ، وكنت أدافع عنك ، فليشفعني ذلك عندك في ولدي. فأما أنا فقد مر بي شدة ورخاء فما أبالي ما أكلت وشربت . وأما هذان الغلامان فلم يعرفا البؤس، فاجعل لهما طعاماً يصلحهما.

الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٧ ٤٦ - ٤٧

٤٢٦ - رسالة ابن الزيات الى المتوكل من السجن لما سجنه الخليفة :

هي السبيل فمن يوم إلى يوم ... كأنه ما تريك العين في النوم

لا تعجلن رويداً إنها دول ... دنيا تنقل من قوم إلى قوم

إن المنايا وإن أصبحت ذا فرح ... تحوم حولك حوماً أيما حوم (٢)

العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٢ - ١٦١

---

(١) ورد نصان قريبان لرسالتنا هذه في كل من الطبري ج٧-١٣٥ وابن خلدون ج٣ ٥٨٠-٥٨١ .

(٢) أورد ابن خلكان في وفياته نصاً مشابهاً لنصنا هذا ولكنه اقتصر على البيتين الاولين فقط ج٤-١٨٧ .

٤٢٧ ـ رسالة علي بن الجهم إلى المتوكل من السجن :

أقلني أقالك من لم يزل يقيك ويصرف عنك الردى

ويغذوك بالنعم السابغات وليداً وذا ميعة أمردا

وتجري مقاديره بالذي تحب إلى أن بلغت المدى

ويعليك حتى لو أن السماء تنال لجاوزتها مصعدا

فشكراً لا نعمة إنه إذا شكرت نعمة جددا

وعفوك عن مذنب خاضع قرنت المقيم به المقعدا

إذا أدرع الليل أفضى به إلى الصبح من قبل أن يرقدا

عفا الله عنك إلا حرمة تعوذ بفضلك إن أبعدا

إن جل ذنب ولم أعتمد لأنت أجل وأعلى يدا

ألم تر عبداً عدا طوره ومولى عفا ورشيداً هدى

ومفسد أمر تلافيته فعاد فأصلح ما أفسدا

فلا عدت أعصيك فيما أمرت حتى أزور الثرى ملحداً

وإلا فخالفت رب السماء وخنت الصديق وعفت الندى

وكنت كفرعون أو كابن عمرو مبيح العيال لمن أولدا

يكاثر في البيت صبيانه يغيظ بهم معشراً حسداً

الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ج ١٠ - ٢٤٠



فهرس

الوثائق الواردة في هذا الكتاب حسب ورودها في الاصل[1]

---

(١) يدل الرقم الموضوع امام اسم الوثيقة على رقم الوثيقة لا رقم الصفحة .

١٤ ـ رسالة نصر بن سيار إلى يزيد بن عمر بن هبيرة يطلب منه المدد بعد أن يأس من الخليفة

١٥ ـ رسالة من نصر إلى مروان يخبره ان ابن هبيرة اعتقل رسله الذين أرسلهم اليه يطلب منه المدد

١٦ ـ رسالة مروان إلى ابن هبيرة لما وصلته رسالة نصر الأخيرة

١٧ ـ رسالة نصر الأخيرة إلى مروان بعد أن منع المدد وهرب أمام أبي مسلم وترك خراسان

١٨ ـ رسالة مروان إلى عامله على دمشق يطلب منـــه اعتقال ابراهيم الإمام وإرساله اليه في حران

١٩ ـ رسالة ابراهيم الامام إلى أبي مسلم يطلب منه أن يقتل رسوله اليه

٢٠ ـ رسالة ابراهيم الامام الى أبي مسلم سنة ١٢٩ يطلب منه الجهر بالدعوة

٢١ ـ رسالة ابراهيم الامام الى سليمان بن كثير « « « «

٢٢ ـ رسالة أبي مسلم إلى نصر بن سيار لما أعلن الدعوة العباسية

٢٣ ـ رسالة ابراهيم الامام الى اصحابه يخبرهم انه ولى أمر الدعوة في خراسان أبا مسلم

٢٤ ـ رسالة أبي مسلم الى قحطبة لمـــا تحارب مع الأمويين قبـــل عبور نهر الفرات وجوابها

٢٥ ـ رسالة أبي مسلم الى أنصار نصر بن سيار وإلى أنصار الكرماني يحرض بعضهم ضد بعض

٢٦ ـ رسالة شفوية من ابي مسلم الى علي بن الكرماني لما بلغه صلحه مع نصر ابن سيار

٢٧ ـ رسالة آل العباس الى أبي سلمة الخلال لما قدموا الكوفة هرباً من مروان بعد اعتقال ابراهيم



مصادر الكتاب

١ – ابن أبي الحديد . شرح نهج البلاغة . الطبعة الثانية . بيروت ، دار الفكر ٤ ج
٢ – ابن الأثير ، عز الدين . الكامل في التاريخ . تحقيق تورنبرغ . ليدن ، بريل ، ١٨٧١م . أعادت دار صادر في بيروت طبعه بالأوفست سنة ١٩٦٥م
٣ – ابن خلدون ، عبد الرحمن . كتاب العبر ... بيروت ، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ، ١٩٥٧ م ٧ ج
٤ – ابن خلكان ، شمس الدين أحمد بن محمد . وفيات الأعيان . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٨ م ٦ ج
٥ – ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا . الفخري في الآداب السلطانية ... القاهرة ، مطبعة الموسوعات ، ١٣١٧ هـ
٦ – ابن طيفور ، أبو الفضل أحمد بن طاهر . كتاب بغداد . تحقيق محمد واهد ابن الحسن الكوثري . القاهرة ، مكتب نشر الثقافة الاسلامية ، ١٩٤٩م
٧ – ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد . العقد الفريد . تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وابراهيم الأبياري . الطبعة الثانية . القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٩ م ٧ ج
٨ – ابن العبري ، أبو الفرج . مختصر تاريخ الدول . تحقيق أنطون صالحاني اليسوعي . الطبعة الثانية . بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٥٨ م
٩ – ابن العديم ، كمال الدين عمر بن محمد ، زبدة الحلب من تاريخ حلب . تحقيق سامي الدهان . دمشق ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، ١٩٥١م

١٠ ـ ابن العماد الحنبلي ، أبو الفلاح عبد الحي . **شذرات الذهب** ... بيروت ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع

١١ ـ ابن قتيبة ، عبد بن مسلم . **الامامة والسياسة** . تحقيق طه محمد الزيني . القاهرة ، مؤسسة الحلبي ٢ ج

١٢ ـ ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم . **عيون الأخبار** . القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٩٢٥ م ٤ ج

١٣ ـ ابن كثير ، اسماعيل . **البداية والنهاية** . القاهرة ، مطبعة السعادة ١٤ج

١٤ ـ ابن مسكويه ، أبو علي أحمد بن محمد . **تجارب الأمم وتعاقب الهمم** . تحقيق دي غويه ودي يونج . ليدن ، بريل ، ١٨٦٩م ٦ ج

١٥ ـ ابن الوردي ، عز الدين عمر . **تاريخ ابن الوردي** . تحقيق أحمد رفعت البدراوي . بيروت ، دار المعرفة ، ١٩٧٠ م

١٦ ـ أبو حنيفة الدينوري . **الأخبار الطوال** . تحقيق عبد المنعم عامر . القاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد ، ١٩٦٠ م

١٧ ـ أبو الفداء ، الملك المؤيد إسماعيل . **المختصر في أخبار البشر** ج ٤ .

١٨ ـ أبو الفرج الاصفهاني . **كتاب الأغاني** . تحقيق عبد الستار أحمد فراج . بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٠ م

١٩ ـ أبو الفرج الاصفهاني . **مقاتل الطالبيين** . تحقيق السيد أحمد صقر . القاهرة ، دار أحياء الكتب العربية ، ١٩٤٩ م

٢٠ ـ أبو هلال العسكري ، الحسن بن عبد الله . **كتاب الصناعتين** . تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم . القاهرة ، دار أحياء الكتب العربية ، ١٩٥٢ م

٢١ ـ الأزرقي ، أبو الوليد محمد بن عبد الله . **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار** . تحقيق رشدي الصالح ملحس . الطبعة الثانية . مكة المكرمة ، مطابع دار الثقافة ، ١٩٦٥ م

٢٢ ـ البلاذري ، أحمد بن يحيى . فتوح البلدان . تحقيق عبد الله أنيس طباع وعمر أنيس طباع . بيروت ، دار النشر للجامعين ، ١٩٥٧ م
٢٣ ـ البلخي ، أبو زيد أحمد بن سهل . البدء والتاريخ . تحقيق كلمان هوار . باريس ، أرنست لردا ، ١٨٥٩ م ٦ ج .
٢٤ ـ الجاحظ ، أبو عثمان. البيان والتبيين . تحقيق عبد السلام محمد هارون . القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٨ م ٣ ج .
٢٥ ـ الجهشياري ، أبو عبد الله محمد بن عبدوس . كتاب الوزراء والكتاب . تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي . القاهرة ، مصطفى البابي الحلبي ، ١٩٢٨ م
٢٦ ـ الحصري القيرواني ، أبو اسحاق ابراهيم بن علي . زهر الآداب وثمر الألباب . تحقيق محمد علي البجاوي . القاهرة ، دار أحياء الكتب العربية ، ١٩٥٣ م ٢ ج .
٢٧ ـ الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي . تاريخ بغداد . تحقيق محمد سعيد العرفي . بيروت ، دار الكتاب العربي
٢٨ ـ خليفة بن خياط . تاريخ خليفة بن خياط . تحيقق أكرم ضياء العمري . النجف ، مطبعة الآداب ، ١٩٦٧ م ٢ ج .
٢٩ ـ الذهبي ، محمد بن أحمد . تاريخ الاسلام . . . مكتبة القدسي ٦ ج .
٣٠ ـ الرفاعي ، أحمد فريد . عصر المأمون . الطبعة الثالثة . القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٩٤٨ م ٣ ج .
٣١ ـ السمهودي ، نور الدين . وفاء الوفاء ... تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٩٤٥ م ٢ ج .
٣٢ ـ السيوطي ، جلال الدين . تاريخ الخلفاء . . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . القاهرة ، المطبعة التجارية الكبرى ، ١٩٥٢ م

٣٣ ـ الشريف المرتضي ،غور الفوائد ودرر القلائد . تحقيق محمد أبوالفضل
القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ، ١٩٥٤ م ٢ج
٣٤ ـ الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير . تاريخ الأمم والملوك . القاهرة ،
مطبعة الاستقامة ، ١٩٣٩ م ٨ج
٣٥ ـ العيون والحدائق في أخبار الحقائق ومعه كتاب تجارب الأمم لابن
مسكويه . تحقيق دي غويه . ليدن ، بريل ، ١٨٧١ م
٣٦ ـ القالي ، أبو علي . الأمالي . الطبعة الثالثة القاهرة ، المكتبة التجارية
الكبرى ، ١٩٥٣ م ٢ج
٣٧ ـ القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي . كتاب صبح الأعشي في صناعة
الانشا . القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٩١٤ – ١٩١٩ م ١٤ ج
٣٨ ـ قنيتو الأربيلي بن سنبط . خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير
الملوك تحقيق مكي السيد جاسم . الطبعة الثانية . بغداد ، مكتبة
المثنى
٣٩ ـ الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد . الأحكام السلطانية ... القاهرة ،
بولاق
٤٠ ـ المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد . الكامل ... تحقيق زكي مبارك .
القاهرة ، مصطفى البابي الحلبي ، ١٩٣٦ م ٤ ج
٤١ ـ محمد بن شاكر الكتبي . فوات الوفيات . تحقيق محمد محي الدين عبد
الحميد . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥١ ٢ ج
٤٢ ـ المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين . مروج الذهب ومعادن الجوهر
تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . الطبعة الثانية . القاهرة ، المكتبة
التجارية الكبرى ، ١٩٦٤ م ٤ ج

٤٣ ـ النويري ، أحمد بن عبد الوهاب . **نهاية الأرب في فنون الأدب .** القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٩٣٦ م ١٨ ج

٤٤ ـ الهاشمي ، السيد أحمد . **جواهر الأدب في أدبيات وانشاء لغة العرب** تحقيق لجنة من الجامعيين . طبعة جديدة منقحة . بيروت ، مؤسسة العـدة ٢ ج

٤٥ ـ ياقوت الحموي ، أبو عبد الله . **معجم الأدباء** . تحقيق أحمد فريد الرفاعي . القاهرة ، مطبوعات دار المأمون ، ١٩٣٦ م ٢٠ ج

٤٦ ـ اليعقوبي ، ابن واضح . **تاريخ اليعقوبي** . الطبعة الثانية . بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٠ م ٢ ج



فهرس الاعلام

ـ أ ـ

– ب –

– ت –

– ج –

– ح –

— ش —

— ص —

— ط —

— ع —

– ف –

– ق –

- ل -

- م -

- ن -

- ه -

- و -

- ي -

المحتويات

★
★ ★

تطلب جميع منشوراتنا من
الشركة المتحدة للتوزيع
بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف: ٢١٩٠٣٩ - ص.ب: ٧٤٦٠ - برقياً: بيوشران